

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم

من سورة النساء

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مريوش

مجلد (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

سوره النساء

المقدمه

هذه السوره من أطول السور في القرآن بعد البقره وهنالك خلاف بشأن ترتيب نزولها فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سوره البقره والنساء الا وانا عند رسول الله... وهذا كان في شوال السنه الاولى للهجره ومنهم من قال انها نزلت بعد غزوه احد لأنها ذكرت غزوه حراء الأسد التي ذكرتها ال عمران (الذين استجابوا لله و الرسول... الخ وهنا قال تعالي (ولاتهنوا في ابتغاء القوم)

فقالوا انها نزلت بعد ال عمران اي في السنه الثالثه للهجره

وقد ورد عن ابن عباس قوله اول منازل بالمدينه البقره ثم الانفال ثم ال عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء ...

والاحزاب في ٥ هجرية والممتحنه في ٦ هجرية

ومنهم من قال انها نزلت في الفتح ٨ هجرية ومنهم من قال انها مكيه لأنها افتتحت بقوله تعالي (ياايها الناس... الخ فقالوا إن ما ابتدا بقوله ياايها الناس فهي مكيه وما ابتدا بقوله ياايها الذين آمنوا مدينه....

والحقيقه أن الخطاب ياايها الناس لايدل علي اراده دخول اهل مكه في الخطاب ولا يلزم أن تكون أنزلت بمكه

وكذلك فان مما يجب أن تعلم اخي المسلم أن السور القرانيه لم تكن تنزل كلها دفعه واحده في زمان واحد بل كانت تنزل آيات منها في زمان واخري في زمن اخر وهكذا وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة رضي الله عنهم بوضع كل ايه في موقعها من السوره فيقول ضعوا هذه في السوره الفلانيه بعد الايه الفلانيه وهكذا

ولهذا فإنه بالوقوف علي الآيات الورده في السوره نجد منها ما نزل في السنه الخامسه مثل ايه اليتيم (واتوا اليتامى أموالهم) لأنها نزلت في رجل من غطفان كان له ابن اخ يتيم وايضا وكذلك فيها آيات تدل أنها قبل الفتح (ومالكم لاتقاتلون في سبيل والمستضعفين من الرجال... الخ

ومنها ما نزل بعد الفتح لقوله تعالي (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها) فقد نزلت بشأن قصه عثمان بن طلحه الذي كانت مفاتيح الكعبه بيده

وكذلك قيل إن إيه الكلاله هي اخر ايه نزلت في القرآن فيجوز أنها اي الايه دون سائر السوره نزلت اخر شي من القرآن وكان الحقها ولهذا لما نزلت سميت ايه الكلاله الاولى ايه الشتاء وسميت الاخيريه ايه الصيف

وكذلك فإن التهديد بالقتال والأمر بالهجره الي ديار الإسلام تدل ان المسلمين صار لهم قوه

كما أن النصوص فيها ما يدل علي مخالطه المسلمين النصاري فدل هذا علي تفشي الاسلام في تخوم الشام بعد الحجاز وتهامه

ومما لاشك فيه أن السوره نزلت بعد البقره وال عمران اي بعد استقرار أحوال المسلمين بالمدينه وانتظام أوضاعهم فقد جاءت مفصله لما اجمل في سوره البقره من أحكام المواريث وغيرها من جوانب الحياه

ولما كانت سوره ال عمران قد اختتمت بقوله تعالي (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

نجد هذه السوره الكريمه تبين لنا الطريق للفلاح فجاءت مشتمله علي اغراض متعلقه بمعاملات الأقارب وحقوق الانسان علي الإنسان تقدم لك النصوص نموذجاً لتأثير القران في إنشاء مجتمع جديد انبثق في حركتها من خلال العرفان بالغايه والهدف من الوجود الإنساني وهو معرفه الله وعبادته ومحبته وعبادته وتوحيده فكان ذلك مناسباً لدعوه الله المخاطبين الي تذكرو نعمه الله في خلق الانسان وايجاده من العدم فيقول لك الله أن عليك واجب شكر انعام الله علي ذلك وأن ترعي حقوق النوع الذي خلقتك منه اي حقوق بني جنسك من البشر ثم ذكر حقوق الأقارب القريبه والبعيده والرفق بالضعفاء من الأيتام والنساء بإقامة العدل في التعامل وإحسان استعمال الملكات العدل والإحسان والرحمه في محله اهميه صيانه المجتمع مما يفسد الجماعه والفرد وحمايته من الظلم ومن الانزلاق في الشهوات والأهواء التي تهدم كيان المجتمع فشرع في بيان حقوق الايتام والنساء والعلاقات الزوجيه و المورث ثم سائر احكام المعاملات بين المسلمين وغيرهم والدفاع والجهاد ضد المعتدي والأمر بأقامه العدل و المساواة والحرية وحفظ الحقوق واداء الامانات وفضح المنافقين وأحكام معاملات المشركين وأهل الكتاب وما تخلل ذلك من المواعظ والإرشاد والنهي عن الحسد وكل ما يميز المجتمع المسلم

اولا

لما كانت سوره ال عمران قد اختتمت بذكر طريق الفلاح يقول لك الله أن هذا الطريق هو الذي ينبثق عن المنهج الرباني واستقراره في النفوس وان هذا يبدأ من خلال الشعور بالمسؤولية ومكانتك في هذا الكون

تعرف نفسك بأنتك مخلوق خلقت لغايه وهدف وهو معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده لاشريك له ..وان إدراك ذلك يتطلب منك معرفه الوسائل الموديه الي تحقيق الغايه والهدف من الوجود الإنساني فابتدأت النصوص (بأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا)

أن ارده التغيير تبدأ من التخلص من الطباع البشريه التي انحرفت بالإنسان عن القيام بتحقيق الغايه من الوجود الإنساني حيث وان هذا الانحراف حصل عندما اتخذ كل انسان لنفسه أهدافا لحياته ولهذا يقول الله لنا (اتقوا ربكم)

أن بدايه التغيير يكون بالتحول من الهمجيه الناتجه عن ترك المنهج الرباني الذي يحقق الغايه والهدف من الوجود الإنساني..ف الله يقول لك انك مخلوق فأشار الي الاصل الأول للإنسان (من نفس واحده)

ادم الذي اوجده الله من العدم فأشار الي عجيب هذا الخلق وان فيه الاعتبار الدال علي قدره الله وكماله ثم ذكروهم أن ينظروا الي نعمه الله بأن خلق حواء من ضلع ادم

ف الله سبحانه وتعالى يقول لك أنه هو الخالق والمدبر والمتصرف بشؤونك وهو المالك لك

لقد خلقك لتكون عبدا لله وحده لا شريك لهيقول لك أن هذا العالم الإنساني الذي تراه امامك متعدد الالوان كلهم خلقهم الله بالتناسل من زوجين ادم وحواء فانتشروا في الأرض فالتناسل كلهم ابناء ادم وحواء والله هو الذي خلقهم

فالمبدأ يدل علي المعاد يقول لك الله انك مخلوق خلقك الله وقد جئت الي الدنيا بغير اردتك وسوف تتركها بغير اردتك ولهذا فليس من حقلك أن تقرر غايه حياتك وأهدافها من تلقاء نفسك لانك مخلوق ولهذا فعليك أن تدرك أن الله سبحانه وتعالى قد خلقك وحد الغايه والهدف من وجودك في الحياه وان كل جزء منك مخلوق لعبادته سبحانه وتعالى ف الله وحده هو الذي يرسم لك الطريق الذي تسلكه ويحدد لك ما تفعل وما لا تفعل هو وحده الذي يحدد لك المنهج الذي يكون اداه تحقيق الغايه التي خلقت لأجلها فهو سبحانه وتعالى الصانع الذي صنعك ولهذا

فعليك أن تتذكر الشرط الذي الزم الله به أبيكم آدم عندما سلمه مفتاح الأرض شرط الخلافة وهو التوحيد وان ذلك يكون من خلال اتباع منهج الله الذي يحمله الرسل والأنبياء الي الناس فالله هو الذي يعلم ما يصلح شأنكم فنحن نعلم أن الكتالوج الذي يضعه المخترع جانب الجهاز الذي اخترعه فيه بيان كيفية استخدام الجهاز وبيان ما يمكن أن يفسد عمل الجهاز اذا لم ترعي ما ورد في الكتالوج المعد من قبل المخترع

ولله المثل الأعلى فهو سبحانه وتعالى قد جعل المنهج الرباني فيه سبيل الهداية ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل مافيها من تحولات

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا ايه المسلمون انكم مكلفون بحمل المنهج الرباني وتبليغ مراد الله الي الناس كافة فرساله الاسلام عالميه فهذا الدين يدعو الناس كلهم الي الاسلام فليس دين لامة أو قوم معين بل للعالم أجمع ولهذا ناسب استهلال الخطاب بقوله تعالي (ياايها الناس)

مع ان السوره مدينة يقول لنا الله أن طريق حمل الرساله يبدأ من التغيير الداخلي الذي ينتج عنه ترك الهمجيه التي طرأت علي الفطره حيث أدت إلي فقدان الإنسان إنسانيته وادميته عندما كان منه عباده غير الله عندما صنع لحياته اهدافا لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات فالإنسان الاول ادم كان علي التوحيد وان هذا الاختلاف إنما حدث بعد تناسل ادم وحواء وانتشار أبناءهم في الارض حيث ادي ذلك إلي تباين اهداف الناس وابتعادهم عن منهج الله وعن الغايه والهدف الذي خلقوا لاجله حيث نتج عن ذلك ظهور العصبيات والقوميات وصنع الناس لأ نفسهم شرائع وقانونين لتنظيم أمور حياتهم وشؤونها فانتشرت الوثنيه والعادات والتقاليد والأفكار الجاهليه فصار الناس في صراعات دمويه وقتال لأجل العصبية والعنصريه وصار الناس وحوشا كلا يقتل الآخر ولهذا فإن أول أهداف المنهج هو احداث التغيير الذي ينقل الإنسان من الهمجيه ليعود الي اصله الإنسان الموحد الذي يعرف ربه ولهذا نجد أن السوره مدينة ومع ذلك ابتدأت بالنداء ياايها الناس لتذكركم باصلهم وان المنهج الرباني يتفق مع الفطره التي تعرف ربها وان طبيعه الإنسان النسيان فهو بحاجه الي التذكير ومن جهه اخرى يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه القرابه الانسانيه التي تجمع الناس ببعضهم البعض وان عليك ايه المسلم واجب رفع الظلم عن البشريه كلها فأنت تحمل رساله الإسلام التي فيها الخير للبشريه كلها خاصه وان النصوص نزلت في وقت مخاطبه الملوك والرؤساء والأمراء والقياسره بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل الي الملوك يدعوهم الي الاسلام من الفرس المجوس والروم.... الخ

فجاء النداء جامعا لبيان اهميه الاعتناء والاهتمام بالعلاقات الانسانيه التي تربط الناس ببعضهم البعض لغرض اجتثاث العصبية والقوميه التي كانت أساس تكوين تصورات الفكر الجاهلي فالبئنه التي نشأ فيها المسلمون كانت قائمة علي النظره الضيقه بالتعصب للجنس واللون والعرق والنسب والقبيله فجاء الاسلام يهدم كل تلك الأصنام

يقول لكم انتم مامورن بقياده العالم فعليكم خوف الله واتقاه في حقوق البشر كلهم واحترام حقوق الإنسان وكرامته وحريةته فالدعوة بهذه المناسبه التي ذكر فيها وحده النوع ووحده الرب الذي أمرهم بمعرفته ومحبتته وعبادته وتوحيده وطاعته لاشريك له والاعتراف له بالكمال في الأسماء والصفات والافعال والتوحيد

فكان افتتاح السوره بهذه الاستهلاله مناسباً لما اشتملت عليه السوره من الأغراض حيث أن أكثر ماورد فيها تشريعات بحقوق الإنسان والاقارب والضعفاء فهي بمثابة مقدمه وديباجه فكانت مناسبه لتذكير الله عباده بنعمه الخلق والايجاد من العدم بأن الواجب عليهم ان يشكروا ربهم واتخذ من ذلك التوجيه باهميه مراعاه حقوق النوع الذي خلقوا فيه ومرعاه الضعفاء والرفق بهم وجاء الأمر بالتقوي في إطار توجيه المخاطبين الي تنظيم العلاقات ل لأفراد والمؤسسات والمجتمع فيوجه الأفراد والجماعه الي الشعور بالخوف من الله ونجد انه عبر في الاولي (اتقوا ربكم) وفي الثانيه قال (اتقوا الله الذي تسألون به)

حيث استعمل في الاولي لفظ الربوبية دون اسم الجلاله

وذلك للترغيب بالتشريعات التي يحملها المنهج بأن فيه تربيتكم وأنه هو الذي يحقق الرقي لكم والتقدم ويحدث التحول والتغير من الهمجيه فتكون انسان شاعرا بهوموم ومشاكل الآخرين تتخلص فيه من الانانيه فتتفاني في خدمه الآخرين فتكون الفاعليه ايجابيه

فكان استخدام لفظ الربوبية هنا مناسباً لأن في معني الرب ما يبعث العباد علي الحرص علي الإيمان بوحدانيته ف الرب هو المالك والمتصرف والمدير لشؤون الخلق

ولهذا فإن ذكر لفظ الرب بطريق الاضافه يهدف إلي اخبارهم أن عليهم واجب شكر نعم الله وذلك بتقوي الله حق تقاته فأنت في هذا الموقف تقول كيف اتقي الله

فيقول لك الله أن أول خطوه هي أن تشعر بوجود الله بمعرفه الرب وإحسانه وحسنه وهذا إنما يكون من خلال النظر في مخلوقاته الايات المشهوده في الكون فجاء الترغيب بالحق والحث علي ترك حماقه والضلال

فيقول لك الله انك تري قدره الله وكماله في الكون فجاء الاسم الموصول (الذي خلقكم)

بأنه أنه أحق أن يتقي ثم وصل خلقكم بصفه (من نفس واحده) أن في هذه الايه عجيب خلقه وعظمته ثم ذكر أنه خلقهم من ادم وحواء وبالتالي فإن هذا الدين يدعو الناس كلهم الي عبادته الله ليس لامه من الأمم وانما للبشريه كلها لجميع الناس وبالتالي فاللازم أن تتربوا علي احترام حقوق الإنسان وكرامته وحرية وان تتخلصوا من ركام الجاهليه ف الله قد خلق الرجال للنساء وخلق النساء للرجال

اما الخطوه الثانيه للتقوي فهي أن تعرف أن ذلك لن يتحقق إلا بالمنهج الذي يحدد لك ماتفعل وما لاتفعل فاللازم عليك أن تلتزم بالمنهج لانه فيه الوقايه من الهلاك والسخط والغضب الإلهي ولهذا اختتم بقوله (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام... الخ

فذكر في هذه الايه الأمر بتقوي الله والمراد به التحذير من التساهل في حقوق الارحام والضعاف من النساء و الرجال فشرع في بيان التشريعات التي تحقق ذلك فالمسلمون مأمورن بحمل الامانه الخلافه للعالم أجمع مأمورن بعدم التساهل والتهاون في هذه الحقوق فاستعمل لفظ الجلاله ليغرس في النفس الخوف والهيبه لله لما يأمر به فذكر بعدها حقوق الضعاف من الأيتام والنساء

وذلك لأن العربي كان لايتحرج من هضم حقوق الايتام والنساء والضعفاء ولهذا يقول الله (أن الله كان عليكم رقيبا)

أن التاثر الحقيقي بالشريعه ألحقه الكامله في قلب الإنسان إنما يكون بهذا التحول والتغيير

فالامم لاتتطور الا اذا تحقق رفض أبنائها لواقعهم الذي فيه أسباب تخلفهم ولهذا فقد انبثق التغيير في أصحاب الرسول عن القرآن الكريم فهو ماده التغيير فقد كانوا يشعرون أنهم هم الذين يوحى إليهم كانوا لديهم ارده للتغيير عند ما يأتي القران بحكم جديد لايجدون مشقه في ترك الواقع الجاهلي فالتطور يتطلب رفض الواقع بالرضا و القناعه منهم بالتخلص من الواقع الجاهلي وارده ازاله اثار ذلك الواقع واستبداله بما فيه السعادة الحقيقيه فكانت ايات القران اداه التغيير الذي حول الشعوب العربيه المتوحشه الي أناس يحترمون حقوق المراه والأيتام والإنسان بشكل عام

أن الامه الاسلاميه اليوم بحاجه أن ترجع إلي مطالعه أحوال الصحابة رضوان الله عليهم لمعرفة كيف حصل لهم التقدم اذا اردوا استعادته الامه لدورها فالمجتمع الذي يريد التقدم يمر بظروف تتراوح بين التخلف والتقدم وهو

يحتاج الي قوه تحريك قادره علي دفعه الي الانتقال من مرحله التخلف الي التقدم

ولهذا فإن المجتمع بحاجة الي قوه دفع من داخل النفس باعث الحركة فكان لابد من تخليص النفوس من الانانيه وحب الذات وغرس مبدأ تقديم المصلحه العامه علي المصالح الشخصية ليكون لهذا الشعور دور في تحريك الأ فراد نحو التقدم وهذا يتطلب وجود قياده ومنهج يرشدهم الي كيفية تحصيل ذلك لأن هنالك مصالح يكون تحصيلها بوسطه الفرد بشخصه وهنالك مصالح لايمكن تحصيلها الا من خلال الجماعه كلها ومن هنا كان لابد من غرس مبدأ التعاون والإنسانية بين أفراد المجتمع فهي من أهم العناصر في تماسك المجتمع ودوره في توجيه الأ فراد والجماعه نحو التقدم بحركه فيها ضبط السرعة فلا تبقي في أبطأ لأن ذلك يبقي التخلف ولاسرعه تؤدي الي اجهاض مشروع التقدم ولهذا يقول لنا الله أن أهم مظاهر التأثير بالشريعة في هذه الحياه إنما يحصل باتباع المنهج بأن تعرف ربك وحقوقه وان يعرف الانسان حقوق بني جنسه حسب مراتبهم وان يستعمل ملكاته العدل وا لإحسان والرحمه في محله وينزل الجميع بحسب درجاتهم مما من الله عليهم من معرفه وعلم ومال وصناعه ورفاهية

يقول لك الله أن عليك رفع الظلم عن المظلومين بغض النظر عن اديانهم واجناسهم فعليك أن تتحول إلي انسان يسعي الي سعادته البشريه كلها ورفع الظلم عن كل مظلوم

عليك ان تكون خادما لله بالقيام بتاديه حقوق البشريه بالبذل والعطاء والتفاني في خدمه الناس وتبني هموم الناس عليك أن ترفع الظلم عن الناس والقضاء علي آثار الجاهليه التي طرأت علي أحوال الناس ولوثت الفطره ومانشاء عن ذلك من العصبيه والعنصريه والطبقيه فذلك قد مزق كيان المجتمع البشري فلو استقرت هذه الحقيقه في النفوس لقضي علي الحروب التي مزقت البشريه وسالت بسببها انهار من الدماء

الأمر الثالث

أن من أهم ما تطرحه النصوص بهذه المقدمه التي جسدتها الايه الكريمه (ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا) جاء متناسبا مع ما تناولته السوره من أحكام بعد الأمر بالتقوي في السر والعلانيه والتذكير المخاطبين أنهم من نفس واحده وأحكام القرابه والمصاهره والانكحه والمورايت والقتال والجدل مع اهل الكتاب والأخبار التي تفضح المنافقين والكلام مع اهل الكتاب

حيث وان تلك الاغراض تهدف إلي تربيته المومنين وأعدادهم لقياده العالم فتضع النصوص في هذه المقدمه اسس هذه القياده بأن علي المومن تحمل أعباء الانسانيه أثناء حمل المشروع الرباني فكان ابتداء النصوص (ياايها الناس)برغم أن الايه مدينه وهذا يهدف إلي غرس مبدأ المساواة والحريه والعداله الاجتماعيه في النفس المسلمه ذلك أن العربي لم يكن يقبل الامتثال للقوانين ولم سلطه الملوك فطبيعه العربي هي التمرد لانه يري أن الحريه هي التمرد وايضا لأن البيئه التي نشأ فيها الصحابة كانت تقوم علي معايير التفريق بين القبيله والقبيله والافخاذ فكرست العصبيه والعنصريه والطبقيه والسلايه ولهذا فإن النصوص جاءت لمعالجة تلك الآفات التي كونت تصورات خاطئه في أذهان المجتمع العربي ولهذا فهي

تبين لهم أن الدين لايتعارض مع اغلي حقائق الانسانيه الحريه فقال تعالي (ياايها الناس) أنكم تمتعون باراده تتجلي في مظاهر الاختيار واداه ممارسه ذلك الارده والعقل والتفكير فهذه من أهم خصائص الإنسان

فإذا أردنا أن نعبر عن الانسانيه بخصيصه واحده مفرده تكون علما علي الإنسان وصوره لطبيعته لقلنا أن الانسانيه حريه

فحقيقه الانسانيه هي الحريه ولهذا فإن مهمه الدين هي تقرير هذه الحقيقه وتقديسها فلا تناسوا حقيقه انكم ناس

فأراد بهذا النداء (يايها الناس)

بعد أن اختتم سوره ال عمران (لعلكم تفلحون)

أن يعمق مشاعر الحريه في مسالك النفس والعقل وفي أغوار نفوس الأفراد والجماعه وجذور الدوله وفي احوال العقيدته

ولهذا يوجه المخاطبين الي تذكر نعمه الخلق والايجاد وان لهم اصل واحد (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده... الخ

يقول لنا أن عليكم أن تنظروا الي نعمه في قصه خلق الإنسان فإن في هذا الإنسان من روح الله ولهذا فلا ينبغي أن يذل أو يهان فهو تعالي كرم الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات فقال (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فالمولي يقول لنا أنظروا الي نعم الله لتري احسان الله وربوبيته فذكر (اتقوا ربكم) لبيان انه يريد أن يستخلص النفس الإنسانية الكريمه العزيزه وعلي هذا الأساس عرض الله نفسه علي الناس فقال في موضع آخر (لا اكره في الدين)

ولهذا يقول أنظروا الي عجيب خلقه وعظمته لتعرفوا الله يعرض نفسه من خلال الحوار الذي يطلب حضور العقل ومشاركته في الوصول إلي النتيجة لإعداد المومن المفكر الحر

فيقول للمومنين (يايها الناس)

ايه المومن أن المولي سبحانه وتعالى يريدك أن تكون انسان حر كريم ولكن هذا لا يجعلك غنيا عن العالمين اي بقيه بني ادم لماذا لانك في النهايه انسان من جمله الناس والإنسان مخلوق يانس ويقوي ويضعف ويستوحش ويستكبر فتحريه وإطلاق قواه لن يلغي طبيعته أنه مخلوق

فهو دائم الاحساس بالحاجه الي استمداد العون وأن تحريره يبلغ أقصاها حين يرضي الدين احتياجاته فالدين ينقذ الإنسان من أن تستعبده الأهواء او تسهويه الشهوات والافراد فلا يمكن لهذا الحر أن يصير عبدا لشهوه أو نظام أو ينقاد لإنسان سواء من عباده الله

فقال تعالي (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده)

يربط الإنسان في استعلائه واستسلامه ب الله الواحد القهار فالإسلام لم يقدر جنسا ليسود علي سؤه فقال تعالي أن اصلكم من ادم (من نفس واحده) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (كلكم لادم وادم من تراب)

فالله وحده هو الخالق وله الحكم والأمر وهو الذي اذا قضي أمرا فلا يكون لمومن الخيره من أمره فعليك الطاعه والامتثال

يقول الله أن الناس جميعا ايان كانت منازلهم اندادا وامثال وأشباه لا يستعلي عليهم إلا الإله المعبود فالخلق سواسيه يحسنون ويسينون يتعاونون ويتحاسبون

فقال لنا تعالي أن اصلكم واحد من ادم تلك النفس التي كرمها الله وحواء التي خلقت منه وكان بعد ذلك التناسل ف لا يوجد فرق بين الناس

ولهذا فإن عليكم اسلام الوجه لله بالانطلاق في الكون وعباده الله بالتححرر من كل سلطان فلا تخاف الا الله فتكون

عابدا لله بالتعامل مع الكون والناس فقال تعالي (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام) فالتحرر يكون بالتعظيم وا لاجلال لأمر الله والامتثال والخضوع لأمره وان عليك أن تعبد الله بتنفيذ منهج الله في مراعاة الرابطه الانسانيه والارحام فاختلف الشعوب والقبائل لا يخرجكم عن رابطته الانتماء لادم وحواء وان ذلك الاختلاف من أجل التعارف والتعاون والتكامل كما قال تعالي في موضع آخر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

وليس في الخضوع لله محاباه للخاضعين كطائفه ولا تحامل علي المنكرين كطائفه فانتم ملزمون باقامه العدل و المساواة والحرية والكرامة الإنسانية فالله يقول في موضع آخر (ولايجرمكم شأن قوم علي الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي) وقال (ولايجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا علي البر و التقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان)

هذا هو رب العالمين بحق رب المومن والكافر علي السؤءرب كل الأفراد والأجناس والاقوام والطبقات والطوائف علي السؤء

هذا الإله العظيم الذي يدين له الإنسان الحر العزيز فتنتطق طاقاته المذخوره من مكامنها دون أن تبتذل في مراسم تمسخ بشريته وتشوه معالمه وتبدد قوه

هذا هو الرب العظيم الذي يراعي الناس جميعا برؤيبيته الرحيمه يعلم أنه ما من فرد او جمع يطيق أن يعيش منفردا في الكون فلا بد لرعايه حريه فرد أو مجتمع من تمكين كل الأفراد والمجتمعات من ممارسه الحريه ومن هنا كان لابد أن تتقابل الحقوق والواجبات فقال تعالي (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام)

فذكر اهميه رعايه حقوق الارحام لأن الإنسان لابد له من حركه وهذه الحركه أما أن تكون سلبيه أو ايجابيه وان اكبر ما يهدد الأمم والحضارات هي السلبيه القاتله التي تصيب العقل بالشلل نتيجة الافاق الضيقه وحصر الا هتمامات بادائره القوميه والعصبيه والعنصريه وايضا يصيب الطاقه البشريه بمقتل نتيجة الشلل النفسي الذي يقعد العزائم محصوره علي أنماط حياه لاتزيد عن حياه الحيوان

أن ذلك يفقد الإنسان إنسانيته ولن يجد الهدو والهنا الذي يتصور أنه يجده من خلال ذلك وسوف يدفع ضريبة تنازله عن إنسانيته عندما رضي بالدون سوف يتعذب في دائرته الصغري نفسه وأولاده لن يتفاعل مع من حوله الا بحدود الضروره الضيقه وعندها تتضخم مشاكله الصغيره

يقول لك الله أن تهرب الإنسان عن أعباء الانسانيه لن يهي له انخلاعا من تكوينه العقلي والنفسي ومن هنا يشقي شقاء مضاعفا حين لا يستعمل ادوته وملكاته استعمالا صحيحا وسليباته هذه تفقده حتي أهدافه الصغيره تفقد حتي أسرته

ونفسه لانه نتيجة الانانيه يتجه الي الاضطرابات والتباس المعالم وتضيع الأهداف وترتبك خطواته وتتخبط التصرفات

ولهذا أتت شريعه الاسلام تنظم ما فجرته عقيدته الاسلام من طاقات الإنسان وقواه لقد ردت شريعه الاسلام للناس حقوقهم يوم سلبت من الخلق جميعا التاله بالذات وبالواسطه بالاسم او الصفه ونادت في الأرض أن (لا اله الا الله لتقطع الطريق علي الخلق أن يبغي أحدهم علي الاخر فكل من يتحكم في عباد الله من طريق مارزقه الله من ثروه اوجاه اوسطوه فكأنه ينحل لنفسه صفات القهار الرزق وان لم يسم نفسه الها فقد جعل من نفسه الها بالوصف وسمي الاسلام هذا العدوان علي حقوق الشعوب شركا من باب العقيدته وهو قد أمر أن لايعبد الا الله ولهذا قال (أن الله كان عليكم رقيبا)

فقد جعل الاسلام شعائر الدين تتظافر علي تثبيت معاني المساواة والتكافل من خلال اعزاز الضعيف بقوه الله كما

هو حال الصلاه وتخفيف لصوله القوي أمام كبرياء الله وفي الحج والصيام

ولهذا فقد جاءت عقيدته الاسلام تعز الضعيف وتضع القوي أمام جلال الله جاءت ترعي حقوق المجموع ولا تهدر اعتبار الفرد وتقرر المساواه ولا تغفل الحريه

ولأن العرب كانت لديها افكار سخيغه بشأن المراه بأنها مصدر النجاسه ويحتقرونها وهم بذلك يهدورن حقوقها وسلبت دورها في حركه الحياه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يذكرهم بأنها خلقت من ادم فهي جزء من الرجال (وخلق منها زوجها)

خلقت لتكون زوجة لادم فلا تقوم الحياه بدون المراه فهي الشطر الثاني من كيان الإنسان فأراد الله بتذكيرهم بذلك أن يلفت انتباهك الي حقوق المراه بعد ذكر حقوق الإنسان وكرامته واوصنا بتقوي الله بشأنها فقد حفظ الله لها حقوقها الاجتماعيه كما حفظ حقوقها الشخصيه والمدنيه حفظ لها مكانتها ولهذا سميت هذه السوره الكريمة باسم سوره في كتب التفاسير والمصاحف باسم سوره النساء باتفاق العلماء

يقول لك الله أن عليك ان تتخلي عن النزعات الذكوريه فليس هنالك فرق بين الرجل والمرأة في ميدان العمل الایماني فالمراه جزء من الرجل عليك أن تتذكر أنها خلقت من جزء من جسدك وخلقت لأجل أن تسكن اليها فهي الشطر الثاني الذي يكمل به بناء المجتمع المسلم فكيف يكون منك احتقارها كيف لك أن تقوم بود البنت

يقول لك الله أنه خلق المراه لأجل تكوين الاسره التي تقوم بواجب الخلافة علي الارض (وبث منهما رجلا كثيرا ونساء)

ف الله قادرا أن يخلق الناس كلهم دفعه واحده ولكن حكمته اقتضت أن يكون وجودهم ناتجا عن علاقه نظيفه طاهره يكون من خلاله انشاء الأبناء وتدريبهم علي الود والاحترام والشعور بالمسؤولية عن الأعباء الانسانيه فالأ سره هي التي تغرس في أبناءها قيم الاخلاق الفاضله والعاطفة والرحمه

فالرجل له دور يكون فيه الظهور والاشتهار بالحرب لهمايه القيم والمبادئ والحركه وكسب الأرزاق والصناعات وغيرها من الأمور التي تتطلب الظهور والاشتهار أكثر من المراه التي يكون دورها في الغالب الاختفاء في إنشاء وتكوين مجتمع مثالي من خلال تربيته الاجيال القادمه في أهم وأخطر مراحل حياه الانسان مرحله الطفوله وبعدها يكون دور الأب الرجل وهو ظاهرا فجاء ذكر نسبه الكثره للرجال دون النساء لأجل بيان أن أعباء الانسانيه الملقاه علي الإنسان تختلف باختلاف طبيعه التركيب والبيئيه لأن دور كلا منهما يكمل الآخر فدور المراه فيه الاختفاء أما دور الرجل فهو الظهور والاشتهار

فأخبرنا الله أن الحقوق الملقاه علي عاتق المومنين هي احق الله وحقوق النوع اي حق الانسان علي الإنسان فقال تعالي (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام) لأن العرب كانت عادتها اذا سالت احد امرا أن تقول (أسألك ب الله والرحم) ولهذا يذكر الله لهم ما هو حق الله وما هو حق الرحم الذي يتناولونه بألسنتهم

فذكر ما هو حق الله بتعظيم أمر الله وامثاله وطاعته مثلما تغظمونه بالسنتكم حينما تقولون أسألك ب الله فعليكم خوف الله الذي تسألون به حاجتكم

وان حق العباد التي أسماها الرحم هو الاحسان اليهم (والارحام)

وسماهم الارحام مشتق من الرحم والقرايه وقيل إنها من الرحمه لأن الأقارب يترحمون ويعطف بعضهم علي بعض لبيان اهميه الرابطة الانسانيه فيقول عليكم أن تشعروا بصله القرايه التي تجمعكم بالإنسانية بانها صلته قرايه يجب وصلها وعدم قطعها والأمر بالتقوي لما لها من قوه تحريك للقدرة فهي أن صلحت صلح أمور الدين والدنيا وأن الأ مر يتطلب مراعاة من لهم الاولويه مراعاة حقوقهم بالنظر الي احتياجاتهم كما قال تعالي في موضع آخر (فلا

اقتحم العقبه وما ادراك ما العقبه فك رقبه أو إطعام في يوم ذي مسغه)

ف الله يقول انه يجب عليك أن تنظر إلي من أحوج الي الاحسان من الذين لاحيله لهم والمساكين والمحتاجين من أهل البؤس والعاهات المانعهم من الاكتساب فاحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم فلا يكون الانشغال ب التمكين والعز عن مراعاة حقوق الإنسان وكرامته وحريته وان لم يكن مسلم وهذا يكون بحسن استخدام الملكات الرحمه والإحسان والعدل في محلها فالمولي يأمرك أن تشعر قلبك بالرحمه والمحبه للرعيه والمحتاجين لمساعدتك واللفظ بهم فلا تكون عليهم سبعا ضاربا يغتنم الفرصه لياكلهم فيقول لك سبحانه وتعالى أن من تتعامل معهم من الناس صنفان أما اخ لك في الدين وأما نظير مساوئ لك في الخلق تربطك به رابطته الانتماء الي ادم وحواء اي الرابطه الانسانيه تأتي منهم الأخطاء والمحاسن بقصد وبدون قصد فعليك أن تعطيتهم عفوك وصفحك مثلما تحب أن يعطيك الله عفوه وصفحه فأنت اذا كنت فوقهم لك الولاه عليهم أو متولي شأن من شؤونهم فعليك أن تشعر أن الله فوقك وهو امرك بالقيام بتدبير مصالحهم وابتلاك فيهم ولهذا ربط ذلك بالشعور بمراقبه الله واحاطته علما بالأعمال وأنه حافظ لأعمالهم ويجازي علي أعمالهم لبيان اهميه الاخلاص في الإحسان إليهم لأن هنالك من يبذل الأموال في العطاء للمحتاجين لكن ليس بباعت إرضاء الله تعالي وانما رغبه في الشهره وغيرها فكان مناسباً التعقيب (أن الله كان عليكم رقيباً) يقول لك احذر أن تخالف شرع الله بالظلم والجور فأنت بذلك تعلن الحرب مع الله وانت عاجز عن دفع نقمه الله اذا حلت عليك يقول احذروا العاقبه وما انتم صائرون إليه وقدموا لأنفسكم من الأعمال ما يحرزها من العاقبه ويحفظها من سوء المصير فاعلموا أن ما كلفتم به يسيرا وان ثوبه كبيراً فانصفوا الناس من أنفسكم واصبروا علي حوائجهم فان الفلاح الذي يكون فيه الانتقال الي الدوله والعز والتمكين وقياده العالم يتطلب منكم التدرب علي كيفية التعامل مع الرعيه حيث أن مصالح الامه واموالها حينها ستكون في ايديكم وذلك يتطلب منكم أن تحسو بالاعباء الملقاه علي عاتقكم طاعه لله بعيداً عن العصبية والعنصريه والطبقية والسلا ليه ف الله قد طلب منك ايه المسلم أن تصنع له الشكر بطاعتك له ورعايه حقوق عبادته وفاء بحق ماله عليك من نعمه بالشعور برقا به الله لأنها الوسيله لقمع مافي النفس من حرص وبخل ولهذا فأنت بحاجة الاحساس برقا به الله لتكون حريصاً علي حمل نفسك علي ما تتركه أن كان ذلك في الحق قرب محبوب يعقبه هلاكاً ورب مكروه يحمده عاقبه فجاء الاسلام لتخليص البوعث النفسانية التي تدفع العبد الي التحايل علي الشرع عندما يجد الفرصه سانحه اذا تصور أنه سوف ينجوا من العقاب

فاهميه الرقا به هي لأجل تنفيذ أحكام الله لان غياب الرقا به تعني أن ينقلب المجتمع عن قواعد وقوانين الشرع نتيجة ارده المصلحه الشخصيه فقد ثبت أن الاحتياطات القانونيه الوضعيه والرقا به الحكوميه الظاهره من المحاكم والنيابات وغيرها لم تستطع وضع حد للجرائم لأن غياب الوازع الديني لدي الأفراد يمثل موت الضمير ولهذا ينظر الناس الي قدرته علي الافلات من العقوبه لارتكاب الجرائم

ولهذا جعل المولي سبحانه وتعالى الرقا به حارساً في الضمير الإنساني فالمسلم يستقبل الآيات القرآنية فتشعر جلدته وقلبه من خوفه من الله ثم تطمئن قلوبهم لذكر الله ويقومون بالتنفيذ فالتشريعات وحدها لا تكفي إن لم يكن خوف الله في ضميرك تكسر نفسك من الشهوات ويكفها عن مطامعها اذا جمحت عليك فلم تنقاد لقائد العقل الصحيح والشرع الصحيح فإن النفس اماره بالسوء الا من رحم الله

ولهذا فإن الله يأمرك أن تنصف الله وتنصف الناس من نفسك بمحاسبه نفسك عن أعمالها فلا تظلم عباد الله فعليك أن تتذكر أن الله فوقك يري اعمالك ويحيصها عليك وأنه لا يرضي بالظلم والجور ومن يظلم يكون الله خصمه دون عبادته ومن كان الله خصمه فقد أوقع نفسه في الهلاك فهو يكون في حرب مع القوي الذي لا يعجزه شي فهو للظالمين بالمرصاد فانتصار الاسلام اذا انتصارا للحق المطلق لا انتصار لجماعه أو لأرض ولا لشعب علي شعب أنه انتصار الانسانيه أنها دعوه للانسانيه والعالميه في زمان ليس في وسع عقل أن يلحقهما بالفكر البشري في وقتها فالعالم لم يكن يعرف غير العصبية والعنصريه والطبقية والسلا ليه لقد جاء الإسلام يدعو الي الانسانيه والعالميه و الحرص علي صلته رحم الإنسان باخيه الإنسان فقد شكل الرعيه الاول من صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم

حقيقه عصبه الأمم فقد كان فيهم العرب والفرس والروم والاحباش وكافه القبائل فهذا بلال الحبشي وذاك صهيب الرومي وذاك سلمان الفارسي وغيرهم أن المولي يخاطب المومنين العرب الذين اختارهم الله لحمل الرساله وتبلغها للناس فيدعوهم يايها الناس.. أن هذا الاختيار ليس لأن تصبح العروبه لونا ثقافيا ولا عصبه دمويه انتهوا من ذلك فاصل الناس واحد وهو ادم فالقران قد جاء يبشر بالعالم الواحد والاسره الانسانيه في ظل عقيدته تنير الضمير وتكون الضمان والعالمية والإنسانية فقال تعالي (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا)

فليس انسانيه الاسلام الا لاقامه الحق والعدل والمساواة والحرية والكرامة والعدالة الاجتماعيه فهي ليست مثل مشاريع دعاه الانسانيه اليوم الذين اتخذوا من الانسانيه والعالمييه اداه لتبرير الاحتلال والاستعمار ولتكريس الظلم والاضطهاد فهذا الفارق بين دعوه الاسلام للانسانيه والعالمييه وبين دعاه التقديمية اليوم الذين ينشرون فيه الظلم والجور باسم العالم الواحد والاسره الانسانيه فقد شاهدنا كيف أنهم انتهكوا حقوق الإنسان باسم القانون الإنساني الدولي في العراق وافغانستان وغيرها فقد استعملت هذه المصطلحات لغرض الخداع والترويج للباطل أما الاسلام فقد جعل المسلم يحمل أعباء الانسانيه لرفع الظلم عن المظلومين

ثانيا

ولما كانت الايه السابقه قد اختتمت بقوله تعالي (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا)

قد أمر المسلمون بعدم التساهل والتهاون بحق الله عليهم في تعظيم امره وعبادته وتوحيده وطاعته وان حقه يوجب عليك ايه المسلم أن يحفظ حقوق العباد والضعاف والمحتاجين وان يكون ذلك حفظا لله ما استحفظه من حقه فيهم فذكر لفظ الجلاله (واتقوا الله)

يقول لكل من تولي أمرا من أمور الناس إذا أحدثت لك نفسك ما أنت فيه من سلطائك شي من الخيلاء والعجب فانظر الي عظم ملك الله فوقك فقد ورد أن معني الرقيب هو المشرف في المكان العالي فإذا نظرت لذلك فعليك أن تري قدرته منك علي مالا تقدر عليه من نفسك فهذا يخفض من طموحك ويرجع اليك عقلك اذا غاب عنك فعليك أن تكون في يقظه دائمه فلا تتكبر لأن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال فاستعمل لفظ الجلاله ليغرس المهابه في نفوس السامعين ويقول لك ايه المومن أنه سيكون الوصول إلي طريق الفلاح والعز والتمكين والكرامه والرفعه بالإسلام وقياده العالم لكن قبل ذلك لابد من اعدادكم علي تحمل المسؤوليه الملقاة على عاتقكم فالأمر يتطلب منك مرعاه حقوق الضعفاء فطريق الفلاح والوصول الي العز والتمكين وقياده العالم واتباع الشريعه ألحقه تعني ان تتخلي عن الانانيه وسلبيه الحركه من خلال تحمل أعباء الانسانيه في الحياه ورفع الظلم عن المظلومين ايان كانوا ومرعاه حقوقهم حسب الالويه في الاحتياج فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (لن تقدس امه لا توخذ للضعيف حقه من القوي غير متعتع)

والتقديس هو التطهير اي لا يظهر الله امه لتكون اهلا لنيل شرف الخلافه والقيادة الدينيه لتحظي بالحمايه الربانيه والشرف في القيادة والرياده حتي تنتصر لحق الضعيف من غير تردد لأن التعتعتع في الكلام تعني التردد فيه من عجز أو عي والمراد غير خائف بمعني أن تزيل كل أسباب الحواجز بينك وبين الضعفاء من حراسه وفوراق يمكن أن يحس بها هذا الضعيف فالمطلوب منك أن تتواضع لله الذي خلقك وترفع من مكانته بحيث تزول كل مشاعر الضعف من إحساسه حتي تراه يتكلم معك غير متعتع ولهذا يقول الله لك ايه المومن أن أول اختبار وامتحان توضعون فيه هو (واتوا اليتمى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم الي أموالكم أن ذلك كان حواجا كبيرا وإن خفتم الاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم لاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادني الاتعولوا)

الأمر الأول

فالتوجيه بالأمر هو للأوصياء علي الأيتام والنساء فالمولي سبحانه وتعالى يقول إن عليك وانت تتولي مسؤولية أو اداره أو ولاية أناس أن تنظر إلي الاحوج من بينهم الي الإنصاف من غيرهم وتعهده الأيتام والنساء ممن لاجيله لهم والأمر ثقيل علي الولاه والحق كله ثقيل وانما التخفيف من الله لمن يطلبون العاقبه فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق وعد الله لهم فناسب عطف الأمر (واتوا اليتامى أموالهم ولاتبدلوا... الخ

علي الجملة قبلها (أن الله كان عليكم رقيبا)

فالأمر يحتاج الي خشيه يخافون الله ويتوضعون لعظمته (واتقوا الله) لاتانفون لحالهم فجاء الأمر بعدها (واتوا اليتامى أموالهم... الخ

١

تربيته المومنين علي تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم اذا اوكل إليهم ولاية أمر من الأمور فكان

الأمر للأوصياء بايتام الأيتام أموالهم والايثاء في اللغه الاعطاء والدفع .. والسامع عندما يسمع الأمر يتبادر الي ذهنه أن المراد بهذا إعطاء الأيتام أموالهم لأن الدفع علي تحصيل الشيء بالشيء والاعطاء حقيقه بمعني الدفع و المولي قد ذكر في (وابتلوا اليتامى الخ

فقد جعل دفع أموالهم مشروط بالبلوغ وايناس الرشد

ومن هنا فإن المراد بالايثاء ليس الاعطاء ولا الدفع حقيقه وانما استعمل ذلك اللفظ معني الايثاء مجازا

١

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين أن عليهم حفظ أموال اليتامى التي استرعيتهم حقوقهم فانتم بمنزله الراعي الذي كلف برعي الأغنام فهو ملزم بحفظها من أن يأكلها الذئب رعايه حفظ وعدم الانشغال عنها ولا التعرض لها فلا يعذر رعي الغنم بتضيع الأغنام نتيجه الإهمال لوقت قليل وان احكم واتقن الرعايه لوقت طويل والمراد بهذا لفت انتباهك الي اهميه الاهتمام بأموال اليتامى وعدم التفريط بها وان عليك ملاحظه شؤونهم وعدم صرف الاهتمام عنها الي مالكم من أموال فعليكم الحرص علي عدم ضياع أموالهم

٢

كما أن النص فيه اهميه حث المومنين علي التعفف عن أموال اليتامى وقطع اطماعهم الفارغه لانها من سافلات الأ مور فمن نظر إليه وهو في اعلي منزله النزاهه لحقته ووصمته النقيصه فما ظنك بمن هبط إليها وتناولها منها ولهذا جاء الأمر بكف النفس عن النظر إليها وتركها علي حالها يقول لهم لاتتعرضوا لها بسوء وعليكم تنميتها حتي يحين موعد تسليمها لهم فالمراد تزكيه النفس من الحرص والحسد وتربيته النفس علي الامانه وعدم الخيانه

٣

يقول لك الله عليك ان تشعر أن هذا المال ليس مالك وانما هو مال اليتيم وأنه سوف يطلبه في أي وقت عليك أن تحاسب نفسك علي التقصير في حفظه وإدارته عليك بالشعور بان الله يراقب اداءك بحق من استرعيت علي حقه فالله قد قال لك (أن الله كأن عليكم رقيبا)

يقول لك الله عليك أن تحس انها مال الغير وتنظر الي قوه الله وقدرته وعلمه وأنه فوقك فلا تغفل وتتهاون في ذلك استخفافا منك بضعف اليتيم

ولأن الأوصياء في الغالب ينظرون أن أموال اليتامى هي أموالهم يتصرفون بها كيفما يشاؤون وينظرون أنهم أصحاب فضل في تنميتها وهو ما يكون مدخلا لفسادهم وضياع أموال اليتامى فأراد المولي سبحانه وتعالى بهذا النداء معالجه ذلك بأن تحاسب نفسك علي الدوام وتحس انها أموال غيرك وان الأيتام أقوياء يستمدون قوتهم من قوه الله الذي ينصر الضعفاء فإذا توليت أمرا فانظر الي قوه من فوقك أنه المولي سبحانه وتعالى ملك الملوك ولا تنظر إلي ضعف اليتيم فإذا غرست هذه المشاعر في النفوس فقد كان نصر الضعيف

٤

تبين لنا النصوص أن المعني بالايثاء هنا هو حفظ مال اليتيم وعدم التعرض له أي صيانته والعمل علي ما يودي الي تنميته وعدم التفريط به أو الانشغال عن القيام بواجب رعايه حقوق الضعفاء التي استرعت عليها ولهذا فإن هذا يختلف عن الايثاء الذي بمعني الدفع والذي يعني وجوب تسليم ودفع أموال اليتامى

فأراد المولي سبحانه وتعالى هنا أن يغرس في قلوب المومنين الرحمه والعطف بالطبقه السفلي وابتداء بالايثام لانهم ضعاف وبحاجه الي الرعايه والعنايه فاليتيم مكسور الخاطر لانه لآب له فهو يشعر بالضعف والعجز فيقول لك الله أن اتباع الشريعة ألحقه يوجب عليك حسن استخدام ملكات الرحمه والعدل في محلها فيجب عليك حفظ مال اليتيم وعدم التفريط به وان لاتضييق ولا تضجر وانت ترعي مصالحهم ولا تائف اي تستكبر عند القيام بذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبسط عليك أكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته (أن الله كأن عليكم رقيباً) يحصي الأعمال الصالحة وسوف يجازي بها عليك الثقة بوعد الله وأن تظمن الي ثوابه فلا تقول ما دخلي بأموالهم اننا اضيع اوقاتي وجهدي بحفظ أموالهم فعليك أن تفعل ذلك في طلب العاقبه

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص في صياغه الأحكام والقواعد الشرعيه التي تنظم حقوق الضعفاء الأيتام وأموالهم من الضياع وتبين واجبات الأوصياء في إطار تدريب المومنين علي اداره امور الرعيه فيقول المولي (ولاتبدلوا الخبيث بالطيب)

فالله يقول إن شعورك واحساسك بان مافي يدك هو مال اليتيم وأنه يجب عليك أن تحفظه حتي يحين موعد تسليم المال لصاحبه اليتيم يعني أن تدرك أن مهمتك هي اداره هذا المال فقط علي سبيل الامانه وأنه يجب عليك إعادته ورد الامانه كامله بالهيئة التي استلمتها وما نتج عن إدارته من ناتج الأرباح دون اخفاء شي منها فقال تعالي (ولاتبدلوا الخبيث بالطيب)

فالمولي سبحانه وتعالى يريد بهذا تطهير النفوس من الحيل التي يلجأ إليها البعض حيث يكون اداره مال اليتيم مع ماله فهو اي الوصي يظهر أنه كان حريصا علي حق اليتيم فيجعل الصفقه أو البضاعه التي لم يجني منها ارباح أنها كانت في نطاق اداره مال اليتيم بينما يجعل محصول الصفقه الربحه خاصه به

ويندرج ضمن هذا المعني أيضا أن يقوم الوصي بأخذ الجيد من أموال اليتامى مقابل اعطاءهم الردي كان يشتري الوصي من أرباح أموال اليتامى ارض معينه وبشترتي لنفسه أرضا في مكان آخر ثم بعد ذلك يتضح له أن ما شراهه لليتيم هي ارض جيده وقد ارتفاع ثمنها أضعاف ما شراهه لنفسه وعندها يلجاء الي أخذ ارضيه اليتيم الجيده ويعطيه الرديئة

فالمولي يقول انتبهوا فإن المساله تعود إلي رقابه الضمير ومرعاه الامانه فيما استرعت عليه من حقوق هولاء ولهذا البعض الي القول إن التعبير (بالخبيث والطيب)

فيه أن الماخوذ الخبيث وان المتروك الطيب وان هذا يعطي النهي قوه في الامتثال فالخبيث مذموم وهو الحرام

بينما الطيب ممدوح وهو الحلال لأن المولى سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا)

والمعنى لا تكسبوا المال الحرام وتتركوا الحلال فأراد المولى سبحانه وتعالى بهذا نزع البوعث النفسانية التي تدفع الي القيام بخيانه الامانه واستبدال الجيد بالردي

فقد أمر الله الأوصياء أن يحفظوا لله ما استحفظهم من حقه في الضعفاء والرفق بهم فقال تعالى (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا)

وقد كان أول اختبار عملي هو رعايه حقوق الايتام فامر الله العباد بحفظ أموالهم وتاديه الامانه علي اكمل وجه وخص الأموال بالذكر لانه أكثر ما تطمع اليه نفوس الأوصياء هو المال

ولأن أحوال الناس وظروفهم قد تجعلهم يلجأون الي الحيله وخاصة اذا غابت الرقابه عنهم وهنا يلجأ الأوصياء الي تبرير فعلهم بقولهم انا من قمت ببذل الجهد في تنميه أموالهم وانا اشتريت لهم الارضيه أو البضاعه التي أصبح لها طلب في السوق فالفضل يعود لي في ذلك ويقول في نفسه ما الضرر الذي سيلحق به أن أخذت السلعه التي لها طلب وراج في السوق مقابل أن اعطيه السلعه أو البضاعه التي ليس طلب

فالمولى يريد أن يقول لك انتبه من هذا التفكير فان الله حافظ لاعمالك (أن الله كان عليكم رقيبا)

عليك أن تنظر إلي العاقبه فاحذر من الكسب الحرام فالله قد جعل لك الكسب الحلال فعليكم الاهتمام باموالكم و المتاجرة بها ليكون لكم مصدر كسب حلال بدل الحرام فصبروا أنفسكم وثقوا بصدق موعود الله لكم

فأراد بهذا الوصف بيان مافي استبدال أموال الايتامى أو التفريط بها من شناعه ولهذا ناسب العطف بعدها (ولا تاكلوا أموالهم الي أموالكم)

بالنهي ضم أموال الايتامى الي أموال الأوصياء وهذا النهي فيه توجيه باتخاذ اجراء احترازيه تمنع كل ما يكون مدعاه الي الخيانه لأن ذلك الفعل وان كان بحسن من أسباب الخيانه لانها عندما تصير جزء من الاصول الثابته لا موالك يعني أنها تمتزج بمالك وهذا اذا حصل فأنتك حينها لاتفرق بين ماهو مالك وماهو مال الأيتام فتتظر إليها أنها كلها مالك حال الانتفاع

فأراد بهذا الاحتياط بتزكيه النفس من دوافع الحيف والجوار بأن يظل مال الايتيم منفصل وان اختلط فيكون معلوما يمكن فصله وإخراجه بسهولة عند حلول موعد البلوغ لماذا

لأن الخلطه التي تصل إلي درجه الامتزاج يصعب معها اخراج مال الايتيم منها وفصله لأن خروجه يعني حصول اهتزاز المركز المالي للتاجر (الوصي)

حيث أن التجار يعلمون كيف يشكل اخراج جزء من رأس المال ازمه تعصف بنشاطه التجاري وهنا قد تدفع الوصي هذه الظروف الي المماطلة في تسليم الايتيم لماله والتعذر أنه غير راشد ومازال قليل الخبرة فيقع الظلم والجوار

ولذلك جاء النهي هنا بأن عليك أن تضع في حسابك لحظه بلوغ الايتيم سن الرشد وإخراج ماله وتسليمه إليه لا دراته فجاء النهي يحذرك من ضم أموالهم الي مالك ايه الوصي وهذا يعني أن تحرص أن يكون الاختلاط لماله بمالك بما يمكن فصله بسهولة حين الطلب

فأراد المولى سبحانه وتعالى بهذا النهي الاحتياط منك واتخاذ الإجراءات الاحترازيه التي تودي الي تسليم أموال الايتامى دون تسويق ولا اعذار عند حلول الأجل

وكذلك فإن استخدام لفظ الاكل يراد به الاحتياط من كل التصرفات المهلكة للأموال فالاكل من الاهلاك وهذا عادة ينتج عن عدم فصل أموال الغير عن مالك الشخصي فيكون التصرف حال الانتفاع دون التفريق بين ما هو مالك وما هو مال الأيتام الذي استرعت بحفظه

فقال تعالي (أن ذلك كان حوايا كبيرا)

اي الفعل المشار إليه بضم أموال اليتامى الي أموالكم ذنب كبير لأن اليتيم ضعيف وبحاجه الي الرعايه والعنايه وا لاهتمام منك ولهذا فإن ظلم الضعيف ذنب عظيم عند الله فذكر أنه حوايا اشاره الي انه إثم عظيم ليغرس في النفس وجوب اجتناب هذا الأمر فلا يجترئون عليه

ثالثا

تأتي النصوص متضمنه تقرير حقوق الضعفاء فابتدا من التأكيد علي حق المراه اليتمه اعلان حقوق المراه لترسم لنا صورته مشرفه تبين مكانه المراه في النظام الإسلامي

الذي اتى في بيئه فيها هضم حقوق المراه والأيتام مجتمع ينظر إلي المراه انها مصدر النجاسه ويحتقرونها ووصل بهم الحال الي ود البنات احياء كانت المراه تعضل وتورث كرها كأنها سلعه وتزوج قسرا وتحرم من الإرث

لقد اتى الاسلام في هذه البيئه لينصف المراه من جهه الجنس ومن جهه الحقوق الشخصية ومن جهه الحقوق المدنية والاجتماعية فابتدا بتقرير حق المراه من جهه الجنس فالمراه من الرجل الجزء المكمل له فلا تطاول ولا احتقار لها فقال تعالي (ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء... الخ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما النساء شقائق الرجال)

وقد سميت هذه السورة باسم النساء وهنا يقول لنا المولي سبحانه وتعالى (وان خفتن الاتقسطا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن الاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادني الا تعولوا)

الأمر للاوصياء علي النساء الأيتام اللاتي في حجورهم أن خفتن من ظلم اليتامي وعدم القيام بحقوقهن اذا تزوجتم بهن وتبين لك او توقعت انك لن تتعامل معهن بالعدل فيقول لك الله أنه قد جعل لكم سعه من امركم بأن تتزوجوا من غيرهن بشرط ألا يزيد عن أربع

وذكر اباحه التزوج بأربع بشرط أن تكون قادرا علي العدل والوفاء بحقوقهن من الإنفاق والمعاشره و... وأنه إذا توقع عدم قدره أو الجور فعليك الاكتفاء بوحده فقال لهم الله مثلما كان منكم ترك تزوج النساء اليتميات خوف عدم احترام حقوقهن فإن عليكم ترك التزوج باكثر من واحده اذا توقعتم عدم قدره علي العدل

حيث أنه ورد عن عروه ابن الزبير أنه سأل ام المومنين عائشه عن هذه الايه فقالت ياابن اختي هذه اليتيمه تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا اليهن ويبلغوا بهن اعلي سنتهن في الصداق وامروا أن ينكحوا ما طاب لهم النساء سواهن قال عروة:قالت عائشه:وان الناس استفتوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الايه فأنزل الله (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم... الخ الي أن قال (وترغبون أن تنكحوهن) أن معني هذا رغبه أحدكم عن يتيمه اذا كانت قليله المال والجمال فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامي النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن اذا كن قليلات المال والجمال

فالنصوص ترسم لنا صورته عن البيئه الجاهليه وما فيها من تصورات سائده فالخطاب يشي بان المخاطبين فيهم من تقع منه مثل تلك الأمور وهي اثار من ركام الفكر الجاهلي فجاء الاسلام لازاله ومحو تلك الآثار بهذه

التوجيهات الرفيعة يفرس في الضمائر قيم الإسلام يقول لك أن الجاهليه صفه وعليك أن تتخلص من ركام الفكر الجاهلي لانه فيه هدم للقيم والمبادئ وان عليك أن تنتبه من أفكار الجاهليه فهي صفه تتكرر في كل زمان فالله يقول (ولاتبرجن تبرج الجاهليه الاولي)

فدل هذا انه هنالك جاهليه ثانيه يجب الإنتباه لها يقول لك الله أن الجاهليه لها فكر وأهداف وغايات وسياسيات وهي تعيق التقدم وهي ضد العدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية ولهذا نجد أن

الاسلام يأمر كل من يتولي أمر من أمور الناس الابتعاد عن الجور والظلم وان عليهم واجب الامانه والرفق بالرعيه وان تحقيق ذلك يستوجب التعامل معهم بالعدل والإحسان والرحمه فقال تعالي في موضع آخر (أن الله يأمركم بالعدل والإحسان.... الخ فالامر بالتعامل باستخدام هذه الملكات الاستخدام السليم العدل والإحسان والرحمه في محله اثناء التعامل مع بني جنسه ومرعاه حقوق الضعفاء ولهذا يضع المولي سبحانه وتعالى بين أيدينا الميزان الذي يضبط فيه العلاقات مع الضعفاء وبناء الاسره ويصحح الأفكار الجاهليه التي كان فيها هضم حقوق الضعفاء ولهذا

يقول لنا المولي سبحانه وتعالى

أن الميزان الذي يجب عليك أن تقيم به التصورات ويجب أن تضبط العلاقات في كل شي بحياتك وتعاملك مع جميع الناس هو ميزان القسط (العدل والانصاف)

ولهذا فعليك أن تدرك أن العدل والانصاف هو الأساس الذي تقوم عليه كافه شؤونك في الحياه ولهذا فإن التأثير الحقيقي بالقران المعبر عن اسلام الوجه لله بالانطلاق في الكون إنما يكون من خلال الابتعاد عن الظلم والجور ؛ الشعور بالمسؤولية في حمل الامانه اذا توليت أمرا من أمور الناس فتشعر بثقل الامانه والرفق بالرعيه بالنظر الي احتياجاتهم وهذا يتطلب منك محو الأفكار القبيحه التي انتجتها الجاهلية بقطع أطماع النفس عن حقوق الناس حيث أن الناس في الجاهليه كانوا ينظرون الي علاقته الزوجيه أنها وسيله لجني الأموال حيث كان أهل اذا اردوا الاستئثار بأموال اليتيمه تزوجوها وان لم يرغبوا فيها كزوجه وانما تكون الرغبه في مالها وجمالها وكذلك كانوا يتزوجون العديد من النساء وبما يفوق قدرته على الإنفاق وعندما يعجزون عن الإنفاق استغلوا مال اليتيمه التي في حجورهم وتزوجوا بها لأجل تغطيه نفقات وابعاء كثره الزوجات والأولاد ولهذا نجد الارتباط بين النهي عن تزوج اليتيمه في مثل هذه الأحوال والنهي عن تعدد الزوجات مع عدم القدره علي الإنفاق ونحوه

٢

ويقول لنا الله أن التاثير الحقيقي بالشريعة الإسلامية والاتباع الحقيقي إنما يكون بحسن استعمال ملكات الرحمه و العدل والإحسان في محلها وهو ما يتطلب منك اليقظه فاللازم عليكم التخلص من الأفكار القبيحه التي انتجتها الجاهليه بقطع أطماع النفس وان لا تصرف اهتمامك عن المحتاجين يقول الله لك ايه المومن أن اللازم عليك أن تنصف الناس من نفسك بعدم الانشغال بطغيان النعمه فجاء الأمر بالعدل في إنشاء العلاقات الإنسانية وذكر الأيتام والنساء في الايات لبيان اهميه النظر إلي الاحواج للانصاف من غيرهم فأنتم ملزم بترتيب الأولويات للمحتاجين الي تاديه حقوقهم فيقول لك الله أن اللازم عليك أن تنظر إلي تعاملك مع اليتيمه في المستقبل أن تزوجتها هل ستقوم بحفظ حقوقها واموالها وكرمتها هل تقيم العدل معها ام انك سوف تتهاون في هذا الأمر لأنه ليس لها أولياء يدافعون عنها لأنها ضعيفة ولايوجد من يحميها من بطشك

يقول لك الله أن معرفه النتيجة للإجابة عن الأسئلة التي يجب عليك أن تطرحها علي نفسك قبل الإقدام علي التزوج باليتيمه يجب أن تكون خاضعه لمعايير واقعيه تصل بها الي التوقع الحقيقي اي توقع التعامل معها بالعدل أو انتهاك هذا المبدأ

ولهذا فإن أسس هذه المعايير هي النظر إلي الرغبة بالتزوج بها هل الغالب فيها الرغبة بها حتي ولو لم يكن لها مال أم أن الباعث الأساسي هو المال أو أن هنالك ظروف ماليه تجعلك مضطرا لإنشاء علاقه الزواج باليتيمه وسيله للخروج من مأزق ماليه وقعت فيها فإذا كان هذا هو الباعث فإن عليك أن تدرك أنك غير قادر علي التعامل معها بـ العدل

فإذا كانت الرغبة تعود إلي باعث حب الارتباط بها بشخصها حتي لو لم يكن لها مال كان بعدها النظر إلي طبيعتك في التعامل هل انت قادر علي احترام حقوق الضعفاء مثلها دون أن يكون ذلك مرتبطا بنظراتك الي أنها ليس لها أحد يقف أمام بطشك اما انك في تعاملك مع المراه التي لها أهل أقوياء تكون أكثر ودا حفاظا علي مشاعر أهلها بينما المراه التي ليس لها أهل أقوياء تنهاون بها

فإذا كان ذلك حالك وكانت رغبتك ناتجه عن باعث حب الاستنار بأموال اليتيمه فإن هذا يعني أن التوقع لتعاملك فيه خوف انك لن تتعامل معها بالعدل والأمر للأوصياء والولاه بشكل عام يقول لهم أن الأمر ثقيل وشاق فعليكم النظر إلي العاقبه وانك هذه العلاقه الزوجيه ستكون سببا في تدميرك وضياعك فالتخلص من الظلم أساس الخلا فه فكيف يكون منك تبدأ تكوين الاسره التي تهدف إلي القيام بأمر الخلافه علي اساس فيه ظلم وجور فأنت حينها لاتصلح للمهمه ولهذا فعليك أن تتركها وشأنها والنساء كثيرات ف الله قد جعل لك سعه من الأمر فقال تعالي (فانكحوا ما طاب لكم من النساء... الخ

فالمولي سبحانه وتعالى يقرر هنا أن عليك عدم النظر إلي مال المراه وان لها استقلالها الاقتصادي

يقول لك المولي سبحانه وتعالى أن اباحه التزوج باليتيمه التي في حجور الأوصياء له ميزان ينبغي أن تضع نفسك فيه في ميزان الاختبار لأن هذا الأمر جزء من مهمتك في تحمل المسؤولية في قياده العالم وهو ما يتوجب عليك تحقيق العدل

وكذلك الحال بالنسبة لتعدد الزوجات فقد أباح الله لكم التزوج بما لايزيد عن أربع

لكن هذه الرخصه مقيده بتوقع اقامه العدل فيقول الله لعباده اذا خشيتم وتخرجتم من ظلم اليتيمه فاخشوا أيضا وتخرجوا من ظلم النساء بعدم اقامه العدل أو عدم قدره علي القيام بحقوقهن فاقترضوا علي الواحده فجاء الأ مر بمناسبه الأمر باقامه العدل مع اليتيمه وذكر حقوق المراه واهميه حفظ حقوقها بعد الحث علي حفظ حقوق اليتيمه وذلك لأن حسن استخدام ملكات العدل والإحسان والرحمه تتطلب النظر منك الي الاحوج الي الإنصاف فتبدأ به ولأن المراه هي الأخرى تعاني من الضعف وعدم قدرتها علي دفع الظلم عن نفسها وان كان لها أقارب ولهذا يقول لك الله أن عليك إلي المراه أن لها حقوقا يجب عليك أداها فعليك ايه الرجل النظر لذلك بعيدا عن التعصب ضد المراه كجنس وان تنظر لحقوقها عليك بعيدا عن الأهواء

يقول لك الحق أنه قبل أن تقدم علي التزوج باليتيمه أو غيرها عليك أن تنظر إلي الرغبة في طلب المراه لتزوج بها هل لأجل مالها ام جمالها ام لحسبها ام أن الأمر يعود إلي القلب الباعث علي الطلب في إنشاء العلاقه الزوجيه وهل باعث القلب قائما علي أساس تكوين الاسره للمساهمه في القيام بمهمه الخلافه

ام انك تريد من هذه العلاقه أن تجني مصالح ماليه أو قوه او سلطه ام انك تريد أن تنشئ اسره تساهم في القيام بواجب امانه الخلافه

انظر هل انت قادر علي إعطاؤها حقوقها سوء المعاشره أو الإنفاق أو غيرها من الحقوق ام انك عاجز عن الوفاء بتلك الالتزامات

عليك النظر لجميع الظروف والملابسات التي تحيط بالعلاقه فأنت مطلوب منك قبل إتخاذ القرار بشأن ذلك أن

تدرس الموضوع من جميع جوانبه فإذا توقعت عدم قدره وعدم العدل مستقبلا فاللازم عليك التراجع عن إنشاء العلاقة

والمراد بهذا البعد عن الظلم والجور فقد جعل المولي سبحانه وتعالى الرخصه في زواج اليتيمه التي في حجر الولي وكذلك التعدد الزوجات بما لايزيد عن أربع بشرط اقامه العدل والقدره علي الوفاء بحقوق اليتيمه وكذلك الزوجات وبما يحقق العدل

وهذا إنما يكون مما يدخل تحت طاقه الإنسان وسعته ولهذا جاء النص بالتحذير من الخوف المتوقع بوقوع الظلم والجور والذي هو ادني مراتب العلم لبيان لزوم سد الذرائع فإذا خشيتم عدم القدره فعليكم الاقتصار علي واحده ف المسلم مطالب بتحقيق العدل والانصاف في حياته كلها وترتيب الأولويات ثم ذكر بعدها (أو ما ملكت ايمانكم) لأ ن الجواري ليس لها حقوق مثل الزوجه وعقب علي ذلك (ذلك ادني الاتعولوا)

ادني الا يحصل منكم الظلم والجور فالترغيب بالوحده هنا جاء فيه أن اقامه الاسره التي مطلوب منك المساهمه بها في اقامه الخلافه تتطلب منك حسن استخدام ملكات العدل في محلها فإذا كان الترغيب بتعدد الزوجات احيانا من باب حسن استخدام ملكات الرحمه والإحسان نظرا لأن الحروب كانت تفني الرجال ويكون في كفل زوجه الميتم وابناؤه عن طريق تزوج امره الميتم جزء من احسان المسلمين للميتم فإن ذلك يتطلب الا يكون سببا لهدم مبدأ العدل والانصاف وكذلك فإن المولي سبحانه وتعالى قد أباح زواج الرجل بما لايزيد عن أربع لمنع الرذيله ولجوانب انسانيه ولغيرها من الأحوال لمن لديه طاقه وقدره لاتكفي الواحده ولسد الرغبه لديه لكن هذا مشروط باقامه العدل فإذا توقعت عدم قدرتك علي العدل فعليكم الاقتصار بواحده أو ما ملكت ايمانكم

رابعاً

في هذا السياق تأتي النصوص بإعلان حقوق المراه لاول مره في تاريخ البشريه بالأمر الإلهي (واتوا النساء صدقتهن نحله

حيث نجد أن النصوص جاء فيها صياغه قوانين وتشريعات تحمي حقوق المراه وتصور كرامتها وبهذا الوضوح وا لالزام في القران الكريم

اتي بهذه التشريعات في ظل مجتمع كان الناس ينظرون إلي المراه انها سلعه تباع وتشتري فقد كان هنالك نوع من الزواج يسمى المخادنه كان ابتداءه بالقوه تاخذ الفتاه ثم صار بالمال يبيع فيه الاب ابنته وكذلك مايسمي اليوم زواج الشعار حيث يتزوج كلا منهما اخت الآخر ولا تعطي البنت حقوقها

ولهذا كان اعلان حقوق المراه في الاسلام بهذه القوانين التي فيها الزم المخاطبين الآباء والازواج والمجتمع علي احترام حقوق المراه واستعاده كرامتها ودورها الذي خلقت لاجله

فجاء اعلان حقها في اختيار شريك حياتها واحترام اردتها ورغبتها وحفظ مكانتها في الاسره وفي اداره بيتها وحفظ حقها بعد الزواج واثناه وبعد الطلاق والوفاه

يقول لنا الله أن لها حق في المهر والصداق فهو فريضه واجبه

لا يجوز لأحد أخذه سواء الزوج أو الأب أو غيره مرتبطا بالشعور برقابه الله عليهم (أن الله كان عليكم رقيباً)

لأنهم أي الناكحين والاولياء كانوا يأخذون صدقتهن فجاء النهي عن ظلمهن بالجور وعرفهم سبيل النجاه من ظلمهن وهو أن يعطوا النساء مهورهن عطيه واجبه فاستخدم (نحله) وهي في اللغة الديانه والملة والشريعه و المذهب... ف الله يريد أن تدركوا أن اعطاهن مهورهن فريضه فأنت بذلك تعبد الله لأنها شريعه ودين ومذهب وماهو كذلك فهو فريضه مثل الصلاه والصيام والحج

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفرج)

فيجب اعطاء النساء مهورهن من دون استعلاء بل يجب أن يكون عن طيب خاطر فقوله (نحله) استعمال ملكه ا لاحسان بمحله فيكون إعطاء المهر عن طيب خاطر من دون ضيق الصدر ولا استنكاف ولا استكبار بل بطيب خاطر

وبعد ذلك تأتي النصوص مقرره حق المراه في أن تتولي ادراه مالها ولها استقلالها الاقتصادي وحقوقها المدنية كامله فلا يجوز للزوج أن يمد يده الي مالها بغير رضي منها وان كان هذا المال هو الصداق الذي أعطيته لها فقد صار جزء من أموالها ولايجوز لك أن تسعي إلي استرداده فقال تعالي (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا)

أنه إذا وهبت لك زوجتك شيء من صداقها فأنت في حل من أخذه لكن يجب أن يكون ذلك عن طيبه نفس منها بحيث لا يكون ناتج عن خديعه منك فأراد بهذا أن لا يغلق الطريق أمام العلاقات الزوجية وما فيها من الحب والود الصادر من القلب الذي يدفع الزوجه أن تتنازل عن جزء منه أو كله أي المهر والصداق عن حب من غير أن يكون السبب فيه مشكاسه اخلاقكم معهن أو سوء التعامل فيكون ذلك منهن تجنب المشاكل التي تفتعل من قبلكم والأمر فيه التنبيه من اخذ شيء من مال الغير بغير طيب نفس فاشترط أن يكون عن طيب نفس من صاحبه و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحل مال امرء مسلم الا عن طيب نفس منه)

ويقول تعالي (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجاره عن تراض بينكم)

فالايات فيها وجوب الاحتياط من ارتكاب الظلم والخروج عن العدل من خلال الحرص علي عدم اخذ اي شيء من مال المراه بدون رضاه عن طيب خاطر فلا يكون فيه احراج أو غيره من الأسباب والأمر فيها اهميه الحرص علي حسن المعاملة فجاء الأمر بانه اذا كان عن طيب نفس فلکم أن تأكلوه بدون تحرج ولا تنغيص وتخصيص الا كل بالذكر لأن معظم وجوه التصرفات لاجله ولأن الطعام أما أن يكون سائغا لاتنغيص فيه

وهذا يكون بمثابة الدواء والعلاج وأما أن يكون فيه تنغيص حتي وان اكله فهو يستقذره ينظر إليه أنه من الاطعمه المقززه فدلّت النصوص علي ما احدثت الايه بالتعفف عن أموال المراه في نفوس المومنين من تحرج وترفع ولهذا جاءت النصوص ترفع عنهم الحرج وتامرهم بأن ياكلوا منها ويتصرفوا فيه هنيئا اي حلالا وبلا تنغيص طالما أخذوه عن طيب نفس منهن

القسم الثاني

بعد أن حذر المولي سبحانه وتعالى من أكل أموال اليتامى والنساء وحث الأوصياء علي الحفاظ عليها وصيانتها وحث علي حمايه حقوق هولاء الضعفاء والرفق بهم وان عليك اقامه العدل والانصاف والرحمه والإحسان للضعفاء ولهذا يقول لنا الله أن المشكله ليست مجرد حمايه الضعفاء فقط فذكر اهميه احترام ارده الأيتام والنساء ف التشريعات التي وضعت لحمايتهم تهدف إلي مساهمه هولاء في البناء والتقدم والتنميه وتقدم المجتمع المسلم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا وموكمبه التطور الذي أحدثته الشريعه الاسلاميه في المجتمع المسلم ولهذا فإن هذه التشريعات تهدف إلي تنميه القدرات والعمل علي تقويه مظاهر الابداع في نفوس الضعفاء وتشجيع

الطموح وخلق الباعث علي العمل والابداع بخلق الرغبة في التطور والرقى باتاحه الفرصه لكل فرد وبما يغريه علي زياده العمل فطموح الأفراد تصوغ طموح المجتمع فكانت هذه التشريعات لأجل اقتلاع جذور العادات الجاهليه من خلال العمل علي استماله المومنين علي تحقيق العداله الاجتماعيه والتكافل والتعاون الذي يحقق مصلحة الفرد و المجتمع وهنا يقول لنا تعالي (ولاتوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)

فالقضيه الانسانيه ينبغي أن تحيط جوهرها الإنساني باطارها الاقتصادي وذلك لمنع حدوث تدمير المال اذا سلمته لشخص غير قادر علي اداره المال فمن غير المعقول ولامن الانسانيه ولامن العدل ولا من الرحمه ولامن الاحسان أن تسلم السفهاء الأموال يعبتوا بها ويهدروها فيما لا فائده منها لأن ذلك خروج عن الغرض الأساسي من المال الذي جعله الله اداه الخلافه في الأرض فجاء النهي عن تسليم الأموال للسفهاء وهم الجهال الذين لا يدركون كيفيه انفاق وتديبر الأموال فلاليه تقرر أن المال هو مال الجماعه ابتداء لانه فيه معيشتهم وحاجاتهم

فالتشريعات إنما تهدف إلي مساهمه جميع شرائح المجتمع في التقدم والازدهار والرقى من خلال الحركه الدؤبه التي تستهدف احداث التغيير والرقى

فعليكم النظر لهذه الأمور نظره عميقه بعيدا عن العواطف والسطحيه فالمال هو مال الله ومنح للإنسان للقيام بواجب الخلافه ولهذا فإن إنفاقه في غير حقه (الخلافه) بتذبيره واسرافه واضاعته فيه تفريط بحق الجماعه في هذا المال وهو بالانتفاع من حركه المال واستثماره من خلال ما يعود علي الجماعه من منافع كثيره فقال تعالي (أموالكم التي جعل الله لكم قياما)

فالحريه والاستقلال المالي للمراه التي ذكرها المولي سبحانه وتعالى أنه يجب احترامها يراد بها أن يمكن هؤلاء الضعفاء من المساهمه في صناعه القرار وان يمنحوا الفرصه للأداء والمشاركة في عمله التقدم والبناء فكان التوجيه باحترام اردتهم وعدم سلبهم حريه التصرف وان علينا الإنصاف لهم من أنفسنا والتعامل معهم بإحسان ورحمه

ولهذا يقول لنا الله أن ذلك مرهون بما يحقق القدره الفعلية علي تحقيق التطور فالرحمه لاتعني أن تسليم العاجز الذي لإصلاح في عقله ولايستطيع التصرف فهو تعالي يعلمنا كيفيه التصرف بالمال يقول لايجوز إعطاء المال من يفسده ولا يجوز أن يدع المال في أيدي السفهاء اذا كان هذا المال مدعاه لافسادهم

ثم أرشد المومنين الي أن الامر بعدم أعطاهم المال اي السفهاء لايعني حرمانهم من الانتفاع بأموالهم بما يسد حاجاتهم فقال تعالي (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)

فالأمر فيه أن عليكم ايه الأوصياء اعطاءهم ما يكفي حاجاتهم من النفقه والكساء وذكر (فيها) الظرف ولم يقل منها التبعية وهذا فيه أن عليكم استثمار مالهم وان تعطوهم من الأرباح لان المال أن ظل غير متحرك سوف ينتهي ومن جهه ثانيه تبين النصوص اهميه حركه المال واستثماره ليعود علي الجماعه بالنفع وبهذا يكون قد حصل منفعة الجماعه التي نسب ملك المال لها (أموالكم) ومصلحه السفيه بأن سلم له ما يحتاج

وأمر الله الأوصياء بالتعامل مع هؤلاء بالاحترام ومراعاة ما هم فيه يقول لك الله عليكم احتمال ما هم فيه من عي فلا تضجر ولا تغضب منهم لأن السفيه غالبا مايكون مستنكر وكثير الطلبات فيقول لك الله لاتتضرح منهم ولايصدر منك ما يسئ إليهم فعليكم احترام كرامتهم ومحاولة اصلاحهم فلا تسمعوهم كلام مكروه مثل أن تقول لهم انكم لا فايده منكم ولهذا حجر عليكم فاللازم التعامل معهم بلطف (وقولوا لهم قولا معروفا)

ثم تأتي النصوص مبينه كيفية تجنب وقوع الأيتام في السفه فيقول إن المشكله ليست مجرد حمايه أموال اليتامى بل يجب تدريبهم وإعدادهم وتأهيلهم علي عمليات ادراه المال حتي يكون متمكنا من المشاركه والمساهمه في بناء اقتصاد الامه وتحريك المال بدورته التي تعود بالنفع علي الفرد والجماعة

فقال تعالي (وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح

أنها دعوه للاوصياء لإعداد وتأهيل اليتامي وتدريبهم ليكونوا قادرين علي ادراه الأموال وهذه الدعوه تبين اهميه ا لاداره الصالحه القادره علي توفير الحد الأدنى الذي تقتضيه الخطه الاقتصادية وتصريف شؤون أعمالهم وتدريبها بما يودي الي المحافظه علي الأموال والقدره علي توجيه مسارها نحو الهدف الصحيح

وهذه دعوه عامه لتربيته الابناء علي ادراه الاعمال فلا تنتظر حتي تصاب بمصبيه لتسلم ابنك الأعمال عندما تعجز

فالاقتصاد يتطلب حسن الاداره ويتطلب الخبره الكافيه للارتقاء والتقدم فالمولي سبحانه وتعالى قد أخبرنا أن المال هو مال الجماعه لانه تقوم به معيشتهم فهو طاقه التحرك نحو التطور للأمم ورؤوس الأموال هي التي تضع المقومات البشريه والماديه للتطور في عجله التطور والرقي هو تمويل الاداره والخبرات والاستزاده من سرعه تطور هذه العناصر المتكامله ولذلك نهي عن تسليم الأموال للسفهاء لأن السفه لا يرضع المقومات الماديه في عجله التطور فهو لا يحسن الاداره وليس لديه خبره فنيه قادره علي تحريك عمليه التطور في مجالات الإنتاج

لأن أردته منعده فحصل انعدام الاداره لأنها إنما تنشئ عن الارده ولذلك يقول المولي للاوصياء انكم ملزمون بوضع الأيتام تحت التجربه وتدريبهم علي ادراه الأموال لأن الاداره تهيب الخبره والمهارات الفنيه اللازمه فإذا وجدت الخبره حصل استثمار المال وكان المساهمه في بناء الاقتصاد الوطني الذي تعود منافعه علي الفرد و الجماعه فانتم ملزمون باشراكهم في بعض التصرفات وعلي التعامل بالاحذ والعطاء حتي يكسبوا المهارات الأ ساسية التي تجعلهم قادرين علي الإنتاج فقال تعالي (وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح فإن انستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)

فالمراد بهذا بيان كيفية ايتاء للأيتام فالمولي سبحانه وتعالى يقول ينبغي أن تكون لديكم رغبه وارده في تربيته هو لاء وإعدادهم وتأهيلهم ليكونوا قادرين على ادراه أموالهم بأنفسهم فينبغي أن يكون اعداد اليتيم وتأهيله لادراه أمواله هو مقدمه لايتاء اليتيم ماله فالابتلاء هو لأجل تسليم المال لصاحبه اليتيم فقال تعالي (حتي إذا بلغوا النكاح)

فقد تقرر أن مفهوم الغايه مراد منه ولازمه له وأثره هو تسليم المال لصاحبه

فهذا التمرين لأجل أن يكون قادرا علي ادراه ماله فحدد له زمان ذلك عند بلوغ سن الزوج وهذا العمر هو فتره انتقاله من الضعف الي القوه وهي مرحله خطيره فهي مرحله المراهقه ولهذا فإن اليتيم الذي يكون نشاط ماله التجاره يجب تدريبه علي الاعمال التجاربه والمزراع علي الزراعه وهكذا حتي يصبح متعلقا بمجال عمله وتتحول الرغبه الي اراده تترجم في عمل تنفيذي مشفوع بإصرار وقدره فعليه علي تحقيق التطور والرقي يبتعد عن المراهقه التي يكون لها آثار سيئه وقد جاء النص فيه عموم اليتامي لم يفرق بين ذكر او انثي لبيان ان المراه له استقلال في مالها وادرتة

فمدته الامتحان هي قبل البلوغ فالارده تنشئ الاداره والاداره تهيب الخبره والخبره تستثمر المال فإذا شاهدت ووجدت وعرفت من أحوال اليتيم أنه قادر علي ادراه ماله والتصرف به وأحسست أنه قد أدرك المطلوب منه وأنه يتحرك بالاتجاه الصادق نحو التطور والرقي بالصلاح في الدنيا والدين فادفعوا إليهم أموالهم واستخدم لفظ (فإن

انستم منهم رشدا)

والمراد ليس مجرد الرويه بل رؤيه اتصل بها الاحساس الذي تدرك معه أنه أصبح قادرا علي اداره أعماله فرأيت من أحواله حسن تدبيره والمراد به أن تحس أنه لديه خبره في اصابه توجيه العمل والنشاط الاقتصادي بمهارات فنيه قادره على استثمار مالهم

فيقول الله للاوصياء علي وجه الشده فاللازم عليكم المسارعه وبدون تأخير الي تسليم أموال هولاء سالمه كامله غير منقوصه (فادفعوا إليهم أموالهم)

فأراد بهذا قطع علي الأوصياء المعاذير بما أو جب عليهم

ولهذا يأتي التحذير لهم من الاسراف بالانفاق من أموال اليتامى بما يتجاوز الحد بالتفريط أو التقصير لأن الا سراف يعني تجاوز الحد من المباح الي مالا يباح فالله يقول لهم أن عليكم اصابه موضع العطاء فلا تخطوها لأن ذلك نوعا من الاسراف

ثم يحذرهم من المبادرة التي تعني المسارعه في انفاق أموال اليتامى هروبا من أن يكبر الأيتام ويستردوا أموالهم فيقول في نفسه ننفق ما تشتتهي قبل أن يكبر اليتيم فنحرم من ذلك

وايضا فيه تحذير الأوصياء من التلكوء في تدريب الأيتام فهم لا يريدون أن يحصل الأيتام علي خبره والمهارات التي تجعلهم لهم اهليه ممارسه أعمالهم ويريدون أن يظل احتياج الأيتام لهم ولخبرتهم ويكون الأيتام عاجزين لا خبره لهم ولهذا

يقول لك المولي سبحانه وتعالى أن اداره أموال اليتامى وتدريبهم ينبغي أن يكون فيه نوع من الإحسان والرحمه إليهم فقال تعالي (ومن كان غنيا فليستعفف)

علي الغني التعفف والترفع عن أموال اليتامى فلا تأخذ مقابل جهدك شي وهذا علي سبيل الندب لا الوجوب فيامره بالتعفف عن الأكل من أموالهم علي سبيل الاحسان

يقول له إذا كان الله قد رزقك من فضله وكرمه فليس لك حاجه الي أن تمد يدك لمال لتأخذ اجر ادرتك وهذا علي سبيل الندب

ويقول للمحتاج الفقير أن يأكل في أضييق حدود مايمكن اي بقدر المتعارف عليه

ثم تأتي النصوص (واذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا ..الخ

الأمر بالاشهاد من أهل الثقة وذلك فيه منع التخوين مستقبلا

وختم بقوله تعالي (وكفي بالله خسيبا)

أن عليك محاسبه نفسك في تعاملك مع الأيتام وتراقب الله فهو يحصي أعمالهم ولاينقص منها شيئا فإن استطعتم الإفلات في الدنيا فإن تفلتوا من الحساب في الاخره وايضا فيه تطمئن للمومنين أن أدوا ما عليهم بأن ثوابهم محفوظ فالله يقول لك انه الضامن بتحقيق عدله فلا يظلم احد فهو تعالي يقول في موضع آخر (وكفي بنا حاسبين)

القسم الثالث

تأتي النصوص مبينه اعلان حقوق المراه والأطفال لأن الجاهليه كانت لاتعترف بحقوق هولاء حيث كان توزيع التركة والمخلف للذين يحملون السلاح والرجال ولايعطون النساء والأطفال فقال تعالى

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل أو كثر نصيبا مفروضا)

تقرر النصوص ابطال حكم الجاهليه التي كانت لاتورث الا الأقوياء المحاربين فجاءت الايه تقرر أن الميراث حقا لجميع ورثه المتوفي لافرق فيه بين الرجل والمرأة فذكر أن لكل منهما حظا مفروضا علي سبيل الوجوب وذكر للنساء لتأكيد حقهن ودفع التوهم لمن يتصور أن الإرث للرجال فقط وايضا فيه دفع توهم من ينظر إلي أن التركة اذا كانت سلاح أو خصان أو غيره لايعطي منها بعض الورثه فذكر أنه لكل فريق حق محدد ولبيان أن حق المراه مستقل عن حق الرجل فالله يقول يجب أن يقسم مهما كان قدره قليل أو كثير

وقوله نصيبا مفروضا..يلفت انتباهه المخاطبين الي أن عليكم أن تنظروا الي من فرض هذا التقسيم فهو الله تعالى واللازم عليكم التنفيذ فأراد بهذا محو آثار الجاهليه وركام الفكر الجاهلي

فالمولي سبحانه وتعالى يقول لك أن التركة وما يخلفه المورث يوزع بين ورثته فهو يجمع الورثه ولايفرقهم ولهذا يقول لك الله تعالى (واذا خضر القسمه أولي القربي واليتامي والمساكين فارزقوهم منها وقولوا لهم قولا معروفا) اي إذا حضر القسمه حضور حقيقي أو حكما اي علموا بوقوع القسمه فإن عليكم أن ترفقوا بالضعفاء من الأقارب الذين حرموا من الميراث واليتامي والمحتاجين فهم يشاهدون الورثه وهم يقتسمون التركيه واعينهم محدقه إليه فجاء الأمر بأن المندوب عليكم أن تعطوهم من هذا المال من حواشيه لامن صميم المال حتي لايتضرر الورثه فهذا الأمر علي سبيل الندب لأجل تطيب خاطرهم والقضاء علي الحسد والبغضاء الذي قد ينتج عند مشاهده هولاء القسمه وهم محرمون خاصه اذا كانوا قد اعتادوا من المورث في حياته أنه كان يرفق بهم ولهذا نجد أن المولي يعطف بقوله (وقولوا لهم قولا معروفا)دعوه للاحسان عليهم بالكلمه الطيبه لسد البغضاء ولأجل تقويه روابط القرابه بعد أن بين إن العطاء يكون متروك لتقدير الورثه فهم يدركون اهتمام مورثهم بأقاربه واليتامي و المحتاجين فلا تجعلوهم يذهبون وهم منكسري القلب فاللازم تطيب خاطرهم فالإسلام قد أعطي كل ذي حق حقه بالعدل والإحسان بين الناس وجمعهم علي الموده والرحمه فجعل لمن يحضر ممن لايرث من الأقارب والأيتام و المساكين هذا العطاء من الورثه فإن كان الورثه اطفال كان علي الولي تطيب خاطرهم بالكلمه الطيبه

ثانيا

تمضي سياق النصوص في معرض الموت وفي إطار الحث علي حقوق اليتامي بالخطاب الإلهي (ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريه ضعفاء خافوا عليهم فلينتقوا الله وليقولوا قولا سديدا أن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)

الاياتان ترسمان صورتان

الاولي

صوره لأبناء المتوفي وهم يعانون الضعف والفقر والحاجه او صوره أموالهم بيد الاوصياء وهم يتعاملون مع أبناءك بقسوه ولايقومون باعدادهم ويتعاملون معهم بقسوه

الثانيه

صوره لمن يتصرف بأموال اليتامي علي غير وجه الحق بأنه يملئ بطنه نارا محرقه وأنه في الاخره سوف يصلي بنار مستعيره ليعرف غايه شدتها الا الله تعالى

الايه فيها توجيه له مدلولات عديده لتربيته المومنين نذكر منها الآتي

١

أن الايه وردت في معرض الموت والحفاظ علي أموال اليتامى والحث علي الرفق بهم واعطائهم من أموال الذين يتوفون اذا حضروا القسمه ولهذا نجد أن لها مدلولات متعدده مرتبطه بما سبق ذكره حيث نجد من مدلولاتها أن علي أصحاب التركات إكرام الأيتام فعليكم أن تنظروا إليهم وحالهم وما فيهم من الضعف كأنهم أولادهم بعد موتهم كيف يكون حال أبناءهم وهم في فقر وجوع. وايضا فيها دعوه للذين يجمعون الأموال ويبخلون عن المحتاجين يدعوه المولي الي مشاهده نهايه أموالهم يقول لهم. أنظروا الي ما انتم صائرون إليه انتم واموالكم التي جمعتموها في الدنيا وحرصتم علي كسبها دون النظر إلي مصدرها والتي قد يكون من خلال استبدالها بأموال اليتامى الجيده فانتم سوف تموتون وسوف يتم تقاسم أموالك وتتركون خلفكم ذريه ضعفاء مثلما هو حال من ترون من الأيتام وسوف يكون لهم أوصياء فالصوره التي تنقلها النصوص فيها اثاره العواطف والمشاعر والعظه و العبره. فإن هذه الصوره التي تنقلك الي ما بعد موتك وانت تري ابناءك وحالتهم لابد أن تولد شعورا عاطفيا وحنان علي ذريتك فأراد الله أن يجعل من هذا الحنان باعثا علي العطف والرحمه باليتامى ولهذا يأتي النداء الإلهي فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)

أن هذه الصوره توجب خوف الله في أموال اليتامى ورعايه وتربيته الأيتام وإعدادهم وتأهيلهم مثلما تعد أبناءك وهنا يقول لك اذا أمر بالعطف علي الأيتام والنساء والقول الصائب لهم فكيف بحال من يأكل أموال اليتامى ظلما اي بدون وجه حق فعليه أن يدرك أنه سياتكل في بطنه نارا محرقة وسوف يصلي نارا مستعره لا يعرف غايه شدتها الا الله وحده

فالمراد بهذا الخطاب هو التوجيه للأوصياء وكل ولاة الامر بالرفق والرحمه والإحسان للضعفاء وبالذات اليتامى فيقول الله لهم عليكم أن تنظروا لحالك حال الموت وبعده فالمحتضر عند الموت اول ما يخطر بباله هو أنه يري أولاده الضعفاء سوء الاطفال أو العاجزين يخاف عليهم من الضياع فاستخدم لفظ الخشيه وهي الخوف الشديد الذي يصيب كل شخص لديه اطفال صغار وضعاف كلما تذكر الموت فأراد المولي من هذا تحذير الأوصياء من التهاون بحقوق الأيتام الذين في حجورهم فيقول لهم الله عليكم أن تشعروا بضعف هولاء وتتعاملوا معهم بـ الشفقه والرحمه مثلما انكم تخافون علي أبناءكم وكما تريدون أن يتعامل الناس مع أبناءكم لو فقدوا العائل الذي يعولهم فاللازم الحفاظ علي أموال اليتامى وكذلك تربيهم وإعدادهم

فالمراد بهذا غرس الرحمه والعطف بالضعفاء وان تخاف عليهم كأنهم اولادك ولهذا ورد عن ابن عباس أن الايه تتناول مساله الرجل الذي يحتضر وبجانبه أناس وهو يريد أن يوصي وهم يحملونه علي التفريط بماله ويقولون له اوصي بمالك لفلان فلن ينفك اولادك فامروا أن ينظروا الي حال أولادهم أن هم فعلوا ذلك وبالتالي فعليهم أن ينظروا الي اولاد المحتضر كأنهم أولادهم ويخافوا علي اولاد المحتضر من الضياع كأنهم أبناءهم لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد ابن أبي وقاص عندما سأل الرسول هل يوصي بماله في سبيل الله فقال له الرسول لا فقال الثلثان قال الرسول لا قال الشطر قال الرسول لا قال الثلث فقال له الرسول الثلث والثلث كثير ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم (انك أن ورثتك اغنياء خير من تذرهم عاله يتكففون الناس)

٢

تأمر الايه المومنين عموما بالتعامل مع الأيتام. والضعفاء عموما بالشفقه والرحمه والإحسان إليهم والحفاظ علي أموالهم وان عليك أن تقوم بتدريبتهم وتربيتهم كأنهم اولادك بحسن التعامل والقول الصائب لهم الهداف الذي يحقق الغرض كان تقول له ياابني وكذلك تعلمه ما ينفعه اي تكسبه الخبره والمهارات اللازمه لاستثمار ماله أو

الحرفه التي سوف ياكل منها لقمه عيشه

والتذكير بحالهم بعد الموت ولما يحدث لأولاده بعده يجعله يعيش واقع لم يحصل بعد لأجل أن يتعامل مع غيره كما يحب أن يتعامل معه

فإذا كنت لاترضي ذلك لأولادك بعد موتك فكيف ترضاه لغيرك فقال تعالي (فليتقوا الله) لتأكيد الخشيه والتي لا تكون الا مع العلم (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

فالله يقول ليخش هولاء من ضياع أموال اليتامى أو أن ياكلوها لأن الأيتام غير قادرين أن يدافعوا عن أنفسهم لصغر سنهم فإن لهم أبناء وسوف يموتون ومثلما تزرعون وتحصدون ولهذا فإن المولي يقول لك اذا اردت ان يحظي اطفالك بالرعايه وان يرزقهم الله أوصياء بعدك يحافظون علي أموالهم فعليك أن تقدم لنفسك بالشفقه والرحمه في تعاملك مع الأيتام

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في سوره الكهف (فوجد جدار يريد أن ينقض فاقامهالي أن قال (فما الجدار فكانوكان ابوهما صالحين فأراد ربك أن يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما ...الخ

فالايه جاء فيها الترغيب بأن عليك أن تتخذ من الصوره التي ترسمها النصوص لك عن مصيرك بعد الموت فإن انت تعاملت مع الضعفاء بالحنان الذي تجده في قلبك مع أبناءك فإن ذلك رصيد لك محفوظ عند الله سوف يحسن قلوب الأوصياء علي اولادك

وهنا تأتي النصوص بعدها بالترهيب مبينه أن الذي ياكل من أموال اليتامى ظلما بدون وجه حق فهذا إنما ياكل في بطنه نارا تحرقه فأراد بهذا أن يبعدك عن الظلم والجور للأيتام فالزهد هنا فرض لأن زهد عن الحرام. ولأن الزهد ثلاثه انواع اضافه لما ذكر هنالك الزهد الفضل زهد في الحلال و زهد السلامه وهو الزهد في الشبهات

فقد كان من الصحابه عندما سمعوا الايه الخوف الشديد وقاموا بفصل أموال اليتامى وحرصوا علي أن لا ياكلوا من أموالهم شي حتي أن عزل طعامهم ادي الي فسدت بعض الاطعمه فأنزل الله (ويسالونك عن اليتاميالخ فامر بالمخالطه مع الزهد الفرض والزهد في الشبهات

القسم الثالث

تأتي النصوص مبينه كيفيه توزيع التركه والمخلف بعد الوفاه بتوزيع الاصول والفروع والعصبه الأزواج والكلاله تضع لنا الايات الثلاث احوال علم الفرائض وما يتفرع منه بالتوزيع العادل الحكيم لأموال المورث فقال تعالي (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحده فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك أن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فإن كان له اخوه فلامه السدس من بعد وصيه يوصي بها أو دين اباؤكم وابناءكم لاتدرن ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازوجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصيه يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيه توصون بها أودين وان كان رجل يورث كلاله أو امراه وله اخ او اخت فلكل واحد منهم السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد يوصي بها أودين غير مزار وصيه من الله و الله عليم حليم)

الأمر الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يفرس في النفوس أن نظام حياه الانسان في كل شؤونه ينبغي أن يكون التلقي لها من منهج الله فلا مجال للاهواء والرغبات فالتشريعات كلها يجب أن يكون مصدرها الذي تؤخذ منه هو منهج الله ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ابتداء علم الفرائض بقوله (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الا نثين ... الخ

والوصيه تطلق علي العهد بأمر هام عهد به اليك لتنفيذه وهو يطلق علي الأمر حقيقه فأنت مثلا تقول اوصيت المعلم أن يعلم ابني ويؤدبه وهذا يعني أنك أمرته

ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أنه أمرنا وفرض علينا في توزيع التركة والمخلف علي سبيل الإلزام لأنها متعلقه بأمر بعد الموت

فهو سبحانه وتعالى يقول لك أن امتثال أمر الله في اقامه منهجه في حياتك سوء الاقتصاديه والاجتماعية و السياسية وكل امر من امورك هو السبيل إلي إرضاء الله وان الله هو الذي يحدد لك ماتفعل وما لاتفعل في حياتك فليس للناس أن يتركوا منهج الله ويقولون نقسم لأنفسنا مثلما نشاء لأن هذا أمر يخص حياتنا

ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى ابتداء النداء بذكر أنه فرض علينا علم الفرائض وذكر المبدأ العام (للذكر مثل حظ ا لانثين)

أن عليك ايه العبد أن تعرف أن حكم الله وأمره الذي امركم هو العدل فأراد بهذا ابطال ما كان عليه عادات

الناس في الجاهليه أنهم لايورثون النساء والأطفال وانما يوزعون الإرث علي الرجال الذين يحملون السلاح ولهذا جاء لابطال هذه العادات الفاسده ويامر علي تثبيت قاعده القسمه الالهيه في حياتهم وان عليهم الأخذ بها بمشاعر الحب والرغبة فالامر من الله فقال تعالي (يوصيكم الله في أولادكم)

بالإشارة الي أنه تعالي ارحم بالابناء من آباءهم فأراد بهذا امتثال أمره بحب وترك عادت الجاهليه لأن البعض كان كارها أن يورث النساء والأطفال عندما كانوا يوزعون التركة والمخلف بأنفسهم فقد كانت عاده الجاهليه وأثارها مازال قائما فكان نزول الايه حسما لذلك وحثا علي أن يكون امتثال أمر الله بحب ورغبه

ف الله سبحانه وتعالى يقول لك أنه ارحم بعباده أكثر من الاب والام وقد ورد في الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بشأن المراه السبي التي أضاعت ابنها وصارت تبحث عنه حتي إذا وجدته من السبي أخذته والصقته بصدرها وارضعته فقال الرسول أترون هذه طارحه ولدها في النار وهي تقدر علي ذلك ف ألوا لا يارسول الله قال فوالله لله ارحم بعباده من هذه بوالدها)

فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا أن يبين لنا أن رحمه الله تفوق كل رحمه وهي سابقه علي غضبه فالمنهج الذي انزله الله إنما هو رحمه بنا حتي لايحل بنا الهلاك والسخط الذي يبعدنا عن رحمه الله ولهذا يجب عليك ايه المومن أن تقبل علي الامتثال لأمر الله بالحب والرغبة في الامتثال

فعليكم إن تبتعدوا عن العاطفه طالما أن الأمر من الله حيث كان البعض يلجاء الي فرض أموال كثيرة لابناءهم تحت تأثير عاطفه الابواه فأخبرهم الله أنه ارحم بهم منهم

الأمر الثاني

يقول لك الله أن عليك الأخذ بمنهج الله وانت راضيا بحكم الله فهو العدل فقال تعالي (للذكر مثل حظ الانثين)

أنه سبحانه فرض للرجل ضعف ما فرض للانثي اذا لم يكون هنالك ورثه غيرهم وان هذا ليس فيه محاباه لجنس

علي جنس انما الأمر أمر عدل الهي يتفق واعباء الرجل التي يتحملها وفقا لقوله تعالى (الرجال قومون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

فالرجل قائم علي غيره متفق لماله بينما المراه مقوم عليه فالاول منفق لماله وهو مترقب النقصان دائما اما المراه المنفق عليها فهي مترقب الزيادة في مالها والحكمه ايثار مترقب النقص علي مترقب الزيادة فالمراه ليست مكلفه باي نفقات ولهذا فإن في هذا التوزيع العدل والانصاف فهو توزيع حكيم وهو ما يوجب امثاله وتنفيذه

ولهذا كانت هذه الايه اصل توزيع التركة والمخلف بالانطلاق من الاصول الي الفروع والازوج والعصبه أسباب الميراث (نسب ونكاح وولاء)

فذكر الحالات التي تنفرع منها ابتداء بالنسب

*

(فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك)

أنه إذا توفي المورث وليس له ولد ذكر وكان له ثلاث بنات فأكثر فإن لهن ثلثا التركة والباقي للعصبه

وبالنسبه لحاله أن تكون له بنتان فإن السنه النبويه قد حددت أن يكون لهن الثلثان

وايضا نصت الايه اللاحقه أن للاختان الثلثين وهما متساويتان في الدرجه فقد سويت الاخت بالبنت فكان من باب أولي ان يكون للبنتين الثلثان

*

أنه إذا كان المتوفي قد توفي وله بنت واحده فإن لها نصف التركة (وان كانت واحده فلها النصف)

*

بعد الانتهاء من تحديد انصبه الذريه تذكر النصوص نصيب الأبوين عند وجودهما وفقا للحالات المختلفه سوء عند وجود الذريه أو بدونهم

فقال تعالى (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك أن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فإن كان له اخوه فلامه السدس)

الحاله الاولي

أن يجتمع الاب والام مع الاولاد ففي هذه الحاله يكون للاب السدس والام السدس والباقي لاولاد الميت وهذا ايضا بحاله أن يكون له بنت فهي تأخذ النصف ويكون للام السدس والاب السدس فرضا ويأخذ الاب السدس الاخير تعصيبا فهو يرث هنا فرضا وتعصيب

اما اذا كان للميت بنتان وأكثر فيكون لهما الثلثان والاب السدس والام السدس

الحاله الثانيه

أن لا يكون للميت أبناء ولابنات ولا اخوه ولاخوات ولا زوجه ولازوج وانما له أب وأم وهنا يكون الام لها الثلث وا

لاب له الثلثان للذكر مثل حظ الانثيين

اما اذا كان للمتوفي له زوجه او المتوفيه لها زوج

فإن الزوجه تأخذ الربع والزوج يأخذ النصف فالأم تأخذ الثلث من التركة أو من الباقي بعد أن تأخذ الزوجه او الزوج ماله وماتبقي ياخذه الاب

الحاله الثالثه

اجتماع الأبوين مع الاخوه سواء الأشقاء اولاب أو لام فإنهم لايرثون مع وجود الاب لكن وجودهم يحجب الام من الثلث الي السدس حيث ياخذون باقي الثلث وماتبقي للاب اما الاخ الواحد لا يحجب الام عن الثلث فيفرض لها الثلث معه كما لو لم يكن له اخوه

الأمر الثالث

تأتي التعقيب علي ماسبق (من بعد وصيه يوصي بها أودين اباكم وابناءكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله أن الله كان عليما حكيمًا)

فيها بيان الآتي

١

أن الاسلام يحرص علي حمايه الحقوق من الضياع يحرص على براءه ذمه المورث حيا وميتا يحرص علي اشاعه جو الاطمئنان في التعامل بين المومنين يطمنن الدائن علي حقه أنه سوف يصل إليه وكذلك يحمي حقوق الضعفاء من أن تنهب ولأن الوصايا فيها تقويه روابط الأسر وتزيل الحسد والأحقاد فهي غالبا ما تكون لتلافي حالات العوز ولهذا جعل لقسمه التركة بين الورثة تحقق شرطان فلا تكون القسمة الا بعد اخراج الوصايا والديون اذا لاتركه الا بعد سداد الديون والدين مقدم علي الوصايا وانما كان تقديم الوصيه لانها متعلقه بالتبرع وهو ما يحاول بعض الورثة الاحتيال عليه أكثر من الدين فكان تقديمه للاشاره علي الاعتناء والاهتمام به

٢

الآيات تبين حقوق من يتصلون بالميت بصله النسب الآباء والابناء حيث أن الناس لديهم طباع تجعلهم يميلون في توزيع التركة والمخلف لو ترك لهم ذلك لأنهم ينظرون إلي المنفعه التي تعود عليهم فالعلاقه تنشأ عن المنافع لا ميزن لديهم فمثلا ينظر الاب أن أبناءه متفاوتون في النفع فييري البعض أن أحد أبنائه سوف يحافظ علي المال فييري في ذلك المنفعه والبعض ييري أن أحد أبنائه من الصالحين فهو سوف يحافظ علي المال وينفق منه بما يعود علي أبيه بالفائدة في الدنيا والآخرة فلو ترك له تقسيم التركة فانه سوف يعطي ابنه هذا أكثر من البقيه ..وكذلك فإن البعض ييري أن والديه أن أعطاهم أكثر ماله سوف يجد الثواب في الدنيا والآخرة وايضا فإن اراده امتداد النسل بعده وحبه لأولاده نتيجه الباعث النفسي الفطري الذي يبعث علي حب الأبناء وخوفهم عليهم فيحرصون علي أن يجعلوا لابناءهم شيئا وهناك من يكون خائفا علي أبيه وأمه لكبر سنهم

ولهذا قال تعالي (اباءكم وابناءكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا)

اعطوهم حقوقهم الذي اوصكم الله أن تعطوهموها فإنكم لاتعلمون من هو أكثر نفعا لكم في عاجل دنياكم واصل اخرتكم

٣

يقول لنا الله أن التوزيع في الميراث علي نحو ما ذكر هو فريضة من الله

(فريضة من الله)

اشاره الي الوجوب فعليك أن تتذكر أن مصدر هذه القسمة هو الله تعالي فلا يجوز الخروج عما امركم الله به فأراد بهذا التنبيه علي ازاله ومحو ما علق في أذهان البعض من اثار الجاهليه وعادتها فقد كان البعض يقول كيف يكون إعطاء الاطفال والبنات من الميراث فيرون أن ذلك يكون للمقاتل المحارب الذي تعود منه منافع كثيرة فالله يقول لنا انتبهوا من تلك الأفكار القبيحة فهي تسيء الادب مع الله فالمسألة فريضة من الله يجب عليكم تنفيذها والتعبد لله بذلك

فهي ليست هوي أو مصلحة قرابه فالله هو الخالق للاباء والابناء ويعلم ما يصلح لهم وهو يضع كل شي لحكمه فهو الذي يفرض ويشرع وليس لكم إن تشرعوا لأنفسكم فانتم لكم أهواء فيها التخبط وايضا لاتعلمون النافع من الضار

وهذا فيه التنبيه علي العبد أنه يجب عليك الابتعاد من الميل لأحد الورثة انتبه من الإفراط أو التفريط فأنت مطالب أن ترجع كل شي الي شريعه الله التي فيها العدالة وان هذا لايتحقق الا بمرعاه أمر الله والمحافظة علي الأحكام الشرعية وأن تضع كل شي في محله عن علم وإحسان تنزيل الحكم في محله ولهذا قال تعالي (أن الله كان عليما حكيما)

يقول لك أن حكم الله فيه العدل الذي يلبي احتياجات الناس لانه عليم بما يصلح شوؤنكم ويضع كل شي في محله فجميع أحكامه فيها العدل والانصاف لاطلمم ولاجور في حكمه فالاحكام هي فرض من الله حكم به وقضاءه وهو تعالي يضع الاشياء في محله ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه

الأمر الرابع

بعد أن ذكرت النصوص الميراث بسبب النسب تذكر حالات الميراث عن طريق النكاح

(ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلکم الربع مما تركن من بعد وصيه يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيه توصون بها أو دين)

حيث نجد أن الايه تقرر

١

أن يكون للزوج نصف ما تركت الزوجه اذا لم يكن لها ولد سوء من الزوج أو من غيره فإذا كان لها ولد حينئذ يكون للزوج الربع وهذا يكون بعد اخراج الوصايا والديون التي علي الزوجه وكذلك الحال بالنسبة للزوجه أن توفي زوجها وليس له ولد منها أو من غيرها فلها الربع فإذا كان معه ولد منها أو من غيرها فلها الثمن بعد اخراج الوصايا والديون... الخ

٢

تقرر الملكيه بين الأزواج بأنها قهرية فنجد

أن الايه ابتدأت بقوله (ولكم نصف ما ترك أزواجكم...الخ)(ولهن ربع... الخ

فيها بيان أن ملكيه الميراث ليست اختياريه فهو حق ملك وهو يشمل الأعيان والديون والعقارات والحقوق مثل حق الشفعه وحق الانتفاع وغيرها وان ذلك يكون بعد اخراج الوصايا والديون

٣

عداله الاسلام في منح الزوجه حقوقها بعد ما كانت الجاهليه تهضم حقوق المراه فقد جعل لها إرثا من بعد زوجها بعد أن كانت تورث كرها من قبل أبناء الزوج وان تلك الملكيه قهره

الأمر الخامس

تنتقل النصوص الي تقرير ميراث الاخوه لام اي الحواشي الذين هم أضعف صله قرابه فهم الذين يرثون الميت من حواشيه لامن اصوله ولا من فروعه فقال تعالي (وان كان رجل يورث كلاله أو امراه وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصيه يوصي بها أودين غير مضار وصيه من الله والله عليم حلیم)

فالكلاله كما قلنا هم ورثه الميت من حواشيه

لأن الكلاله إنما تطلق علي القرابه من جهه غير جهه الوالد والولد أي ليس من اصوله ولا فروعه كما ورد عن ابو بكر الصديق

فهم الاخوه لام فقررت الايه

١

التسويه بين الاخ والاخت بالميراث

٢

لا يرثون إلا أن يكون الميت كلاله ليس له أب أو جد احياء ولا ابن ولا ابن احياء

٣

لا يزيدون عن مقدار الثلث ويوزع بين الذكور والإناث بالتساوي

*

ان الاسلام يراعي حقوق ورثه الميت ويحترم ارداه الميت والوصايا التي فيها الخير فنجد أنه يذكر بعد بيان حالا ت الإرث (من بعد وصيه يوصي بها أودين) يرغب بالوصايا لكن يضع لها شروط فيقول يجب أن لاتكون الوصيه بقصد الأضرار بالورثه خاصه هولاء الذين هم من الحواشي لأن أغلب الناس يلجأون الي وضع الوصايا بقصد حرمانهم من الإرث لضعف علاقه القرابه ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى يريد تربيته المومنين علي عدم الأضرار بالآخرين يقول لك انتبه من أن تتخذ من طريق الخير وسيله للأضرار بالآخرين فجعل حد الوصيه بما لايزيد عن الثلث

لكن البعض قد يقر كاذبا أن بدمته دين لفلان من الناس لغرض الأضرار بالورثه بالذات في مثل هذه الحاله فجاء التحذير بعد قوله (من بعد وصيه يوصي بها أو دين غير مضار)

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله عليه طريق الجنه)

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول (وصيه من الله والله عليم حكيم)

عليك الإنتباه من الحيل الرخيصة التي يقصد بها الأضرار ببعض الورثه وقطع الطريق علي من يستحق الميراث بتلك الحيل

لأن ذلك فيه اعتراض علي أمر الله ف الله هو الذي فرض لهؤلاء الميراث وهو يعلم ما فيها من الخير. والمصلحة

عالم بمن جار أو عدل وهو مطلع علي ذلك ومحيط به فلا تغتروا بامهال الله وانه لايعجل العقاب فإنه سبحانه يمهل ولا يهمل فعلي كل واحد منكم قيل أن يتجرأ علي الاعتداء بالتحايل علي ما فرضه الله أن يتذكر أن الله يعلم كل شي وأنه يمهل ولا يهمل

الأمر السادس

تختتم النصوص ماسبق بتقرير الآيات إن ما سبق ذكره من انسانيه الاسلام ورعايه حقوق الضعفاء سوء الأيتام أو النساء والأطفال وأحكام المورايت والفرائض والتشريعات التي فيها تنظيم العلاقات وتوزيع وتقسيم التركات و المقادير التي حددها الله بأنها حدود الله فقال تعالى (تلك حدود الله)

أشار إلي ما ذكر بأنها حدود الله وحدود الشي أطرافه التي تفصله عن غيره وتميزه عنه حيث نقول حدود الارضيه الفلانيه ..أو الدار فتكون تلك الحدود تفصله عن غيره ولا يجوز أن تخرج عنها لانك أن خرجت تكون قد اعتدت علي ما ليس لك أن تدخل فيه فمدار الطاعه البقاء في دائره هذه الحدود ومدار العصيان هو اعتداها فالمولي يقول لك أن ما ذكره سابقا من أحكام والقسمه التي قسمها لكم هي الحد الفاصل بين اسلام الوجه لله وبين المخالفه التي هي الكفر والعصيان والخروج عن الدين فهذه الحدود التي تحكم العلاقات والمجتمع هي التي تبين لك موقعك من الإسلام وتحدد لك مستقبلك وسعادتك

ولهذا نجد أنه تعالى يرتب علي هذه الحدود التي وضعتها التشريعات الربانيه السعاده والفلاح والنجاح لمن امتثال بالطاعه لأمر الله وان الذي يعصي ويتعدي تلك الحدود فإن مصيره الشقاء الابدي والتعاسه فقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار ا خلدا فيها وله عذاب مهين)

فالنصوص فيها الآتي

المساله الاولى

أنه تعالى ذكر كل هذه النتائج الضخمه (النجاح والفلاح والسعاده الابديه لمن امتثل واطاع ..والتعاسه والشقاء الا بدوي والعذاب لمن عصي واعتدي ..فجعل هذه التشريعات هي الحدود التي تحدد مستقبل كل انسان)

فدل هذا أن آثار هذه الأحكام اضخم من الفعل المأمور به لأنها ترتبط بمساله في غايه الاهميه فهي تحدد نوع الحركه والفاعليه هل ايجابيه ام سلبيه

لماذا لأن الفاعليه إنما تكون ايجابيه منتجه الأثر في حاله امتثال أمر الله والقبول بمنهج الله فالواهييه الله وتوحيده انما تحقق منك بالتلقي من الله في كل ماتفعل فالمنهج هو الذي يحدد لك الطريق فيما تفعل وما لاتفعل فأنت بذلك تستمد منهج حياتك من سلطان الله الذي حدد لك الحلال والحرام وهو عنايه منه تعالى بك بما ينسجم مع ربوبيته ووحدنيته والوهيته وبالتالي فإن الذي يرفض القبول بحكم الله فإنه بذلك يكون عابدا لغير الله

ويستند الي سلطان الأصنام

المساله الثانيه

مما سبق يتضح لك أن المولي سبحانه وتعالى قد جعل هذه الحدود بمثابة ميزان تضع نفسك فيه لتعرف موقعك ومكانك من الإسلام ولهذا جاء أفراد الخطاب (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

يضع الإنسان وحده في مواجهه هذا الخطاب الإلهي يريد منك أن تلتفت إليه بكيانك كله بحيث تكون قلوبكم واذهانكم حاضره ومن شأن ذلك أن يجعل الإنسان في وضع يحسن التلقي من الله والانتفاع بما يلتقي به غيره ب النعيم والجنات ولأن من تمام النعيم اجتماع الإنسان باخوانه المومنين ومشاركتهم النعيم فذكر الله (خالدين فيها) ليشعر المومن بالراحه ويزهد عن الدنيا اي البقاء دون انقطاع في الجنه ونعيمها

اما الكافر فقد ورد أفراده حتي في بقاءه في نار جهنم فقال تعالي (نار اخلدا فيها) فكان النار قد خصصت له دون غيره وانه المقصود بها وذكر العذاب المهين فأراد بهذا معرفه العاقبه لأن الحق ثقيل ولا يخفف الا علي وفقه الله ومن نظر إلي العاقبه فصبر نفسه ابتغاء مرضاه الله ثقه بوعد الله

المساله الثالثه

أن ربط القران بين توزيع الانصبه علي الورثه وبين حالتي الطاعه والعصيان والجنه والنار... أن ذلك فيه الحد الفاصل الذي يفصل بين الفريقين

فيها أمر لك ايه المسلم أن تنظر لنفسك علي ضوء هذه الحقيقه اين موقعك من الإسلام واين حياتك من هذا الدين

فقد جعل الله الطاعه سببا للنجاح والفلاح العظيم الذي تريدونه وجعل العصيان والاعتداء سببا للهلاك في نار جهنم فدل هذا علي عنايه الاسلام بالحقوق وإيصالها الي أهلها لأن حقيقه المورايت إنما تكون بإيصال الحقوق لأصحابها والله عدل يريد من عباده أن يوصلوا الحقوق الي أهلها

فيقول لك أن الطاعه هنا فيها الفلاح العظيم فهي سبب نيل المطالب في الدنيا والآخرة ونذكر هنا كلام لبعض أهل العلم في هذا المقام يرشدك الي شرف الطاعه وهو أن كلب أهل الكهف لما اطاع الفتية وتبعهم فقد حضي بالتكريم الذي حظي به الفتية

فكلما ازداد العبد قرب من الله وطاعته ازداد رضي الله عنه وابتعد عن الشيطان الرجيم

وان الذي يرفض القبول بحكم الله فإن هذا إنما يصدر عن شخص غير راضي بما قسم الله وحكم به ولهذا فإن الله يجازيه بالعذاب الأليم والاهانه المخزيه بإدخاله النار والخلود فيها أي يبقي مستمرا وهو عذاب جسدي اضافه الي العذاب النفسي العذاب المهين فكانت المعصيه والعدوان سببا لدخوله النار

المساله الرابعه

ذكرت الايه أن المخالف نوعان الاول العاصي والثاني المتعدي للحدود

فالمعصيه فعل المحرم والمتعدي للحدود ترك الواجب أو الغلو فيه وأن ذلك يوجب الخلود في النار وهو الاصرار علي الذنب مع عدم التوبه

فالمذنب قد يغيب عن ذهنه الأمر الإلهي نتيجه باعث الشهوه أو الغضب فيقع في الذنب فلا يتذكر الوعيد لكن بعد

الذنب يمكن أن يعود إلي الله مستغفرا (والذين إذا فعلوا فاحشه او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا علي مافعلوا وهم يعلمون)

ولهذا فإن اقدم المرء علي ارتكاب الذنب قاصدا فعله وإصراره عليه يجعله واقعا في دائره الخطيئه كما قال تعالي
(بلي من كسب سيئه وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فالإصرار علي الخطيئه والعصيان وعدم استشعار الذنب ولا الندم فإن هذا يوصلك الي النار وذكر بعده العذاب
النفسي وهو الإذلال والاهانه للتحذير من التهاون والتساهل في احكام المواريث وحقوق الضعفاء وأنه يجب عليك
الإنتباه من الانزلاق في المخالفات لمنهج الله

المقطع الثاني من سورة النساء

هذا المقطع ورد بعد أن تناولت النصوص في المقطع السابق قواعد وقوانين احترام حقوق الإنسان وكرامته وحرية وبينت أسلوب التعامل أنه يقوم علي الحفاظ علي قوي الإنسان الثلاثة العقل والشهوه والغضب من خلال اقامه العدل والانصاف في تعاملك مع النوع الذي خلقت منه والإحسان للضعفاء وعدم هضم حقوقهم بل عليك أن تزيد علي العدل بأن عليك التعفف عن النظر إلي أموالهم وعليك تربيته الأيتام وتدريبهم علي اداره أعمالهم وصيانتها من الضياع والهلاك وكذلك أمر برعايه حقوق المراه وان يكون قيامك بذلك مع شعور وعاطفه أنهم اقرباك وكأنهم أبناءك وانت تقوم بذلك وان لا تنتظر الشكر من أحد علي ذلك وختم الله بالأمر باحترام حقوق الإنسان وكرامته وحرية ومن ذلك توزيع التركات والمقادير فجاءت النصوص فيها انصاف كل ذي حق بحقه وأمرت بوجود تنفيذ هذه الأحكام فهي تهدف إلي اقامه العدل واستعادة كرامه الإنسان وحرية

واخبرنا الله أن كرامه الإنسان مرهونه بالالتزام بما في المنهج الرباني الذي حمله الرسول صلى الله عليه وسلم واخبرنا أن مخالفه المنهج يعني هبوط الإنسان الي منزله أقل مرتبه من البهائم وتحول الإنسان أما إلي بهيمه لا يهيمه الابطنه أو سبع مفترس يريد أن يلتهم الضعاف من بني جنسه ولهذا نجد أن قواعد وقوانين الشرع في ضبط حركة الإنسان تامر المسلمين بالتعاطف والتراحم وتحذر المسلمين من المخالفه لأمر الله مبينه أن ذلك يحول الإنسان الي وحش يريد أن يلتهم من هو أضعف منه فذكر الأيتام والنساء والأطفال كنماذج للضعفاء الذين يحتاجون الرعايه

يقول لنا الله أن امتثال منهج الله هو الذي يصون كرامه الإنسان وحرية ولهذا أخبرنا تعالي أنه وضع حدود لهذه الحرية لا ينبغي تجاوزها (تلك حدود الله)

فالتعدي لهذه الحدود يعني سقوط الإنسان وهبوطه الي منزله أقل من الحيوانات

فالحرية لاتعني الفوضى بل تعني الانضباط وامتثال أمر الله فالحفاظ علي ميزه العقل التي ميز الله به الانسان علي سائر المخلوقات إنما تكون بالانضباط القائم علي العلم والايامن بما يودي الي إصلاح الأرض والقيام بالعمران وهذا إنما يتحقق باتباع منهج الله

فهذه هي اساس الحرية فقال تعالي (تلك حدود الله)

واخبرنا أن القوي العقليه انما تحقق بالقيام بالغايه التي خلقت لأجلها العباده والتي تكون بامتثال أمر الله ورسوله (ومن يطيع الله ورسوله)

ولهذا فإن الذي يرفض القبول بحكم الله وتطبيق منهج الله ويرفض اتباع سنه رسوله فهذا قد اعتدي علي القوي العقليه المنطقيه فالكفر والشرك اعتداء علي هذه القوي

أن رفض المنهج الرباني والخروج عن قياده فيه دعوه الي الفوضى والعشوائية وهذا لا يصدر عن عاقل ابدا ولا يمكن أن تكون الفوضى والعشوائية والخروج عن الحدود التي وضعها الله للبشر في حركتهم ونشاطهم حريه لأن ذلك يعني فقدان العقل وسوء التدبير وسوء التصرف وهذا إنما يصدر عن لاعقل له أي السفهاء الذي أمر بالحجر عليهم ولهذا أخبرنا الله أن العاصي الذي يخرج عن المنهج ويرفض الانصياع لأوامر الله والرسول بانه يستحق العقاب في النار والاهانه والعقاب لا يكون إلا للمجرم الذي لم يراعي مصلحه نفسه والذي يفسد في الأرض وأساء التصرف فهو لا يستحق الحرية والكرامه فأخبرنا الله أنه سوف يعذب ويهين هذا المعتدي

ولهذا يقول لنا الله أنه إذا أردنا أن نحافظ علي كرامتنا وحريةنا فإن ذلك إنما يكون بامتثال ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وان نحترم القياده والهكيل التنظيمي ونعترف بالاداره فلا نخرج عن الحدود التي وضعتها

التشريعات الربانية فهي فيها الفوز العظيم الذي لامثيل له ولما كان حال المسلمين في مكة أنهم ليس لهم دولة فقد جاءت النصوص تفرض الأحكام في الضمير الإنساني المسلم لكن بعد أن صار لهم دولة فقد كان لابد من تشريعات وقوانين وعقوبات لمن يخالف منهج الله فقال تعالى (ومن يطع الله. رسوله)

ولما كان المولي سبحانه وتعالى قد بين أن من ضمن حقوق الإنسان هو قسمه التركات والمقادير وفقا لمنهج الله فالإسلام يحترم حركة الإنسان في الحياة ولهذا جاء فيه تشريع قانون الفرائض التي يكون فيها توزيع التركة الخاصة بك بعد موتك علي اساس أسباب الميراث (النسب والنكاح والولاء)

فجاءت النصوص فيها تطمئن للإنسان أن تركته سوف تذهب الي ورثته من بعده وقد أخبرنا الله أن الورثة هم أما اولادك وأما أقاربك وأما زوجك فالورثون من الرجال عشره الاب والجد وان علا والابن وابن الابن وان سفلا والاخ من اي الجهات كان شقيق ولاب أو لام وابن الاخ والعم وابن العم والزوج والمعتق .

والورثات من النساء سبع الام والبنت والاخت لآب أو ام أو شقيقه وبنت الابن والزوجه والمعتقه

ولأن رغبة الإنسان هو الامتداد في الحياة وهذا إنما يحصل بالتناسل فأخبرنا الله أنه جعل التكاثر التناسل عن طريق النكاح الذي فيه تميز الإنسان عن الحيوانات

فأخبرنا الله أنه خلق حواء ليسكن إليها ادم وجعل من تلك العلاقة الانجاب والتناسل واخبرنا الله أنه خلق حواء لآجل بقاء النوع وليسكن إليها ادم ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بقوله تعالى

(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتي يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا والذان ياتينها منكم فاذوهما فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما أن الله كان توابا رحيمًا)

تناول وضع الضوابط الشرعية لحركة الإنسان في الحياة و للعلاقة الجنسية التي يكون فيها التناسل

بأنها ليست لمجرد المتعة الجنسية حيث أن البعض ذهب الي القول إن المراد بهذا هو السحاق الممارس بين المراه وامراه. اخري وان الايه الثانيه متعلقه بحاله اللوط القائمه بين رجل ورجل بأن هذا تجاوز الحد فهذا النوع من العلاقه ليس فيه بقاء النوع ولا

التكريم الإنساني

وان كان هذا معني من المعاني التي فيها التحذير أن تنظروا الي الحريه التي أمر المسلمون برعيته وامروا باحترام كرامه الإنسان وحريته والتي من ضمنها حريه المراه بأنها ليس لها حدود وضوابط ولا تصور أنها تعني التشجيع علي الرذيله

ف الله يقول إن هذه ليست حريه فاحذروا لأن هذا السلوك يهبط بالإنسان الي منزله أقل من الحيوانات

يقول لنا أن أهل الجاهليه في كل زمان سوف يحاولون استغلال مفهوم الحريه لتشجيع الناس علي الرذيله و الفوضى الجنسيه بالزعم أن ذلك مظهر من مظاهر الحريه وحقوق الإنسان فالأمر ليس كذلك فليس من الحريه ولا من التسامح الذي أمر المسلمون به في التعامل مع بني جنسه فإن عليكم أن تدركوا أن استعمال العدل والإحسان والرحمه بالنظر بمقتضي الموقف لمن يستحق الرعايه كانه من أقاربك بأن هذا ينبغي أن يكون في محله فأنت اذا أساءت استخدام هذه الملكات في غير محلها فإن هذا الأمر يودي الي انتكاسه. وإفساد في الارض و يكون سببا

في خلق خلقا سيئا في المجتمع فالله يقول في موضع آخر (أن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)

والبغى هو المطر الذي يتجاوز الحد ليصل الي الفرق فلا يجوز استعمال الاحسان والرحمه في غير محلها بتجاوز حدود الاعتدال بالتفريط أو المغالاه

فجاء الأمر بالخطاب الموجه للمسلمين جميعا (من نساءكم) (واللذان ياتينها منكم)

لأن المسلمون هم من يختارون الحكام الذين يقومون علي تنفيذ أحكام الله

بعد أن أمر بالاحسان الي النساء وحسن معاشرتهن والمحافظة على أموالهن وان ذلك من باب احترام حقوقها وحريتها فالمراد من العدل والانصاف والإحسان والرحمه الابتعاد عن طريق التفريط والافراط

ولهذا جاء الأمر بتطهير المجتمع وتنظيفه من الاوساخ

التي يمكن أن تلوثه ومحو افكار الجاهليه..

فأمر المولي سبحانه وتعالى المسلمون بتأديب الذين يفسدون صفه الوجود الإنساني

فذكر أن النساء اللاتي يرتكبن الفاحشه وهو الزنا وهذا الحكم قبل نزول سوره النور التي حددت عقوبه الزنا

لأن لفظ الفاحشه تعني مافحش من القول والفعل وهو الشي القبيح الذي ينكره كل صاحب عقل ويخالف العرف لدي المسلمين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس)

وهذا التحرج إنما يكون من المسلم أما الكافر فلا يكره أن يطلع الناس علي فعله والمراد به الزنا لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشه)

فهو كل فعل أو قول تقبحه النفس فيقول الله أنه جعل النكاح هو وسيله تحقق كرامه الإنسان وحرية فأنت عندما تتزوج تدخل وتخرج معها بكل حريه ولا تخاف احد فقوام النوع إنما يكون بالنكاح ولهذا فإن الزنا فيه إفساد لصفه الموجود ولهذا فإن اللوط أشد منه فساد وأعظم ولذلك نجد أنه يصف الزنا (أنه كان فاحشه)بينما نجد أن لوط خاطب قومه (اتاتون الفاحشه) لتشجيع الفعله

المفهوم الثاني

يقول لك الله أن محاربه الرذيله والفوضى الجنسيه يتطلب أن تغرس في النفوس حقيقه كمال قوه الشهوه (العفه) فالإيتان تهدفان الي الحث علي العفه والابتعاد عن الفاحشه بازاله الأسباب والبوعث التي تكون مقدمه للفاحشه بشعور الجميع أنه مسؤول عن محاربه الجريمه وأنه له دور في منع تلويث المجتمع باوساخ دعاه الرذيله ولهذا يأمر الله المومنين بعزل الفاحشات عن المجتمع من النسوه ولخطوره الأمر تضع النصوص الضمانات اللازمه لمنع الظلم والخطاء في العقاب فقال تعالى (واللاتي ياتين الفاحشه من نساءكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتي يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا)

١

أن العقوبه لاتطبق الا علي المسلمات في تلك المرحله نظرا لأن المجتمع كان مازال فيه انظمه متعدده فمنهم المسلمون وقد كان هنالك بعض من الأوس والخزرج مازالوا علي الشرك

أن ذلك لا يكون إلا بعد حضور اربعة شهود رجال (منكم)

يشهدون بالواقعه ويصرحون بمشاهده الميل بالمكحله صراحه لا يكتفي فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لمعز انكتها ...

فلا تقبل شهاده غير المسلم لانه لايرعي العدل والانصاف ولأنه لايتورع عن الكذب فلا يراعي امانه الشهاده ولأنه غير موثوق ولايهتم بعفه المجتمع المسلم

تذكر النصوص الحكم

فقال تعالي (فامسكوهن في البيوت حتي يتوفاهن الموت اويجعل الله لهن سبيل)

أمر بالحبس وهو منعهن من الخروج من البيوت لغايه أن يكون وفاتهن بالموت ..أو يجعل الله لهن مخرجا من ذلك الحبس

والحبس عقوبه سالبه للحريه فالله يقول لك لا ينبغي أن تتعامل معهن بالعفو لأن هولاء من أسباب الفتنة ونشر الرذيله فجعل العقوبه محدده بغايه وهي الموت اي أن ياخذهن الموت وهذا فيه تهويل للموت بإبراز ه في صورته من يتولي قبض الأرواح وذلك انما يكون من ملك الموت المكلف بذلك

وهومايفهم منه أنه لايجوز حبس النساء في غير الحاجه فلا يجوز حبسها في البيت مثلا بدافع الغيره ولا لمجرد الهوي ولا التحكم من قبل الرجال فهي عقوبه مقرونه بما يدل علي التوقيه وما يوكد عدم جواز حبس النساء هو أنه تعالي أمر بمنع المعتده عن الوفاه الخروج من البيت مده العده فالاصل أن لاتمنع المراه من الخروج من بيتها

*

ذكر المولي أن هذه العقوبه مؤقتة فالحبس ليس الحكم النهائي بل هنالك حكم اخر سوف يكون به تحديد ماهو عقوبه المراه الزانيه (أو يجعل الله لهن سبيلا)

حيث ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال خذو عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد)

ثانيا

وتمضي سياق النصوص في وضع التشريعات الربانيه التي تقضي علي الرذيلة فتذكر حكما متعلق بالرجال (و اللذان ياتينها منكم فاذوهما فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما أن الله كان توابا رحيمًا)

الهاء. و الالف في الضمير (ياتينها) تعود علي الفاحشه في قوله (واللاتي يأتين الفاحشه)

وهذا كان حكم اللوط في بدء الأمر حيث كان بعد ذلك بيان العقوبه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول

(

ولهذا ذهب البعض الي القول إن المراد هما الرجل والمرأة الذان يرتكبان الفاحشه لكن الراجح هو أن المراد بهذا هو الرجال الذين يرتكبون جريمه اللوط في بدايه الامر

فإن قلت إن عقوبه الحبس للمراه اكبرواغلظ من عقوبه اللوط الاذي بالقول والفعل بالسب والضرب بالنعال فكيف يكون ذلك مع أن اللوط أعظم جرما من الزنا

الجواب

أن الأمر بعقوبه الاذي بالقول والفعل لمن يرتكب الفاحشه من الرجال والأمر بمعاقبه النساء بالحبس قد ورد فيه حكم واقعي بالنسبة للنساء وحكم افتراضي بالنسبه للرجال لأن أهل الجاهليه لم يكن يعرف سلوك اللوط فيهم ولا يعرفونه لدرجه ان قائلهم قال لولا أن الله قص علينا قصه قوم لوط ما صدقنا أن هنالك من يقبل بفعل النساء

وهنا قد يقول قائل ما الداعي إلى ذكر هذا الحكم الافتراضي مع عدم وجوده في الواقع

أنه بالوقوف علي المناسبه التي خصت بها النصوص تناول حكم معاقبه الفاحشات من النساء بالحبس والاذي بـ القول والفعل لمن يرتكب اللوط يجد أنه

خص هذه الأحوال بالذكر في إطار الدعوه الي القضاء علي الظلم والاضطهاد والفساد والتخلف وهدم اوكاره بما حمل الاسلام من ثوره إنسانية تهدف إلي تحرير الإنسان من الاضطهاد واحترام حريته وكرامته واحترام حريه المراه وكرامتها وحقوقها

ولهذا فقد كانت هذه الدعوه بمثابة عاصفه هبت بارداه من التحاق بالإسلام فرساله الاسلام لم تكن تتطور وفقا لعرف قائم وانما تستهدف احداث تغيير في العالم أجمع فجاءت النصوص بأهداف واقعيه وافتر ضيه متعلقه بالأهداف الأساسية (الحريه والكرامه والإنسانية)

يقول لك الله أن هذه الأهداف قد ينتج عنها فسادا جديدا يطرأ علي الواقع أثناء التطبيق وقد يظهر ظلما اخر يضرب الحريه في اعماق جذورها باسم الحريه

حيث أن البعض سوف يسيء الفهم لمدلول الحريه فيتصور أن حريه المراه مثلا تعني اباحه الرذيله والفوضى الجنسيه وأنه ليس للدوله والمجتمع سلطه منعها من ذلك كما هو حال دعاه التقديمية اليوم او أن ينظر إلي حريه الإنسان أنها تبيح الشذوذ الجنسي كما هو حال دعاه التقديمية والحريه وحقوق الإنسان اليوم الذين يدعون الي صياغه قوانين تضمن حريه الشذوذ (المثليين) في الكثير من البلدان الأوروبية

فالمولي يقول انتبهوا أن تتصورا أن الحريه الاباحه الجنسيه والشذوذ فهذه ضد الحريه والكرامه والإنسانية وتهبط بالإنسان الي منزله أقل من الحيوانات

٢

أن المراد بهذا محاربه الرذيله ومحاصرتها ومنع تلويت المجتمع المسلم بانتقال عدوي هذه الجريمة وهو حكم وقتي يهدف إلي تهنيه المناخ المناسب لمجي الأحكام النهائية

ولذلك ناسب الحبس المراه الزانيه لان خروجها يكون باعنا للفتنه وكذلك فإن السب والشتم الاذي بالقول والفعل للفاعل والمفعول (اللواط)

يعني التشهير لهما بحيث أن الناس يحذرون أن يختلطوا بهما وبستحيون من التعرف بهما فهما بنظر المجتمع ناقصين حقوق الموطنه فهم مواطنين من الدرجه السفلي لايصح الاختلاط بهم وان قابلتهم نظرت إليهم باحتقار

وتعاملت معهم بازدراء

وهو حكم وقتي في بدايه الانتقال من مرحله العصابة الي مرحله الدوله واستلام السلطه ولهذا كان لابد من تطهير الصف من الاوساخ وأخذ الاحتياط من تسلل العناصر الفاسده وتغللها في الصف المسلم واستلام مراكز ادرايه ف المرحلة تتطلب بناء التنظيم الثوري الذي يقع علي عاتقه تحقيق الأهداف واحداث التطور والرقى فهم بحاجة اليقظه والتدخل لمنع حدوث الكارثه لتصحيح المسار فلا يسمح للعناصر الفاسده أن تتسلم مراكز قيادية فكان الا ذى مناسباً للرجل حتي يعرف ويشتهر وبالتالي لايسمح له باي عمل اداري يمكن أن يكون أخلاقه القبيحه سبباً لنقل العدوي كان تجعله يقوم بدور تعليم الصبيه فعدم عزل امثال هولاء عن أبناء الحركات الإسلامية في الوقت المعاصر ادي الي تشويه سمعه العديد منها

الأمر الثاني

يقول لك الله ايه المسلم عليك أن تكون داعيه الي الحريه وفي نفس الوقت يجب عليك الإنتباه من أن تصبح الحريه والإنسانية خطر يهدد وجودها فانتبهوا أن تصبح الحريه والإنسانية مدخلا وسعا لهدم قيم الانسانيه و الحريه فليس من الحريه ولا الانسانيه أن تصبح المراه مثل انثي الكلب والبهائم تمارس الجنس مع الحيوانات بلا ضوابط فالمراه كرامتها وحريتها أن تصان بالزواج الشرعي الذي يحقق كمال الشهوه والتي تكون كمالها في العفه

وكذلك فإن اللازم عليكم استعياب الطريق الذي يحقق العفه التي فيها الكرامه والإنسانية وكمال فضيله قوي الشهوه التي يكون فيها بقاء النوع الإنساني المتميز عن الحيوانات ولهذا فإن الهبوط في قضاء الشهوه يعني التنازل عن الكرامه والإنسانية والحريه ولذلك شرع في بدايه الامر الحبس للنساء والاذي للرجال بالقول والفعل وهذا عزل لهم عن المجتمع وهذا فيه انتقاص لحقوق الموطنه فهولاء يصبحون منبذون ومواطنون ناقصون الحقوق لانهم حطموا الكمال الإنساني بمعول النقص بأن تنازلوا عن ادميتهم ولهذا لايسمح لهم بالاختلاط بباقي فئات المجتمع الا للضرورة القصوى ومن هذه الضروروات أن الرجال بحاجه الي الخروج وكسب معاشه وقوته ومن يعول من أسرته ولهذا كان التخفيف بالحكم بالنسبه للرجال

ولهذا نجد أن النصوص تذكر بعدها أنه (فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما)

أنه إذا حصل تعديل أساسي في الشخصية والعمل والسلوك هنا يجب التوقف عن الاذيه لهم

فيجب العفو عنهم وهو ليس قبول بالجريمه لا وانما فتح المجال أمامهم للصلاح مساعدتهم علي التوبه ونسيان الماضي البغيض لأن تذكيرهم بالجرم يولد فيهم الانتكاسه التي تجعلهم يتهاونون في الجرم ويولد طبقه قدره في المجتمع وربما تمتد لأجيال متعاقبه نحن نعلم في هذا الزمان كيف أن اساءه استخدام العزل الاجتماعي قد ولد افات اجتماعية نشأ عنها طبقات اجتماعية تنظر لذاتها أنها مبتذله أخلاقيا جيل بعد جيل أطلق عليها في اليمن اسماء عنصريه تمنع التزوج منهم

لهذا يقول لك الله عليك ايه المومن عليك ان تستخدم العفو في محله وان تتخلق بأخلاق الرب (أن الله كان توابا رحيماً)

ثالثا

لما أمر الله بالتعامل مع التائبين وتشجيعهم علي ذلك تأتي النصوص مبينه ماهي طبيعه التوبه المقبوله وحققيتها فقال تعالي (إنما التوبه علي الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبه للذين يعملون السئيات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين

يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما)

المسالة الاولى

ابتدأت النصوص باداه الحصر (إنما) فقال تعالي

(إنما التوبه علي الله) فعلم أن اداه الحصر يقصد بها حصر التوبه المقبوله عند الله فذكر (علي الله)

حيث أن البعض قال إن المراد بهذا أن التوبه التي أوجبها الله علي نفسه وجوب كرم وفضل لا وجوب الا
ستحقاق

ومنهم من قال إن علي هنا بمعني عند اي أن التوبه المقبوله عند الله

وقال أهل المعاني أن الله وعد قبول التوبه من المومنين في قوله (كتب الله علي نفسه الرحمه... الخ

والله اذا وعد أنجز وعده

ولهذا فإن النصوص تشد انتباهك الي أن التوبه المقبوله لها شروط لينجز الله وعده بقبول التوبه ف الله يقول إن
باب التوبه مفتوح فهو سبحانه لم يغلق الابواب امام العصاه يمنحهم الفرصه للعوده الي الله فهو سبحانه لم
يحرملك من أن تتوب إن أردت فقد أفسح المجال امام كل عاصي مهما كان ذنبه أن يتوب فلا تيأس من رحمه الله
فذكر (للذين يعملون السوء بجهاله)

والسؤ كل ماساء وسمي بذلك لما فيه من قبح وشناعه

فهو وصف لكل فعل قبيح

وذكر بعدها الجهاله أن ارتكاب الأفعال القبيحه ناتجه عن الجهاله (اي السفاهه) وهي التي لا يحسن فيها الإنسان
التصرف فلا ينظر إلي العواقب والمراد بها ارتكب الجريمة سوء علم بالتحريم ام لم يعلم تعني مخالفه المنهج
الرباني فلا يقصد بها الجهاله اي عدم العلم لأن الجاهل الذي لايعرف الحكم أو الفاعل للجرم خطأ لا يؤخذ لحديث
(رفع عن امتي الخطأ والنسيان.. الخ

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون إن كل من اصابه ذنب فهو جاهل فالذنب إنما يصدر عن جاهل ومن
عصي الله فهو جاهل فالعقل ينظر إلي اللذه العاجله في ارتكاب الجريمة وينظر الي مايلحقها من عقاب فيعرف
ماهو النفع وما هو الضرر الحقيقي والله يقول عن اخوه يوسف (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم
جاهلون)

وقال تعالي عن يوسف (الا تصرف عني كيدهن اصب إليهن واكن من الجاهلين)

فالجهاله مفترضه حال ارتكاب الجريمة وان كان يعلم بقبح مايفعل وعقوبه فعله وسمي جاهلا لانه لم يستعمل
ماينفعه مع العلم بالثواب ولم يترك ما يضره مع علمه بالعقاب

فيقول الله أن هولاء أن حصل منهم بعد ارتكاب الجريمة العوده الي الله بالتوبه الصادقه (ثم يتوبون من قريب)

فإن باب التوبه مفتوح الي ما قبل الموت اي قبل حضور الموت ومنهم من قال إن هذا يكون الي ما قبل المرض
مرض الموت وان تكون التوبه في صحته

لكن الأرجح هو أن التوبه مقبوله الي ما قبل حضور الموت الي ما قبل أن يغرغر لحديث (أن الله يقبل توبه العبد م

الم يغرغر)

وسمي قريب لانك لاتدري متي يحل الموت فالمراد بهذا أن تأخذ حذرك فهو يأتي بغته ويبهز من لم يستعد له فهذا وان أمن وأعلن التوبه فلا تقبل منه

يقول لك احذر من الاغترار بالدنيا فهي تخبرك عن حالها بأن فناءها قريب

لتكون التوبه صادقه صادره من النفس بإخلاص وارده التغيير وتنشي التوبه حياه جديده للتائب بالصدق فيها و الندم علي ماكان منهم من المعصيه والعزم علي عدم العوده والعمل الصالح والإخلاص فهو لاء يقبل الله توبتهم فقال تعالي (فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)

فأشار الي هولاء باسم الاشاره (اولئك) للبعيد مع أن الحديث عنهم في محل القريب

فأراد الله بهذا أن يبين لنا علو منزلتهم بالتوبه الصادقه لبيان استعادته التائب لمنزلته وكرامته ورفعته

مبيناً أنه سبحانه وتعالى يعلم بالصادق والكاذب لأن النوايا لايعلمها الا الله فهو سبحانه وتعالى يعلم من يستحقها فيوفقه الي التوبه

المساله الثانيه

يقول الله أن التوبه مقرونه بالاختيار المعبر عن الارده الي ما قبل الموت لأنها تنشأ حياه جديده

لكن التوبه الاضطراريه ليست مقبوله وهي التي يلجأ إليها الشخص عندما يدهمه الموت ويغلبه علي امره ويبهزه فهذه ليست توبه (وليست التوبه)

لأنها لاتنشي صلاحاً في القلب ولا في الحياه لكنها توبه المضطر المنبهر عند مشاهدته الموت واقباله بعد سلكت بهم الدنيا طريق العمي وحيرتها وغرقوا بما فيها واتخذوها ربا حتي شاهدوا الموت أمامهم حينها لن تقبل منهم توبه فحالهم مثل حال فرعون عندما أدركه الموت بالغرق فقرب الموت لايمنع من قبول التوبه بل المانع من قبولها مشاهده الموت الذي لايمكن معه الرجوع الي الدنيا بحال من الأحوال ولذلك لم تقبل توبه فرعون فقال تعالي (حتي إذا أدركه الغرق قال امنت أنه لا اله الا الذي امنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين)

وقال تعالي (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رؤا باسنا)

وكذلك فإن الكفار الذين يموتون علي الكفر فإنه لاينفعهم التوبه حينما يشاهدون احوال يوم القيامه فيقول رب ارجعني وسوف اتوب فلا توجد فرصه فقال تعالي (ولا الذين يموتون وهم كفار)

وهنا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يجمع الفسقه العصاه مع الكفره في العقاب وفي عدم قبول التوبه فعطف عدم قبول التوبه من الكفار علي العصاه بان الفسقه مع الكفار لاتوبه لهم فالتوبه عند مشاهده الموت لايعتد بها وهي مثل توبه الكفار عند مشاهده العذاب يوم القيامه

فتلك التسويه لبيان اهميه المسارعه والمبادرة الي التوبه وطلب المغفره والتوبه والابتعاد عن التسوييف فأنت لا تعلم متي يحل الموت

الموضوع الثاني

ابتدأت الآيات في هذا القسم بالنداء للمومنين (ياايها الذين آمنوا لا يحل لكم إن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشه مبينه وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسي أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم أحدهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضي بعضكم الي بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولاتنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف أنه كان فاحشه ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخوتكم من الرضاعة وأمهات نساءكم وربئبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابناءكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين إلا ما سلف أن الله كان عفورا رحيفا والمحصنات من النساء إلا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم... الخ

ابتدأت الايه بالنداء للمومنين من الله تعالى (ياايها الذين آمنوا... ويلاحظ أنه ذكر بعد النداء عده أمور تهدف إلي معالجه قضايا متعلقه بالمواضيع الانسانيه واحترام حقوق المراه وبناء الاسره وحمايه الضعفاء والانتصار لهم ونصره المظلوم من الظالم وبالنظر الي الأمر الأول التي تتحدث عنها النصوص نجد أنها تناقش قضيه بناء الاسر ويذكر هم الحق بحقوق المراه والتعامل معها بأخلاق القران مع أن النصوص قبلها كما قلنا تناولت الدعوه للانسانيه والحريه والعداله الاجتماعيه والتكافل والتعاون احترام حقوق المراه في إطار الدعوه الي القضاء علي الظلم والا ضطهاد والفساد والتخلف فذكر حقوق المراه والمهر والصدق والارث ولهذا لابد أن القارئ يتساءل ما الداعي لتوجيه الخطاب للمومنين (ياايها الذين آمنوا) طالما وان الخطاب السابق اريد به المومنين خاصه وان الذي يفهم من النصوص بعد النداء مباشره أن القضيه الانسانيه الاولي التي يريد الحق معالجتها هو قضيه حريه المراه وحقوقها وهو ما طرحته النصوص في الايات قبلها فما الذي استدعى التوجيه بالخطاب الإلهي للمخاطبين بصفه ا لايمان اذا كان المخاطبين سابقا بالخطاب (ياايها الناس) هم نفس المخاطبين (المومنين) وبالوقوف علي النصوص نجد الجواب علي هذا التساؤل كما يتضح من خلال الآتي

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يعلم بأحوال المخاطبين والبيئة التي نشئ فيها المومنون فقد مثلت الأهداف التي سجلتها الآيات القرآنية السابقه من بدايه النداء ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده... الخ الي قوله تعالى (إنما التوبه علي الله.. الي قوله (اولئك اعتدنا لهم عذاب اليماء)

عاصفه هبت علي اراده المسلمين والبيئة التي كونت تصورات خاطئه في أذهانهم وثقافتهم ونفوسهم فقد حملت شريعته الاسلام اغراض وأهداف شكلت عاصفه حملت العربي علي ترك العصبية والعنصريه والطبقية والسلايه التي طالما نشأ فيها منذو طفولته حملته علي احترام حقوق الإنسان وكرامته وحريته ايان كان جنسه ولونه وعرقه واحترام حقوق المراه وكرامتها حملته علي السعي لاقامه العدل والانصاف والمساواة في الحقوق و الواجبات بين الناس بحسب طبيعة كلا منهما وحمايه حقوق الضعفاء والإحسان إليهم في إطار تلك لأهداف التي تهدف إلي القضاء علي الظلم والاضطهاد والفساد والتخلف ولابد أنه في مثل هذه الأحوال يحتاج الي أن يستقر ويهدأ من هذه العاصفه

ولهذا تأتي النصوص بالنداء (ياايها الذين آمنوا)

للاجراء علي الاستمرار في الحركه مراعاه لاحوالهم فالنداء بالصفه التي تربطهم ب الله (الايمان) فهذا التودد في النداء يزودهم بالطاقه والنشاط الذي يزيل ثقل التكالييف التي حملتها النصوص السابقه خاصه أنه ورد في مقام التوبه والندم علي الذنب والحث علي العوده الي الله الصادقه

ف الله يقول لهم أن حركة التغيير الايمانيه وثورتها لا تتوقف الا اذا تحققت أهدافها ولهذا فإن النداء يعني أن هناك أهدافا لم تتحقق بعد أو هنالك فسادا جديدا طرأ على أحوالهم يستدعي الاهتمام بينهم فما زال هنالك ظلما وفساد وتخلف يتطلب إزالته أو ظلما وانحرفا جديدا طرأ على مسار الحركة يتطلب من المومنين التدخل للقضاء عليه وتنظيف كيان الجماعه المومنه وتدراكه قبل أن يهدم معول النقص الكمال الايماني حيث ورد عن ابن عباس قوله إن ماتضمنته النداء فيها أمران الأول متعلق بعبادات الجاهليه والثاني العزل مشكله طرأت في المجتمع الإس لامى فجاء الأمر (بأيها الذين آمنوا لا يحل لكم إن تراثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشه مبينه... الخ

جاء فيه نفي الحل وهو يعني التحريم فأراد اشعار المسلمين أن أخذهم النساء عن طريق الإرث وهن كارهات أمر محرم وهذا لايعني أن اخذهن عن طريق الإرث برضاهن أمر حلال فالمسألة يراد منها بيان الواقع الجاهلي وآثار هذا الفكر في حياه الناس حيث كانوا يحتقرون المراه وينظرون إليها أنها من قبيل المتاع مثلها مثل الأموال و المتاع الذي يرثها الورثه بعد موت المورث حيث ذكر أن المراه كانت إذا توفي زوجها يأتي أحد أقاربه ويرمي عليها ثوبه ويقول لقد ورثتها وعندها له أن يتزوجها أو يعضلها بمعني يحبسها ويمنعها من الزواج حتي تفتدي نفسها .. فأراد بهذا بيان أن هذا الفعل محرم فلا يجوز فالمرآه لها حريتها في اختيار زوجها وليس المراد أن يكون اباحه أن يرثها أن هي رضيت لأن العلاقه الزوجيه إنما تكون بعقد شرعي صحيح

الامر الثاني

إن هذا النداء يدل أن هنالك خطأ في التطبيق من قبل البعض فكان لابد من لفت انتباه المخاطبين الي اهميه تصحيح المسار حيث أن النداء السابق (بأيها الناس) كان فيه تحدد الأهداف (القضاء علي الظلم والاضطهاد و الفساد والتخلف) اقامه العدل والانصاف والمساواة والحرية والعدالة الاجتماعيه ورعايه حقوق النوع الإنساني وبناء الاسره وهنا تأتي النصوص مبينه التفاصيل

فيقول لك الله أن رساله الاسلام إنسانية بالدرجه الاولي فهذه هي الأهداف التي يجب عليك أن تحملها و أن الأمر لا يتوقف علي مجرد صياغه الأهداف بل لابد أن يتسع ليستوعب صياغه الطريق الذي يودي الي تحقيق الأهداف فوضعك في تجارب واقعيه يقول لك أن عليك ازاله اثار وركام الفكر الجاهلي ومن ذلك أن أهل الجاهليه كانوا إذا توفي الرجل اعتبروا المراه جزء من تركه المورث فيرمي أحدهم ثيابه عليها ويقول لقد ورثتها فإن شاء تزوجها أو حبسها ومنعها من التزوج حتي تفتدي نفسها أو تسلم له ما ورثته من بعد زوجها المتوفي أو تعيد المهر الذي حصلت عليه من أباه والد أو قريب المتوفي وكذلك كان هذا الفعل سلوك بعض الأزواج فقال تعالي (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن) والعزل هو الحبس والمنع والتضييق ويطلق على الداء العزل ويطلق على عجز المرآة عن الولاده لأن ذلك يكون بانقباض العضلات وانبساطها فيكون للجوء إلي العمليات القيصرية

مبيننا العله وهي الرغبه في استعادة بعض المهر أو كله سواء كان من الأزواج أو ورثه الميت وحيث أن هذه الحاله فسادا طرا علي واقع المجتمع المسلم بالنسبة للأزواج فهم كانوا إذا لم تكن لهم رغبه في الزوجه ضيق عليها الخناق حتي تصبح مضطره لإعادة المهر فالاولي من الجاهليه والثانيه خطر جديد طرأ علي المجتمع المسلم فكان لابد من اقتلاع جذور هذا الظلم الجديد الناتج عن اساءه استخدام سلطه الحبس الممنوحة للرجل فجاءت النصوص مبينه الطريق الذي يحقق الأهداف يقول الله لنا انتبهوا من الظلم الذي طرأ علي الواقع باسم الإسلام وذلك لأن البعض أساء استخدام سلطه الحبس الورده في الايه السابقه فالبعض اتخذها عذرا لظلم المراه ولهذا جاءت النصوص تحدد الضوابط والضمانات التي تحفظ حق المراه فقال تعالي (إلا أن يأتين بفاحشه مبينه)

الاستثناء من أعم الأحوال أو اعم الأوقات أو اعم العلل اي فلا يحل لكم إن تعضلوهن في أي حال من الأحوال ولا في اي وقت من الأوقات ولا عله من العلل الا في حال اتيايهن بفاحشه مبينه اي سبب من جهتهن لا من جهتكم

واشترط أن يكون الفحش ظاهراً فاضحاً لصاحبها لمنع ظلم المراه بالخطأ أو الهفوه الصغيره ولا لمجرد الظن أو غيره الزائده لأتفه الأسباب فجاء القيد بهذا الوصف لمنع اساءه استخدام سلطه الحبس

حيث أن الفحش أما يكون باللسان بأن تكون سليطه اللسان بالكلام البذي أو سوء المعاشره بأن تمنع نفسها عنها قاصده أن تضيق عليه حتي تدفعه الي الطلاق لغرض الكسب الغير مشروع وقيل إن المراد به الزنا

الأمر الثالث

يقول الله للمومنين أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد من العدل والانصاف بل عليك السعي بالاحسان الذي فيه زياده علي اقامه العدل والانصاف بأن تقدم التنازلات ابتغاء مرضاه الله ليكون التعامل بأخلاق المومنين حتي تصبح ذلك سلوكاً عاماً يلتزم به الحكام والمحكومين في حياتهم بمعرفه حقوق الآخرين ولايكتفي علي القضاء علي الظلم والاضطهاد والفساد والتخلف بل عليكم التعامل بأخلاق المومنين بالاحسان فإذا كان العدل المعامله به المثل فانتم ملزمون بالاحسان لزوجاتكم ليس الإنصاف فقط ولهذا نجد أنه بعد ذكر الضمانات يدعوا المومنين الي عدم التعجل بالطلاق فقال تعالي (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)

يقول الله لك اذا كرهت صحبتها فعليك أن امسك زوجتك وان تصنع لها مثلما تحب أن تصنع لك

فالوصيه من الله للزوج أن يتعامل مع المراه بالاحسان

بالود والاحترام وهنا يضعك الحق أمام حالتين

الاولي أن تكون انت كارها لها ولاتطبيقها ولاتحبها والثانيه أن تكون هذه الزوجه سيئه العشره فيأمرك ان تتعامل معها بالمعاشره الطيبه

يقول لك الله في كل حال عليك أن تحمي كيان الاسره من التمزق فلا تسمح بما يودي الي خراب البيوت أو الا نهيار فقال تعالي (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)

عليك عدم المبادرة الي الطلاق وانما يلزمك المحاوله لإصلاح الخلل فالإسلام يحرص علي بناء الاسره

فلا يكون الطلاق لمجرد كراهيه الزوجه

فالنفس احياناً تميل الي اشياء وأمور يكون منها الشر واحياناً تكره اشياء ويتضح بعدها ان تلك الأشياء فيها الخير الكثير والتجارب في الحياه كثيره حيث أن الله يجعل من الأسباب ما تولد المحبه مثل انجاب الولد أو غيرها من الأمور التي تولد الحب والود بين الزوجين

فأمر الله المومنين بالصبر علي الزوجه وتحمل مايكره منها وليس معني الصبر أن الرجل يري امرته في مواقع الرذيله كان تظهر عورتها علي الأجانب فذلك ليس صبراً بل ديوته فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيره سعد فوالله إني اغير منه والله اغير مني ومن أجل غيره الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (

الأمر الرابع

يقول لك الله إذا وصلت الأمور الي طريق مسدود وصار استحاله احتمال بعضكم البعض وأنه يستحيل استمرار الع لاقه الزوجيه بينكم فإن هذا يوجب عليكم التعامل بأخلاق الايمان

يقول لك الله أن الانتماء الي جماعه الايمان ليس فيه تصاريح مرور الي الظلم والاضطهاد أو إلغاء سياده الشرع و

القانون

يقول لك الله انتبه من ذلك التصور الفاسد انتبه من العصبية الذكورية فإذا كان الله قد منحك سلطه العصمه بأن جعل الطلاق بيدك فإن هذا لا يمنحك الحق باضطهاد المراه فقال تعالي (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج

اي إذا أردت أن تتزوج امراه ترغب بها بدل امراه تنفر منها واردة أن تطلق الاولي فاللازم عليك أن تلتزم بأخلاق أهل الإيمان فقال تعالي (واتيتم احدهن قنطار فلا تأخذوا منه شيئاً)

فإذا كنتم قد اعطيتم هذه المراه التي ترغبون أن تطلقوها (قنطاراً) اي مال كثيراً لأن القنطار يستعمل للكثرة فدل هذا انه يجوز رفع المهور وقد ذكر أن عمر بن الخطاب أراد تحديد المهور فقالت له امراه كيف يكون لك ذلك والله قد قال (واتيتم احدهن قنطار)

فجاء الأمر بعد اخذ اي شي من المهر هنا (شيئاً) نكره في سياق النهي يعني النهي عن الأخذ القليل ولا الكثير هذا اذا كان سوء العشيره عائداً للزوج وليس بسبب المراه

الأمر الخامس

تاتي النصوص بأسلوب الاستفهام بمعنى التوبيخ (اتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً)

فأراد بهذا التوبيخ دعوه المومنين الي الإنتباه لخطوره الموقف يقول لهم أن حركه التغيير المناط بها تغيير العالم أجمع تتطلب وجود التنظيم الايماني الذي يكون اداه التغيير فهو يتوسط بين النظريات (الأحكام الشرعية) وبين الأهداف وتحقيقها علي أرض الواقع فانتهم باعتباركم التنظيم المعبر عن الجماعه المومنه المكلفه بقياده العالم وانتم من اختاركم الله لحمل رايه الهدايه والقضاء علي الظلم والاضطهاد والفساد والتخلف فيجب أن تعبروا عن أنفسكم بصفتم مومنين تحملون منهج الايمان وان اتباع الشريعه أحقه والتأثر بما فيها إنما يكون بحسن استخدام ملكات العدل والإحسان والرحمه

وبالتالي فإن اخذكم المهر والصداق منهن مع أن السبب عائد اليكم فانتهم لاترغبون بهن... أمر يدل علي مخالفتكم للعدل والانصاف في التعامل..ويدل علي انحراف مسار الحركه لديكم بالاتجاه الي الفكر الجاهلي حيث كان البعض اذا تزوج امراه وكرهها فإنه يلجأ إلي الافتراء عليها لأجل أن يحصل الافتداء منها بما أعطاها من المهر وهو في الحقيقه يريد الانصراف الي تزوج غيرها فجاء التعبير عن اخذه ذلك بالبهتان الذي هو الكذب والظلم والافتراء وهو داء وافه طرات علي الناس لأجل استعادة المال فيدعي أن زوجته أتت بفاحشه والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه يقول لنا الله أن الامر يحتاج التدخل لإنقاذ الموقف لتصحيح المسار الذي ينقلكم من الفكر الجاهلي الي الايمان وهذا السلوك ليس من سلوك الايمان لأن الباعث النفسي لذلك الفعل هو حب المال و الرغبه في التزوج باخري

ولهذا يصفه الله بأنه (واثماً مبيناً) أنه مروق وخروج عن أخلاق الإسلام أنه ابتعاد عن الاستقامه التي توجب اتباع كتاب الله والاستقامه علي منهاج امره وعلي الطريقه الصالحه في عبادته

يقول لنا أن اللازم عليكم اظهار الصورة المعبره عن حقيقه الإيمان والأهداف التي امركم الله بحملها

ولهذا جاء التوبيخ اتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً)

فوصف أخذ المال بأنه حرام واضح لان أخذه طعن بذات الزوجه ظلماً وأخذ لمالها علي وجه الظلم ومن جهه أن ذلك معصيه واضحه فهو عدوان وتبرير لهذا العدوان بالزيف والخداع والخيانه وهذه الأفعال تنقل صوره قبيحه عنكم ومخالفه للأهداف التي امركم الله بحملها

يقول انتبهوا من الطرق المفسده للأخلاق لان هذه الطرق تكون بمثابة معول نقص يحطم الكمال فالصادق اذا كذب انكسر صدقه وهذا أمر خطير لانه يوجد في الصفوف كودار غير قادره علي استشفاف مسار التطور وتكون عاجزه علي ضبط هذا المسار في اتجاه صالح التغيير الايماني

يقول لنا أن الأمر يحتاج منا التدخل واعاده النظر والتوبه من تلك الأفعال فالاضطهاد محرم باي شكل كان ف السلطه تمنح لاقامه العدل والانصاف فيقول الله أن القوامه الممنوحة للرجل وسلطته علي أسرته هو تدريب وتهئيه المناخ للتطور في الحياه فالتغيير يبدأ من الفرد ثم الاسره ثم تتسع دائرته وأن هنالك امراض يجب الإنتباه لها والتخلص منها بالتربيه وتقويه المناعه والاحساس برقا به الله والاحساس بالمسؤولية وان عليك أن تنقل صورته ناصعه معبره عن أهداف الايمان التي كلف بحملها المومنون فجاء التوبيخ الثاني بالاستفهام الذي فيه التعجب والإ نكار (وكيف تاخذونه وقد افضي بعضكم الي بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا)

يقول الله أن العلاقه الزوجيه تهدف إلي بناء الاسره التي تساهم بواسطتها في القيام بواجب الخلافه بالانتظام في إطار تنظيم الجماعه المومنه التي يهدف من إعدادها أن تكون رد قاطع علي الواقع الفاسد ولأجل أن يحكم نظام الله الارض كلها ومن أجل أن يتم القضاء علي الظلم والفساد والتخلف وينشر العدل والانصاف والمساواة و الحريه والكرامة الإنسانية في الأرض كلها

فيقول المولي كيف تسمحون لأنفسكم في بعض الظروف بانتقال الفساد الي اجهزه جماعه الايمان وبينائها ونظامها والتي الاسره جزء من تلك المنظومه كيف تصبحون جزء من الواقع الفاسد

يقول الحق منكرا ماكان من البعض منهم فيقول كيف يعقل هذا منكم أن تأخذوا المهر بالخداع والأكاذيب وانتم تحملون منهج الايمان الذي فيه العدل

أن التأثير الحقيقي المعبر عن الإلتباع الحق للشريعه هو الذي يحدث التحول نتيجه معرفه حق الله وحق بني الجنس وحق الآخرين وهذا من خلال حسن استخدام الملكات العدل والإحسان والرحمه

فيقول الله كيف تدعون الي الانسانيه التي تقوم علي اساس العدل والانصاف في التعامل الحسنه مقابل الحسنه و الإحسان مقابله السيئه بالحسنه والتعامل معهم بشعور أنهم اقارب لك

وانتم لاترعون اعلي مراتب الانسانيه وصله القرابه القريبه فهؤلاء زوجتكم وعلاقتكم بهن قد وصلت إلي التغل في الصميم فدخل بعضكم ببعض فصرتم كأنكم شي واحد فقال تعالي (وقد افضي بعضكم الي بعض)

فالافضاء بمعني الوصول إلي الشي والتغل بداخله وبحيث يصير جزء منه فانتم قد دخلتم فيه من اوسع مداخله حيث صار حالكم كأنكم جزء من بعضكم فحصل الود والاحترام والمحبه واجتماعهم في لحاف واحد ف الله يقول (وخلقنا منها زوجها) فإن تلك العلاقه مربوطه بالميثاق الإلهي الذي يولد فيهم من لحظه العقد المحبه و الود (لتسكنوا إليها... الي قوله (موده ورحمه) فكيف تكون منك الخيانه حيث إنها من اقوي ماتعتمد عليها المراه علي فراق الاهل ابوها وامها واخوانها وتتصل برجل غريب تشاركه همومه وأحزانه في السراء والضراء وذلك كله بسبب الموده والرحمه التي يغرسها الله في النفوس من لحظه عقد الزواج تبدأ بالشعور بالحب من تلك اللحظه ولهذا أسماه الله ميثاق غليظ ونسبه للزوجه لبيان اهميه الرابطة والوفاء بحقوقهن بأن يكون التسريح بإحسان

الأمر الخامس

تاتي النصوص بالنهي عن التزوج بما تزوج الآباء من نساء ويتبعها بذكر المحرمات من النساء وهذا فيه الحث علي ترك المهجيه والانتقال الي منزله الإنسان في قضاء الشهوه التي تكون كمال الحب وكمال الحب العفه فهي التي تميزك عن الحيوان فبقاء النوع الإنساني يكون بالنكاح الصحيح

فابتدات النصوص بتحريم التزوج بزوجات الاب

فقال تعالي (ولاتنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف أنه كان فاحشه ومقتا وساء سبيلا)

فالإسلام ينظم الاسره ويقيم بناءها علي معايير الكرامه والإنسانية وكمال فضيله قوي الشهوه الجنسيه التي تقوم علي اساس العفه ولهذا فإن النهي اي التحريم هنا فيه النهي عن فعل ما كان يفعله الآباء من النكاح الفاسد الذي لاضوابط له حيث كان الابن يتزوج زوجه والده والتي هي بمنزله الام بالنسبه لابن زوجها ومن جهة ثانيه فإن الفطره أن الإنسان يكره زوج زوجته السابق ولهذا فإن هذا يحدث بغضا من الابن لأبيه بدل أن يكون الثروه التي يحتاجها أباه بعد موته فهو ينقطع الا من ثلاث ومنها ولد صالح يدعو له

اضافه الي أن هذا الفعل حيواني يهبط بالرجل والمرآه معا وفيه اهانه لهما فكان النهي مشفوعا بالتشنيع من ثلاث جهات القبح العقلي والشرعي والعادات

فذكر الفحش العقلي (أنه كان فاحشه)

فنكاح الأمهات حرام ولايقبله العقل وهي بمنزله الام

وذكر القبح الشرعي (ومقتا) يوجب الغضب الإلهي وفيه غايه الخزي والخساره

والقبح بالعادات لانه طريق قبيح يودي الي مقت الله (وساء سبيلا)

واجتماع كل هذه الاوصاف القبيحه يعني أن القبح قد بلغ غايه وقمه القبح الأمر الذي يجب تنظيف المجتمع المسلم من هذه القذرات واستثناء من ذلك (إلا ما قد سلف)

فما قد حصل بالماضي فلا يسري عليه هذا التشريع فهو لايسري بأثر رجعي لأن الإسلام يريد أن يحافظ علي البيوت وحمائتها من الخراب فما قد حصل قبل هذا من علاقات زوجيه فليس عليهم حرج

ثانيا

تمضي سياق النصوص مبينه سائر انواع المحرمات من النساء في إطار تنظيم الاسره والمجتمع المسلم بما يحقق بقاء النوع الإنساني نظيفا وطاهرا فقال تعالي (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخ وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخوتكم من الرضاعه وأمهات نساءكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبناءكم الذين من اصلا بكم وان تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف أن الله كان غفورا رحيفا والمحصنات من النساء إلا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم

أن النصوص تبين المحرمات التي يمنع التزوج بهن أما مؤبد أو بشكل مؤقت فالإسلام الغي قيود الطبقه و العنصريه واللون والعرق التي شكلت قيودا مانعه من التزوج كما هو الحال في بعض البلدان الإسلامية التي تمنع أن تتزوج الفتاه من شاب يحمل جنسيه غير جنسيه الفتاه برغم أنه مسلم فهذه من عادات الجاهليه التي الغاها الا سلام وحدد المحرمات

المحرمات بالقرابه

القاعده الاولي

تحريم الاصول مهما علوا فقال تعالى (حرمت عليكم امهاتكم)
اي الام والجده من جهه امه ومن جهه أبيه أو جده امك او جده ابيك
القاعده الثانيه

تحريم الفروع مهمها نزلوا (وبناتكم)

وبهذا يحرم عليك بنت البنت او بنت الابن وفروعك مهمها نزلوا
القاعده الثالثه

فروع أبويه مهما نزلوا فيحرم التزوج باخوته وبنات إخوته وبنات أخيه مهمها نزلوا
القاعده الرابعه

تحريم التزوج بالفروع المباشرة لاجداده من جهه أبيه وأمه فحرم زوج العمه اخت الاب والخاله اخت الام
أو عمه ابيك أو عمه امك او خاله ابيك او خاله امك
ويحل التزوج بالفروع الغير مباشره لاجدادك
المحرمات بالرضاعه لانه يحرم فيها مايحرم بالنسب والمصاهره
الام من الرضاعه مهمها علون(وامهاتكم اللاتي ارضعنكم)

٢

الاخت من الرضاعه وبناتها (واخوتكم من الرضاعه)

وبالتالي العمه والخاله من الرضاعه وام الزوجه من الرضاعه وبنت الزوجه من الرضاعه وزوجه الاب من الرضاع أو
الجد وزوجه الابن من الرضاع والجمع بين المراه واختها من الرضاعه أو عمتها أو خالتها من الرضاع

*

المحرمات بالمصاهره

١

ام الزوجه وجدتها من جهه امها أو من جهه ابيها مهما علوا (وأمهات نساءكم)

٢

فروع الزوجه اي بنتها وبنت ابنها او بنت بنتها مهمها نزلوا ولايسري هذا علي الزوجه التي لم تدخل بها

٣زوجات الاب (ولاتنكحوا ما نكح اباؤكم)

وزوجات الأبناء مهما نزلوا (وحلائل أبناءكم الذين من اصلا بكم)

والايه تدل علي التدرج في ابطال عاده الجاهليه التبني وهو مايفهم منه أن الايه نزلت قبل أن تنزل احكام ابطال التبني الورده في سوره الاحزاب حيث أن الايه هنا ورد فيها ابطال عاده الجاهليه بتحريم تزوج الابن بالتبني وهي مقدمه لابطال التبني ولذلك تحدده بابن الصلب

وهي احكام علي سبيل التأييد اي التحريم ثم تأتي النصوص مبينه أن هنالك تحريم مؤقت وهو من حالتين

التزوج باخت الزوجه مادامت الزوجه في عصمه الرجل

وكذلك التزوج بالمراه المزوجه فهذا تحريم مؤقت

وبين المولي سبحانه وتعالى أن أصل التحريم والتحليل يعود إلي الله (كتاب الله عليكم)

فالتشريعات كلها سلطه اختص الله به نفسه فيجب عليكم انشا الاسره والمجتمع والدوله وكل شي وفق منهاج الله وعدم الخروج عن أوامره ونواهيه

المقطع الثالث

تأتي النصوص معطوفه علي ما قبلها (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا باموالكم محصنين غير مسفحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضه ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة أن الله كان عليهما حكيمًا

حيث نجد أن آيات هذا المقطع متممه لما قبلها فهي تضع لنا قواعد تنظيم شؤون الاسره الأحوال الشخصية و الثوابت التي يقام عليها أسس بناء الاسره

بما يضمن حمايه الاسره والمجتمع المسلم من الانزلاق في الفاحشة والتفكك فجاءت النصوص بأحكام وقوانين تصون الاسره من الآفات والأمراض من خلال تحديد النساء المحرمات وشرعت احكام تضمن صلابه وقوه الروابط العائلية وترابط ذلك بالاحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في إطار تنظيم العلاقات الماليه وقوانين تضمن الحقوق والواجبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أثناء بناء الاسره اللبنة الاولى في بناء المجتمع الإنساني

حيث نجد أن الايه ابتدأت

(والمحصنات من النساء)

يخبرنا المولي ان من اخلاق الخير التي أمر الاسلام هو تحديد الزواج المباح وماهو الزواج المحرم حيث حرم المحارم اي المحرمات من النسب والرضاعه والمصاهره والجمع بين الاختين ومن ذلك أيضا المراه المحصنه بحصن الزواج فلا يجوز تزوج امراه متزوجه فهي قد خصصت لرجل بعينه فصار الزواج حصنا مانعا من التزواج بها يقول لك أن ماجاء به القرآن قوه انسانيه فيها اسعاد البشريه وهي تتفق مع الفطره وترتقي بالإنسان لأنها تضمن طهاره الاسره والحفاظ عليها من الدنس واختلاط الانساب

فالمولي يلفت انتباه المخاطبين الي مساله في غايه الاهميه في إنشاء اللبنة الاولى من المجتمع الإنساني العالمي وهي الاسره بأنه يجب الحرص علي طهاره الاسره (الزوج والزوجة) من الدنس والانحراف بالمسار عن الاتجاه الصحيح الموصل الي الغايه والهدف من الوجود الإنساني وهو. عباده الله والقيام بواجب الخلافه ولأجله خلق الله المراه (حواء) وخلق في الإنسان قوه الشهوه فخلق حواء مرتبط بتلك الغايه والهدف فهي خلقت لحاجه بقاء النوع الإنساني الذي يكون التقاء الأجساد فيه راحه الجنسيين الرجل والمرأة فكانت أسس ذلك الود والمحبة فهي سكن للرجل وهو سكن لها والهدف من ذلك مشاركته ادم في المهمه في تكوين الاسره وانجاب الذريه الصالحه وإعدادها لتقوم بدورها في الخلافه علي الأرض بعدهما فقال تعالي (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ف الله يقول أنه جعل لذلك قواعد وقوانين تضمن تحقيق الهدف الذي فيه كمال بقاء النوع الإنساني من خلال العلاقات الزوجيه التي فيها العفاف اي الطهاره من دنس الزنا ومن النزوات والشهوات والملذات الحيوانيه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (والمحصنات من النساء)

يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه احترام الحصن المانع من التفكير في طلب المراه المتزوجه من رجل آخر للزواج فيقول المولي سبحانه وتعالى أن المراه المتزوجه بزواج لايجوز أن يتم أن تتزوج ولايمكن طلبها للزواج فهذا الحصن مانعا من إنشاء علاقه زوجيه جديده فالمراه لاتتزوج الا رجل واحد فقط فهي خصصت لرجل بعينه فصار الزواج حصنا مانعا من التزواج بها والاحصان المنع

ولما كانت البئيه الجاهليه قد انحرفت وكان منها الهبوط في التشريعات التي صاغتها واجازت زواج الأمهات والأخوات والنساء المتزوجات وهذا انحراف فكري فذكر المولي المحرمات من النساء التي لايجوز التزوج بهن واخبرنا أن ذلك فيه قبح وشناعه عقلي وشرعي وعادات (أنه كان فاحشه ومقتا وساء سبيلا)

وهنا عطف عليهن بقوله (والمحصنات من النساء)

والاحصان هو المنع

فالمولي يلفت انتباه المخاطبين الي مساله في غايه الاهميه الي وجوب احترام عقد الزواج فجاء النص فيه التعظيم لعقد الزواج بذكر التحريم بالتزوج بالمراه المتزوجه في مقام تحريم أن يتزوج الرجل امه أو أخته أو ابنته... الخ فاستعمل لفظ الاحصان الذي يعني المانع من التزوج بها وهذا العطف بذكر الحكم يبين عله الاحصان المانع لهذه العلاقه بأن الحق يريد أن يبني الاسره علي قاعدتها الفطريه وهو الزواج الشرعي الصحيح الذي يكون فيه انشاء البيت والاسره المسلمه وفقا للفطره التي خلق الله تعالى الناس عليها فإذا كانت الفطره لا تقبل أن يتزوج الرجل امه أو أخته أو ابنته.. فكذلك لا تقبل الفطره السليمه أن يتزوج الرجل بالمراه المتزوجه من رجل آخر فعقد الزواج يحصن المراه وينشأ حولها مانعا يمنع اي شخص أن يفكر حتي مجرد تفكير أن يتزوجها طالما أنها متزوجه

فأراد المولي سبحانه وتعالى بهذا التعظيم لحرمة عقد الزواج ليس الاقتصار علي صياغه قاعده قانونية تحرم التزواج بالمتزوجه فقط بل أراد ان يظهر النفوس من افات الخواطر التي تخطر في بال الشخص كان يشاهد امراه متزوجه فيري حسننها وجمالها فيعجب بها حيث أن قوه الشهوه الحب اذا لم تضبط قد تسبب فإنها تصبح افه ومعول نقص تحطم كمال الشهوه العفاف وتحول الإنسان الي حيوان يشكل خطراً علي المجتمع فكثيرا من الجرائم المرتكبة في المجتمعات اذا بحثنا البواعث والدوافع نجد أنها تعود إلي انحراف فكري ناتج عن فساد قوه الحب الذي ينشأ بين رجل وامرأة متزوجه

ولهذا جاء الإسلام بقواعد قانونية تحرم المقدمات التي توصل الي الحرام فالله يعلم مافي النفوس من مشاعر فيقول لك اذا شاهدت امراه واعجبتك فعليك قبل أن تسمح لهذه المشاعر من أن تزداد أن تسأل هل هي متزوجه ام لا فإذا قيل لك أنها متزوجه فإن هذه الاجابه توجب عليك قطع الخواطر والأفكار فالمراه المتزوجه محصنه من هذه الأفكار لأنها خصصت لرجل بعينه فلا يجوز لك بحال من الأحوال أن تسمح لهذه الأفكار القبيحه أن تسلل الي عقلك ولا تسمح لهكذا مشاعر أن تغزو قلبك فجاء التعظيم لعقد الزواج وأنه حصن يجب احترامه وتعظيم جريمه الخواطر والأفكار التي ترد الي الذهن بان من يفكر بها عاطفيا مثله مثل الذي يفكر بأن يتزوج امه أو أخته أو ابنته فكان هذا التعظيم قاطع لاطماع النفس التي قد تدفع صاحبها احيانا الي ارتكاب الجرائم مثل إجبار الزوج علي تطليق زوجته كي يتزوجها ولهذا يقول لنا الله أن هذا حصن لحفظ الاسره والمجتمع المسلم فذكر الاستئنا بعدها (الا ما ملكت ايماكم)

أن سبايا الحروب مع الكفار فيكون جواز التزوج بهن لأن انتقلن الي ديار الإسلام يعني انقطاع العلاقه بينهن وبين أزواجهن في ديار الكفر وهذا كان معامله بالمثل مع اهل الكفار أما تعاملك مع اخوانك المسلمين فلا يجوز أن تفكر مجرد التفكير في أن تتمني ان تحل محله في زوجته كان تتمني ان يموت وتتزوج زوجته فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في نفس هذه السوره (ولاتتمنوا ما فضل الله بعضكم علي بعض)

وهنا يقول لنا أن هذا الحصن عظيم يوجب عليك ايه المسلم احترامه فعلاقه المومنون تقوم علي الاخوه وهذا الحصن فيه حفظ المجتمع المسلم وصيانه الاسره وهو يتفق مع الفطره ويميز الإنسان عن الحيوانات

وبه يكون تحقق هدف وغايه الوجود الإنساني علي الارض ويصون كمال قوه الشهوه وهي العفه

فهذا الاحصان الذي أحاط بالمراه المتزوجه يعني صيانه المراه من الوقوع في الحرام ويحصنها كما يحصن الرجال علي السوء من الفجور ومقدماته والتي تكون من مقدماته الاعجاب والحب فالمولي قد ذكر في سوره البقره النهي عن مخاطبه المتوفي زوجها أثناء فترة العده بما يخدش الحياء وذكر أنه يعلم أنهم سوف يذكرهن

في قلوبهم... وحذرهم من العزم علي ذلك حتي تنتهي العده وهي متوفي زوجها وأصبحت في حل من أمرها فما بالك بمن هي متزوجه في عصمه رجل حيا يرزق ولهذا فهو خصن فيه العفاف للرجل والمرأه فلا يكون من ايان منهما النظر للآخر بقصد الرغبه الجنسيه اطلاقا فذلك فيه الذل والهون والخسارة في الدنيا والآخرة

فالمولي يقول لك أن الاحصان فيه العفاف للمجتمع المسلم وضمانات نظافه المجتمع المسلم من أمراض وافات انحراف قوه الشهوه

فلاحصان لأجل الحفاظ علي المبادئ والقيم التي تقوم عليها حياه أهل الإيمان ودورهم في إعداد الأجيال القادمة القادره علي حمل المهمه التي تسلم لهم من الآباء للمساهمه في الفاعليه الإيجابية بحمل امانه الخلافه مع الحفاظ علي بقاء النوع الإنساني والحفاظ علي كمال قوه الشهوه بالعفاف الذي يرتقي بالإنسان فيكون الهدف من الاتصال الجنسي ليس مجرد متعه أو نزوه ولا قضاء اللذه وانما انشا الاسره والمجتمع المسلم للمساهمة في حمل امانه الخلافه ولهذا فلاحصان لأجل الحفاظ على المبادئ والقيم التي تضمن نظافه المجتمع وسلامته من الآفات والجرائم التي أن انتشرت فإنها تلوث الحياه وتفسد الأرض والإنسان وتنتج أناس الاخلاق لديهم ولا غايه لهم إلا الشهوات و الأهواء والملذات وإذا حصل ذلك صار الناس وحوشا وحيوانات لاهم لهم إلا الشهوات والملذات لا ينظرون الي ما يترتب علي ذلك من أضرار تلحق بالآخرين يسود المجتمع الانانيه وحب الذات ويكون هدم اول قاعده أسست لإ نشاء الاسره الانسانيه قاعده التناسل التي تحفظ بقاء النوع الذي يميزه عن سائر المخلوقات بأن تقوم علي ضوابط المنهج الرباني الذي يقوم علي عقد شرعي وقانوني

الامر الثاني

تاتي النصوص باستثناء علي حكم تحريم التزوج بالمتزوجه فيه استثناء يبيح التزوج باساري وسبايا الحروب من النساء اللاتي يقعن في الأسراي وان كانت متزوجه فيقول تعالي (الا ما ملكت ايمانكم)

وهنا قد يقول قائل إن الإسلام يبيح الرق وان هذا فيه تعارض مع دعوته لاحترام عقد الزواج...الخ

أن الحاله السابقه تنظم قانون الاسره داخل المجتمع المسلم اي التعامل في إطار الدوله المسلمه وهذه الحاله متعلقه بالتعامل الدولي مع الدول الأخرى التي كان بينها وبين دوله الإسلام حرب وهذه الحاله تخضع للقانون الدولي الذي يقوم علي قاعده المعامله بالمثل حتي يومنا هذا في حاله الحروب ولما كان النظام المعمول به في ذلك الوقت قائما علي الاسترقاق في الحروب والذي ينتج عنه أسر النساء والأطفال واسترقاقهم وهو ماينتج عنه انقطاع العلاقه الزوجيه بين المرأه وزوجها لأنها تنتقل من ديار قومها الي ديار القوم المنتصر ولهذا فإن سبايا الحرب التي تنتقل من ديار الكفر الي ديار الإسلام تنقطع علاقتها بزوجها وبالتالي يصبح العقد في حكم الميت فالإسلام تعامل في أباحه هذه الحاله من الرق وفقا للقانون الدولي الذي ينظم العلاقات في الحروب بأنها تقوم علي قاعده المعامله بالمثل فقد كانت البئيه العربيه التي جاء فيها الإسلام بل النظام العالمي كله في ذلك العصر يعترفون بالرق وكان له أوضاع اقتصاديه قامت عليه حياتهم

ولهذا فإن هذا الاستثناء فيه دعوه لترك الرق فالإسلام يقول إن الحريه اصل وان الرق عارض فرضته ظروف استثنائية وهي الحروب التي تتطلب المعامله بالمثل وايضا لانه كان مرتبطا بالاقتصاد العالمي ويمثل جزء أصيل من رأس مال الأشخاص والدول ولهذا أراد الإسلام إلغاء الرق بالتدريج فكان هدفا طويل المدي في النظام الإسلام مي يحتاج الي اجراءات استثنائية تعتمد علي اتخاذ خطوات تدريجيه فضيق الخناق علي الاسترقاق بتحريم اختطاف النساء والأطفال الذي كان من سلوك أهل الجاهليه واكتفي باباحه الاسترقاق في الحروب معامله بالمثل

فالإسلام قضي علي الرق من حيث الموضوع حقيقه وابقاه شكلا مفرغ من مضمونه

حيث شرع عتق الرقاب لكل من يحلف اليمين وأمر باحترام العبد والجاريه وشجع علي مكاتبه العبد علي الحريه

أن صار قادرا علي كفاله نفسه وجعل كفاره من من يقتل خطأ هو تحرير رقبه وذكر ذلك في عده موضع في القرآن ومن ذلك قوله في هذه السوره

فقال تعالي (ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبه مؤمنه

(

فقد قيل إنه من أجل أنه أخرج نفسا مؤمنه من جمله الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها (مؤمنه) في جمله الاحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كاحيائها من الموت لان الرق بنظر الاسلام يلحق بالاموت فالرق بنظر الاسلام اثار من اثار الجاهليه وسلوك أهل الكفر هو الذي اوجده والكفر موت فكانت الحرية فيها الحياه

فالإسلام ينظر للحرية أنها الأصل في الإنسان وان الرق أمر عارض يجب القضاء عليه

ولهذا فان هذا المبدأ الذي أقامه الله في أذهان الناس وأمر بعدم مؤذاه العبد أو الجاربه وعدم إكراه الجاربه علي البغاء فقال تعالي (ولاتكروها فتياتكم علي البغاء أن اردن تحصنا)

كان فيه دعوه الي احترام إنسانيته وادميته وعدم النظر إليه أنه من جمله الأموال نظرا لأن العبيد كانوا جزء من ا لاقتصاد ولهذا عندما ذهب البعض للقول بأن ثبوت ملك الوقف بمجرد القول قياسا علي الأعتاق جاءت المعارضه من الكثير من العلماء فقالوا إن الوقف لا يكون ملزما الا بالتسليم للعين قياسا علي الهبه والصدقه وقالوا إنه لأوجه للقياس علي الأعتاق لأن الأعتاق فيها عوده الي الاصل الذي هو الحرية أما الوقف فهو وراذ علي الأموال التي أصلها التملك

ولهذا فإن قوله تعالي (الا ماملكت ايمانكم) استثناء من الأصل الذي سبقه (والمحصنات من النساء)

ولم يقل من المومنات وانما أطلق لفظ النساء فأراد بهذا أن الأصل هو الحرية للنساء بغض النظر عن الدين و القوميه والوطن لكن هنالك ظروف استثنائية فرضت أمر واقع علي نظام التعامل في الحروب معاملة بالمثل أوجدت أمر عارض عن هذا الأصل والأمر العارض (الا ما ملكت ايمانكم)

وهو ما يشير إلي الإسلام يريد القضاء علي هذا الأمر العارض ولهذا جاء بقواعد فيها التدرج بالإنسانية لأجل إلغاء الاسترقاق فكان الإسلام هو النظام الذي أسس القاعده المقرره لالغاء الرق وانما كان اباحه ذلك علي اساس المقابله بالمثل وبعد زوال عرف الاسترقاق في الحروب يكون هدف الإسلام قد تحقق في إلغاء الاسترقاق ولهذا فلا يجوز الاسترقاق في الوقت الحالي باي حال من الأحوال ومن القصور في الفهم لأحكام الاسلام ما يحصل من بعض المتطرفين الذين يسيئون الي دور الاسلام الرائد في القضاء على الاسترقاق حيث شاهدنا من يدعي الانتساب الي الاسلام وهم يقومون ببيع البيزيديات في العراق متجاهلين حقيقه سعي الاسلام للقضاء علي الرق وهذا يعود إلي اساءه تنزيل الأحكام الشرعية و اساءه فهم النصوص وهو ما يجب الإنتباه إليه لأن ذلك فيه تشويه صورة الإسلام وإفراغ النصوص عن مضمونها الأمر الثالث

تاتي النصوص بالتعقيب (كتاب الله عليكم)

مبينه الأساس الذي يكون التلقي للأحكام والقوانين والقواعد الشرعيه التي تنظم حياه المجتمع المسلم

بأن هذه التشريعات والمنهج والدستور الذي الزتمت به منزل من الله الذي له سلطان التشريع

فالأمر ليس عرفا ولا عادات والتقاليد اعتاد عليها الناس

فعليك وانت تقرا هذه التوجيهات أن تنظر إليها أنها (كتاب الله عليكم) سماه كتاب ونسبه الي الله وذكر الجار و

المجورور (عليكم)

وهذا يعني أنك تنتقل في امتثال هذا المنهج من مرحلة النظر إليها أنها عادت وأعراف الي مرحلة الاحساس بانك تعبد الله بالالتزام بهذه الأحكام

أن عليك أن تري هذه التشريعات نعمه من الله نقل فيه الإنسان من الهمجيه التي كان فيها اباحه التزوج بالاخت و الام وزوجه الاب وغيرها من القبائح التي حطت من منزله الإنسان

يقول لك الله أن عليك وان تنظر إلي هذا التطور والرقي الذي حدث في حياه البشريه أن تنظر إليه في حدود الايمان ب الله وان له سلطه التشريع وحده وان من أهم ما يجب عليك أثناء التطبيق العملي لأحكام الله ايان كنت هو الوثوق بنتائج أحكام الله بأن فيها المنافع والمصالح للناس فلا تردد ولاتراجع للوراء يقول لك الله أن أي تطور في حياه البشريه لايمكن عزله عن فكره الايمان

يقول لك أن ميزان تطور الحياه الذي فيه الارتقاء الحقيقي هو الذي يجعل الايمان ب الله هو الفكره المهيمن علي كل شي في الحياه فأنت ملزم أن تجعل فكره الإصلاح قائمه علي فلسفه الإيمان فلا يمكن تنحيه الله تعالى و العقيدة عن اي فكره لأنه لو حصل تنحيه العقيدة فإن ذلك فيه مجافاه الفطره والمنطق

فقال تعالى (كتاب الله عليكم)

أنه ينبغي أن تربط كل حركه بالأساس الذي تنطلق منه وهو عباده الله وحده لا شريك له فأنت عند ما تمارس حياتك بالتزوج بالمراه التي تحل لك عليك ان تشعر انك تعبد الله بهذا الامتثال عليك تصحيح أغراضك انك تريد من ذلك انشاء اسره وليس قضاء شهوه عليك أن تنظر إلي فعلك أنه عباده لله وليس عادته ورثتها عن الأجداد كما ينظر إليها البعض عليك أن تنظف افكارك وخوطرك من مجرد التفكير بالنظر الي المحرمات سالفه الذكر ومن ذلك المراه المتزوجه نظره شهوه بإدراك أن هنالك موانع تمنع التفكير بهن وهو أمر الله تعالى الذي الزمك بهذا فلا يكون ذلك عن باعث العادات والتقاليد الاجتماعية فتقول عيب أن انظر الي امراه متزوجه بل قول حرام أن انظر إليها

فهذه هي النظرة العميقه التي تجعلك تنظر إلي حرمه ذلك تعظيما لمصدر الإلزام عليك فتشعر برقابه الله فلا تسمح لمجرد الخواطر أن تسلل الي نفسك حتي وان كنت وحدك بعكس النظرة السطحيه التي تنظر إلي العادات والتقاليد فهي لاتصل الي جذور التكوين النفسي والعقلي للفرد والجماعة ولهذا اذا وجد فرصه لا يراه فيها المجتمع فإنه لا يتورع أن يفكر أو ينظر بالمراه المتزوجه ونحوه

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن هذه الأحكام هي كتاب الله الذي الزمنا به فأطلق عليه اسم كتاب الله وهو لفظ يطلق علي القران أيضا مع أن أحكام المحرمات من النساء جزئيات من القرآن فالله يقول أنه لا يمكن اقامه الاسلام في أذهان الناس وميادين الحياه علي أنه مجموعه افكارمبعثره وجزئيات متفرقة ومنفصله أساسها الاعتقادي الذي يثبت اصولها ويحكم أوضاعها وربط الجزئيات بالكليات ولهذا يقول لك الله أن هذه الأحكام ملزمه لأنها من الله وهو وحده له سلطه التشريع فهذا فيه عهد الله وميثاقه الذي يجب اتباعه وفيها حدود الله التي تواجب الثواب لمن يطيع الله والعقاب لمن يعصيه اي العهد المأخوذ منكم بالسمع والطاعة

ثانيا

لما ذكر الله المحرمات علي المومنين وعقب أن ذلك الإلزام الذي فيه منعكم من التزوج بمن ذكر هو منهج الله الذي فيه بيان حقوق الناس مع بعضهم البعض وايضا فهو فيه بيان حق الله علي الناس في هذا المقام فقال تعالى (كتاب الله عليكم)

تاتي النصوص مبينه طبيعه عقد النكاح المباح وشروطه فقال تعالى (واحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا باموالكم

الأمر الأول

أن الإسلام يحترم الغرائز ولم يحاربها وانما ينظمها ولهذا قام بضبط تلك الغرائز بما يليبي دوافع الفطره وتبين الطريقه الصحيحه التي يكون بها قضاء الشهوه الجنسيه المنضبطه بأنها تكون بالعقد الشرعي الصحيح في إطار هدف تكوين وانشاء الاسره بالتزوج من غير النساء المحرمات فيما ذكر سابقا من تحريم المحارم بالنسب و المصاهره والرضاعه والمحصنه بحصن الزواج وبما لايزيد عن أربع فقال تعالي (واحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا باموالكم محصنين غير مسفحين)

والابتغاء بالمال جاء مقيدا بقيد (محصنين غير مسفحين)

وتبتغوا تعني تطلبوا باموالكم الزواج ومعني هذا أن تقصدوا الزواج وبناء اسره وليس قضاء متعه الشهوه ولذتها لأن الابتغاء تعني طلب الزواج وهذا لا يكون بالرغبه التي تحقق العفاف والسكن والاستقرار وليس المتعه الجنسيه فقط فدل هذا أن المراد بهذا الزواج المسموح به هو الذي يكون وفق عقد شرعي صحيح فقال تعالي (محصنين غير مسفحين)

وهذا فيه

١

النهى عن صور الزواج الأخرى التي كانت قائمة في الجاهليه حيث كان هنالك اضافه لعقد الزواج الذي يشبه عقد الزواج المقر في الشريعه الاسلاميه يوجد ثلاثه انواع من الزواج الاول نكاح الاستبضاع وذلك أن الرجل بعد أن تتطهر زوجته من الحيض يأمرها أن تذهب الي فلان من الناس كي تستبضع منه ثم يعتزلها حتي تحمل بالولد الذي يريد أن يكون له صفات من استبضعت منه

وهناك زواج الرهط وزواج البغي والسفاح والعشق وقد حرم الإسلام هذه الأنواع من الزواج وبقي ما هو معروف اليوم الزواج الشرعي الصحيح بالمهر

ولذلك جاء الاباحه مقيد بوصف أن يهدف إلي العفه والابتعاد عن السفاح لأن السفاح لاغرض له سوي صب النطفه فقط

٢

كما يفهم من النص أيضا أن يكون الطلب بالمال تكوين الاسره وليس المتعه الجنسيه فقط فذكر محصنين حال من فاعل يبتغون والاحصان العفه وهي تحصن النفس من الوقوع في الحرام وما يوجب اللؤم والعقاب (غير مسفحين)

والسفاح الزنا والفجور ويطلق علي صب المنى في اوعيه البغي والمعني لاتضيعوا أموالكم في الزنا لئلا تذهبوا بديناكم وديناكم فتزوجوا النساء خير لكم فالإسلام قد جعل المال للقيام بواجب الخلافه فذكر المهور (فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضه ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة)

بأن الواجب تسليم المهر وهو حق واجب يجب علي الزوج تسليمه لها بالاحترام وان هي تنازالت بعد ذلك عن طيب خاطر فلا لؤم عليكم كما قال (واتوا النساء صدقتهن نحله... الخ

ومجمل النصوص دلت أن المراد به الزواج الشرعي الصحيح الذي يهدف إلي إنجاب الذرية الصالحة وتكوين أسرته وليس كما ذهب البعض للقول أنه يقصد به زواج المتعه لأن زواج المتعه يهدف إلي قضاء المتعه الجنسيه فقط وهو يتعارض مع معني تبتغون كما أوضحنا ان يهدف إلي طلب الزوج لغرض انشا أسرته وليس قضاء متعه الشهوه الجنسيه... وهذا النوع أيضا لا يحقق الاستقرار والسكن لانه لا يبيت لزوج المتعه اضافه الي أن زواج المتعه إنما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم بالحديث ولم يكن بالقران بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في تحريم زواج المتعه (اني كنت احللت لكم زواج المتعه وان الله ورسوله قد حرما فليبلغ الشاهد الغائب)

فدل النص أن الذي اباحها هو الرسول صلى الله عليه وسلم وليس نص القرآن

ومعني الاستمتاع هنا هو طلب الزوجه فقال تعالي (فاتوهن الخ

الأمر الخامس

أن ما يلفت الإنتباه أن النص جاء فيه التجهيل والتفخيم (فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن.. الخ

لغرض أن يلقي إحساسا وشعورا في نفوس الرجال بعظم الامانه التي يحملونها بهذا الزواج ويشعرهم بأن وجود المراه نعمه عظيمه يمتن الله بها علي الرجال وان عليهم احترام حقها فالصدق أمر واجب وفريضه فرضها الله تعالي فاللازم تسليمه وأنه لا مانع أن تناولت المراه عن كل أو بعض مهرها عن طيب خاطر

(ولاجناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة)

فالنص اشترط بعدم الحرج في أخذ جزء من المهر والصداق اوكله أن يكون ذلك بالتراضي و بعد أن يصبح حقا لها لبيان حربه المراه واستقلال اردتها في التصرف في اموالها فذكر أن لها مطلق الحريه في ذلك

المبحث الثاني

يعقب المولي علي ذلك كله بقوله (أن الله كان عليما حكيما)

وهذا فيه توجيه العباد بربط الأحكام بمصدرها وهو سبحانه وتعالى والثقه بأن أحكامه فيها المنافع والمصالح للعباد فهو عليم بما يصلح شوؤنكم وحكيم في تشريعاته بما يلائم طبيعه المخلوقات

والمراد أن يغرس في النفوس أن يثق المومن بما شرع الله له ويطمئن الي هذه الأحكام فهي صادره من الله عن علم وحكمه فعليك الرضي باختيار الله والاطمئنان الي أحكامه فهي فيها العدل والمصلحه والحكمه والرحمه

(ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المومنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذان اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فإذا احصن فإن اتين بفاحشه فعليهن نصف ماعلي المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خيرا لكم والله غفور رحيم)

الأمر الأول

لما ذكر المولي في الايه السابقه التعقيب أن أحكامه كلها فيها العدل والمصلحه والحكمه والرحمه ناسب ذلك

استهلال هذه الايه ذكر تعامل المنهج الرباني مع الإنسان بأنه في حدود طاقته وقدرته وواقعه وإمكانياته وفطرته فالإسلام جاء للارتقاء بالإنسان من واقع الجاهليه الي الكمال الإنساني الذي فيه الرقي والتقدم ليقوم بدوره في الخلافة علي الارض فهو سبحانه وتعالى أخبرنا أنه يريد من الإنسان المسلم أن يساهم في بقاء النوع الإنساني الطاهر الذي يحقق الكمال الإنساني لقوه الشهوه من خلال الزواج الشرعي الصحيح الذي يهدف إلى بناء الاسره المومنه اسره تحمل رساله الاسلام واخبرنا أن هذا الهدف يوجب عليك اختيار شريكه حياتك التي تكون قادره علي ا

داء دورها في الوصول إلي تحقيق الهدف بتربيته الابناء وإعدادهم وتأهيلهم للقيام بمهمه الاستخلاف

ولهذا فإن حسن الاختيار يوجب عليك اختيار المراه المومنه الحره العفيفه القادره علي الاضطلاع بالمهمه لما لديها من المؤهلات الكامله للحفاظ علي البيت وبناء الاسره وبما يحقق الهدف لوجود الضمانات اللازمه التي تمنعها من الانحدار فالحرية ونشائها في اسره تجعلها قادره علي القيام بدورها لأنها محصنه تخشي علي نفسها وأسرته من الفضيحه والاهانه إذا ارتكبت الفاحشة فهي افضل من الجاربه لأن الحره احصنتها عن ذل الرق والابتذال ومن صفات النقصان بعكس الجاربه فإن ظروفها والبيئة التي نشأت بها وعدم وجود اسره لها يجعلها أقل مرتبه من الحره في أداء المهمه

لكن ماهو الحال إذا حالت الظروف بين المسلم وبين التزوج بالحره المومنه المحصنه بحصن الحره لفقره وعدم قدرته على التزوج بالحره المومنه مع عدم قدرته على الصبر والانتظار حتي تتيسر أموره ويتزوج الحره ويخاف من الانحراف

لهذا تأتي النصوص لمعالجه هذه الأحوال والظروف

فجاءت النصوص بأحكام استثنائية فيها مراعاة ظروف العباد وقدرتهم وفطرتهم وطاقاتهم فلم تكلف الإنسان بما يفوق قدرته أو طاقاته أو ظروفه او واقعه فالانتقال والعبور بالإنسان الي الكمال الإنساني يتطلب مراعاة كل ذلك ولهذا نجد أن النصوص جاءت تنظم طريقه نكاح هولاء من جهه ومن جهه اخرى تعالج ظاهره الرق التي كانت سائدة في النظام العالمي في إطار التدرج للقضاء علي الرق ولأجل أن تمنح سبايا الحروب فرصه لترتيب أوضاعه وممارسه الحياه فقال تعالي (ومن لا يستطيع منكم طولا أن ينكح المحصنات المومنات فمما ملكت ايمانكم

أنه في هذه الظروف يكون التزوج من الجوري بالشروط الاتيه

الشرط الأول

أن يكون هذا الزواج في حاله عدم القدره علي نكاح الحره المومنه فالحصن هنا (المحصنات المومنات)

يقصد به حصن الحره لأن الحره تابي الزنا فقد ورد عن هند بن عتبه انها قالت للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبأيعها أو تزني الحره... فهي لديه عزه نفس وقبيله تخشي من أن يلحق بها العار لها ظروف مختلفه عن الجاربه التي نشأت في بيئته وهي ذليله غير قادره علي صيانه نفسها فكان التفضيل الحره المومنه وعدم التزوج بالجاربه ا لا في عدم القدره علي تزوج الحره المومنه فالرخصه في حاله العجز مع عدم القدره علي الصبر وخوف عنت المشقه وكبت الشهوه فجاء بهذا الاستثنا

الشرط الثاني

أن تكون الجاربه مومنه فالله يقول (فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات)

لماذا هذا الشرط لأن بناء الاسره يتطلب أن تكون المراه تحمل نفس الفكره الايمان ولهذا قال (فتياتكم) ولم يقل

الجواري فأراد بهذا بيان أن الإيمان ارتقي بها فصارت جزء منكم لأنها تحمل نفس الفكره التي تحملونها ومن جهة اخرى لان المراد بالتزوج العفاف ولهذا فإن الايمان يكون باعنا ويشكل قوه مناعه لمقاومه ظروف الرق التي نشأت بها هذه الجاربه ولهذا قال البعض بعدم جواز تزوج الجاربه الكتابيه لانه لا يومن عليها من ارتكاب الفاحشه وهذا الشرط فيه الآتي

١

أن عليك احترام مشاعرها والابتعاد عن احتقارها إذا رغبت بالتزوج بها فلا تنظر لها انها جاربه فيدفعك ذلك إلي اذ لالها أو احتقارها ولهذا قال تعالي (من فتياتكم المومنات) ولم يقل من الجواري فأراد بهذا تكريم الجواري المومنات والزمك باحترمهن وهذا فيه رفعه لهن

٢

أن الإسلام دين يرفض العنصريه التي تبعث علي احتقار الآخرين ويرفض الكبر فقال تعالي (فتياتكم) ولم يقل جواري والحق بذلك وصفهن (المومنات)

بيان ان العلاقه التي يقوم عليها الارتباط هو الايمان فهو المعيار الأساسي في اختيار الزوجه ولهذا فانه عند الموازنه في الاختيار بين الحريه بدون الايمان اي المراه المشركه وبين الجاربه المومنه فإن الكفه ترجح الامه المومنه علي الحره المشركه كما عرفنا في سوره البقره

٣

يقول لك الله سبحانه وتعالى أن معيار التفضيل للمومنه الحره علي الامه المومنه إنما هو أمر قائم علي الظاهر أن الحره المومنه افضل في القيام بمهمه بناء الاسره لما لديها من مؤهلات العفه إنما الغيب ف الله أعلم به فالأمر نظري بناء علي الأولويات فقال تعالي (والله اعلم بايمانكم)

فيقول لك الله أن الحكم بالنسبة للإنسان علي الاشياء إنما يقوم علي الظاهر اما الباطن ف الله أعلم فهو من أمور الغيب

وهذا فيه تائيس بنكاح الإمام المومنات وازاله الاستنكاف من نفوس المومنين الضعفاء فلا ينظر إلي مساله أن الأ مر استثنائي أنه أمر يجعله ناقص الكمال فالإسلام دين يراعي مافي النفوس من هواجس ويضع لها الحلول فيقول لهم أن أساس التفضيل بينكم وبين الإمام الإيمان فاختيار الحره المومنه ليس لداعي النسب وانما الايمان فينبغي علي المسلم أن يطلب الرحجان باعتبار الاسلام والايمان لا الانساب والقبيله فقال تعالي (بعضكم من بعض)

عليك ايه المومن أن تتذكر أن الناس جميعا تناسلوا من ادم وحواء فانتم من حيث الجنس لكم اصل واحد فلا فرق بين الناس ولهذا فإن الترغيب بالتزوج بالحره ليس فيه احتقار لجنس أو لون او وطن وانما بيان أن هنالك أحوال وظروف وبينه عاش فيها هولاء وولدت فيهم سلوكا نتيجته الضعف والقسر والإكراه ولهذا فإن الايمان هو الذي يرفع الناس وعليك أن تنظر إلي اخلاقها قبل أن تتزوج بها هل تتناسب مع اخلاقك وشريعته الاسلام لأن الايمان يفترض أن يوثر في سلوك الآخرين ويمحو اثار الماضي

الشرط الثالث

أن الإسلام جاء بمعالجه أوضاع اجتماعيه لمن كان أحواله وظروفه تمنعه من التزوج بالحره مع خشيته المشقه في الانتظار وتعالج مساله إدماج أسري الحروب في المجتمع تمهيدا للالغاء الرق وهذه الأوضاع الاجتماعيه

تتداخل بالاوضاع الاقتصادية لأن الجارية ملك لسيدها والإسلام يحترم الملكية فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول ايما عبد تزوج بغير إذن موله فهو عاهر) فكان لابد من معالجه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ولهذا يقول الله (فانكحوهن باذان اهلهن) اي باذان سيدها لأنها مملوكة بعكس الحره فيكون للقاضي الحكم بالعضل وتزويجها اذا رفض وليها السماح لها بالزواج واطلق علي سيدها أهلها تكريما لها بأن لها أهل اذا اخطات ترجع إليهم أيضا هذا فيه التدرج في القضاء على الرذيله حيث كانت الجوراي في بدايه الامر قبل التشريعات يرتكبن البغاء فقال تعالي في سوره النور (ولاتكرهوا فتياتكم علي البغاء أن اردن تحصنا) فكان النهي عن إكراه الجارية علي البغاء ثم صار تحريم ذلك فلا ينكحها الا سيدها ولأن الجوراي كان مرتبط بالاقتصاد ويملك السيد ما تنجب أما إذا أنجبت منه صارت حره فقد شرع هذا النوع من الزواج مراعاة لتلك الأحوال والظروف ويمكن القول إن هذا الزواج كان وسيله لتنظيف المجتمع من الرذيله مع الحفاظ علي حقوق ملكيه الجارية لسيدها ولو أن من قال بزواج المتعه أطلق علي هذه الايه التأويل لكان القبول بما قالوا به باعتبار أن زواج المتعه كان حاله استثنائية متعلقه بمعالجه هذه الأوضاع

الشرط الرابع

(واتوهن اجورهن بالمعروف)

يأمر الاسلام الفتى الذي يتزوج الجارية أن يسلم لها حقها من الصداق ليدها لا الي يد سيدها وان يكون ذلك بالا حترام لها لمنع الاستهانه بهن بالنظر الي ضعفهن فقال تعالي (بالمعروف) يكون تسليم الصداق

الشرط الخامس

يقول المولي سبحانه وتعالى للرجل أن يكون الغرض من التزوج بالامه ان تصير زوجه لك دون غيرك فالحصن هنا الزواج يجعلها مختصه به وحده دون غيره وليس كما قال البعض أن الحصن الاسلام فهذا قد ذكر في مقدمه الايه الشرط الأول

وحصن الزواج هنا يراد به العفه اي يحصنها من الزنا فيكون الزوج حصنا لها بالعفاف فلا يتعاطين الزنا فقال تعالي مفسرا ذلك (غير مسافحات ولا متخذات اخدان)

بأن يكون بقصد الزواج وليس العشق والسفاح

الأمر الثاني

يقول المولي للزوج إن مهتمك هي أن تساعد علي ترك ما اعتادت عليه في بئيه الاسترقاق فعليك يقع مسؤولية أن ترفع من منزلتها بأنها أصبحت امرأه متزوجه فتكون انت حصنا لها بالعفاف فلا يتعاطين الزنا تجعلها تحس ان هذه العلاقة تختلف عن ما اعتادت عليه من السفاح والعشق وهذا إنما يتحقق بأن يكون قصدك انت من ذلك إنشاء علاقه زوجيه لا مجرد متعه الشهوه وهذا فيه ضبط للزوج وتوضيح دوره في تربيته الامه وتثقيفها بثقافه القران لمساعدتها بالعبور من ماضي الرق الذي أفقدها شعورها واحساسها بأنها ربه بيت الي الحاضر الذي يشعرها أن لها كرامه وأنها تنكح مثل الحرائر ثم تأتي النصوص مبينه الحكم الشرعي لعقوبه الجارية إذا ارتكبت الفاحشة (فإذا احصن فإن اتين بفاحشه فعليهن نصف ما علي المحصنات من العذاب)

بأن الجارية إذا احصنت بحصن الزواج ثم زنت بعد ذلك فعليها عقوبه نصف ما علي المحصنات بحصن الحره وهذا فيه لفت انتباه الامه أنها أصبحت امرأه متزوجه ولهذا فهي مسؤوله عن أفعالها عليها احترام المنزله التي هي فيها واحترام حقوق زوجها وعقد الزواج للإسلام يريد أن يربي في نفوس العبيد الشعور بالمسؤولية عن دورهم في بناء الاسره ونظافه المجتمع المسلم ومع ذلك يراعي ظروفهم وأحوالهم التي أحاطت بهم وولدت

فيهم طبائع يصعب استئصالها

وهنا جعل العقوبة عليهن نصف ما علي الحرائر فدل النص أن الحصن المقصود في قوله (نصف ما علي المحصنات من العذاب)

أنه حصن الحريه اي نصف عقوبه الحره اذا زنت ونحن نعلم أن الحره اذا زنت تختلف عقوبتها باختلاف وضعها فهي أن كانت متزوجه فإن العقوبه الرجم حتي الموت كما ثبت بالسنة التطبيقية برجم الغامديه وأما الحره البكر التي لم تتزوج فإن عقوبتها مائه جلده بالنص (الزانيه والزاني فاجلدوهم والمعلوم أن قسمه عقوبه الرجم أمر مستحيل عقلا ومنطقا وانما الذي يمكن قسمته هو الجلد فيكون عقوبه الجاريه اذا زنت خمسين جلده

وهذا الحكم هو المقصود في قوله (نصف ما علي المحصنات من العذاب)

فاضافه الي ماسبق فإن القاعده الاساسيه في تفسير النصوص أن يكون تفسير القران بالقران ولهذا فإن العذاب اي العقوبه المذكوره في القران بالنسبة للزنا هي الجلد ولهذا فإن المراد هنا هو نصف المائه الجلده اي خمسين جلده ف النص يشير إلي العقوبه الورده في القران كون عقوبه الثيب الرجم وردت في السنه النبويه

وما يوكد ذلك أن النص ورد بعده (ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خيرا لكم والله غفور رحيم) فأخبرنا الله أن هذا الأمر مراعاة لظروفها والبيئة التي نشأت بها ولذلك جعل الرخصه للشباب بالتزوج بها لمن خاف الوقوع في الحرام مع عدم قدرته علي الانتظار داعيا الي الصبر بأنه أفضل

يقول إن الرخصه بالتزوج من الامه وتخفيف العقوبه عليها هو من رحمه الله مراعاة لظروفها فالمسؤوليه عليها تتناسب مع ظروفها مثلما أن الحره التي لم يسبق لها الزواج كانت عقوبتها الجلد مائه مراعاة لظروفها بعكس الحره المتزوجه الرجم حتى الموت

فالمولي يقول لك أن حصن الزواج بالنسبة للجاريه يجعلها بمنزله من نصف من احصنت بحصن الحريه فقط

يقول لك أن هذه الأحكام بمثابة عمليه جراحيه لمعالجه أوضاع اجتماعيه واقتصادية وثقافية في حياه الانسان فهذا المنهج فيه تربيتكم واستصال الأمراض في نفس الوقت فهو فيه المصلحه والمنفعه والرحمه للإنسان والعدل

المبحث الثالث

تأتي الآيات تعقيبا علي ماسبق من أحكام الاسره من قوله تعالي (ياايها الذين آمنوا لا يحل لكم إن ترثوا النساء....الي نهايه الايه السابقه فقال تعالي)

فيها الاجابه عن الاسئله التي تدور في أذهان الناس بشأن هذه الأحكام فالإنسان اكثر شي جدلا ولا بد أن يخطر بباله اسئله مافائده هذه الأحكام التي تمنح المراه هذه الحقوق فهم أناس لم يعتادوا هذا من قبل يقولون لماذا هذه الشروط في التزوج بالجاريه لماذا يأمرنا الله بهذا

فتاتي النصوص للرد علي هذه الأسئلة بأن كشف لهم الباري الحكمه من ذلك ومبيننا لهم المعركه مع الباطل والسلاح الاكثر خطوره في معركه الحق مع الباطل ويضع النقط علي الحروف ليكون المومن علي بينه من أمره

المفهوم الاول

يقول لنا الله أن الأحكام والقواعد الشرعيه التي تنظم أحوال الاسره وأسس بناء المجتمع المسلم هي من أهم وأخطر القضايا التي يحصل بها التقدم والارتقاء بالإنسان من برائين الجاهليه والانحطاط والتخلف فهذه التشريعات لترتفع بمستوي الإنسان النفسي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي الذي يحقق السعاده والرفاهية للإنسان

ولهذا فإن الإنسان بحاجة الي معرفه سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل ما فيها ليصل الي هذه السعاده وليكون علي بينه من أمره

فالحكمه من ذكر هذه التفاصيل أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لهم ماخفي عنهم من اثار هذه الأحكام ومنفعتها في الحياه

فالغرض أن يكون هنالك وضوح فكري يمثل نقطه انطلاق نحو هدف الرقي والتقدم فالسعاده إنما تكون في طاعه الله وامتنال امره فكان لابد من معرفه العدو الباطني النفس والشيطان والخارجي الذين يفقون ضد أهداف امه الايمان واهم أسباب الخذلان وفساد الأمم الشهوه والغضب والحسد والكبر ولهذا فان السعاده الحقيقيه تكون بتخليص من هذه الآفات والأمراض والخلاص منها يكون بتحديد هدف حياتك بأن تكون حياتك كلها تهدف إلي عبادته الله وان يكون الحكم لله وان يسود منهجه وان يخضع الناس لدين الله فهذه هي مهتمك

ولهذا فإن الانتقال بهذا الهدف من امنيه الي حقيقه يصبح هذا الهدف عقيدته العالم أجمع يموت عليها الناس ويحيون لأجلها لابد أن تخوض معركه المعرفه والايضاح والتفسير لأن الناس ينقسمون أمام هذه الأهداف إلي قسمين فريق مع وفريق يعادي الهدف ويحاربه وهذه سنه الله في الأرض أن يكون الاختلاف نتيجته التفاوت في وجهه النظر والمنهج الذي يفسر به الأحداث والأهداف فكلا ينظر إلي من الموقع الذي هو فيه فمنهم من ينظر إليه من زوايه الشهوات والملذات والمصالح ولا ينظر الي عواقب إعطاء النفس هواها وملذتها لنقص المعرفه والعلم الذي تجعله ينظر إلي العواقب الضاره لإعطاء النفس رغباتها وايضا البعض ينظر للأمور نظره سطحيه لا يتجاوز مداها هم نفسه وذاته

ومن هنا تنشأ الصراعات كما دلت التجارب الانسانيه منذ فجر تاريخ البشريه والذي يتطلب عرض الاهداف وشرحها علي الآخرين وايضا ازاله الشبهات التي يثيرها أعداء الأهداف بالجدل والمناظره وتفنيده الحجج الي أن تستقر هذه الأهداف وتصبح عقيدته يموت عليها الناس ويحيون لأجلها

فالتاريخ الإنساني ملئ بهذه التجارب التي حمل الرسل اهداف التغيير ووجدوا استنكار من الناس فنظروا الي ما حمله الرسل أنه أمر غريب عنهم فكانت معركه المعرفه والايضاح والتفسير والشرح وتكرر الأمر بالشرح والايضاح والجدل والمناظره مع الأعداء وفي النهايه كانت العاقبه للمتقين وصارت عقيدته يموت الناس لأجلها ويحيون عليها فقال تعالي (يريد الله أن يبين لكم. ويهديكم سنن الذين من قبلكم)

الأمر الثاني

يمتن الله تعالي علي عبادته بنعمه المنهج بأنه رحمه من الله بعباده فبين ما يحل لهم وما يحرم عليهم وان الغايه من ذلك حصول البيان الذي تدلك علي الطريق الموصل الي الله والسعاده الابديه فالله يقول لنا في موضع آخر (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون)

يقول لنا الله أن هذه التفاصيل للأحكام لأن الله يريد أن يرتقي بالمومن من خلال هذا المنهج الرباني الذي يحقق السعاده والرفاهية للإنسان والكمال

يقول لك الله أن الأهداف التي حملتها رساله الاسلام ليست احلام وأماني فلا بد أن تصير واقعا ملموسا ولهذا كان

لابد من التشريعات التي فيها تفاصيل المستقبل الذي توصلك اليه شريعته الاسلام وإبراز الآمال

ولذلك فلا بد أن تنتقل الي كيان المجتمع المسلم وتصير صبغه تلونه وهذا إنما يتحقق من خلال الشرح والايضاح والتكرار لذلك حتي تصير هذه الأهداف هي دينهم الجديد ونظامهم وتصبح عقيدته الاسلام هي التي تمثل طموحاتهم وآمالهم فتصير عقيدته يحيون عليها ويموتون عليها ولاجلها

مثلما كان حال موكب المومنين من قبلهم منذو نشاه البشريه الي أن يرث الله الأرض ومن عليها فالتجارب التي تخبرنا بما كان منهم في سبيل التضحية بالنفس والمال لأجل العقيدته لاحصر لها وايضا تلك التجارب ترشدنا الي طريق الهدايه وتزودنا بالخبرات اللازمه لمواجهه الازمات والتحديات وتختصر الجهد والوقت (ويهديكم سنن الذين من قبلكم)

فأنت بحاجة إلي استيعاب سنن الحياه وتفسير الاحداث الجاريه فيها لتري أن نظافه المجتمع من الفواحش فيه السلامه والنجاه وان الانحطاط الأخلاقي يودي الي الهلاك والدمار وسقوط الحضارات فالتاريخ ملئ بالتجارب وما عليك إلا أن تنظر إلي أسباب نشاه الحضارات وتقدمها ووالنهوض لها وأسباب السقوط والانحطاط والانهيـار للحضارات

فالمولي يقول لنا ان من لطفه وانعامه وإحسانه أن ارشدنا الي طريق الهدايه المنهج الرباني الذي سار عليه المومنين الصالحين من قبلنا فهذا رحمه من الله بنا ليأخذ بايديكم الي التوبه بالنظر الي عواقب الأمور وربط ذلك بمقدماتها من خلال مشاهده أحوال الأولين والمشاركة الشعوريه لتلك الأحداث كانك واحد منهم في خيرهم وشرهم لترا كيف اعز الله المومنين الذين اطاعوا امره وكيف اهلك المكذبين فالنظر إلي العواقب المحموده و المذموه والمقارنه بينهما هو الذي يرشدك الي طريق الهدايه

يقول لك الله أن عليك أن تفتح قلبك لاستقبال المنهج الرباني ومافيه فهو بوصله الهدايه ويختصر الجهد والوقت ويرشدك علي النهايه التي تنتهي إليها الأمور من مقدماتها بما يزودك فيه الله من التجارب التي يقدمها لكم كي تقتدوا بالصالحين

فالدليل التاريخي وسيله تمهد لكم الطريق وتعينكم علي السير الي الله والدار الاخره (ويتوب عليكم)

فتسير في الطريق الذي سار فيه الصادقين المخلصين المومنين فطريق الحق واحد طريق مستقيم يصل الي الغايه التي فيها السعاده الابديه فالاعتداء بالصادقين يزودكم بالطاقه ويقوي ارده طلب الاخره والعزيمه والهـمـه بـ السير نحو الغايه فالله يقول في موضع آخر (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

فطريق الصادقين المخلصين فيه السعاده والفلاح والنجاح وهذا إنما يكون بامتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيـه والعوده الي الله بالتوبه وقمع الشهوات والأهواء والملذات والانتباه من دعاه وعصبه العمل الشيطاني الذين يزنون الشهوات والملذات ويجعلونها اهداف لحياه الناس فيكون الانحراف عن الطريق المستقيم اذا لم تحصن نفسك بالإيمان لأن النفس تعرض عليها الأمور فإذا خامرها ميل فإن هذا الميل يشكل فجواه تدخل الإنسان في نفق مظلم يغطي عنه نور الحق فتشوق هذه النفس لذاتها طريقا معوجا يبدأ بالميل اي الحيدان الي الشهوات الحيوانيـه ليصنع لذاته أهدافا لحياهه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات وهذا الميل ينتهي الي طريق الفجور يجعلها قابله للكذاب فتراه صدقا يجعلها تصاب بالجهل فلا تعطي الخبر حقه بالانتقاد والفحص مع غياب المنهج الدال علي طبائع الحوادث التي تحدث وأصابه النفس بالغفله نتيجته قتل المواهب ولهذا فإن النفس بحاجه الي التدريب علي الاعتدال والمحاسبه والاتهام فالأمر جوهرى في تقدم الأمم

ولهذا يخبرنا الله أنه قد زدونا بالمنهج الواضح الدال على طبائع الحوادث التي تحدث ترشدك علي السنن التي تفسر لك الأحداث لتعود الي الله بالتوبه فالنظر في دليل الحدث تخرج الإنسان من الغفلة وتجعله في يقظه

فيكون قلبه حيا بالذكر والمعرفة فيعرف عواقب الأمور فيكون الصبر علي الشهوه اسهل من الصبر علي ماتوجهة عواقبها من الم فالنظر إلي العواقب المحموده والمذمومه والمقارنة بينهما هي التي تدفع العامل الي ترك المحبوب المحرم لانه يعلم أن العاقبه سوف تكون الالم والحسره وان امتثال المكروه علي النفس في البدايه هو الانفع لانه أن العواقب ستكون فيها السرور والفرح والخير وان كرهته نفسه ولهذا يتحمل المشقه ويعود الي الله تائبا ف الجاهل لايتجاوز المبادئ الي غاياتها وانما ينظر إلي اللذه العاجله فهي هدف حياته فقال تعالي (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)

أما العاقل فهو ينظر إلي الغايات من وراء استقرار مبادئها ولهذا فإن رؤيه السعاده التي حصل عليها المومنون في نهايه المطاف بامتثال المنهج فإن هذا العلم هو الذي يدرك به الغايات فالغايات تدرك من المبادئ والقيم التي تحملها فقوه مبادئها هي التي تولد قوه صبر تحمل المشقه باليقين الجازم الذي يدفعك الي التوبه فهذا الإيضاح والبيان لأجل التخفيف عليكم وتسهيل الطريق امامكم فهو نعمه عظيمه من الله لأن الإنسان ضعيف ولهذا فإن إدراك الغايات إنما يكون لمن عرف نفسه بضعفه وافتقاره لربه وحاجته الي الله عرف نفسه بنقصه وأنه من العدم وعرف ربه بكماله وقدرته وتصرفه في كونه عرف اسماءه وصفاته وأفعاله

ولهذا فإن معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده هي التي ترفع عنك الضعف وهذا إنما يكون بالتفكر بآيات الله ورؤيه عطفه وحسنه وعظمته وجماله وعدله وقيامه بالقسط علي خلقه بفقته اسماءه وصفاته وجلاله وكماله وفهم أوامره ونواهيته لتعرف الطريق الموصل الي الله لأن جهل الطريق وافاتها كما ورد عن ابن القيم فإنها توجب التعب الكثير مع الفائدة القليله فيحدث التخبط كان يعمل عمل بالجوراح دون أن يوطنه بعمل القلب وايضا قد يهتم ب النافله ويترك الفرض وايضا يكون عرضه لغزو افات شهوه الرياء والعجب فالعبد في سفر الي الله واول ما يقف في طريقه الشهوات والرئاسات والمناكح هي أول ما ينخدع بها فإذا لم يعود إلي الله تائبا فإنه يهلك

القسم الثاني

يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجاره عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيمًا ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك علي الله يسيرًا أن تحتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريمًا ولا تتمنوا مفضل الله به بعضكم علي بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله أن الله كان بكل شي عليمًا ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت إيمانكم فئاتهم نصيبهم أن الله كان علي كل شي شهيدًا للرجال

اولا

الآيات فيها استئناف لقواعد وقانونين لتنظيم الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وتتناول العلاقات المالىه والملكيه وحقوق الجنسين في المجتمع في إطار هدف نقل المجتمع من النظام الجاهلي الي النظام الإسلامى للحياه وازاله اثار ركाम الفكر الجاهلي ولهذا نجد أن هذا الاستئناف ابتداء بالنداء للمومنين (يايها الذين آمنوا)

وهو ما يفهم منه أن الأهداف لم تحقق بعد فمازالت هنالك اهداف للوصول الي التقدم والازدهار والرفي يتطلب منكم الكفاح والنضال للانتقال من النظام الجاهلي الي النظام الإسلامى للحياه فلا بد من ازاله اثار الفكر الجاهلي ونظامه فناسب ذكر هذا الاستئناف بعد قوله تعالي (يريد الله أن يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم... الخ

وهذا فيه لفت انتباه المخاطبين كيف يكون بناء النظام الجديد فيقول لك الحق أنه عندما تامر الناس بالقتال من أجل بناء النظام الجديد فإنه يجب عليك أن توضح لهم لماذا يقاتلون ولماذا ينضالون ولا بد أن ترسم لهم المستقبل العريض الذي ينتظرهم عند انتصار هذا النظام وتثبيت جذوره (ويهديكم سنن الذين من قبلكم)

فأخبرنا الله أن هذا الأمر يحتاج إقناع الجماهير وقبلها إقناع أنفسنا اننا فعلا نبي مستقبلا أكثر رخاء وأكثر اتساعا لاماني الجماهير التي تبذل اروحها في سبيل الله دفاعا عن هذا النظام الذي يرتقي بالإنسان الضعيف (يريد الله أن يتوب عليكم ...)

فأنت ايه الإنسان ضعيف ولهذا فإن أول خطوه في طريق التطور والرقى هو انك عندما يحصل منك الخطأ عليك أن تحاسب نفسك ولا تتردد عن الاعتراف بانك اخطات حتي تتمكن من أن تفتح مع الله ومع نفسك ومع الناس صفحه جديده تتجنب فيها الخطأ مره اخري فالله قد سهل عليك الأمر بهذا المنهج الرباني الذي يزودك بالقوه التي هو المحرك للطاقت وتبعده عن التخبط والانزلاق في مصائد الأعداء ولهذا جاء استئناف النداء للمومنين (ياايها الذين آمنوا.. الخ)

وذكر بعدها قضيه الاقتصاد والحركه الماليه وقوانين تضمن تحقيق التنمية الاقتصادية مع مراعاة العدالة الاجتماعية (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجاره عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك علي الله يسيرا أن تحتنبوا كبائر ماتتهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)

ان اول أمر ورد في تنظيم العلاقات الماليه هو النهي عن اهلاك الأموال فيما لافائده منه لأن الباطل (لاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يعني الضائع فهو من البطلان لمخالفته للشرع بالغش والتدليس والقمار والربا والغصب و النهب والسحت.... والنهي تضمن فيه لفظ أموالكم والخطاب موجه للمومنين اي لاتتلفوا أموالكم بالاهلاك باقتراف مايودي الي اهلاكها بالحركه الغير مشروعه فالنهي عليكم أن تتجنبوا الوقوع في المهالك وأمر المومنين جميعا بحمايه هذه المصالح

أن الأمر باحترام الملكيّه وأمانه التعامل كاول أمر في قائمه التخطيط الاقتصادي الإسلامي والذي ذكر بعده تفاصيل اقتصادية أخري فيه الحرص علي تجنب المازاق وتوحي أن هنالك كوراث اقتصاديه تحتاج الي العلاج ولهذا فإن النداء الذي ابتداء (ياايها الذين آمنوا) ووصف المال (أموالكم) ولم يقل مال بعضكم البعض فيه الآتي

المفهوم الاول

يقول لك الحق أن عليك أن تفهم أن نجاح التنميه الاقتصاديه تتطلب خلق مصالح اقتصاديه مشتركه بين فئات المجتمع المسلم تدفعهم الي الاحساس بوجودها وأنها تستحق الدفاع

فمشكله التنميه الاقتصاديه وتطوره تستند الي ابعاد اجتماعيه وليست مجردة عنه

ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى يقول للمومنين أن المال هو مال الجميع وان التطور والرقى والازدهار الاقتصادي إنما يكون بإيجاد القوه الثوريه التي تسعى إلي تحقيق الأهداف والحفاظ عليها لها فهي صاحبه المصلحه في النظام الجديد وهي المستعده لدفع عجلة التطور الي الامام ولهذا جاء استئناف النداء للمومنين فهم التنظيم المعبر عن النظام الإسلامي للحياه فهم لاينقسمون الي فئات منتجه وفئات عاطله فالخطاب لم يستثني احد من المومنين بعدما آمنوا ولم يعبر عن أحد منهم بسبق ماضيه في الجاهليه وانما يتجه إليه بحسب ولأئه الجديد وقدرته علي الانضباط بتعاليم الاسلام الجديده واستعدادهم للانتفاع منه فالمومنون اخوه والمومن للمومن ك البنيان يشد بعضه بعضا فالجميع المنتج والعاطل له مصلحه في نجاح ثوره الاسلام

المفهوم الثاني

يقول لك الله أنه يجب علي المومنين العمل والحركه فقد حث الاسلام علي اهميه مشاركته المسلمين جميعا في بناء الاقتصاد الوطني كلا بحسب قدرته وحث علي اهميه استثمار المال وحرمة كثره (أن الذين يكتزون الذهب و

الفضة... الخ

فلا بد أن يتحرك المال فالنهضة تتطلب أن يتحرك ولهذا ترسم النصوص الخطوط التي تحقق الأهداف والوسائل التي يحتاجها للوصول الي الأهداف وفق تخطيط واضح فالحركة تحتاج الي قدره تحريك فهي تعتمد علي المعرفة والقدره علي تحريك الأموال باتجاه الخير وهذا يتطلب وضوح التشريعات التي تحدد لك الاتجاهات السليمه وايضا تولد طاقه التحريك لرؤوس الأموال

فلا بد من تطهير الطريق من عقبات الماضي وايضا القضاء علي خطر التدين المغشوش الذي جعل البعض يتصور أن الإيمان هو الصلاه والصيام... وترك الآخرين يقومون بالصناعات والتجاره

فالمولي يقول لك أن فكره عباده الله لاتعني الجمود فالإسلام ليس فكره توسس ارضيه للكسالي الذين يتوقفون عن الحركة بانتظار جنه الخلد فأمر الله بالحركة والعمران علي الارض

فلا بد من الحركة لكن لاينبغي أن تكون الحركة قائمه علي النظر لعامل السرعة في جمع راس المال دون النظر إلي مصادره رغبه في الكسب السريع كالربا والسرقه والنهب

ولهذا يقول الله أنه لابد من خلق المناخ التشريعي والنفسي للانتقال من النظام الجاهلي الي النظام الإسلامي بما يتلائم مع عداله الاجتماعيه ويشجع رؤوس الأموال ويجذب الخبرات اللازمه علي المساهمه في عمليه تحريك الطاقات والموارد البشريه للاستثمار في إطار الدستور الاسلامي

فالاقتصاد وفق منظور الاسلام مرتبط بالتنظيم الإجتماعي ونظرا لأهمية الانتاج نجد أن الإسلام يرغب في التجاره التي تقوم علي البيع والشراء بالتراضي (إلا أن تكون تجاره عن تراض منكم)

المفهوم الثالث

أن أهم عوامل نجاح فكره الاسلام ونظرياته الاقتصادية هو أنه أزال الفوراق والطبقات فربط التقدم والازدهار الاقتصادي والاجتماعي بطريق العداله الاجتماعيه لانه يستهدف زياده العدل فالمزيد من الإنتاج يعني المزيد من العدل

ولهذا فإن قوله (لاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل)

يغرس في النفوس أن المال هو مال الجميع فلم يقل لياكل بعضكم مال بعض

وهذا فيه التنبيه علي اهميه خلق الاحساس في نفوس المومنين جميعا بأن هنالك عائد يعود علي الجماعه من حركه راس المال وان الناس جميعا لهم منافع منه فإذا استباح أحدهم مال احد من الناس فإن ذلك يعني أنه استباح أموال الناس جميعا

وهذا فيه التحذير من استعمال الغش وحرمة الاحتكار والجشع والطمع التي ترهق المجتمعات وتعوق تقدمه وأمر بـ العداله الاجتماعيه وحرمة الاستبداد الاقتصادي فأخبرنا أنه إذا وجد الربح بلا غش ولا تغريب وانما بالتراضي فلا حرج في ذلك الكسب

وقرن ذلك بمن يقتل نفسه (ولاتقتلوا أنفسكم)

لأن المال عدل الروح ومنه يكون العمران فيقول لك الله أن إتلاف المال بالباطل مثل إتلاف النفس بالقتل حيث أن أكل المال بالباطل ينشأ النزعات وإتلافه بنهب أموال الغير فقال (بينكم) بأنه يكون موضوع التنازع في

التعامل بين الاكل والماكول فينتشر الفساد في الأرض والقتل يودي الي إتلاف الموجود وازهاق الأرواح فهو يقول لا يقتل بعضكم بعضا وعبر عن ذلك بالنفس مثلما عبر عن المال باموالكم للمبالغه في الزجر للاشعار أن تلك الأفكار التي تبتعد عن الإيمان وتكون العلاقات في التعامل ماديه بحته مجردة فإنها تتسع للغدر والعنف والقسوه والخداع والتصفيات الجسديه وهي اخلاق قبيحه توجب العقاب لانها

تودي الي الدمار في حياه الجماعه فهي قتل للأموال مثل قتل النفس لتحريم أخذ مال الإنسان بدون رضاه

وهذا الفعل يوجب الهلاك في نار جهنم فجاء الخطاب للتهديد (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك علي الله يسيرا)

أن ذلك الفعل هو عدوان علي أوامر الله وظلما للناس فالاستبداد الاقتصادي الذي يستغل فيه حاجه الناس أو الغش والغدر والخداع في التعامل فالذي يعتدي علي حقوق الناس من خلال استعمال سلطه المال أو الرئاسة فإن هذا العدوان علي حقوق الشعوب يعد اعتداء علي ربوبيه الله فهو شرك يوجب الهلاك والسخط الإلهي علي فاعله لانه يضع نفسه في مواجهه مع الله القهار وقد وعد المخالف بالحريق بالنار وذلك أمر سهل علي الله فلا توجد قوه تمنعه من تنفيذ العقوبه ولهذا فإن ابتداء النص (يايها الذين آمنوا)يعني انتم الذين امتتم ب الله بأنه لاشريك له وقتلم لا اله الا الله فلا يليق بكم مخالفه معني الشهاده التي تعني التحرر من كل سلطان غير سلطان الله ولهذا فإن استغلال المال لاستبداد الناس يعد ظلما وعدوانا اي شرك ب الله فاللازم تنفيذ منهج الله فالإيمان يتفرع منه اخلاق كريمه من المحبه والود والإخاء والتسامح والبر والتضامن والاتحاد وبنشأ علاقات انسانيه ايجابية في التعامل بالشعور بالمسؤولية واعماله بين الخوف والرجاء يخاف من عقوبه الله يدرك أنه محاسب علي أفعاله ورجاء رحمه الله فالله يقول (أن تحتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)

فالمولي يريد يقول لك أن شهوه المال والرئاسة إذا تمكنت من الإنسان فإنها تصير نارا تاكل صاحبها ودواء هذا المرض هو صحه العلم والمعرفة فعليك أن تتغلب علي شهوتك بإغلاق الابواب التي تودي الي ظلم النفس بأن توردتها مورد الهلاك فعليك أن تنظر إلي ما يعقب اللذه من الم وحسره ليكون ذلك سببا لقمع الأطماع وشهوه النفس فترى منافع ترك الشهوات والملذات التي حرمها الله بالعواقب بتكفير السيئات ودخول الجنة بالتكريم

ويقول لك الله انتبه من أن تغلبك قوه الغضب التي تدفع الي الانتقام بالقتل للآخرين فهي تمنعك من العدل وانت اذا لم تقاومه فإنك تفتح علي نفسك ابواب الشر ولهذا فإن قلع الغضب يكون بمعرفه حقيقه النفس أنها لا تستحق أن تغضب لها أو تنتقم لها لأن ذلك ايثار لها بالرضي والغضب علي خالقها ومالكها و قد اخبرك انه سوف يحرقك ب النار أن انت طوعت نفسك وغضبت لها وان ذلك أمر سهل علي الله ولهذا فعليك أن تعودها أن تغضب له سبحانه وتعالى وترضي له فتبذل طاقتك في طاعه الله تكون قوه الغضب لديك بمثابة كوايح تمنع الوقوع في الكبائر التي نهاك الله من الاقتراب منها

ثانيا

تمضي سياق النصوص بمناقشة التعاملات الماليه وقوانين الاقتصاد ووضع المعالجات لمشكله التنميه الاقتصاديه وتطوره بازاله كل الاوضاع التي تقف في طريق النهوض والتقدم

المفهوم الاول

يقول لك المولي سبحانه وتعالى أن تنميه الاقتصاد وتطوره في النظام الإسلامي أمر يقوم علي تعاون جميع المومنين الغني والفقير فوصف بأنه تطور يجعل التفكير يتجه الي زياده الدخل ورفع مستوى المعيشة وتقريب الفوراق بين الطبقات

فيقول الله انتبهوا من النظر أو وصف التطور الاقتصادي بأنه صراع بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء فقال تعالي (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم علي بعض)

فقد ورد عن ابن عباس أنه قال اي لايتمني رجل مال غيره ولازوجته ولا اي شي من الأشياء التي لغيره مثل الجاه أو السلطان أو المال أو غيره مما يجري التنافس وذلك لان التنافس الذي يكون فيه الحسد فهو مذموم

لان الحسد في الحقيقة معاداه الله لأنه يكره نعمه الله علي عبده وقد احبها الله ولهذا فإن هذا الشخص يقف معاديا لقضاء الله وحكمته وتديبره في تفضيل البعض

ولهذا يقول للمومنين انتبهوا من التنافس الذي يقوم علي الحسد فاعلموا أن الله قد خلق الناس وجعل لهم قدرات وطاقات ومواهب متفاوتة لأجل الحركة في الأرض

ف الله لم يضع الناس كلهم في قالب واحد وانما جعلهم متفاوتون لأجل أن يكون الحركة في الأرض ولأجل أن يقوم كل واحد بدوره الذي يتفق مع قدرته وإمكانياته وكي يظهر كل واحد مواهبه وجهوده فيصل الي المكان السياسي والاقتصادي والاجتماعي المناسب مع موهبه وجهوده فمن لم يستطع أن يبرز مواهبه أو يقوم ببذل المجهود المطلوب والمنافس مع غيره يأخذ حقه بالعدل والانصاف وهذا التفاوت أمر يتطلبه الإنسان في حركته علي الارض

فالمولي يقول لك أن هذا التفضيل ليس لأجل أن يتسلط فلان علي فلان ولكن لأجل حركه الحياه

فالفوراق في هذا المجال أمر لا بد منه لاستمرار الحياة وقد نشأ منذو انتقل الإنسان من العصر المشاعي البدائي الي مرحله الحضاره والتخصص وتقسيم الأعمال بحكم تطور الإنتاج ومن الطبيعي أن لاتكون التخصصات وتقسيم الأعمال غير متساويه لأنه لايمكن المساواه بين عائدات العامل الذي يقوم بالبناء وبين عائدات المهندس المعماري الذي يعد المخططات لتنفيذ العمل ولا بين عائدات صاحب المصنع وعائدات عامل التشغيل ولو حصل التسويه بينهم

لادي ذلك إلي اختلال في نظام حياه الناس ولقضي علي المواهب والقدرات حيث لن تري التخصصات مثل الهندسه وغيره لانه اذا تساوي مع العامل في الأجر فما الداعي الي تكلف مشقه الدراسه والتحصيل العلمي

لو تصورنا حصول ذلك في المجتمع لامكنا أن نري ونشاهد مقدا حجم الدمار الذي سوف يلحق بالمجتمع وحجم التخلف حيث أن ذلك سوف يقتل المواهب والقدرات ودور الاسلام هو البناء وليس الهدم للحياه

المفهوم الثاني

أن هذا الأمر بمثابة منهج متكامل يعرض فيه فلسفه الاسلام للاقتصاد الإسلامي في الحياه فيه الوصف لمساله التطور الاقتصادي الإسلامي ويضع القواعد التي يكون بها تقريب المسافات بين الأغنياء والفقراء وتحويل هذه المسافات تنافس يكمل فيه كلا منهما الآخر فمخططات التنميه لايمكن أن يكون المجتمع من طبقه واحده وانما معالجه ذلك باحاطه تلك العمليه بقوانين تحفظ حقوق الجميع في إطار تكافوا الفرص والعدل الاجتماعي فلا يمكن أن يتساوي العالم مع الجاهل مادام هنالك تفاوت في طبيعه النشاط ومادام هنالك اختلاف بين مستوي العمل الذهني والعمل البدني وكلا خلق لما قدر له

ولهذا يتجه الفكر الإسلامي الي التطور الاقتصادي الخلاق في إطار العدل الاجتماعي الذي لايلغي المنافسه المشروعه فقال تعالي (وسئلوا الله من فضله) وهنالك فرق بين المنافسه المشروعه وبين الحسد ولهذا فإن قوله تعالي وسئلوا الله من فضله..يعني اباحه المنافسه المشروعه التي تعني استغلال الفرصه المتاحة لإبراز المواهب و القدرات وبذل المجهود المطلوب في أداء دوره ولهذا فإن المعني يمكن أن يكون ابدلوا مجهودكم في تحسين

مستوي المعيشة لديكم بالاعتماد علي الله وتفويض الأمر لله لان الأرزاق بيده فالرضي باختيار الله والتفويض يعطيك القوة والعزيمة فالمولي يقول إن قيام العلاقات بين الناس ليست ماديه مجردة بلا ضوابط روحيه فهي ضروره اخلاقيه ونفسيه تسد الثغرات التي لاتصل اليها القوانين الوضعيه فالمنافسه المشروعه لها حد لايتجاوزه فإذا تعدت الحد بأن اصبحت المنافسه في طلب الكمال بالتعدي علي غيره وتمني زوال نعمه المحسود أو الحرص علي اذيته فإن تلك المنافسه تصيح وقودا لإشعال الصراع الطبقي في المجتمعات وهي بذلك تنحرف عن الهدف من المنافسه المشروعه التي تكون وقود لتحرك الطبقات الاجتماعيه الي التقدم والازدهار والرقى والعداله الا جتماعيه بأداء كل واحد دوره فقال تعالي (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله) فالقضية الاقتصادية قضيه انسانيه تحيط جوهرها بإطار اقتصادي ولهذا أطلق عليها الا قتصاد الاجتماعى فهي علم تحريك المجتمع من مستوي معيشه الي مستوي افضل فكل واحد عليه أن يرضي بقسمه الله فلا يتمني الرجال ما اختص الله به النساء ولا يجوز أن تتمني المراه ما اختص الله به الرجال فإن ذلك اعتراض علي تفضيل الله ولهذا فإن العدل بين المختلفين يختلف عن مدلوله بين المتماثلين إذ أن هذا الأمر يعني أن الواجبات تختلف باختلاف أحواله وظروفه فالاحكام التي أمرت بها المراه تختلف عما أمر به الرجال لبيان ان هذا التفاوت من أجل أن يقوم كل واحد بدوره ولذلك كان هنالك تفاوت بنصيب الرجل عن نصيب المراه وهذا فيه العدل لانه متناسبا مع طبيعه كلا منهما وتفضيل الله وان عليك احترام ملكيه الآخرين وقرر احترام واستقلال ملكيه المراه فشرع لها حق ادراه واكتساب الأموال مثلها مثل الرجال فجاء التعقيب

(أن الله كان علي كل شي عليما)

فيه بيان أنه سبحانه وتعالى جعل الناس طبقات متفاوتة علي بعض فهو عالم بما يصلح كل واحد فلينظر السائل علي المجمل ويتحرز عن طلب المعين في دعائه لأن الله اعلم ما يضره وما ينفعه

وفيه دعوه للقبول والتسليم بأمر الله واختياره لأن من رضي بقدر الله استراح من الهموم والأحزان فلا تنشغل نفسك بما ليس لها فلا تنظر إلي أملاك الناس وما اعطاءهم الله من فضله بالحسد فتتمني زواله فالله لا يخفي عليه شي ويعلم ما في نفسك لأن التمني شعور نفسي خفي وإذا تجاوز الحد بتمني زوال النعمه عن المحسود فإنه يكون باب من أبواب الشر (من شر حاسد اذا حسد) وهو أول ذنب ارتكب في الأرض وقد ارتكبه ابليس فرفض القبول بالاعتراف بتفضل ادم حسدا فيقول له الله انتبه فالله لا يخفي عليه هذه الاماني الشريره ولأن الحسد له مظاهر تنشأ بعد وفاه صاحب المال خاصه بين العصبه المحجوبون من الإرث بوجود ابن لصاحب المال يحجبهم فهم يتمنون لو أنه مات ليكونوا من الوراثين فيقول الله أنه سبحانه وتعالى قد جعل اي شرع الفرائض لكل تارك اي متوفي يلونه اي يخلفونه يتولون من بعده فيرثونه بما ترك ولهذا فعليكم الرضي باختيار الله وحكمه فهذه شريعته الله (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون)

وايضا لأن من مظاهر الحسد أيضا التنافس الذي يلجأ إليه البعض لتنفيذ رغبات الحاسد في تحطيم المحسود بما يودي الي زوال ما هو فيه من نعمه وايضا في الشركات التي تكون بين الشركاء من الأقارب التي تكون غالبا قد نشأت بدون رأس مال وانما بالمجهود المبذول من الطرفين وهو ما يدفع البعض الي استعمال الحيل للتوصل من حقوق بعضهم خاصه اذا كان أحدهم قد مات مبررا لنفسه أن شريكه ليس لديه وراثه الا ابن أو أقارب من جهه بعيده أو أنه أحيانا يستكثر أن يعطي النساء ميراث لأن المال سوف يؤوال الي أناس غرباء فياتي النص ناهيا عن ذلك السلوك ومبيناً أنه سبحانه وتعالى قد جعل لكل تارك وراثه يخلفونه وان اللازم الوفاء بالعقود والتي من ضمنها عقد الحلف التي أبرمت في الجاهليه بالاخوه التي كانت تورث البعض فأراد بهذا تصفيه هذه الاحلاف وانهاء مظاهر التبني وغيرها مع الامر بالوفاء بالعقود وعقب علي ذلك بقوله (أن الله كان علي كل شي شهيدا)

بأن عليك مراقبه الله فهو مطلع علي كل وشاهد علي العقود والمعاملات فلا تسمحوا لأنفسكم لنقض العقود

ثالثا

الدرس الاول

تبين النصوص اهميه وجود الاداره التي تتولي القيادة لاي موسسه ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بذكر أن المولي سبحانه وتعالى جعل قياده الاسره للرجال (الرجال قومون علي النساء) والايه وردت في إطار قواعد تنظيم أحوال الاسره التي هي اللبنة الاولى للمجتمع المسلم وبمناسبة ذكر ان الرجال هم التعصيب في الميراث وذكر حركه الأموال واستقلال ملكيه المراه عن الرجل واخبرنا الله عن اهميه حمايه الحقوق والممتلكات من الاهلاك واخبرنا الله انه سبحانه وتعالى لم يخلق الناس في قالب واحد بل جعلهم متفاوتون وان هذا التفاوت والتفضيل مطلب لأجل الإنتاج وإبراز المواهب والقدرات وكي يقوم كلا بدوره في الحياه وهذا لايتحقق الا بوجود قياده رشيده قادره على الاداره وضبط الحركه لان غياب الاداره تودي الي العجز في مواجهه الازمات التي تعصف بالاسره او أي موسسه بل إن غياب الاداره يعني أن الحركه تكون عشوائيه لاتستند الي مخططات ولا رقابه في اداء المنتسبين الي الموسسه ويشيع التصارع داخل الموسسه نتيجة تضارب التعليمات فينشأ الأبناء في كيان هش أو رخو يجعلهم قابلين للانحراف عن المهمه التي أمر بإنشاء الاسره لأجلها فالفوضى تظهر الفاسدين وتحارب الصالحين وتجعل الأفراد يسعون وراء المصالح الشخصية الحاليه ولاينظرون المصلحه ذات الأثر الممتد ويسود الفوضى وعدم القدره علي اتخاذ القرارات أو إصدار الأوامر في المسائل المصيريه ولهذا نجد أن النصوص تناقش مساله ادراه الاسره وتوزع الاختصاصات وتحدد الحقوق والواجبات والإجراءات المتبعه للاداره وخطواتها لأجل الحفاظ علي الموسسه من الضياع

فقال تعالي (الرجال قومون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبتغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا

وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيرا)

المفهوم الثاني

فالمولي يطلب منا أن نحترم قضيه كونه فهو تعالي الخالق للرجال وللنساء وهو سبحانه قد خلق كل شي لغايه فهو يقول لنا في موضع آخر (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدى) أي ثم ارشده للغايه من خلقه وهنا يقول لنا أنه جعل القيادة للرجال (الرجال قومون علي النساء) فذكر السبب وقد زواد الرجال بقدرات وإمكانيات واستعدادات تمكنه من القيام بالمهمه فقد جعل في الرجال القدرات العقلية من الوعي والتفكير والشجاعه والصبر والكد والعمل من اجل حمايه المراه والذود عنها بينما المراه خلق فيها الحنان والعاطفه والرقه لتقوم بدورها في تربيته الابناء وإعدادهم وتوفير السكن والطمأنينة والراحة للرجل فكلا منهما يكمل الآخر وايضا فالرجال ملزمون با لانفاق علي الاسره وتحمل الأعباء وان كانت المراه غنيه

ولهذا يرشدنا الله الي الغايه من هذا التفاوت في خلق الرجل والمرأة فيقول لنا أن هذا له حكمه عظيمه مرتبطه به الوظيفه الغائيه من التفضيل في الخلق

وبالتالي فإن عليك أن تدرك أن القوامه الممنوحة للرجال هي وظيفه تتطلبها نظام الحياه وليست سلطه تسلط وقهر للنساء فجاء إطلاق اللفظ للرجال والنساء لبيان ان هنالك اعباء علي هذا التفضيل تمثل واجبات علي الرجال للنساء فالرجل اذا شاهد امره يتعرض للظلم فإنه ملزم أن ينصفها ويمنع عنها الظلم لأن الله زوده بقدرات وإمكانيات بينما هي ضعيفه وايضا أن الرجل عليه أن يقوم برعايه أخته وابنته وأمه فالقوامه ليست علي الزوجه فقط ولهذا نجد أن الابن يكون وليا عن امه حتي في إبرام عقد نكاح والدته

المفهوم الثالث

تربيته النفس المسلمه أن لاتحسد ولا تتكبر علي تفضيل الله للبعض وان اللازم القبول بأمر الله وطاعته باحترام الهيكل التنظيمي الذي فيه ادراه موسسه الاسره وكل مؤسسات المجتمع بشكل عام فابليس رفض الاعتراف بفضل ادم الذي اختاره الله لادره الخلافة علي الارض وفق منهج الله فالكبر يمنع العبد من الانقياد

المفهوم الثالث

أن قياده الاسره وإدارتها هي تدريب علي قياده الدوله

وادره المؤسسات وهذا يتطلب منك الخبره والمهارات وتحمل المسؤولية (وبما أنفقوا من أموالهم) فالقوامه وظيفه توجب عليك أن تشعر بالمسؤولية تجاه من تعول ومن تكون لك القياده عليهم فيها لفت انتباه الحكام أن وصولهم الي مركز القياده تعني أن عليك التزامات فأنت مسؤول عن توفير احتياجات الناس واكلهم وشربهم فعليك الإلتباه من أن تضع نفسك موضع القدوه (القياده)دون امتلاك ادوات المهاره والخبره التي تمكّنك من تحقيق الاستقرار والسكن والاطمئنان لافراد المؤسسة حيث أن أول مهام القياده اعداد الخطط والبرامج التي توفر احتياجات الناس وتمنع نشوب الازمات والحد من آثارها تمنع ظهور التمرد والعصيان فالادراه تتطلب وجود الموارد التي تغطي فيها الاحتياجات وايضا أن تكون ذات كفاءه لتنفيذ الخطه وتصريف شؤون الاسره والمجتمع وقياده مخططات التطور والمحافظة علي الملائمه التنفيذيه لمفردات المخططات ومتابعه مسارها ومحاسبه المسؤولين عنها ولهذا فهو يحتاج الي خبرات فالمولي يقول لنا انه قد أودع في جنس الرجال مقومات طاقه التحريك البشري أن احسن استخدمه بما أعطاه من الصلابه والرزانه والخشونه والقدرة علي التعامل مع الاحداث بعكس المراه فهي لها دور مكمل الرجل ولهذا جعل القوامه بيد الرجل وايضا الزمه بإنفاق المال والعمل علي توفير مصادر الطاقه الماديه التي تضمن امتثال أفراد الأسرة لاوامرك فتكون انت قدوه لهم ولهذا فإن عدم استعمال الرجل لما أعطاه الله من ملكات في ادراه الاسره وعدم التزود بالمهارات والخبرات التي تجعله قادرا علي استعمال المخزون الذي أودعه الله فيه يعني مزيدا من التخلف والخبال فالرجل الذي يجعل اداره المنزل لزوجته لانه غير واثقا بقدرته لضعف أو نحوه أو نتيجته اعتماده لتوفير احتياجات بيته علي أموال زوجته وعدم سعيه لكسب لقمه عيشه فإن هذا يعني أنه ينشأ اسره سلبيه الدور في الحياه

ثانيا

أن الحق سبحانه وتعالى يريد تربيته المومنين علي الانقياد لأوامر الله والتخلص من الكبر والحسد ولهذا نجد أن النصوص تذكر اهميه احترام الهيكل التنظيمي الذي يكون ادراه الاسره و كل مؤسسات المجتمع المسلم فالانتاج والتطور يتطلب وجود الاداره والاعتراف بالهيكل التنظيمي الذي يناط به ادراه المؤسسات كلا من موقعه الذي اوكل إليه مسؤوليات متعلقه بعمل الموسسه فالله قد أخبرنا أن التفضيل هو لأجل زياده الانتاج وتحقيق الغايه و الهدف فابليس رفض الاعتراف بفضل ادم الذي اختاره الله لادره الخلافة علي الارض فوصف بالكفر

وهنا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن النساء الصالحات اي المومنات الصالحات بطبيعتهن فذكر وصفهن بالصالح الذي هو ضد الفساد لبيان ان هدفهن من الانقياد بالاعتراف بالقوامه للرجال يعود إلي أن هدفهن بالحياه هو طاعه الله فقد من المصلحه الاجله علي العاجله فوصفهن (قانتات)

من الخضوع اي خاضعه لزوجها بالاعتراف بالتفضيل الذي فضل الله به الرجال عليهن فطهاره نفوسهن من الكبر سهل عليهن الانقياد ولهذا وصفهن بالقنويات لبيان ان ذلك منهن علي الدوام فهن مطيعات لزوجهن

وان طاعتهن لزوجهن ليس ناتج عن ارغامهن نتيجة عادت وأعراف لا بل عن رغبه وحب لتنفيذ أوامر زوجها لأن إيمانها وصلاحتها يوجب عليه ذلك فهي تريد إرضاء الله تعالى

فهي تراقب الله في كل فعل تفعله لاتحسد ولا تغضب لنفسها فهي تعرف ربها بكماله وجلاله وتعرف نفسها وضعفها وافتقارها لربها

راضيه بقدر الله واختياره ولهذا فهي تحفظ اسرار زوجها وأمواله وتحفظ نفسها في حضوره وغيابه فهي تراقب الله فهذه هي المراه الصالحه وتلك هي واجباتها فقد ذكر أن سيدنا ابراهيم عليه السلام زار بيت اسماعيل فوجد زوجته فسألها عن أحوالهم فشكت وتضجرت فقال لها اذا جاء اسماعيل فقولي له أن يغير عتبه بابه اي امره أن يطلقها ..وعندما وجد الثانيه سألتها نفس السؤال فقالت الحمد لله بخير فقال لها قولي له يمك عتبه الدار أو بابه

ثالثا

يقول لك المولي سبحانه وتعالى اذا عرفت أن القوامه وظيفه ممنوحه للرجال توجب مسؤوليات كبيرة علي عاتق الرجال ولهذا فإن علي القائد أن يكون متيقظا وعارفا بأحوال الإتياع الذين يتبعون قيادته فلا بد أن تكون عالما بأحوال المؤسسه وانضباطهم في أداء المهام الموكلة لهم فالتخطيط يتطلب ايضا الرقابه علي أداء المهامه ليكون اكتشاف إشارات الانذار المبكره الداله علي وجود خطر ينذر بحدوث كارته داخل كيانها يستوجب اعداد الخطط للوقايه من الازمات

واحتواء الضرر أن وقع ولهذا يقول لنا تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا)

الأمر الأول

الخطاب موجها للازواج بإرشادهم الي طريق القيام علي أحوال الاسره بأن الأمر يتطلب الرقابه علي أداء المؤسسه واهميه التقاط الإشارات المبكره التي تنبئ بحدوث ازمه لتلافي وقوعها فقال تعالى (اللاتي تخافون) ف الخوف حاله تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه من خلال وجود امارات تدل علي التمرد والعصيان داخل المؤسسه لأن النشوز افه تهدم كيان الاسره فالنشوز مأخوذ من الارتفاع والنهوض و القيام

واصله الارتفاع والغلظ ومنه النشز من الأرض وهو المكان المرتفع الغليظ ومنه قوله تعالى (وانظر الي العظام كيف نشزها)اي نرفع بعضها الي بعض وسميت المراه العاصيه ناشزا لما فيها من الغلظ والارتفاع من طاعه زوجها وسمي النهوض نشوزا لأن القاعد يرتفع عن الأرض

ولهذا استعمل اسم الاشاره اللاتي .للارتفاع بينما استعمل لفظ (اللاتي) بالهمزه للتعبير عن النساء التي انخفضت انوثتهن بانقطاع الحيض واللاتي لم يحضن بعد كما قال تعالى (واللاتي يائسن من المحيض من نسائكم ..الخ

وهنا تبين النصوص اهميه التقاط الإشارات المبكره التي تنذر بحدوث ازمه من خلال مشاهدته علامات تدل علي العصيان والتمرد التي يكون فيها استعلاء المراه عن حق الرجل في القيادة والقوامه بأن تمتنع عما يجب عليها طاعته فالأمر لايجب التساهل فيه فعليك وضع الاحتياطات اللازمه لمنع ضياع الاسره

فجاءت النصوص تخبر الرجل إذا خفتن عصيان المراه وتمردها فإن لكم سلطه مواجهه ذلك ومعالجه واحتواء الا زمه قبل حدوثها من خلال الخطوات الاتيه

الخطوه الاولي

العظه (فعظوهن)

بمعني انصحوهن بأن تقول لهن أن الله قد فرض طاعتي عليكن فهذا حق أوجهه الله عليكن وتبين لها فوائد احترام حقوق الزوج واهميه التكامل في اداره موسسه الاسره وان التضارب في التعليمات والتوجيهات يولد الفوضى والعشوائية ويعود بالضرر علي الاسره

والنصيحة تعني تلين قلوب المراه باشعارها أن دافعك هو حبك لها ولأجل مصلحه الاسره ومن واجب الوفايه للاسره تنفيذاً لقوله تعالى (قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ايما امراه زوجها راض عنها إلا دخلت الجنه)

فالموعظه تكون بالترهيب والترغيب

الخطوه الثانيه

(واهجروهن في المضاجع)

الهجر الترك ..والنص فيه الحث علي أن يكون الرجل صاحب شخصيه قويه قادرا علي ضبط رغباته وشهوته فلا يضعف أمام اثاره المراه واظهار عدم الاكتراث بها والتقليل من سلطانها حيث أن الغالب أمر عصيان المراه لأمر الزوج وارادتها أن تمارس سلطته داخل المنزل هو أنها تري ضعف الرجل أمام أنوثتها وقت الخلوه فأمر تركها في المراقده فلا تدخل معها في اللحاف فأنت إن فعلت ذلك جعلتها تفقد سلطانها وتشعر أنها لاجاذبيه لها يمكن أن تجعل الرجل يقبل بتمردنا

الخطوه الثالثه

(واضربوهن)

الضرب غير مبرح وان لا يكون بقصد اذلالها وان لا يكون أمام الأطفال فيؤثر علي حالتهم النفسيه وان لا يكون بدافع الانتقام وان لا يكون لارغامها علي حياه لاتطاقها أو يكون بهدف التضيق عليها فالمولي يقول إن مساله التدرج في الخطوات أمر مهم ولايجوز الانتقال الي الخطوه التاليه الا بعد أن يحاول اصلاح شأنها خطوه خطوه وان الغرض من ذلك هو الطاعه اي احترام الهيكل التنظيمي فيقول تعالى (فإن اطعنكم فلا تبتغوا عليهن سبيلا)

فالغايه هو الطاعه التي تحقق الأهداف فلا يجوز استغلال سلطه القوامه لغرض الابتزاز لها كان يحاول الرجل منعها من مزواله نشاطها الاقتصاد والتجاري بدافع الحسد او لغرض الضغط عليها كي تضطر أن تلبى رغباته في الإففاق علي الاسره بدلا عنه فقد قال تعالى (ولاتتمنوا ما فضل الله بفضله علي بعض الرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)

اي أن ملكيه المراه مستقله عن ملكيه الرجل وهنا بين أن النفقات واجب علي الرجل ليكون له القوامه وان طاعه المراه لزوجها بحدود الواجب المأمور به شرعا هو الحد الذي أن التزمت به وجب علي الرجل الكف عن اذيتها

ولهذا يأتي التعقيب (أن الله كان عليا كبيرا)

عليك أن تنظر إلي الله فهو فوقك وقدرته أكبر وأعظم من قدرتك فلا تحاول استغلال سلطه القوامه خلافا للأغراض التي حددها الله ولايجوز الأضرار بالمراه فالله قادر علي أن ينصف المراه وينتصر لها من الزوج الظالم

الأمر الثاني

وفي إطار الحفاظ علي الاسره ومنع الانقسام والتمزيق والانفصال والطلاق نجد المنهج الرباني يدعو الي عدم الا ستسلام لمحاوله أحد الزوجين أو كلاهما إنهاء العلاقة الزوجية فلا يكون إنهاء العلاقة الزوجية بتلك السهولة فقال تعالي (وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيراً)

وهذا فيه

١

الامر للحاكم اذا علمتم بحصول الخلاف بينهما عليكم المبادرة الي معالجه الأمر قبل استفحال الداء تكلفوا شخصا عاقلا عادلا تثقه من أهل الزوج واخر من أهل الزوجه لحل الخلاف فمهمه الحكمين هي اصلاح ذات البين

٢

أن الأمر الإلهي للحكام جاء فيه (فابعثوا)

اي أرسلوا لان البعثه بمعني الارسال (حكما)

بمعني نوا الحكم النافذ اشاره الي أن حكمهما له من القوه اكبر من حكم القاضي ووصفه (من أهله ..واهلها

لبيان اهميه أن يكون ذا بصيره بالواقع حياه الزواج والزوجه وعالما بالاحكام ليس غشيم ولا غير عارفا بأحوال وأحكام ذلك

٣

يقول المولي أن مهمه الحكمين اصلاح ذات البين واعاده الاسره الي وضعها الصحيح وازاله كل آثار الخلاف والأمر يتطلب من الحكمين الشعور بالمسؤولية وبامانه التكليف الملقي علي عاتقهم ولهذا فإن نيه ارده اصلاح شان الزوجين لدي المحكمين أمر مهم فجاء الضمير عائدا الي المحكمين في قوله (أن يريدوا اصلاحا)

لأن نيه الإصلاح أمر مطلوب منهم أما الزوجين فقد أخبرنا الله أن شأنهما الخلاف فأراد بهذا أن يبين أن علي الحكمين الابتعاد عن ارداه الانتصار لطرف علي طرف فعندما يريد الحكم من طرف الزوج الانتصار. لأهله اي للزوج وكذلك الحكم من أهل الزوجه عندما يريد الانتصار للزوجه فإن النوايا غير سليمه وبالتالي فإن النتيجة محسومه مقدما وهي زياده عمق الخلاف بين الزوجين أما إذا أراد المقاربه بينهما ف الله يوعدهم أنه سوف يسهل الماموريه عليهم لانه سوف يوفق بين الزوجين فالضمير في قوله (يوفق الله بينهما)

عائد الي الزوجين

ويأتي التعقيب علي ماسبق (أن الله كان عليما خبيراً)

عالم بما يدور في نفوس المحكمين من ارده الصلح أو ارده الانتصار لأي من الاطراف عليما بما يصلح احوال الناس وخبير في أحكامه التي تلائم كل علاقته والخبره هي العلم والعلم يطلق علي العلم بالظواهر والبواطن وذكر الخبير بعد العلم من باب ذكر الخاص بعد العام والجمله استثنائية لبيان لطف واطلاعه علي مايجري بينكم فهو عالم خبير بما يحدث بين الزوجين

المقطع الرابع من سورة النساء

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماؤاتهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين ينفقون أموالهم رثاً الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً وماذا عليهم لو أنهم آمنوا بالله و اليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً أن الله لا يظلم مثقال ذره وإن تك حسنة يضاعفها ويوت من لدهن أجرها عظيماً فكيف إذا جئنا من كل أمه بشهيد وجئنا بك علي هؤلاء شهيد يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوي بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً يابها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولاجنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستتم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجهكم وأيدكم أن الله كان عفواً غفوراً)

اولا

ابتدأت الآيات بالأمر الإلهي بعبادة الله وتوحيده وطاعته وعطف علي ذلك الأمر بالبر في تعامل الإنسان مع بني جنسه بالرحمة والعطف ووفق الترتيب والالوية باستحقاق الاحسان ثم جاء التحذير من الكبر والفخر والخيلاء و البخل وكتمان النعمة والرياء وطلب الشهرة وإن ذلك فيه اتباع لخطوات الشيطان والتهديد بالعذاب والاهانه في اليوم الآخر ثم جاء الحوار مع العقل باستنكار تفضيل هؤلاء للمعصية علي الطاعة وذكر كمال عدل الله وموقف الكفار يوم القيامة... ودور الامه الاسلاميه في الشهاده علي الناس

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها وردت معطوفه علي ما قبلها من الآيات التي تناولت احكام تنظيم العلاقات الا سريه والاجتماعيه والعقود الماليه والاقتصاديه وأسس التطور الاقتصادي وعقود النكاح وحقوق المراه وما يترتب علي ذلك من ضروره امتثال أمر الله واتباع منهج الله فجاء العطف بحرف الواو في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً)

وبالوقوف علي العطف وما لحقه نجد الآتي

الدرس الاول

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يقول لك أن عليك أن تدرك القاعده الاساسيه التي تنطلق منها في كل حركه او فعل أو قول في الحياه هي قاعده التوحيد

فعليك أن تربط كل شي في حياتك بالله (التوحيد)

في كل شأن من شؤون حياتك السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافية يقول الله أن عقيدته التوحيد الإسلام م ليس مجرد عقيدته تعمل عملها في النفس فقط

ولاتتعدي الي المجتمع ولايخرج للحياه فليس الأمر فلا بد أن يمارس دوره في الحياه ولهذا فالإسلام يحتاج الي مجتمع مسلم ودوله يحكمها ويحكم العلاقات الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمه من معني

ولهذا كان الهجره من مكه الي المدينه إذ لابد أن يعمل التوحيد ويظهر أثره في الحياه فلا بد أن ينظم المجتمع

ويعيد خلقه من جديد علي الصوره التي يرضاها الله

تعالى خالق الكون والناس كلهم فهو ليس شعارات وطقوس وانما الاسلام دين ودوله وعباده وروح وإيمان يتدخل الاسلام في علاقات الرجل بزوجته وأمه وخادمه وابنه يتدخل في الزواج والطلاق والميراث والسياسية والاقتصاد والتسويق التجاري والبنوك فالإسلام لا يمكن فصله عن السياسة والاقتصاد اوغيره ولهذا يضع دستوراً لهذا كله يبين لك ما تفعل وما لا تفعل ولهذا قال تعالي عطفاً علي ماسبق (واعبدوا الله)

يقول لك الله انتبه أن تدخل أي قضية من القضايا المذكورة أو العلاقة الزوجية أو أي شأن من شؤون الحياة علي غير منهج الله فعباده الله تعالي هي الغذاء الروحاني الذي يصلك بالله تعالي وهي ليست مقصورة علي الطقوس الدينية والشعائر من الصلاة والصيام والحج وانما عليك طاعه الله في كل أمر وشأن وفي كل ماجاء به القرآن الكريم من أوامر

فالعبادة تعني الخضوع والذل والخشوع والتواضع وهي ماخوذه من قولك طريق معبد أي مذل للساكنين والمراد بهذا القيام بأمر الله والنهي عن الشرك بأن لاتدخل في حق الله ما يكون شركاً به تعالي

٢

يقول لك الحق سبحانه وتعالى عليك أن تعبد الله تعالي بطاعه أوامره في كل شأن من شؤون حياتك السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ففي ذلك سعادتك ونمو شخصيتك وتقدمك فيه النجاح والفلاح والتقدم والازدهار والرفي حيث أن هذا المنهج منزل من الله العليم بعباده والخبير بما يناسب أحوالهم كما ختم آيات المقطع السابق فهو يتفق والفطره التي خلق الله الناس عليها فالطابع التي طبعت عليها الفطره الانسانيه هي الاعتقاد بالله وحده لا شريك له ولهذا فإن تحقيق هذه الغاية التي فيها السعاده وإشباع الاشواق التي في النفس فهي تبحث عن الذات العليا لاتحقق إلا بالمنهج الذي يكون اتصال الروح بخالقها فهو الطريق الوحيد الذي ينجي الله به عبده ولهذا لابد من التحرر من كافة القيود التي تمنع العبد من الانقياد لأمر الله في جميع شؤون الحياة يجب التخلص من العادات والتقاليد التي تتعارض مع الشريعة الاسلاميه فلا يصح ادعاء الايمان في حين ترفض أن يكون شرع الله هو الذي يحكم الحياة فحقائق الاسلام لم تنزل لتحفظ في النفوس أو تدخر تكنز في العقول بل لابد أن يمارس التوحيد دوره في حكم النفوس والمجتمعات في جميع جوانب الحياة دون استثناء

٣

أن الحق بهذا الأمر يريد أن يكون التوحيد فكره تحتل عقلك ويكون لهذه الفكره اثر في الحياة الفرديه والمجتمع والدوله فيكون هو النظام الذي يحكم العلاقات كلها دون استثناء وان يكون قلبك متعلقاً بالله تشعر أنك عابد لله في كل عمل تعلمه وانك تبتغي بذلك وجه الله فقال تعالي (ولاتشركوا به شيئاً)

لاتدخل في أي شأن من شؤون حياتك أو عمل تعلمه مايفسد عقلك وعملك من الشرك فقال تعالي (شيئاً)

نكره في سياق النهي ومعني ذلك نفي الشرك كله دون استثناء فلا تشرك بالله بالدعاء ولا بالخوف ولا الوثنيه السياسه الفرعه بالقبول بالطغيان والاستبداد السياسي ولا الأصنام ولا عباده المال ولا الانظمه البشريه المنحرفه ولا الأصنام ولا أي شكل من الأشكال

فالشرك اعتداء علي حق الله فالذي يترك منهج الله وياخذ بمنهج البشر في أي شأن من شؤون الحياة فإنه يعتدي علي حق الله وسلطانه في التشريع وهو يجعل من هولاء البشر الهه تعبد من دون الله فالله سبحانه وتعالى قال عن اليهود والنصارى (اتخذوا اخبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله... الخ

بمناسبه الدعوه الي ضروره تطوير شخصيه المسلم ونموه وتقدمه وإيضاح أن المنهج الرباني يهدف إلي تحقيق هذا الهدف الذي فيه سعادته المسلم والبشريه كلها (يريد الله أن يبين لكم... الخ

لأن المسلم مكلف بحمل الامانه الخلافه للعالم أجمع ومهمته إنقاذ البشريه من الوثنية بكافه انواعها ومن الظلم والاضطهاد والطغيان والاستبداد بتقديم الموصاه لهم والتضحية بالنفس في سبيل تحقيق هذا الهدف ابتغاء وجه الله تعالى... فذكر اهميه التحرر من العادات والتقاليد التي تقف عائقا أمام تحقيق هذه الأهداف وهنا تأتي النصوص بذكر أن الإلتباع الحقيقي لهذا المنهج لا يتحقق الا بأن تعرف حق الله تعالى علي عبادته قولا وفعلا بأن تعرفه وتحبه وتعبد له ولا شريك له وتعرف حق بني جنسك فذكر حقوق الوالدين والاقارب والأيتام والمساكين والجار القريب والجار الصاحب والمسافر وملك اليمين توج هذا التقدم والازدهار بتقدم اجتماعي في طريق العدالة الاجتماعيه والتكافل الذي ينتج عن التقدم تقدم آخر فلا يكون نظام يرفع شعارات حماسيه دون أن يكون عارفا بمفهومها ولا قادرا فعلا علي تنفيذها ولا صادقا في التنفيذ فإن هذا الأمر يتحول لمجرد مسرحيه وماساه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يتوجه لعباده بهذا الخطاب الذي يبين فيه لهم أنه لا بد لهذا المنهج أن ينتقل من العلم النظري الي العمل التطبيقي يكون للتأثر بهذا المنهج مظاهر تعبر عن وجود ارضيه قابله للتقدم ونظام يدفع لمزيد منه واول خطوه هو تحري الوصال بالله الذي يكون فيه إحراق اصنامنا والهتنا الباطله من الكبر والفخر و البخل ثم نضع أنفسنا وامولنا وكل شي قربانا لله تعالى فلا بد أن يحصل الموت لميولنا النفسانية نتخلي عن الانانيه و نتصل بالله فتكون العباده غذاء روحاني تدفعنا الي خدمه خلق الله بالتفاني في ذلك لوجه الله وابتغاء مرضات الله فالله قد أخبرنا في بدايه الايه (واتقوا الله الذي تسألون به والارحام) وقال تعالى (فما من اعطي واتقي) وقال تعالى (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

فحق الله يكون بالتعظيم لامره بالخشوع والتواضع وهذا هو اصل التقوي وحق العباد الرحمه لعباد الله بالاحسان إليهم

وهذه المظاهر تكون بمعرفه حقوق بني جنسه حسب مراتبهم وان تستعمل ملكات العدل والإحسان والرحمه في محلها بأن يعطي الجميع من بني جنسه حقوقهم فيما من الله عليه من العلم والمال وكل شي فيه منافع لهم بحسب درجاتهم

فذكر المولي الترتيب لهذه الحقوق التي يأمر المومن التعامل معهم بلطف ورحمه حسب درجاتهم بالترتيب لبيان اهميه الاداره والخطط القائمه علي ترتيب الأولويات ومنع الخلط بين الأولويات لمافيه من أضرار اعاقه التقدم و التطور فذكر المولي ترتيب هذه الأولويات وفقا للاتي

١

بالوالدين احسانا)

والباء بمعني الي اي احسن الي والديك وخصهم بهذه الدرجه لأن حقهما أعظم حقوق بني البشر فالأمر بالتاديب في الحديث معهما واعطاهما ما يحتاجون فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يارسل الله قال من إدراك والديه أحدهما أو كلاهما عند الكبر ثم لم يدخل الجنه)

فهما سبب وجودك في الحياه وقد تحملوا المشقه والتعب من أجل ذلك ولهذا استخدم لفظ الاحسان علي سبيل المبالغه بأن يكون العطاء فوق زائدا عن حقهما عليك فأحسن تعني القيام بالتكاليف وزياده عما طلب منك وحد ذلك يتوقف (فإن جهداك علي أن تشرك بي... الخ

فعندما يطلبان منك الشكر بآلله فلا سلطه لهما عليك

فالمراد بالاحسان التلطف بهم والرحمه لهم والانكسار امامهم في التعامل طالما لم يطلبوا منك ما فيه الشكر بآلله

٢

الاهتمام بالاقارب بالاحسان اليهم وهم الارحام مثل الاخت وبناتها وعمتك ..الارحام فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال (من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه)

وقوله ينسأله من اثره تعني ان يؤخر له في أجله ويبطيل عمره

٣

اليتامي هم الذين فقدوا من يعولهم ويحتاجون الي من يشعرهم بالحنان الذي يعوضهم عن حنان أبيهم ويقوم بتربيتهم والرفق بهم

٤

والمساكين هم المحتاجين الذي أصابهم العوز فلاحسان إليهم بالصدقه والكلمه الطيبه

٥

الجار ذي القربي

الذي تربطك به رابطه القرابه بالنسب والجوار والإسلام فهو مقدم من هذه الجهات الثلاث بالعتاء

٦

الجار بالجنب

الملاصق لك سواء بالدار أو بالمهنه أو الحرفه أو الجالس جوراك في المسجد

٧

الصاحب بالسفر له عليك حق

٨

ابن السبيل المنقطع عن أهله فهو بحاجه الي ازاله احساس أنه غريب منقطع عن أهله فتكون له اهلا

٩

وما ملكت ايمانكم

لا تكلفه ما لا يطيق ولا تتكبر عليه وان تعطيه ما يحتاج من الماكل والمشرب

الدرس الثالث

يقول لنا الله أن التأثر بالشريعة ألحقه هو الذي يصل الي القلب ويحدث تحولا في حياه الانسان حيث يبلغ ذروه هذا التأثر الناتج عن التمسك بالمنهج الرباني في تاديه حقوق الله وحقوق عباده أن العبد يتفاني في الله بخدمه خلق الله قاصدا بذلك إرضاء الله

لماذا ؟

لانه قد عرف حق الله بأنه يكون بتعظيم أمر الله فهذا أساس التعامل بينه وبين الله ..وعرف أن حق العباد يكون بـ العطف والرحمه حسب مراتبهم

فكان ابتداء الايه بالأمر بعباده الله وتوحيده بطاعه وأمره واجتناب نواهيه وان لاتشرك به شئيا ثم عطف بالا هتمام والرعايه بتلك الفئات لانهم ضعفاء

فأخبرنا أنه يجب التواضع في التعامل معهم فلا تتفاخر عليهم ولا تحتقرهم وتستعلي عليهم فتلك الصفات هي من صفات ابليس وقد كان طرده من رحمه الله بسبب ذلك

لأن الذين يتكبرون ويتفاخرون يجعلون من أنفسهم عظماء هكذا يتخيلون أنفسهم وهذا لايعرف نفسه وضعفه فهو مخلوق وكيف له أن يتكبر وينازع الله بكبريائه وعظمته فهو لايومن بـ الله

ولهذا فإن هذا المتكبر الذي بانف عن أقاربه وأصدقائه وجيرانه ولايحسن معاشرتهم فخورا علي الناس بما أعطاه الله من المال والعلم والجاهفهو لايعظم أمر الله ولايشكره علي انعامه فهو لا يحبه الله فقال تعالي (أن الله لا يحب كل مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماؤاتاهم الله)

فهذا لم يتأثر باتباع الشريعة الاسلاميه ألحقه ولم يصل التوحيد الي مركز المشاعر القلب فمن تأثر لابد أن يتحول من الوحشيه والهمجيه ويصير انسان ثم انسان أخلاقي ثم انسان رباني فالتحول إنما يكون لمن يريد ان يحظي بحب الله والقرب منه تعالي يريد الوصال بـ الله فالاحسان لايصدر الا من اتصف بأخلاق الرب إنما تصدر عن اخلص عمله لله وكان منه ايثار الحياه الاخره علي الدنيا فالله يقول (وأما من بخل واستغني وآثار الحياه الدنيا.. الخ

وقال إن الاعطاء والدفع الذي هو ضد البخل والكبر والفخر إنما يكون من أهل التقوي (فما من اعطي واتقي)وقال (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

فذكر اصلان هما جامع العلم حق الله (بالتعظيم لامره) وحق الرحمه لعباد الله..والتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وهذا أصل التقوي .وهذا مضاد للخيلاء والفخر والكبر

والرحمة لعباد الله بالاحسان إليهم وهذا كله مضاد للبخل فالاحسان فيه النفع للخلق بينما البخل يراد قطع المنافع عن الخلق

ولهذا كان ذكر هذه الأسس بمناسبة ذكر المعاملات الماليه والعلاقات الاسريه والحفاظ علي أموال الضعفاء واحترام حقوق الإنسان وكرامته وحريةه والمراه وكيفيه استعمال سلطه القوامه ومراقبته تعالي في ذلك فكان مناسبا العطف بالأمر بالخشوع والتواضع في التعامل تعظيما لأمر الله وان ذلك فيه عباده الله فاللازم علي العبد التوجه إلي الله في كل شأن من شؤونه وان لايصرف وجهه عن الله وان تجد وصاياه مكانا متمكنا في نفسه تعصمه من الانحراف ليكون عابدا لله في ذلك ثم أمر بالاحسان الي العباد لبيان حقوق العباد وعقب بأنه تعالي لا يحب المختال وهو الذي يختال نفسه عظيما فيتوهم نفسه أنه أمر عظيم فوق ماهو وما لاحقيقه له فيحتقر الآ خرين ويطلب أن يمدح بالباطل فهو يريد أن يتعظم وان يعظم يريد العلو في الأرض والفخر علي الناس حتي يبلغ الأمر به الي مزاحمه الربوبيه كفرعون ومزاحمه النبوه

وينتج عن ذلك أنه يحتقر غيره ويصغرهم وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (الكبر بטר الحق وغمط الناس)

فالفخر يشبه غمط الناس والبطر للحق حجده ودفعه فيشبه الاختيال بالباطل فإنه تخيل أن الحق باطلا فيدفعه ويجحده والبخل منع النافع فكان هذا لتقبيح هذه الأخلاق ليحصل النفور منها فالله يقول هل تريدون أن تعرفوا من أوصاف هولاء فقال تعالي (الذين

بيخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماؤاتهم الله

هولاء هم الذين يبغضهم الله فالبخلاء جحدوا نعمه الله وامتنعوا عن الإنفاق لوجه وهم الذين يرفضون الإنفاق باي شيء يمكن بذله من علم أو مال أو جاه والبخل خلق مذموم لانه من الطبائع التي فيها سوء ظن بكرم الله وفضله والبخل سبي الخلق فهو أن استشارته في الإحسان الي الآخرين فإنه يعمل جاهدا علي أن يجعلك تعدل عن قرارك ببذل الإحسان يخوفك بالفقر لو بذلت ولهذا يقول الله أنظروا الي اليهود تروا فيهم صفات المتكبرين و الخيلاء والبخل فهم لم يكتفوا بالبخل بل يدعون الناس الي البخل ويكتمون ماؤاتهم الله من العلم بنبوه النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك أن هولاء لو أن الأرزاق بيدهم لمنعوا حتي الهواء عن الناس لا يريدون أن ينتفع الناس فهم لو بايدهم أن يمنعوا عنك الأكل والشرب لفعلوا ولهذا سماهم الكفار فقال تعالي (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)

بيان ان هذه الأخلاق لاتصدر عن مومن فالمومن يستشعر قلبه بالاخوه والإنسانية فيختلط بالناس ويتواصل معهم فلا يكون انسان مومن من يأنف أن يمد يده لآخرين فهذا اصبح سبع ووحش فهو لم يفقد إيمانه فحسب بل فقد إنسانيته وادميته فهو يتكبر بما أتاه الله فيجعل بينه وبين الناس مسافة بعيدة بعد السماء والأرض فاليهود تفاخروا بانسابهم وكان تمسكهم بالدين لأجل التباهي والتكبر علي الناس ولهذا فقد كان اتباعهم للتوراه منحرف فقالوا أنهم شعب الله المختار وقالوا نحن ابناء الله واحباوه

ولهذا يقول الله انتبهوا أن تنظروا الي الاسلام أنه جنسيه تمنحكم الامتيازات ويكون الكبر والفخر مثل اليهود فهو لاء لا يحبهم الله ..وان الله قد جهز لهم العذاب الموجه الذي فيه الإذلال والاهانه فقد هيا الله لهم المكان فالعذاب داخلا فيه الاهانه فجاء إدغام التنوين مع الميم في قوله (عذابا مهينا)وهو حكم لكل من كان شأنه مثلهم فهو كافر بالنعمة التي أعطاه له الله تعالي فاستحق الاهانه والعذاب الموجه

فأراد الله بهذا أن يغرس في النفوس النفور والكراهية والاحتقار والاشمئزاز لهذه الصفات فهي من صفات الشيطان ثانيا

والذين ينفقون أموالهم رثا الناس ولايومنون بالله ولاباليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فسآء قرينا)

تبين النصوص لنا أن الكفار الذين تخلقوا بأخلاق ابليس الذي تفاخر بذاته وتكبر هم صنفان الاول الذين يمتنعون عن العطف علي المحتاجين الموصوفون بالبخل ويأمرون به ويكتمون ماؤاتهم الله من فضله وأما الصنف الثاني فهولاء ينفقون ولكن من أجل الشهرة والرياء وطلب الثناء والمدح من الناس

فهذا لايومن بالله واليوم الآخر والعيب فيهم أن الشيطان هو صاحب له يزين له أعماله فقبح هذا القرين الذي لا يامر الا بالشر

وبالوقوف علي النص نجد الآتي

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن نهتم بنفسنا ونحذر من لذه الرياء والعجب وحلاوته التي تخالط القلوب فهي تجري في العروق فأنت ايه المومن عليك من اول لحظه تقدم فيها علي العمل أن تفتش همتك وان تنقصي تصحيح اردتك وان تراقب الله عليك أن تنظر إلي صدق نيتك بأنها تبتغي وتريد وجه الله تعالى بذلك العمل و الدار الاخره فإذا اشتبه عليك الأمر ووجدت نفسك تشتهي الثناء فاعلم أن الصدق غائباً لأن حضور الهوي والرياء ف الرياء إنما هو أن تكون الارداه كلها للدنيا فمنه مايكون قاصدا بعمله الدنيا ومنه ما يريد العبد منه الاخره ووجه الله ويحب أن يحمد بعمله ويثني به والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات اي أن اللازم الصدق بالنيه والإخلاص بالتوجه بالعمل لله وحده ولاشي من معاني الدنيا

الدرس الثاني

يقول لك الله عليك اصطحاب النيه الصادقه والإخلاص في العمل متوجها به الي الله والدار الاخره خلال العمل وبعد الانتهاء منه فلا يكتفي بالصدق والإخلاص ببدايه العمل لأن الشيطان سوف يقف لك في منتصف الطريق وهو عدو ملح والله يقول (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)

فالعاقل لايثق بنصائح العدو الذي لايريد له إلا الهلاك بل يكون حذرا من عدوه من قبل البدء بالعمل خاصه وأنه يعلم أن عدوه محتال وملح ومجد لأجل ادخال الأوقات التي تفسد العمل فهو يرصده من قبل دخوله في العمل وبعدما تدخل فيه وبعدما تخرج منه فأنت اذا قدمت الارده الصادقه والنيه الخالصه ودخلت العمل ونقيته من الهوي وجاهدت العدو فإنه لايباس فهو سوف يحاول أن يفسد العمل بعد ذلك فأنت استطعت أن تصده فهو سوف يحاول أن يفسده حتي بعد الخروج من العمل ولهذا فعليك أن تتقي الله وان تخلص له العمل في كل عمل الي الممات لتكون اعمالك كله خالصه لله لاتطلب الثواب الا من الله وحده وتجاهد الشيطان ولاتسمح له أن يحتل بيت افكارك وخوطرك وقلبك فهو عدو هكذا هي اخلاق المومن فهو يتوجه بالعمل لله تعالى وينظر للشيطان أنه عدو

ولهذا اتصل الكلام بذكر الشيطان تعريفا للكفار بصدقاتهم بالشيطان والمعني أن من يكون عمله مما يوسوس له الشيطان فإن عمله قبيح وفساد ف الله يقول (وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

ولبيان أنهم اصدقاء الشيطان وضعوا أيديهم في يده وقد قادهم الشيطان الي الهلاك

الدرس الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن أنه يريد خلقا في التعامل مع حقوق الإنسان مع بني جنسه يتحول الي سلوك صادرا عن اراده حره فالمولي يريد منك توحيدا صادرا عن اراده حره ورتبه ومنتجه الي غايه مقصوده ذلك السلوك وهي إرضاء الله فإذا كان الخلق صفه باطنه تدرك بالبصيره والسلوك هو صورته النفس الظاهره وهو يدرك ب البصر والعلاقه بينهما هي علاقته الدال بالمدلول فالذي يكون خلقه محمودا يكون سلوكه محمودا والذي يكون خلقه مذموما يكون سلوكه مذموم هذا اذا لم توجد أسباب خارجية تؤثر في السلوك فتجعله لايدل عليه دلالة صادقه علي الخلق كمن يتصدق رياء فهذا تجده يستغل المناسبات لظهار كرمه من أجل أن يقول عنه أنه كريم ولهذا فقد جاء الإسلام بمنهج تربوي لبناء الخلق بحيث يكون التحول به الي سلوك صادقا يكون ظاهره منطبقا مع باطنه فجاءت النصوص

الأمر الأول

تحت علي التحلي بأخلاق الرحمه في التعامل مع الناس وأمرنا أن نربطها بعقيده التوحيد أن نتوجه بها الي الله تعالي هي الرحمه بمعناها الشامل التي تعني الرقه والعطف والحنان والحب والشفقه والموده واللين لجميع الناس

رافه تقتضي الاحسان .. فقال تعالي (وبالوالدين إحسانا) والإحسان من الله يختلف عن الاحسان من المومن لأن ماهو منسوب لله يكون الاحسان المجرد عن الرقه فالرحمه من الله انعام وافضال أما من الادميين رقه وعطف ولهذا فإن رحمه تركيب في طباع الناس مركب من الاحسان الرقه والعطف بينما في حق الله تفرد رحمه با ل احسان فقط ف الله لا يحب الكافرين

والله يقول لنا أن رحمه المطلوبه منك هي بمعناها الشامل ولذلك حذر من سلوك اليهود ورسمت النصوص لنا صورته قبيحه للكبر والعنجهيه ثم ذكر العقاب في الاخره لبيان ان اهم وسائل تحويل الاخلاق الي سلوك يكون به الموعظه والنصيحة

الأمر الثاني

تبين النصوص دور الاصدقاء في بنا الاخلاق الفاضله أو القبيحه فأخبرنا الله بأن قبح سلوك واخلاق المتكبرين و الخيلاء أنهم صاروا اصدقاء للشيطان فرسمت النصوص لنا صورته عن حالهم في الشر بأنها كحال الشيطان

ليقول لنا المولي الواجب عليكم اختيار القرين الصالح علي قرين السوء والغرض التنفير الانصار من معاشره اليهود الذين كانوا يحاولون منع الأنصار من البذل بالانفاق بتخويفهم من الفقر فهم يعملون عمل الشيطان فالله يقول (الشيطان يعدكم الفقر)

أما القرين الصالح فإنه يكون عون لك علي الخير في كل الامور فالله يقول (والعصر أن الإنسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتوصوا بالصبر)

الأمر الثالث

يقول لنا الخالق أن عليك ايه المومن احسان استعمال الأساليب التي توصل الفكره وتحدث التحول الإيجابي في خلق وسلوك الإنسان ومن ذلك اتباع أسلوب الحوار والمناقشة من الاسئله المواجهه الي العقل تطلب حضوره واجوابه تجذب انتباه السامع للموعظه التي تأتي من خلاله ولهذا نجد أن النصوص تأتي عطفًا علي ذلك بالسؤال الذي فيه استفهام إنكار وتعجب من حال المتكبرين والخيلاء والبخلاء والمرائيين

فقال تعالي (وماذا عليهم لو أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما أن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنه يضعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فكيف إذا جئنا من كل امه بشهيد وجئنا بك علي هولاء شهيد يومئذ يود الذين كفروا

المبحث الاول

ابتدات بالسؤال الذي يستنكر ويتعجب من حالهم فقال تعالي (وماذا عليهم لو أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله)

يتوجه بالسؤال الي القلوب ومخاطبا العقول يقول ما الذي سوف يضرهم لو انهم اخلصوا النوايا وتوجهوا بالأعمال الصالحة الي الله والدار الاخره وعبدوا الله واتبعوا شرع الله فهذه الاسئله تنقل صورته قبيحه من سوء اختياره هولا ء بترك الايمان فيقول ماهو الضرر الذي جعلهم يتركون الايمان بالله واليوم الآخر والانفاق ابتغاء وجه الله

فهذا التوبيخ لبيان ان طريق الايمان افضل وضمن علي كل حال وعلي كل احتمال بمنطق الربح والخسارة فالأسئله فيها التحريض للعقل علي التفكير لطلب الجواب ليصل الي العلم الذي فيه الفوائد الجليله فالعقل ينظر إلي

العواقب المحموده والمذمومه والمقارنة بينهما ثم يختار مافيه السعاده الابدائيه والفلاح والنجاح فالعقل هو الذي ينظر أنه مسافر في هذه الدنيا الي الله والدار الآخرة وينظر أن هذه الدنيا دار عمل وان الآخرة دار جزء وان الزاد الذي ينفع في الآخرة هي الأعمال الصالحة في هذه الدنيا وان الذي يصل في سفره بدون زاد بعد أن عاش في تعب ونكد الدنيا فإنه يلقي العذاب والهوان فهل من العقل أن تختار العاقبه المذمومه علي العاقبه المحموده

المبحث الثاني

يقول لك المولي أن اخلاق الكبر والبطر والفخر والبخل والرياء هي اخلاق الكفر والباعت لها عدم الإيمان ولهذا ف المولي يقول لنا انتبهوا من تلك الاخلاق القبيحه فهي تتعارض مع الايمان فمقتضي الايمان بالله واليوم أن يكون المومن كريما جودا سمحا يتعامل بحسن الجوار يعرف حقوق جاره ولا يفعل ما يوذيه يهتم بالضعفاء فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

ومن مقتضي الايمان أن يكون المومن رحيفا فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يعرف حق الكبير)

من مقتضي الايمان أن تعترف بنعمه الله عليك وأنه هو الذي أعطاك الرزق وبالتالي فأنت عندما تنفق فإنك تعطي مما أعطاك الله وايضا أن الرزق وكسبه يعني أن تتعلم منه كيف تكسب الرزق الذي سيكون رصيда لك في الآخرة ولهذا فإن علامات السعاده والفلاح تكون كلما زاد العبد علما أو مالا أو جاه زاد توحشا ورحمه وزاد سخائه وبذله وزاد في قضاء حوائج الناس كلما زاد قدره وجاهه وكلما زاد عمله زاد خوفه وحذره من أن يفسد بالرياء ونحوه وان علامات الشقاء أنه كلما زاد علمه وعمله وعمره وماله زاد كبره وتفآخره واحتقار الناس وحرصه وبخله وامساكه

فإن نهايه هذا الهلاك والضياع فما الذي جعلهم يختارون طريق الهلاك ويتركون الايمان ؟

فإن مافي تلك النعم من الله (مما رزقهم الله)

هي ابتلي من الله تعالى يسعد بها أقوام ويشقي بها أقوام حيث يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور فالسعيد هو الذي يتطلع بالأعمال الصالحة الي رضاء الله والدار الآخرة فكان ذلك باعثا جعله يترفع عن طلب اي جزء من الناس وهو يوزن الأمور النافعه والضاره بميزان الايمان فينظر إليها فإذا وافقت منهج المومنين أخذ بها وإن كانت تودي الي طريق الكفر تركها أما الشقي فهو الذي يريد الدنيا وما فيها وميزانه هي المصالح العاجله ولهذا جاء التهديد للكفار والترغيب للمومنين

فقال تعالى (أن الله كان بهم عليما)

فالمومن يكتفي بعلم الله بأعماله وانفاقه فلا يبالي بعلم الناس فالله لا ينسي عمل عامل من ذكر او انثي

يعلم أن الله لا يبخس من عمله شي ولهذا فهو يرجوا قبول عمله

وايضا فإن ايمان المومن بيقين أن الله يعلم أعماله فإنه يكون شاعرا برقابه الله علي الدوام فيكون خائفا من العقاب فهو في حركته يتحرك في نطاق الخوف والرجاء فالرجاء يدفعه الي فعل الطاعات والخوف يدفعه الي ترك المعاصي

أما الكافر فهو غير موقن بالثواب والعقاب ولا يتورع من ارتكاب المعاصي ولهذا يهدده الله أنه لاتخفي عليه شي

من أحوالهم وأعمالهم

وذكر بعدها

(أن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنه يضعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما)

بيان كمال عدله سبحانه وتعالى فذكر أنه لا يظلم أحدا من خلقه بالثواب فلا يعاقب برئ ولا يبخل ولا يتقص من أعمالك شي لأن أصل الظلم النقص فقد قال تعالى في موضع آخر (كلنا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) وأصل المثلقال المقدار الذي له ثقل قل أو أكثر ثم أطلق علي المعيار المخصوص بالذهب وأقل شي هو الذره صغيرا جدا لا ثقل له فالله يقول إنه حتي هذا الجزء الذي لا ثقل له تجد له وزن عند الله فأراد بهذا الحث علي البر والخير وتحفيزهم علي العمل

فالظلم لا يقع من الله فله الكمال فثقوا أن كل محسوب عند الله

*

بعد أن بين الله كمال عدله سبحانه وتعالى يعطف بذكر فضله وكرمه علي من يطيع الله فقال (وان تك حسنه يضعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما)

أنه تعالى له مطلق الفضل فأنت حينما تعمل حسنه يضعفها وقد أخبرنا أن هذه الاضعاف تصل إلي سبعمائة ضعف وأكثر (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل.... الخ

وهنا يقول (ويوت من لدنه اجرا عظيما)

فالايه تشير الي أن فضل الله وأجر عظيم فأراد بهذا أن يبعث في النفوس الشوق الي ما عند فيولد فيهم طاقه تدفعه لمزيد من البذل والعطاء في سبيل الله بالنظر الي ما عند الله من عطاء فالعطاء يعظم بتعظيم المعطي و المومنون يعظمون الله وينظرون ان ثوبه عظيم يفوق الوصف وتصور الإنسان في وصفه وكثرته

المبحث الثالث

تاتي النصوص بصيغه استفهام إنكار وتعجب من حالهم وحال كل من لم يستعد ليوم الحساب فقال تعالى فكيف إذا جئنا من كل امه بشهيد وجئنا بك علي هولاء شهيد)

والشهاده هي عرض الأعمال للأمم بحضور الانبياء الذين يشهدون بقيامهم بالتبليغ بما كلفوا وانهم قد امروهم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أخبرنا الله اننا امه الشهاده فقال تعالى (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيد ا)

تبين النصوص اهميه أن تدرك امه الاسلام دورها في حمل الامانه وانها امه الشهاده وان علينا أن ندرك أن الرسول سوف يكون شهيدا علينا في ساحه الحشر ولذلك يجب علي الامه أن تحسن السير في الطريق الذي سار به الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك يكون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بسيرته وأخلاقه وان من ترك سنته كانت حجه عليه بترك البدع وان نتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القران

وان نحمل الامانه الي العالم أجمع ونبلغ الدعوه للناس جميعا فالرسول ارسل رحمه للعالمين (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين) فمقتضي الامانه أن نتعامل مع الناس بالرحمه بمفهومها الشامل فهي ليست محصوره بحدود معينه ولا جنس ولا لون ولا جماعه دون اخري فقد ورد عن ابي موسي أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لن

تومنوا حتي تراحموا قالوا يارسول الله أن كلنا رحيم قال إنه ليس رحمه أحدكم صاحبه ولكنها رحمه العامه)

فقد كان رسول الله رحيمًا حتي مع أعدائه فعندما أسلم أئامه بن ائال وكانت قريش تعتمد علي قمح اليمامه وعندما اسلم قال لاهل مكه والله لامنع عنكم القمح حتي تتبعوا محمد وتسلموا وفعلا نفذ ما هدد به وبعد ذلك كتبت قريش كتابا الي الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان من ائامه فقالوا (انا عهدنا بك وأنت تأمر بصله الرحم وتخص عليها وأن ائامه قد قطع عنا ميرتنا واضر بنا فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميراتنا فافعل)

فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم أن خلي بين قومي وبين ميرتهم ...

فهذا هو الخلق العظيم الذي يجب الاقتداء به هذه هي رحمه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينظر إلي ما كان من قريش من الاذيه وطرده من مكه بل إنها كانت مازالت في حرب مع المسلمين فرحمه الرسول كانت أعظم من كل خصومه وعدواه وأعظم من مقابله التجويع بالمثل فقد حاصرت قريش المسلمين في شعب أبي طالب حتي أكلوا الشجر بل إنه لو أمر ائامه بتجويعهم لكان في ذلك أضعاف لقريش وقوتها وارغامها علي المسارعه الي الاسلام

لكن الإسلام يريد أن يربي المومنين علي الرحمه بالإنسان فلا يستخدم القمح سلاح لارغام الآخرين علي اعتناق الإسلام

فهذه هي اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا أن نتبعه في تعاملنا مع الآخرين

وان تنتظر الثواب من الله تعالي وان يكون ذلك رصيда لنا في اليوم الآخر

المبحث الرابع

ترسم النصوص لوحه متحركه لحال نفوس المتكبرين والخيلا والمرائين والبخلاء في ساحه الحشر ترسم لنا مشاعرهم كأنها شاخصه متحركه فقال تعالي (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوي بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا)

يقول الله أن هولاء الذين كفروا ورفضوا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في ساحه الحشر يسألهم الله عن أعمالهم وهم واقفون للحساب والجزاء يتمنون أن يسوي بالتراب ولا يستطيعون اخفاء حقيقه أعمالهم القبيحه حيث تشهد أيديهم وأرجلهم علي أعمالهم

فالمولي يقول لك انظر الي حال الإنسان إذا سقط عنه الوعي في الدنيا كيف يكون حاله في الاخره فالله قد ميز الإنسان بالوعي الإنساني الذي يختلف فيه عن بقية المخلوقات فالمومن يدرك بوعيه أنه يحتاج الي رحمه الله وعونه أما الكافر فإنه يعيش عاله علي نعم الله مع أنه يجحد المنعم

ومعيار الوعي الذي يتميز به الإنسان يكمن بوعيه بحقيقه وجوده واكتشافه أنه سيد من صنع الله وعبد لرحمته وجلاله فإذا سقط عن الإنسان وعيه بالله

فإن انخلاع الوعي عن الإنسان يعيده عاريا الي التراب الذي جاء منه وإن انخلاع الإنسان من وعيه باردته وكفره ب الله تعالي يجعله أقل منزله من البهائم ومن التراب الذي جاء منه فيقول الله لنا أن الكفار يتمنون لو يسوون بالأرض وقال في موضع آخر (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر ياليتني كنت ترابا)

صارت رغبته وأمنيته لو يصير تراب مثل البهائم التي بعد أن تقتص من بعضها البعض تصير ترابا

وكيف للإنسان أن يكون التراب أمنيته الا اذا كان انسان بلا وعي ومن هنا تجي اهميه معرفه الله ومحبته

وعبادته وتوحيده لأن الإنسان بغير معرفه الله يصبح بلا وعي وتصبح الاحجار ارق والين من قلبه ويصير تراب الحقول اشرف من عقله واكرم

فشرف الإنسان هو بعباده الله فذلك فيه عزه وكرامته ولهذا يقول الله أنظروا الي مصير المتكبرين والخيلاء والبخلاء وكنتمو النعمه والمرئين كيف حالهم عندما اغتروا بعباء الله فتلك الصفات تسقط الوعي وتجعلك أقل منزله من البهائم وتتمني لو تكون ترابا

فأراد المولي بذكر هذا الموقف التحذير من اسقط الوعي عن الإنسان فالذي يتكبر فهو يتوهم في مخليته أنه عظيم وفوق الناس فهذا يكون قد سقط عنه الوعي وصار بلا وعي وبالتالي فهو بذلك يبتعد عن ادميته وإنسانيته ويصير أقل منزله من الحيوانات فالصوره التي تنقلها النصوص من وسائل الدفع الي ترويض النفس ومجاهدتها لأجل اكتساب الاخلاق الفاضله

رابعا

لما أخبر الله تعالى عن العذاب الذي يلحق بالكفار نجد النصوص وان الكفار يتمنوا لو انهم يكونوا ترابا تبين للمومنين أن النجاه من ذلك المصير يكون بعباده الله فوعي الإنسان وشرفه يكون بالخضوع والخشوع لله فالإنسان خلق لعباده الله فيقول الله أنه لاينجوا من ذلك إلا من كان قلبه طاهرا من الاوساخ ومن التعلق بالدنيا وما فيها فيكون طاهر القلب والجوراح بالإيمان والطاعة لله ورسوله يقول لك الله أن للإنسان بين يدي الله موقفان موقف بين يديه يوم لقائه وموقف بين يديه في الصلاه فإذا أردت أن يسهل عليك الموقف بين يديه يوم لقائه فاعلم أن ذلك يكون بالقيام بحق الموقف بين يدي الله في الصلاه وان من استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه الموقف يوم لقاء الله فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاه وانتم سكارى حتي تعلموا ماتقولون)

وصفا في هذه الايه أن الوقوف بين يدي الله في مقام الانس وحضره القدس هي التي فيها النجاه من هول الوقوف في يوم القيامه وطلب استعمال القوي العقليه وتوجيهها الي العلي العظيم الاعلي وان لاتكون مشغوله بذكر غير ذكر الله وان تستشعر عظمه الله والوقوف بين يديه فالوعي مهم لأن سقوط الوعي عن الإنسان يعيده عاريا الي التراب الذي جاء منه في بدايه الامر

يقول لك الله انك في مناجاه مع الله فلا تقربوا الصلاه وانتم في حاله سكر والسكر يعني إسقاط الوعي والايه نزلت قبل تحريم الخمر والسكر انواع منها سكر الخمر وسكر الغفله والشهوات وحب الدنيا والرئاسة فإنها تجعل صاحبه بلا وعي فقال تعالي (حتي تعلموا ماتقولون)

اي لاتاتوها في حال سكركم حتي تزول الغفله عنكم فتدركوا ما تقولون فالأمر فيه اهميه حضور القلب والعقل أثناء مناجاه الله ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاه في حضره الطعام وحال الاذي لأن ذلك مانع من حضور القلب

وهنا اشاره الي أن علي المصلي أن يحترز عن كل ما يلهيه أو يشغله عن الصلاه فأنت بحاجة إلي الوعي الذي فيه معرفه معبودك وانت تناجيه فالله أعظم وأكبر من اي شي فإذا علمت ذلك فينبغي أن لا يكون في تلك الحاله في قلبك شي تتعلق به اكبر من الله

أن تلك المعرفه توجب عليك أن تقابل الله وانت بوعي تام فهذا الوعي هو محل التكليف الذي ميزك عن بقية المخلوقات فالله يقول (واسجد واقترب) ولايتحقق هذا الأمر بدون الوعي الذي أن سقط عنك صرت فإنك تكون أقل منزله من البهائم

كما أن الايه تبين لنا أن المنهج الرباني جاء بتنظيم الحياه وتربيته المومنين وان نمو شخصيه المسلم وتطوره هدف الإسلام ولذلك فإن الإسلام قد حمل مشروع الاخلاق الفاضله وجاء بمنهج متكامل لاكتساب الاخلاق الفاضله ولما كانت العادات التي نشاء عليها الناس نوعان عادت نفسه فرديه من العنجه والكبر والفخر والبخل والرياء فقد كان موجهتها مواجهه حاسمه والوسيلة الي ذلك هي التوجيه الموحى للقلب والاتصال بالله في السر والعلن فقال تعالي (أن الله كان بهم عليما)

فقد كان الأمر سهل في هذا الجانب لكن هنالك عادات اجتماعية لاتقوم علي مشاعر الفرد وحده وانما ترتبط بأحوال اجتماعيه واقتصادية متشابهه لا بد من إيجاد الحلول المناسبة التي تمنع ظهور أزمات جديده ناتجه عن الحلول المستعجله التي لاترعي جميع جوانب المشكله ولهذا نجد أن معالجه الاسلام لتلك العادات كان بالتدرج البطي مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب مثل الخمر والزنا والرق كما نري في هذه السوره لأنها لم تكن عادات فرديه وانما اجتماعيه فقد كان عملها ساريه في المجتمع كله وهي ليست من العادات التي تستطيع النفس أن تحسم موقفها في لحظه فلا يعادوها الحنين إليها ولاتعود لذلك كان العلاج لها بالتدرج علي مراحل ودرجات واخر تحريمها حتي اكتمل نمو المجتمع المسلم

فالايه تناقش التدرج في التربيه الربانيه للمومنين بالمنهج الإسلامي الذي انتقل بهم من الجاهليه الي نظام الاسلام ولهذا يقول لنا الله أن العمليه متعلقه بالعبور والانتقال الي النظام الإسلامي

يقول لك الحق أنه إذا أردت العمل بدفع حركه المجتمع نحو التغيير الإيجابي فاللازم أن يكون ذلك بأسلوب يضمن سلامه الحركه واتزان السلوك أثناء التقدم بالمضي قدما في أحداث عمليه التغيير والحفاظ علي النشاط والقدرات والطاقت بأن تكون الخطوات مدروسه النتائج خطوات ثابتة وهادئه ومتتابعه لأن أن تقفز نحو الهدف خطوه واحده لأن ذلك يولد أما الإفراط والتفريط وأما التطرف والمغلايه والبعد عن الهدف وضياع المعالم الداله على الطريق ولهذا نجد أن الإسلام جاء بالتدرج في تحريم الخمر حيث أنه كان في هذه المرحله تحريم تناول الخمر حال الصلاه وهذا يعني وقف التمل في أغلب الأوقات حيث لم يبقي لهم وقت الا من بعد صلاه العشاء فالوقت بينها وبين صلاه الفجر طويله اي أنه يحين وقت صلاه الفجر وقد ذهب مفعول الخمر أما من بعد الفجر فإن الوقت وان اتسع فهو وقت العمل الاغلبيه من الناس ولن يسكر الا العاطلين من العمل فكان هذا له أثر في محاربه العاده ومقدمه تهئ لتحريم تناول الخمر

الأمر الثاني

يأمر الله المومنين باجتنب المساجد حال الجنابه من الجماع الا في حاله الضروره القصوي لأن الأنصار كانت بيوتهم جوار المسجد فكانوا يمرون بها وهم جنب

وايضا الأمر متعلق بالصلاه أنه يجب علي المصلي أن يكون طاهرا فلا يصلي حال كونه جنب الا من كان مضطرا لظروف معينه محدده

المريض الذي يخشي أن استعمل الماء أن يودي به الي الموت مثل الجدري والقروح الناتجه عن الحروق العظيمه ...

والمريض الذي لا يخشي عليه أن يموت ان اغتسل ولكن يخشي من مضاعفه المرض واشتداد الالم فهؤلاء لهم أن لا يغتسلوا من جنب الجماع ونحوه كاحتلام لوجود المرض الذي يمنع من الاغتسال

المسافر بحيث لا يجد الماء لبعده أو لوجود مانع من الوصول إليه كعدو متربص أو حيوان مفترس أو غيره والأمر أيضا في الحدث الأصغر (أو جاء أحد منكم من الغائط) والأكبر (أو لمستتم النساء) والمراد بهذا الجماع فلم تجدوا ماء (أ)

أنه في جميع الحالات المذكوره يكون لكم بعد الطلب فلکم الرخصه أن تقصدوا صعيدا طاهرا أي ما كان من جنس الأرض التراب أو حجر أو حائط بالتيمم بأن تضرب خبطه واحده بالكفين علي الصعيد الطاهر ثم تنفضهما ثم تمسح الوجه واليدين الي المرافق وعقب علي ذلك (، أن الله كان عفوا غفورا)

كنايه عن الترخيص والتسهيل والتيسير من الله لعباده فيما ذكر من الأحكام وان من عادته أن يعفوا عن المخطئين ويغفر للمذنبين فمن كانت تلك عادته فلا بد أن تكون أحكامه ميسره لامعسرته

المقطع الخامس من سورة النساء

بعد أن تناولت النصوص السابقة معركه الاسلام في البناء والتقدم والتنميه والازدهار من خلال التشريعات التي تضمنت احكام تنظيم العلاقات الماليه وقوانين الاقتصاد والعلاقات الاسريه والاجتماعيه والتعاملات الانسانيه و التي تهدف إلي بناء مؤسسات المجتمع المسلم ودولته ماديا وروحيا وأخلاقيا فقد كانت تلك معركه يخوضها الاسلام مع العادات والتقاليد الجاهليه في مهمه نقل المسلمين من ذلك النظام الي النظام الإسلامي الذي يحقق التفوق للمسلمين علي من حوله من المجتمعات الجاهليه بما فيها اليهود الذين كانوا يقيمون في قلب المدينة المنورة في ظل هذا المعركه التي يخوضها الاسلام بالجماعه المومنه بتعليمهم وتزويدهم بالمهارات والخبرات اللازمه لقياده الدوله والعالم

تاتي النصوص مبينه أن المعركه مستمره مع المعسكر المعادي لمبادئ وقيم الاسلام والعدو داخلي وخارجي فتناولت النصوص هاتان الصورتان من خلال الآتي

القسم الاول

(الم تر الي الذين أتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلاله ويريدون أن تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفي ب الله وليا وكفي بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بأستنهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

الآيات ابتدأت بتوجيه الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمر لكل المسلمين (الم تر) والتي تعني الم تشهد وتنظر الي حال اهل الكتاب الذين حظوا بعلم التوراه فذكر ما كان منهم من الانحراف عن التوراه وارداه اضلال المسلمين... وهذا بعد أن ذكرت النصوص قبلها الأحكام التي فيها تنظيم العلاقات الإنسانية في كفه شؤون الحياه وبينت للمسلمين الثواب والعقاب علي امتثال أو مخالفه هذا المنهج تربط النصوص تلك الأحكام بمن كان قبلهم من الأمم التي حملت رايه الهدايه وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

التحذير من سلوك التهاون والتساهل في التلقي والتنفيذ لأحكام الشرع والتحذير من النظر إليه أنه رسوم فقط ب لا معني يقول لكم الحق انظروا وشاهدوا هذه التجربه الحاضره امامكم لتروا اضرار التساهل في الدين وأحكامه فالتسيير والتسهيل للأحكام لاتعني الإفراط والتفريط فعليكم ان تأخذوا بأحكام الله علي الوجه الذي أمر الله به و الموصل الي صلاح النفس وتطهير القلوب اي الأخذ به صورته ومعني يقول لنا احذروا من عمل الرسوم الظاهره فهي مثل الغسل والتيمم لاتعني شيئا اذا لم يحصل تطهير القلوب حتي ينالوا مرضات الله ويكونوا اهلا لكرامته يقول لنا ان المراد من الشعائر ان تقمع الفخر وتنعم الكبر فالصلاه فيها اخشاع البصر وإذلال القلوب وازهاب للخيه لاء فأنت تضع وجوهك في التراب وكرائم الجوراح في الأرض صاغرين فلا يكون حالكم مثل الأمم السابقه الم تشاهدوا حالهم عندما اكتفت بالنظر الي الدين أنه رسوم وطقوس فقط مثل اليهود فانظروا كيف كانت نهايتهم فهم لم يعدوا قادرين علي المضي قدما في حمل المشروع الرباني في الطريق الذي أمر الله به لقد تخلوا عن العلم ومنعوا نموه فجعلوه ينمو بشكل عرضي معكوس تحت ضغط المصالح الخاصه التي شوهت العلم وغيرت ملامحه واصبحوا دعاه لعصبه العمل الشيطاني فلم يكتفوا بالضلال والانحراف بالمسار الذي وقعوا فيه بل أصبحوا مضلين لغيرهم ويطمعون الي اضلالكم من بعد ما تبين لهم الحق نتيجه الحسد

والاصل أن هذا العلم يولد فيهم طاقه روحانيه للتوجه بالسعي في طلب الهدايه فما الذي حصل لقد حصل منهم الا نحراف وترك العمل بما جاء في التوراه والتي ذكر فيها حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته واستبدالها ب

الضلال والانحراف بالمسار عن الطريق القويم لماذا مقابل الرشوه وطلب تحصيل المصالح الرئاسه فالجريمه مرتكبه من العلماء والاحبار والحامل لذلك الحسد لقد عرفوا صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم لكن روا أن القبول به يعني فقدان سلطه احتكار الدين التي طالما تمتعوا بها ولهذا اشتروا الكتب الشيطانيه واحلوها محل التوراه بعد معرفه الحق واردوا أن يردوكم عن الإيمان الي الكفر

فإذا حصل التساهل في ذلك فانه عند مفترق الطريق يبدا الانحراف عن الهدف الذي تريد الوصول إليه في بدايه الطريق بسيطا ثم يتسع المجال حتي يكون العوده الي الطريق الصحيح أمر في غايه الصعوبه (ويريدون أن تضلوا السبيل)

والخطاب هنا موجه للمومنين بعد أن كان الخطاب موجها للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا لكمال مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعتنه وأنه لايمكن أن ينخدع وانما يخشي علي المومنين فكان هذا الالتفات بالخطاب الي المسلمين

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يحذر عباده من الاغترار بهؤلاء فيقولون أنهم مومنون مثلنا يقول لا تتخدعوا بهم أنهم أهل كتاب فهم (يشترون الضلاله)

يقول إن أنظروا الي حالهم فقد باعوا الهدي مقابل الضلال أخذوا الكفر مقابل الايمان وخص التعبير بالشري لبيان أنهم فعلوا ذلك عن رغبه وحب ذلك الفعل محبه عظيمه ويوترنها فهم يبذلون اغلي ما لديهم مقابل أن يأخذوا الضلال فالنصوص ترسم لنا صورته الحرص منهم علي إتمام الصفقه بانهم باللون جهدهم لأجل ذلك

وانهم لايدخرون جهدا لأجل اضلال المسلمين

من اعلام أو حرب أو اي وسيله ممكنه ولهذا فإن هؤلاء أعداء فلا تثقوا بصدقتهم المزعومه ونصائحهم لكم وإظهار الحب لكم فهم أعداء فقال تعالي (والله اعلم باعدائكم)

انتبهوا أن تقبلوا نصائح هؤلاء فهم يسعون إلى صدكم عن الحق والأمر يحتاج الي الإنتباه لخطوره الموقف فانت علي الطريق القويم وهؤلاء يريدون أن يجعلوكم تنحرفوا عن المنهج الرباني حسدا منهم

ف الله قد أخبركم هذا رحمه منه تعالي فيما غاب عنكم لتكونوا علي حذر منهم

الأمر الثالث

يقول لك الله انتبه من المداهنه في الدين أو التنازل عن القيم والمبادئ فإن ذلك مقدمه خطيره تجعلك عرضه للخديعه والوقوع في مصيده الأعداء وتكون عرضه للضياع

فلا تقول أنا ضعيف واحتاج الي هؤلاء لأجل الاستعانه بهم في أمر من الأمور كان تكون دولتي ضعيفه وانا احتاج الي من ينصرنا علي عدو محتمل

يقول لك الله أن هذا مقدمه للضياع وتحقيق مراد الأعداء فعليك الثقه بالله فقال تعالي (فكفي بالله وليا وكفي بالله نصيرا)

عليك الثقه بالله والاعتماد عليه والتوكل عليه فهو سبحانه وتعالى يتولي شؤونكم ويقوم برعايتكم فهو يعلم اعدنا ويعلم المكائد والدسائس التي يخطط لها الأعداء فسوف يكفيننا شرهم فهو الولي الذي يمحننا الحمايه ويدفع عنا الأعداء ويحقق لنا النصر فما حاجتنا للاستعانه بغير الله وفي الايه أيضا تطمئن للمومنين أن لا يخوفوا

من مخططات الأعداء طالما الله ولبنا وناصرنا

ثانيا

من الموكد أن التغييرات الهائلة التي شهدتها المدينة المنورة بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها كان له أثر عظيم وحاسم في تطور عقلية المسلم والإنسانية كلها فالتقدم الهائل في الحياه الانسانيه والفكر الانساني وتجدد ا لاهتمام بأصل الحياه والقدرات الهائله والتطورات الكبرى في الدين وتنظيمه أحوال الحياه من أجل استبدال وتجاوز الفكر الجاهلي والتي قدمتها الشريعة الاسلاميه والتي جاءت بفلسفه جديده حلت محل الفكر الجاهلي ونظامه وحدثت تغييرا داخل الأديان نفسها فكان لابد من التأكيد علي اهميه الاستمرار في معركه التغيير وعدم التوقف وان هذه الأحكام والتنظيمات التي قدمتها الشريعة الاسلاميه يجب أن تجد مكانها في الفلسفه الجديده للحياه فعليكم التمسك بالمنهج الرباني وعدم التفريط أو التساهل أو التهاون باي صوره من صور التقدم التي حملها المنهج الرباني وان تربطوها بالتوحيد لانه لو حصل التهاون في ايان منها لن تكون للفلسفه التي قدمتها الشريعة الاسلاميه اي قيمه جاده سوي شي من الاهتمام التاريخي بها فشهدوا حال اليهود فقد حملوا المنهج الرباني لفته من الزمان

أن النص جاء فيه لفظ (أوتوا نصيبا من الكتاب)

فأراد بهذا التعجب من حالهم وانكاره فهم لديهم علم من التوراه وكان يفترض بهم أن يكونوا اول من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ويلتحقوا بموكب المومنين لكن الحسد والحيمه جعلهم يختارون طريق الهلاك والضياع ويتخلون عن دورهم في حمل الامانه واصبحوا مطايا للشيطان فالمولي يقول لنا احذروا من هذا السلوك فكل من يسلك هذا الطريق يصير مثلهم ومصيره مصيرهم فالتغيير أعمق من تقديم نتف جديده من المعلومات في الروي التي سجلتها معها بل هو التزام بقيم ومبادئ الدين التي فيها التقدم القدره علي المبادره علي التغيير

يقول لك الحق سبحانه وتعالى أن هولاء نالوا حظا من علم الدين

فقال تعالي (نصيبا) يدل أن التوروه منها ما كان موجود لديهم لم يحرف وهي التي فيها ذكر نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يقول الكتاب وانما نصيبا اي حظا وهذا يشير لمساله مهمه جدا وهي أن الأديان كانت تتطور في التشريعات بحسب تتطور حياه البشريه فالحق يبين وحده الأديان ولهذا فإن التطور الذي حمله القران الكريم كان فيه كمال الأديان وقد احدث تطور عظيم في درجه العلم وتنظيمه اثر ماباشرا علي الطابع الداخلي للأديان و التدين فلم يعد اليهود محتكرين صفه الدين وعلومه والأصل أن هولاء ينظرون لهذا التطور والرقى الذي جاء به القرآن الكريم بأن فيه الرخاء الفعلي للعالم وتقدمه ويكونوا اول من يبادر الي الأخذ به في إطار اعاده تقويم أنشطتهم وفقا لما أمروا في التوراه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن هولاء لم يعد لهم ارتباط بالأديان لقد تخلوا عن هذا الهدف فقد أعادوا ترتيب أوضاعهم وفقا لهذا التطور الذي احدثته الشريعة الاسلاميه في درجه العلم ولكن كان ترتيب أوضاعهم بالقيام بتحريف ما تبقي من التورواه اضافه الي ما تم تحريفه منهم سابقا فقال تعالي (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن موضعه)

اي يغيرون المعاني التي تحملها النصوص فيجعلونها في موضع غير الموضع الذي وضعه الله تعالي لهم

فيقول الله انتبهوا من اساءه استخدام النصوص في غير محلها فهم كانوا يعلمون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الموصوف في التوراة فقاموا بالتحريف.. فلا تغتروا بأنهم أهل علم بالدين فيحصل الانفتاح في التعامل معهم في أمور دينكم فهولاء قد تخلوا عن العمل الايماني واصبحوا تابعين لحركه العمل الشيطاني ويريدون أن تحرفوا انتم وتعودون الي الجاهليه فلا تقبلوا نصائح هولاء فهم أعداء وعليكم الاعتماد علي الله والتوكل عليه فلا تقولوا هولاء أهل دين لدينا عوامل مشتركه وهي الايمان بالله.. فهولاء لم يعدوا يشعروا بالهدف من الأديان

ولم يعد لديهم الوعي الباعث علي الشعور أنهم يعملون لغايه وهي إرضاء الله فالحسد أفسد علم هؤلاء فقال تعالي (من الذين هادوا) لبيان ان انحراف علماء اليهود الذين هم مصدر الإلهام للشعوب حيث وان هذا الإلهام له دور عظيم في التقدم لأن الناس يعتقدون أن العلماء يعملون للصالح العام للمجتمع كله والله يقول لنا أن هذا الإلهام حصل له الضياع بل صار له دور سلبي في الوقوف ضد الحق في ظل ثقافه لا اهداف لها سوي الربح والمصالح و الرئاسة ولهذا فقدت التبريرات لما سبق لها وان أخبرت الناس عن موعد بعثه النبي الخاتم لانه لم يخرج منهم ولهذا ازدهرت ثقافه الريا والمروغه لديهم بتحريف الاوصاف الورده في التوراه عن النبي صلى الله عليه وسلم بدل (اسمر...وضعوا ادم طوال) وهذا فساد العقيدده لديهم وتخليهم عن العمل في حمل المشروع الرباني ثم تذكر النصوص فساد الحركه والعمل منهم (ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) كانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بقله ادا ب عندما يدعوهم الي الحق فيقولون سمعنا قولك وعصينا امرك وهذا غايه الكفر والعتاد والشروود عن الانقياد ويقولون (واسمع غير مسمع) لن نسمع منا ما تحب وانما ما تكره أن نسمع وايضا كانوا يستهزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالاسلام بلي اللسان في الحديث مع الرسول بقولهم (راعنا

قاصدين بذلك الرعونه ويقولون فيما بينهم اننا نشتمه وهو لايعرف فلو كان نبي لعرف ذلك فأخبر الله مافي قلوبهم من العدوان والعصيان وانهم اردوا القدح بالإسلام والاستهزاء بالدين والاهانه وعدم احترام الرسول صلى الله عليه وسلم

فالله يخبرنا أن هؤلاء اسوا الاختيار فالاصل أن التطورات التي حملتها شريعته الاسلام أنها فرصه لهم للمساهمه في الفاعليه الإيجابية في هذا التطور والتقدم للأديان والتدين فهم كانوا داخل حركه الدين و المساهمه منهم و الدعم والتعاون أمر طبيعي منهم لأن ذلك يحقق الصواب والغايه التي من اجلها أنزلت التوراه (ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا وسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) لكن الغير طبيعي أن ينظم هؤلاء الي عصبه العمل الشيطاني فقال تعالي (لكن لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون الا قليلا) فطابع هؤلاء غير زكيه فقد اختاروا طريق ابليس برفض الانقياد لأمر الله فاستحقوا الطرد والابعاد من رحمه الله بسبب كفرهم وعتادهم

ثالثا

تاتي النصوص بالخطاب الإلهي الموجه الي أهل الكتاب يدعوهم الي الالتحاق بموكب الايمان (يايها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها علي ادبارها أو نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا

الأمر الإلهي بالتواصل مع حركه العمل الايماني من خلال التصديق بالقران الكريم فهو موافق للتوراه فالتشريعات كلها واحده لا تختلف الاقي بعض الأحكام فهي تهدف إلي بناء مؤسسات الايمان والتشريع يتطور ولكن ما كان المولي سبحانه وتعالى بعد أن يخلق عاده في الناس لمساله من المسائل وبعد أن تصير متمنكا منهم ثم يلغياها إلا أن تكون تلك العاده تهنيه لخلق افضل منها في إطار التدرج في بناء الإنسان والمجتمع يقول إن الإيمان بالتوراه يقتضي التصديق والايمان والاتباع للقران الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم إذا أردتم أن تظل صفة الدين و التدين لاصقه بكم ولهذا استخدم (يايها الذين أوتوا الكتاب)

فيها إزام الحجه فهو لا يحدثهم بحديث لا يعرفونه وهم ملزمون بالانقياد لأمر الله في التوراه بشأن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرتة

فياتي التهديد والوعيد بعدها (من قبل أن نطمس وجوها فنردها علي ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) وهذا التهديد موجهها لكل من يرفض اتباع الحق والانقياد له في كل زمان فالاصل أن أهل العلم يكون منهم التوجه

نحو الحق فأهل العلم تقع عليهم مسؤولية الإسهام بتعليم الشعوب بنشر الفهم الواسع وان يكون عليهم الإقبال علي الحقيقه والالتقياد للحق والأمر يتطلب حسا بالهدف المشترك الذي من أجله انزل الله الكتب السماوية وهو عباده الله وطاعته وفق منهجه واتباع رسوله ولهذا فإن هولاء سعوا الي استخدام ما لديهم من علم في تحويله عن هدفه الحقيقي وتطويعه لمصالحهم الشخصية

فالله يقول لهم عليكم المبادرة السريعه الي الالتحاق بموكب الايمان من قبل أن يحل لكم العقاب من طمس الوجوه والرد علي الادبار

فالجزء من جنس العمل فكلما تركوا الحق وأخذوا الباطل وكلما قلبوا الحقائق استحقوا الطمس للوجوه وهو لغه يعني المحو بازاله الأثر بالمحو فالله يقول (ولونشاء لطمسنا علي اعينهم) وهو يكون إما بازاله نورها أو محو حدقتها والاولي يكون ازاله مجاز اما الثانيه فتكون علي الحقيقه وكذلك الحال بشأن طمس الوجوه فالوجه تاره يطلق علي الوجه حقيقه واحيانا علي المقصد واحيانا علي النفس لقوله تعالى (أسلمت وجهي لله) (فاقم وجهك للدين)

والادبار تطلق علي الدبر القفا والخلف وتطلق علي الارتداد والرجوع إلي الوراء ولهذا فان التهديد يحتمل أن يكون

١

محو تخطيط صورها فيردها علي هئيه قفاها وتشويه الخلقه وحينها يحصل لهم الغم والحسره كما فعل مع أسلا فهم حينما جعلهم قرده خاسئين

٢

يخبرهم أن ماهم فيه يخفي وراءه ضعفا قاتلا فهم يريدون تطويع الدين علي نحو مثير للاستغراب لأجل تبرير الا شياء بعد أن فقدت قدراتها على التبرير لهذا العناد والرياء والمرواغه فيقول لهم عليكم أن تتذكروا أن الجزء من جنس العمل فانظروا الي انسان استدار رأسه فكان الوجه من الخلف والقفا أمامه كيف تبدوا صورته وكيف يعيش وكيف ينام وكيف يتحرك فعليكم ترك سياسيه الرياء والمرواغه التي جعلتكم تعطون الناس وجها في تعاملكم معهم وفي أنفسكم تظهرون الوجه الخفي تظهرون وجها جميلا وتخفون الوجه القبيح فعليكم المبادرة الي الايمان قبل أن يفضحكم الله ويظهر وجهكم القبيح ويحصل اجلاكم عن المدينه وتعودون من حيث أتيتم وهو الشام ونرد مقاصدكم الخبيثه والكيد التي تكيدونه الي صدوركم

٣

يقول لهم امنوا بالإسلام قبل أن تقعوا في الخيبه والخذلان بتحقيق الله النصر والتمكين لامه الاسلام ويلحق بكم الذل والهون والخسارة والطرده والأبعاد عليكم ترك التبريرات لافعالكم الشنيعه فتذكروا حال من قبلكم من الذين ارتكبوا جريمه الاحتيال علي أوامر الله بشأن تحريم الأسماك يوم السبت وما كان منهم من خجزها الي الاحد فقد جعلهم الله قرده خاسئين

فعليكم الاحتراس ف الله اذا أراد شئيا فإنما يقول له كن فيكون ف الله لا يعجزه شيئا

والنداء جاء موجها (يايها الذين أوتوا الكتاب) بعد أن ذكر ما كان من علماءهم من التحريف للتوراه فالله يقول للعوام وهو خطاب لكل من نحا نحوهم احذروا من طاعه الأكاير والساده الذين تكبروا بالنسب وصنعوا منه صنما فاحتقروا العرب وقالوا كيف يكون خروج النبي منهم فهولاء اردوا أن يجعلوا الحق باطلا والباطل حقا وارادوا خلط وإدخال الباطل في الحق فهم أصبحوا جنودا تابعين لإبليس وترجمه ينطقون بلسانه فعليكم المبادرة الي الايمان قبل أن تحل بكم اللعنه التي تطردكم من رحمه الله بطمس انوار القلب عن الهدى فاستعمل صيغه (وجوها)

ولم يقل وجوهكم يراد بها المؤخذه والمراد بالتنكير التعظيم اي نوحذ وجوها معظمه عنكم فنطمس زعمائكم الذين تتبعونهم وترون أنهم مصدر القوه

الأمر الثاني

يعقب المولي سبحانه وتعالى علي ماسبق بقوله تعالي (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما مبينا) تبين النصوص أن الشرك قطع اي صله بين العبد وربّه فهي تفسد كل عمل تعمله فلا يبقي معه امل في المغفره اذا مات ابن ادم وهو مشرك والنص يبين أن أهل الكتاب صاروا مشركين ب الله لماذا

لانهم اتخذوا الأخبار والرهبان اربابا عندما اتبعوا التشريعات والقوانين التي كتبها الأخبار والرهبان فقال تعالي في موضع آخر (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)

فالمولي يقول إن عليك ايه المسلم أن تعبد الله في رعايه اسرتك وفي تطبيق أحكام الإسلام في الاقتصاد و السياسة وكل شان من شؤونك في الحياه والا أصبحت مشركا وعندها لن يقبل منك اي عمل لأن الشرك يحبط العمل

وأنه تعالي يغفر من دون ذلك من الذنوب لمن يريد من عباده فقد جعل الله الحسنات يذهبن السيئات وكذلك المصائب والأمراض في الدنيا وعذاب القبر.. وغيرها عقوبه علي الذنوب فلا تعاقب بالخلود بالنار لكن الشرك فله الخلود والله لا يغفر عن فاعله لان من يشرك يفترى طريقا فيه الظلم العظيم فالله يقول (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)

وهذا في حق غير التائب فالتائب يقول الله (قل يا عبادي الذين اسرفوا علي أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا)

القسم الثاني

تاتي النصوص بالاستفهام الذي فيه إنكار حال من يزكون أنفسهم حيث ذكر أنه عندما نزلت الايه الكريمه السابقه بشأن الشرك (أن الله لا يغفر أن يشرك به.. الخ

قال اليهود نحن لسنا مشركون فنحن مومنون وكان منهم التعالي بأنهم يعملون الأعمال الصالحة وقالوا (نحن ابناؤه الله واحباؤه) وقالوا (لن يدخل الجنة الا من هودا اونصاري)

فأنزل الله الايه (الم تر الي الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون قتيلا انظر كيف يفترون علي الله الكذب وكفي به اثما مبينا)

الدرس الاول

يحذر الله عباده من العجب بالنفس والثقه بما يصدر منها وحب الاطراء والمبالغه في الثناء فيقول الله الم تنظر تشاهد كيف أن العجب أفسد هولاء اليهود لدرجه انهم قالوا إنهم مطهرون من الذنوب وانهم كالاطفال الصغار الذين ليس عليهم ذنب فيقول الله انظر وتعجب من حالهم وساذجه التفكير التي بنوا عليها عقيدته الإتياع وادعاتهم الباطله أنهم ازكياؤه عند الله وانهم شعب الله المختار

يقول الحق أن هذا فيه انحراف فهم لا يزكون أنفسهم حقيقه وانما ينغمسون في نجسه الكفر ويحرمون من تزكيه الله بالهدايه الخاصه الإرشاد والتوفيق الي سلامه العقيدته والأعمال الصالحة والتحلي بالاخلاق الفاضله وإبعادهم

عن المعاصي وهذا يكون لمن عنده استعداد للتزكية فالذي يكون مراقبا لله ويخاف الله يطهره الله ظاهرا وباطنا
ف الله يقول في موضع آخر (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)

فعليك الإنتباه من ادعاء الطهارة والتعالي علي الآخرين وإذا أردت التزكية فعليك اتهام النفس وعمل الأعمال
الصالحة والتقرب الي الله بالأعمال الصالحة فالله لا يظلم عباده فهو يوفق للتزكية من يستحق التزكية وهو لا
يظلم حتي مقدار فتيل وهو الخيط الرفيع الذي في شق النواه طولا

الدرس الثاني

يقول الله انظر الي اضرار العجب بالنفس فان ذلك من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده بمحق الاحسان بما
يتبعه من الغرور والتعالي لدرجه ان هولاء لا يخجلون من إطلاق الافتراءات علي الله فقولوا أنهم يعملون الذنوب
في النهار فياتي الليل فيغفر الله ذنوبهم وانهم يعملون الذنوب بالليل ويأتي النهار فيمحوها الله اي ذنوبهم

ولهذا جاء التصريح بالكذب مع أن الافتراء إنما يكون في الكذب فأراد بهذا المبالغه لتقبيح حالهم بالتباهي بالعلم و
الكبر والعجب والغرور وان هذا الحال يكفي للدلاله علي أن هولاء لم يعد لهم علاقه بالاديان فقولهم ذلك إنما
واضحا يدل علي أنهم أصبحوا من أهل الفجور وانهم أصبحوا مطايا للشيطان وجنودا ينفذون مخططاته ولسان
ينطقون بما يريد

القسم الثالث

بعد أن ذكر المولي سبحانه وتعالى إخفاق أهل الكتاب في التعامل مع مصدر الإلهام التوراه و الانجيل والتي
تقتضي التحول في قراءه المطلب الرباني منهما الي القران الكريم فذكر أنهم تخلوا عن حمل المشروع الرباني
وكان منهم التحول الي حمل المشروع الشيطاني باعراضهم عن اتباع ما الزموا به في التوراه واستبدالها بالضللال
(الكتب الشيطانيه) فادي ذلك إلي فساد في نفوسهم وتفكيرهم وقلوبهم ومحق العقول ... فجاء النداء لأهل
الكتاب بعدها يبين لهم اهميه اعاده تنظيم الطابع الداخلي للاديان والتدين بما ينسجم مع التطورات التي أحدثتها
الرساله الاخيره (الاسلام) في درجه الدين وتنظيمه بأن علي المشتغلين بالدين اعاده تنظيم أنفسهم وترتيب
أوضاعهم بالالتحاق بموكب الايمان وقراءه المطلب الرباني وفق القران فقد توقف العمل بالتوراه والانجيل وعقب بـ
التهديد بأن الفرصه للتواصل ومن أجل استمرار الانتساب الي أبواه المنهج الايماني إنما يكون بالتحول الي الاسلام
يقول لهم استغلوا الفرصه قبل أن يحل العقاب عليكم فحركه العمل منكم بعد الان بالتوراه والانجيل لن تكون
مطابقة لمراد الله الذي يحبه ويرضاه الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم فهدد بطمس الوجوه
اي عقوبه فساد الاعتقاد والعلم هي الانحراف الي الضلال مثل النصاري وعقوبه فساد القصد والارداه هو اللعن و
الطرد من رحمه الله اي الغضب الإلهي المغضوب عليهم فذكر أن كلاهما سببه الشرك بالله فالخفاق في القراءه
يعود إلي الشرك بالله واتباع الشيطان الرجيم ثم ذكرت الإخفاق الآخر وهو أنهم افرغوا التوراه و الانجيل عن
مضمونها فأصبح التدين بنظرهم يقوم علي الاماني والفخر والكبر بالانتساب الي الدين والإيمان وان ذلك يوجب
لهم الجنه نتيجه التحريف للتوراه والانجيل من الاحبار والرهبان لماذا لانهم أقاموا النفس مقام العقل والضللال
مقام الهدي والكذب مقام الصدق والباطل مقام الحق

وهنا نجد النصوص تامر بمشاهده إخفاق اخر يمثل صورته للابتعاد هولاء كليه عن الدين وحركه العمل الايماني
وانهم صاروا دعاه لعصبه العمل الشيطاني يحملون المشروع الشيطاني فقال تعالي

(الم تر الي الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدي من الذين
أمنوا سبيلا اولئك يلعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا

اولا

يقول المولي سبحانه وتعالى لنبيه وهو خطاب لكل المسلمين انتبهوا من التعصب المقيت الذي يحول الدين الي نسب للتفاخر والتعالي والنظر له أنه يجلب المصالح الخاصة فهؤلاء النوع من الناس (العلماء والأمراء) عندما لا تتطابق مصالحهم مع المصالح العامه او القيم والمبادئ التي يحملها الدين وكان لهم مصالح خاصه فإن هؤلاء الناس ينحرفون بالبدع فيخدعون أنفسهم ويخدعون الناس ويقهرهم من أجل المحافظة علي مصالحهم الشخصية

فقد كان اليهود قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يهددون الأوس والخزرج بقدوم النبي الخاتم وانهم سوف يقتلونهم قتل قوم عاد وعندما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم من امه العرب ما الذي حدث لقد كان منهم وقف العمل بما تيقني من التوراه واستبدلوها بالكتب الشيطانيه فقال تعالى في موضع آخر (واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الخ فهذه الكتب تحتوي علي السحر والخرافات والأوهام والكهانه وكل ما لافأئده منه وهو يطلق علي الجبت التي ذكرها الله في هذه الايه (الم تر الي الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت)

ف الله يقول انظر الي حال هؤلاء ما الذي حدث عندما جعل النفس مقام العقل لقد حرموا هدايه العقل والفطره هدايه الايمان الحقيقي وامنوا بالخرافات والأوهام والسحر والشعوذه وصدقوا تلك الخرافات

المفهوم الثاني

يقول الحق أنظروا الي خطوره العصبية والسلايه عندما تصير دينا والي الكبر عندما يصير خلقا كيف أنه يذل أصحابه ويخرجهم من دائره ونعمه رحمه الله فهو لاء أهل الكتاب كان يفترض بهم أن يؤمنوا بالإسلام قبل الناس كلهم فما الذي حصل لقد ضيعوا رصيدهم وتاريخهم في حمل المشروع الرباني فقد تركوا عباده الله والاحتكام الي منهج الله واستبدلوه بالكتب الشيطانيه واحتكموا الي الطاغوت برفضهم الاسلام والطاغوت كما عرفه ابن القيم كل ما تجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع وإيمانهم هو اقرارهم إياه وعدم كفرهم به وهو يطلق علي الأهواء والشهوات والبدع والطفاه وكل قانون كان مخالفا لمنهج الله والطاغوت جمع لكل اتباع المدرسه الشيطانيه وقائدهم ابليس اللعين لقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

المفهوم الثالث

يقول لك الحق عليك الاهتمام بمشاعرك أن تكون مع الخير والحق قلبك ولسانك واحذر من بغض الحق إذا تعارض مع مصالحك فلا يدفعك عنادك الي تشجيع الباطل باي شكل كان فلا يدفعك العصبية الحزبيه مثلا الي محاربه الحق والتفريط بالقيم والمبادئ انتبه من ذلك فأنت عليك أن تلزم الحق اينما وجد وان كان ضد مصالحك فالحق أحق أن يتبع ولهذا يقول لنا الله انظروا الي حال اهل الكتاب كيف كان العناد سببا الطغيان والخروج عن الحق ووصل حالهم الي الجهل الشديد في الاعتقاد فاعتقدوا أن عباده الاصنام والأوقات افضل من عباده الله فقالوا (ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا)

فالايه تبين

التحذير من استخدام الدين والعلم من أجل المصالح الشخصية فيخبرنا الله تعالى أن المشركين عندما جاءت رساله الاسلام شعروا بفشل مشروع عباده الاصنام فقد ظهر سانجه تلك الديانه وصار العقل العربي كل يوم يزداد رفضا لهكذا عباده الأمر الذي جعلهم بحاجه الي إضفاء مشروعيه لعباده الأصنام لوقف موجه المومنين المتزیده للا لتحاق بالإسلام فلم يجدوا الا استدعاء السمعه الدينيه التي اشتهر بها اليهود كي يتم إعطاء قوه التصديق علي عباده الاصنام فالطابع المشترك بينهم يقوم علي محاربه الاسلام وكراهية الحق فاستغلوا دعوه اليهود المشركين

للتحالف معهم بعد غزوه احد لمحاربه الاسلام

فقال المشركين لعلماء اليهود حي بن أخطب وكعب بن الاشرف انتم اهل كتاب وانتم اقرب منا الي محمد فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتي تطمئن قلوبنا لكم ففعلوا ذلك وقال أبو سفيان هل نحن اهدي ام محمد سبيلا فقال كعب ومايقول محمد قال يأمر بعباده الله وحده ويرفض ما نحن عليه من الأصنام فقال كعب وما دينكم ق الوأ نحن ولاه البيت ونقري الضيف فقال انتم اقوم منه طريقه ورشد

فحصل بذلك المشركين علي مرداهم باستدعاء الدين لتوجيه الذوق العام الي الأصنام بدل الاسلام

٢

ترسم لنا النصوص الحرب الاعلاميه الدعائيه لدي عصبه العمل الشيطاني ضد المومنين فاليهود قالوا للمشركين أنهم اقرب الي دين الحق من الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون معه

فقد اردوا بهذا القول تشويه صورة الإسلام فالكلام من باب الدعايه والإعلام يقول لك الحق سبحانه وتعالى أن معركه الإعلام ضد أهل الحق مستمره في كل زمان وهي تهدف الي تشويه الصورة الناصعه للاسلام

وهنا يقول لك الحق انتبه من هذا السلوك فلا تتصور الأمر سهل فمقتضي تحمل فكره ومبادئ وقيم الايمان توجب أن لا يصدر منك ما يخالف عقيده الايمان فلا تعتبر الأمر أنه سياسيه فتقول إن طابع التحالف يقتضي استماله هولاء بكلمتين كما فعل اليهود الذين كان منهم القول إن عباده الاصنام افضل وأقوم من طريق الاسلام التي فيها التوحيد فقد أراد هولاء استماله المشركين لنصرتهم ضد المسلمين وايضا كراهيه الاسلام فكان منهم تشجيع الباطل علي الحق فعليك الإنتباه مما هو عليه أهل الباطل الذين يشهدون لبعضهم البعض في إطار النفاق و المرواغه السياسيه بالتمويه والخداع ولهذا وصف المسلمين بالإيمان تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئه لمن رجح عليهم المشركين ولبيان قبح قولهم

المفهوم الرابع

يقول الحق سبحانه وتعالى إن علي صاحب العلم في أي مجال أن يكون أمينا ومنصفا فيما يقول حريصا علي المصداقيه فلا يستعمله وسيله للغش والخداع ولهذا يقول الله معقبا علي ذلك (اولئك يلعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)

والعلم سؤء كان الديني المتعلق بتنظيم الحياه أو ذلك العلم الذي فيه اكتشاف أمر من الأمور أو في أي مجال ك الطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم لاينبغي أن يستخدم هذا العلم وسيله للغش والخداع لأن العلم في الأ ساس يهدف إلي تحطيم وازاحه الخرافات والأوهام ويفتح الآفاق ويخلق الوعي والوصول الي فهم المجتمع مافيه الرفاهيه والسعاده التي هي هدف العلوم جميعا والمعلوم أن من أهم أهداف العلوم التي جاء بها الرسل هي تحرير العقل البشري والخروج بالإنسان من الإخفاق الناتج عن سلوك البشر حيث نجد الإنسان يقف بين طرفين الأول انظمه الرياء والوهم يشدان الإنسان في حدهما الاقصي في الطرف الأول وفي الطرف الآخر الوحشيه واليأس فهو واقع هذه الحدود فالاصل أن العلم يخرج الإنسان من هذا الخبال لا يكون اداه لتبرير الطغيان والخرافات (الجبت والطاغوت)

ولهذا يقول الله أن هولاء طردوا من رحمه الله فهم حقراء منبوذن من الله ومن الناس ويقول احذر من استخدام

العلم للغش والخداع فأنت أن قصدت من ذلك استماله أحد من أجل أن ينصرك بأن تقول له أنه علي الحق وهو علي الباطل وان كنت تنظر لذلك إنها من قبيل المجامله

فإن ذلك لن يعفيك من اللعنه والأبعاد من رحمه الله لأن الفساد في القصد مع وجود العلم يوجب سخط الله ومن يسخط الله عليه لن يجد من ينصره ولا من يدفع عنه العذاب في الدنيا والآخرة فالله يقول احذروا أن تعرضوا أنفسكم لسخط الله فلا مهاده في دين الله وإذا أردت النصر فعليك أن تطلبه من الله بدل أن تفريط في دينك وتلحق بنفسك اللعنه

ثانيا

تاتي النصوص بمناقشة البواعث والدوافع النفسيه لجريمه هولاء الذين تخلوا عن مهمه حمل المشروع الرباني تركوا التواصل مع حركه المشروع الرباني بالالتحاق بموكب المومنين من أجل المساهمة في العمران علي الارض وفق منهج الله المعتمد والمقبول عند الله وهو القرآن فقال تعالي

(ام لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما

الأمر الأول

جاء باستفهام ابطالي علي اليهود الذين رفضوا اتباع الاسلام ورفضوا التحويل الي القران في قراءه المطلب الرباني فهو الدين المعتمد عند الله وتمسكوا بما لدي من حضاره رافضين التحول عنها وقالوا نحن اولي بالملك و النبوه من العرب قالوا كيف نتبع العرب وهم اميون لا يعرفون القراءه والكتابه

وقالوا إن محمد ليس هو النبي الخاتم المذكور في التوراه وزعموا أن المخلص كما يطلقون عليه سوف يخرج منا في اخر الزمان ويعيد لنا الملك المسلوب عنا فأخبرنا الله أن هولاء بخلاء وليس لهم من أسباب الملك شيئا فهم بخلاء اشد البخل ولو كان لهم لما أعطوا احد شيئا فهم اجتمع فيهم البخل والحرص والجبن فذكر الرياء الذي دفعهم لمجامله المشركين بأن عباده الاصنام افضل من عباده الله ثم ذكر وصفهم بالبخل والحرص لدرجه انهم لو كان الأرزاق بايدهم لما أعطوا احد شي حتي مقدار النقيير وهي النواه التي تنبت منها النخله لبيان انهم لا يستحقون الملك والسبب البخل فهم لو أتوا شيئا لما أعطوا الناس منه أقل القليل بينما الملك يتطلب السخاء وهولا ء اجتمع فيهم البخل والحرص والجبن وكل ذلك يجمعهما سوء الظن بالله

الأمر الثاني

تصور الايه حقاره نفوس هولاء فهم لا يطيقون رويه أن ينعم الله علي عبد من عباده بشي ولذلك فضلوا طريق الكفر علي طريق الايمان

فيقول المولي كيف تسمحون لأنفسكم أن تعترضوا علي عطاء الله هل انتم شركاء لله في ملكه حتي تعترضوا علي ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب وتريدون منع فضل الله الذي اختص به امه الاسلام

يحاور المولي سبحانه وتعالى العقول يقول لها أن الملك لله وهو يختص برحمته وفضله من يشاء وليس لهؤلاء الا عتراض علي انعام الله وفضله وعطاءه لمن يشاء

ثم يقول إن هولاء لو كان لهم نصيب اي حد من ملك الله فإن خسه طبعهم وبخلهم تجعلهم يمنعون عن الناس العطاء سوف يمنعون حتي النقيير الذي في ظهر النواه فهم يريدون أن يحصروا المنافع علي أنفسهم

الأمر الثالث

يقول الحق أن هولاء اجتمع فيهم البخل والحرص والحسد وهذه الاوصاف تهدف إلي منع الخير والمنافع والعتاء عن الآخرين فالبخل يعني ارده منع المنافع والحسد تمنى زوال النعمه عن المحسود

والبخل يريد الدنيا بينما الجواد يريد الاخره وترجيح الدنيا علي الاخره إنما يكون عن الجهل فالعلم لافايده منه إذا لم يكن فيه ايثار الاخره علي الدنيا وإيثار الطاعه علي المعصيه والحسود يعني معاده الله ومعارضته علي قدره وتدبيره وهو شرك بالله وقد اجتمعت في امه اليهود من خصال القبح مالم تجتمع في امه

ولايسود البخيل والحسود وذلك لان انقياد الناس أمر مكروه وصعب الا إذا وجد الناس في مقابلة ذلك أمر مرغوب من الشخص الذي يريد أن ينقاد له الناس ولهذا فإن تبني هموم الناس ومشاكلهم والمشاركة في إيجاد الحلول لما يعاني الناس والإحسان إليهم هي من العوامل التي تؤثر في انقياد الناس حيث أن رؤيه قيام المحسن بالبذل يولد رغبه لديهم في الانقياد وهذا إنما يكون بالانفاق والعتاء بينما البخيل والحسود حريصون علي المال ولايهتمون بهموم الناس ومشاكلهم فأشارت النصوص الي حقاره نفوس هولاء بأنها مانع من النصر والتمكين لهولاء

الأمر الرابع

تبين النصوص أن الله قد أعطي الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه الامه الفضل العظيم وهي النبوه وهي ما يحسداهم عليه اليهود فقال تعالي (ام يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله

فاستخدم الجمع (يحسدون الناس)والناس هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه امه الاسلام فأراد الحق أن تحس ايه المسلم بهذا القضل العظيم وان الأعداء يخسدونك علي هذا القضل ويتمنون أن يزوال علمك

الأمر الخامس

تبين النصوص قبح حال اليهود فهم يريدون احتكار فضل الله عليهم دون غيرهم ولهذا فهم يحاربون الاسلام من هذا المنطلق من خلال محاوله تشويه صورة الإسلام فقد قالوا لو كان محمد نبي لانشغال بأمر النبوه ولما تزوج تسع نساء فأخبرنا الله أن الدافع لذلك هو الحسد لأن النبي الخاتم جاء من امه العرب وان مساله التزوج بتسع نساء أمر بسيط مقارنة بما تزوج نبي الله سليمان عليه السلام فقد تزوج الف امراه منهن ٣٠٠ امراه حره ٧٠٠سريه فلم يكن ذلك نقصان في نبوته ولم يقولوا بذلك فكيف تكون تسع نساء نقص بحق الرسول صلى الله عليه وسلم

فقال تعالي (ولقد أتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما)

والملك ثلاثه انواع ملك علي الظاهر وهذا هو حال الملوك ملك علي الباطن وهو ملك العلماء وملك علي الظاهر و الباطن وهذا هو ملك الانبياء فذكر الكتب السماوية التي أنزلت عليهم والحكمه وهي الفهم والسنه والملك العظيم الذي وصل الي ما وصل إليه

فيقول انكم غارقون في فضل الله وانعامه التي انعمها عليكم بما منح الله ابراهيم وذريته من بني اسحاق لكن الحسد وعدم مراعاة واجب النعمه بالشكر لله جعل الكثيرون منهم من يخالف العهد وكفروا ولذلك فقد جهز الله لهم النار المستعيره (فمنهم من امن ومنهم من صد عنه وكفي بجنهم سعيرا)

ف الله يقول احذروا من سلوك اليهود فإن النار أعده الله لكل من كفر من هولاء ومن تحت نحوهم

القسم الأخير

تنتقل النصوص الي بيان جزاء الكافرين الذين رفضوا الايمان وكفروا التصديق بآيات الله سواء كفروا بالقران أو با لآيات الداله علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم أو الآيات الكونية من اليهود والنصاري أو المشركين أو غيرهم فقد جمعهم كلهم في هذا المصير

فقال تعالي (أن الذين كفروا بايتنا) فذكر الجزء لهؤلاء (سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أن الله كان عزيزا حكيمًا)

١

ترسم الايه النهايه والعاقبه للكفر بأسلوب فيه التحقيق في وقوعه (سوف) لتغرس في النفس الاحساس والشعور باليقين أن ذلك سوف يتحقق أن كفر بآيات الله بأن الله سوف يحرق أجسادهم بالنار الملتهبه وهذا الحريق هو الصلي (نصليهم نارا) اي نار يشون به لأن سوف كلمه تذكر للتهديد والوعيد فيقال افعل كذا وكذا فإن خالفت سوف افعل كذا وهي تستعمل للوعد لغرض التوكيد

٢

توصف الايه أن احراقهم بالنار حتي يشون لا يتوقف فهو يستمر علي الدوام دون انقطاع فاستخدم المولي سبحانه وتعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فلفظه (كلما) قادره علي ترسم مشهد هذا العذاب المفزع في النفوس بانه لا يتوقف

اي كلما شوت بالنار جلودهم فاحترقت (بدلناهم جلودا غيرها)

غير الله جلودهم التي نضجت فاشتوت جلودا غير محترقه بمعني أنها تعود جديده وهي نفس الماده اي الجلود التي نعيش بها في الدنيا

فالمراد بهذا القول اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغاير للمحترق صوره وان كان عينه ماده فالحاصل أن الجلد يعاد علي صوره اخري كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الاول هو الثاني من حيث الماده وانما الصياغه اختلفت من أن بدوام العذاب لهم بالإحساس بالألم كاحساس الذائق بالمذوق فلا يزوال سبب الاحترام ودوام الملامسه للعذاب وذواقه بحاله مع بقاء احتراق ابدانهم

٣

يقول الله فعلنا بهم ليجدوا الم العذاب وكرهته وشدته لأنه كذب بايتنا ووجد بها فذكر تبديل الجلود لازاله توهم أن العذاب بعد احتراق الجلد لن يحس بالألم والايه فيها اعجاز قراني لم تكن البشريه تعرفه الا في الوقت المعاصر حيث أن الايه تثبت أن مركز الاحساس بالألم هو الشعيرات التي تلامس الجلد فأنت عندما يستعمل الطبيب الابره العضلي في جسدك تحس بالالم عندما تبدأ بالنفوذ لداخل الجسم والاحساس يكون من النفس الوعيه أما المخدره فلا تحس وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز اسماعيل باشا كما ورد عن المراغي أن الدكتور المذكور كتب في كتابه الاسلا م والطب الحديث (الحكمه في تبديل جلود الكفار أن اعصاب الالم هي الطبقة الجلديه أما الانسجه والعضلات والا عضاء الداخليه فالاحساس فيها ضعيف ولذلك يقول الأطباء أن الحرق البسيط هو الذي لا يتجاوز الجلد يحدث الم شديدا لكنه ليس بشده وخطوره الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد والأنسجه لانه مع شدته يحدث الما كبيرا ف الله يقول لنا أن النار كلما اكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يحدده كي يستمر الالم بلا انقطاع ومن هنا تظهر حكمه الله من قبل أن يعرفها الإنسان

فذكر السبب فيما تقدم (ليذوقوا العذاب)

ليدوام لهم ذواق العذاب لأن الاحساس يصل الي النفس بواسطه الحياه في الجلد لأن العذاب إنما يقع بالنفس
الوعيه فالمريض المخدر لا يحس بقيام الطبيب بإجراء العمليه

ولهذا كان ذكر السبب لازاله الوهم لأنه اضافه الي ماسبق فإن الناس اعتادوا في الدنيا أن طول الالم تفقد الإنسان
إحساسه بالألم فيقال إن الشخص الفلاني مضربه اشاره الي انه من كثره الضرب لم يعد يحس بالم الضرب

ولهذا جاء التعبير (ليذوقوا)

أن إحساسهم بالعذاب يكون كاحساس الذائق بالمذوق لايدخل منه نقصان ولازوال ذلك الاحتراق فقال تعالي معقبا
علي ذلك

(أن الله كان عزيزا حكيما)

بأنه قادرا لايعجزه شي فلا يمتنع عنه ما توعد به المكذبين وهو يعاقب من يستحق العقاب ومن حكمته أن ربط الأ
سباب بالمسببات فلا يستطع أحد أن يغلبه علي امره فهو سبحانه جعل الكفر والعصيان سببا للعذاب كما تقدم
وجعل الايمان والأعمال الصالحة سببا للفوز والفلاح والنجاح)

المبحث الثاني

يذكر الله جزاء المومنين ومستقبلهم في الجنه ونعيمها فأراد بهذا الحث علي الأعمال الصالحة وطاعه الله فقال
تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزوجا
مطهره وندخلهم ظلا ظليلا)

الايه تبين أن الإيمان بآيات الله وكتابه مع الأعمال الصالحة يخبرهم الله أنه (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأ
نهار)

والسين تفيد القرب في التحقيق بعكس سوف التي توعد بها المكذبين فيها للبعد لبيان ان إمهال الكفر لايعني الإ
همال

أما في استعمل القرب بالنسبه للمومنين ليغرس الشوق الي ما عند الله فيكون الزهد عن الدنيا فذكر أنه سيجد
الراحه العظيمه واللذه الحقيقه ولهم النعيم الخالد الذي لاينقطع وزوجات مطهرات اي مبرات من العيوب
الجسمانيه ومبرات من العيوب الخليقه فليس فيهن ما يوحشهم منهن ولا ما يكد صفوفهم فهناك انعام لاندرك
كنهها وانما نفهمها علي طريق التمثيل وقياس الغائب علي الشاهد

(وندخلهم ظلاظليلا)

اشاره الي عدم وجود ماينغص النعيم والتمتع براحه البال وورد في الحديث أنها شجره في الجنه يسير الراكب
في ظلها مائه عام لايقطعها أنها شجره الخلد وقد وصف الظل في الايه بأنه ظليل وذكر في ايه اخري (وظل
ممدود)وفي ايه اخري (اكلها دائم وظلها)واخري ذكر أنها ظلال متعدده (إن المتقين في ظلال وعيون)

وقيل في موضع آخر أنهم متكونون علي الارائك مع ازواجهم فقال تعالي (هم وازواجهم في ظلال علي الارئك
متكون)

ليغرس الشوق الي ما عند والزهدي عن الدنيا

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن الله نعمًا يعظكم به أن الله كان سميعًا بصيرًا)

ابتدأت بتقرير

بعد أن ذكرت النصوص قبلها اعلان انتقال القيادة الي امه الاسلام (الخلافه علي الارض) في هذه الفتره الزمنيه من تاريخ البشريه وبينت أن هذا فضل من الله اختص به الرسول الكريم وامه الاسلام في معرض ذم الاخلاق التي تعامل بها أهل الكتاب مع مساله انتقال القيادة الي امه الاسلام وانهم رفضوا الانصياع للحق وكان منهم كتمان العلم بشأن ماورد في التورواه والإنجيل من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وتحالفوا مع المشركين فخانوا الامانه وقالوا للمشركين ان عبادتهم للاصنام اهدي طريقه من المسلمين وان تلك الخيانه منهم لامانه حمل الكتاب اعتراضا منهم علي عطاء الله وفضله علي المسلمين باختيارهم لمهمه حمل امانه الخلافه فجاءت النصوص فيها استنكار ما كان منهم كيف يتجرون علي الاعتراض علي ارداه الخالق فهو مالك الملك وليس لهم نصيب في ملكه فذكر المولي سبحانه وتعالى أن الباعث علي ذلك الحسد وهو أمر غير مبرر فالله قد منحهم الملك والنبوه لعقود طويله فقال (ولقد أتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما) وان هولاء فشلوا في حمل الامانه وخانوا العهد فذكر عقوبه ذلك (وكفي بجهنم سعيرا) فالواجب الوفاء بالامانه ولايحق لهم الاعتراض علي أمر الله تعالى واختياره النبي الخاتم من هذه الامه فهو لايسال عما يفعل وهم يسألون ولذلك أخبرنا سبحانه وتعالى بعقوبه وجزاء الذين يكذبون بآيات الله سبحانه وتعالى وكل من يخون الامانه بحرقهم في جهنم وان العذاب مستمر لاينقطع ثم ذكر حال الفريق المومن بالجنه والنعيم في معرض بيان حال انقسام أهل الكتاب بشأن حمل الامانه إلي قسمين (فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه... الخ واخبرنا المولي بقانون الخلافه أن من تجبر واستكبر علي آيات الانبياء ونسي فان الله يهلكه ومصيره جهنم وبئس المصير

وهنا يقول المولي سبحانه وتعالى (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهله

المفهوم الاول

يقول لك المولي أنك ايه المومن المسلم انت مكلف بالخلافه علي الارض والتي تعني القيام بأمر الله وحمل لا مانه القيام بأمر الله ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالى (ان الله يأمركم) فيها تعريف مفهوم الخلافه بأنها القيام بأمر الله

وحمل لامانه العلم بالاسماء اي العلم البشري بالماده والعلم بخالق الماده فإذا أردت النجاه من العذاب والنار بدخول الجنة والتكريم فإن ذلك يتطلب التطهر من اوساخ الكفر والشرك وترك اخلاق الشر وتجنب إيذاءالغير بالا ستيلاء علي ماله أو حق من حقوقه بسوء النيه ابتغاء الشر وأن تحرصوا علي إيصال الخير الي الآخرين فقال تعالي (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن الله)فالامانه تعني تحمل المسؤولية عليك أن تفهم أن الخلافه مسؤوليه عظيمه فالخبيبه كما ذكر لمن لم يكن اهلا لتحملها واداءها فقد عرضت علي السموات والأرض المبسوطة والجبال الطويله المنصوبه فلا اقوي ولا اطول ولا اعرض ولا أعظم ولا اعلي منها يقول إن امتنعهن ناتجه عن اشفاقهن من العقوبه أنهن عقلن ماجهله من هو أضعف منها وهو الإنسان فقال تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض والجبال فابيين أن بحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

فانت بحاجة الي النجاه من الجهل والظلم وهذا إنما يكون بمعرفه الاشياء والحقوق واهلها التي يجب عليك أداءها إليهم واذا اردت النجاه من الظلم فهذا إنما يكون بالاتصال بالله فشرط الخلافه هو التوحيد فقال تعالى (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها)

فأنت اذا تلقي الأوامر من الله تعالى في كل شأن من شؤونك فالخلافه تعني علي المستوي الفردي تعني القيام بما أمر الله به واجتناب مانهي عنه وعلي المستوي الاجتماعي تعني الحكم بما أنزل الله بأن تخضع المعاملات كلها لأمر الله تعالى وعلي المستوي الإنساني تعني اقامه العلاقات مع الناس طبقا للمفاهيم القرانيه التي رتب أسس التعامل وقواعده بالعدل والمساواة في التعامل والحكم وعلي مستوي استغلال سلطه التسخير الكوني فإن لها قواعد وقوانين تضبط التعامل وترتب علي ذلك مسؤوليات عديده علي المسلم في قيادته للبشرية فأنت محاسب يوم القيامه كما أوضحت نصوص المقطع السابق والتي بينت شرط الخلافه (أن الذين كفروا وكذبوا بايتنا سوف نصليهم نارا.....الخ

فهذا هو شرط الخلافه التي أخذ علي ادم يوم استلم مفتاح الأرض

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم. ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فشرط الخلافه وهو طاعه الله تعالى وتوحيده في كل تلك العلاقات

المفهوم الثاني

يقول لك الحق سبحانه وتعالى أن عليك أن تفهم أن الخلافه ليست مجرد قلاده تضعها علي جنبك تتباهي بها وتتفاخر بها فهي فضل شرف من الله لك وهو ما حسدك عليه أهل الكتاب ولكن هذا الشرف مرتبط بطاعه الله ولهذا تأتي النصوص فيها الآتي

١

التعريف لمفهوم الخلافه فقال تعالى (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها وإذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

فابتدات النصوص (أن الله يأمركم) تبين لك أن الخلافه هي القيام بأمر الله وحمل الامانه فهي مسؤوليه اداء حق الله وحق بني جنسه فذكر أنها امانه ترتبط بالتوحيد شرط الخلافه الذي هو الشرط الأول لاستخلاف البشر وهو طاعتهم لله

فجاء الأمر بهذه الصيغه (أن الله يأمركم أن تودوا الامانات الي أهلها)

فلم يقل عليكم تاديه الامانه وانما استخدم صيغه الأمر لتعريفك ماذا تعني الخلافه وهي القيام بأمر الله فالأمر اذا من الله والامانه تعني حملها بالقيام بأمر الله لتكون متعبدا لله بإعطاء كل ذي حق حقه برغبه وارده حره فالأمور اذا تتلقاها من الله وبالتالي فإن عليك عندما تسمع الأمر أن تشعر بعظمه الله فهو من القي عليك الأمر خاصه وان النصوص التي وردت فيها التصريح بالأمر بالقران حالات نادره تتعلق بقواعد اساسيه من قواعد بناء الأمم لتكون اهلا للقياده فوجد أن المولي سبحانه وتعالى استعمل هذه الصيغه في مخاطبه بني إسرائيل فقال (أن الله يأمركم أن تذبحوا بقره)

وهو ما يوجب الاحساس بالأمر وخطوره الموقف وان المساله تحتاج الي المبادرة السريعه للتنفيذ فالتلكوء والتردد في تنفيذ الأمر يعني أن النفوس غير راغبه حقيقه ان تنال شرف الخلافه الحقيقي

لأن الخلافه لاتثبت للإنسان بمجرد ولادته وانما تثبت له إذا اردھا وسعي لها سعيھا وهو مومن بعكس العبوديه
فهي تثبت للعبد بمجرد ولادته شاء أم ابي

فقد أخبرنا الله أن تلكوء بني اسرائيل أوجب عقاب قساوه القلوب

لماذا لان التلكوء والتردد منهم يدل أن لارغبه لديهم للأخذ بأمر الله الذي فيه الارتقاء بهم فهو سبحانه قال في كلا
الاييتين هنا وهناك (أن الله يأمركم) ولم يقل اني امركم

وهذا فيه المبالغه في الاهتمام بالأمر عليك أن تشعر بالوهيه الله تعالي وأنه له الخلق والأمر فهو له الحكم عليكم
بامرکم فان من غير المنطقي أن تطلب لنفسك ايه الإنسان التعظيم وتترك التعظيم والتوقير للخالق سبحانه وتعالى
فالله هو الذي له سلطه التشريع وحده لا شريك له

٢

فيقول لك الحق أن الخروج عن طاعه أمر الله يعني الخروج عن شرف الخلافه فأنت لن تصير خليفه لله في الأ
رض إلا إذا كنت مسلما مطيعا لله وأمره فهذا الوصف عظيم وليس شئيا هينا فمكانه المسلم الخليفه في الوجود
تشبه مكانه الشمس إذا غربت في جهه طلعت من جهه اخري فلا تزال طالعه أنها تتفاني في خدمه البشريه طاعه
لأمر الله وهو يأمرک أن تودي الامانات الي أهلها والأمر علي سبيل الاستعلاء وهو مايجب التنفيذ وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل فالنصوص تضع لنا قواعد بناء دوله الموحدين بأنها تقوم علي حفظ الامانات والوفاء
وتقرر مبدأ العدل في الحكم بين الناس كلهم دون استثناء لما في تطبيق القاعدتين سواء أداء الامانات الي أهلها
الذين يستحقونها او العدل في الحكم في الخصومه بأنها من نعم الله وافضاله فهو خير في الدنيا والآخرة فهي
صادره من الله وفيها صلاح الناس فهو سبحانه له الخلق والأمر وكل من عداه مخلوقات محكومون باصوال دينه
وشريعته فهو وحده الذي لا يحاسب عن أفعاله ولا يحاكم عن قضاءه (لايسال عما يفعل وهم يسألون)

٣

يقول تعالي (أن الله نعما يعظكم به)

يبين أن القواعد التي أمر بها في اقامه النظام الإسلامي من أداء الامانات والحكم بالعدل فيه منهج التطور و
التقدم للبشريه فالله قد أوضح لكم كيفيه التخلص من الجهل والظلم لتكونوا اهلا للقيام بمهمه حمل الامانه و
القيام بأمر الله في الخلافه علي الارض بعد أن بين لكم قانون الخلافه الذي جعله الله اساسا للقيام بأمر الله بالخلا
فة حيث أخبرنا الله قبلها أنه منح ال ابراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم بالتمكين والنصر وهذا ابتلاء منه
لعباده لينظر كيف يفعلون فإن قاموا بأمر الله أعطاهم التمكين والعز في الدنيا والآخرة وأن هم كفروا وكذبوا
باياته وخرجوا علي حدود رسله واستكبروا علي آيات الانبياء وتجبروا في الأرض ونسوا نعمه الله فهو لاء
ينسحبون من قانون الخلافه فيهلكهم الله فالمومن عليه أن يودي الامانات ويحكم بالعدل في كل زمان ومكان
ويتعظ بمواعظ الحق في كل زمان ومكان فإن الوعظ نافع جد

فذكر. في التعقيب (أن الله كان سميعا بصيرا)

أنه لا يخفي عليه شيئاً من شؤون العباد فيري اداكم الامانات ويسمع الأحكام الصادرة بالعدل فهو محيط بكل شي عالما مشاهده ومعاينه وسمع

المفهوم الثالث

أن اول قاعده أمر الله بها المومنين هي أداء الامانات الي أهلها الذين يستحقونها واول تلك الامانات هي الامانه الكبرى التوحيد والتي تنبثق عنها سائر الامانات والتي منها امانه حمل الدعوه لدين الله وأمانه العقل الإنسان باستعماله فيما أمر الله به وأمانه المال الذي استخلف عليه الإنسان أن يستعمله في الطريق الذي أمر الله إنفاقه واعطاء المستحقين من الفقراء والمساكين...ومن أمر الله أعطاهم حقهم دون تلكوا وأمانه التعامل مع نفسك بأن لا تعمل ما يضرها وان تحرص علي أن تعمل ما ينفعك بالدنيا والآخرة

وأمانه رعايه اسرتك ومن تعول والحرص علي القيام بأداء الامانه في كل أمر يوكل اليك (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

فالرسول يقول (لا إيمان لمن لا امانه له ولاعهد لمن لادين له)

ولهذا فإن الامانه من اخلاق الخير التي يأمر بالقيام بها وقد ارتبطت بالخلافه كما قلنا وتعني إيصال الخير للناس كلهم وفي نفس الوقت توجب ترك الخيانه وكل ما يوزي الآخرين بالاستيلاء علي ماله اوحق من حقوقه بسوء النيه ولهذا فإن خلق الامانه عظيم فالايه ليست مقصوره علي خصوص السبب بشأن ما ذكر من قصه عثمان بن طلحه عبد الدار الذي كانت مفاتيح الكعبه في أسرته فذكرت الروايات أنه لما كان فتح رفض تسليم المفاتيح وان علي اخذها منه بالقوه .. فنزلت الايه واعادها علي إيه وأنه أسلم بعد ذلك .. فهذه الرويه تتعارض مع حقيقه اسلام عثمان بن طلحه وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد في السنه الثامنه بعد الحديبيه ولاخلاف بخصوص سبب النزول بشأنه حيث أنه في فتح مکه سلمه الرسول صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبه

المهم هنا أن تعرف أن الامر بالأمانة جاء كقاعده تقوم عليها بناء الإنسان المسلم والدوله والمجتمع في إطار بناء دوله الموحدين

والأمر جاء فيه التصريح بالاداء والذي يعني حفظها واداءها بسرعه الي أهلها المستحقين من دون تلكوا ولاتردد ف الأمر لا يحمّل التأخير

لأن التلكوء والتردد يفتح الباب لتسلل الخيانه التي فيها ابتغاء الشر وسوء النيه وايداء الغير

ولهذا فإن الأمر يعني إيصال الخير للناس وتجنب الاذيه للغير وتجنب الاستيلاء علي مال الغير أو حق من حقوقه وهذه حاله طبيعه موجوده في الإنسان فهو يبغض الخيانه وينفر منها فهي قوه مغروسه في الفطره إذا سلمت من التلوث ولهذا تجد الطفل المولود الجديد الذي لم تلوث فطرته يتحلي بخلق الامانه فهو لايقبل أن يرضع حليب غيره امه ويجد صعوبه ومشقه في التقبل لفكره الرضاعه من غير والدته فهو ينفر بطبعه من الخيانه وهو يحرص علي امانه أن يرضع من حليب امه قبل أن يكتسب العادات القبيحه من البيئه فالخيانه إذن تلوث أصاب الإنسان نتيجته الحضارات والبيئه

ولهذا فأنت لن تكون صادقاً في حمل الامانه الا اذا صرت مثل هذا الطفل الذي ينفر نفوراً حقيقياً مما هو للغير

وهو ما يوجب عليك تربيته نفسك واولادك علي هذا الخلق وتنميته في النفوس والعقول والقلوب ليتحول من حاله الي خلق فالطفل الرضيع استعمل تلك الحاله الطبيعيه واطهرها بدون اختيار منه ولا ارده وبالتالي لا يمكن أن نسمي ذلك خلقا ولا يمكن أن يوصف أنه أميناً لأن هذه حاله طبيعیه وهو يتصرف وفقاً لها فالاتصاف بالأمانة كخلق أمر عظيم جداً يتطلب أن يتحقق فيه شروط الامانه

يقول الحق أن هذه العقيدته تثمر نتائجها في الفكر والعمل الاسلامي فالإسلام ليس مجموعه افكار مبعثره ولا طرق عمل متفرقه بل هو نظام محكم الأسس علي مبادئ حكيمة ترتبط بالحزئيات بالكليات ارتباطاً منطيقاً وترتبط بعقيدته التوحيد

ولهذا تقوم عقيدته الاسلام علي ربط جميع الأحكام من حقوق الاسره والمجتمع وكل مجالات الحياه بأمر الله فجعل خلق الامانه مرتبطاً بالمسؤولية في الحركه والعمل لاقامه أمر الله الخلافه فأنت تعبد الله في اداء الامانه و الوفاء بالكيل والميزان ونهي سبحانه في مقدمه هذه السوره عن إعطاء الأيتام الضعاف أموالهم اذا لم يبلغوا الرشد أو بلغوا وهم سفهاء فقال تعالي (ولاتاتوا السفهاء أموالكم .. الخ

يقول لاتضعوا أموالهم بايدهم اذا كانوا سوف يعبتون بها فيما لافايده فيها واعطوهم ما يحتاجون من غذاء وملبس

فانتم امناء علي الضعفاء وتربيتهم وإعدادهم وتاهليهم ليكونوا قادرين على اداره أموالهم بأنفسهم فقال تعالي (وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح فإن انستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم.... الخ

فعليكم واجب الامانه أيضا حتي علي أنفسكم أن ترقبوا الله في أولادكم اذا حضر كم مقدمات الموت ولكم أطفالا أن لاتوصوا باموالكم بما يحجب حقوقهم فتذكروا ضعفهم وحالهم بعدكم (وليخش الذين لو تركوا ... الخ

ولهذا فإن تقديم مراعاة شروط الامانه وذكره كاول أمر يأمر به المومنين لأن إهدار هذه الشروط يعني تسرب انواع الخيانات الخفيه الي الحياه ولهذا كان مناسباً تناول النصوص السابقه أيضا النهي عن أكل أموال الناس بالباطل من الرشوه والغش والسرقه والرياء والخداع والاختلاس فذكر أنه لا يحب الخائنين واخبرنا أن ندع الغش (ولاتبدلوا الخبيث بالطيب)

فالمولي لم يدع في القران شي من أوجه الخيانه الا وذكره فلم يقول مثلاً لاتسرقوا ولا تخنوا فقط لأنه لو قال ذلك لكان فهم الخيانه مقصوراً علي حاله السرقه فقط

ولهذا فإن هذا الأمر بعد أن تناولت النصوص جوانب عديده متعلقه بالموضوع فيها أن الذي يتخلق بالامانه يعني ان يكون صاحب بصيره ومرعاه الجانب الشرعي الصحيح بحيث يكون كل اسلوب أو أمر غير شرعي فهو حرام ومتعارض مع خلق الامانه فيكون عارفاً ماذا يجب عليه قادراً علي حفظها واداءها الي أهلها الذين يستحقونها فامانه التكليف هي التي تجعله سيداً علي الكون

ولهذا الحق بالنص القاعده الثانيه التي يقوم عليها النظام الإسلامي وهو الحكم بالعدل بين جميع الناس (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فذكر اهميه التعامل مع الناس وقيادتهم بالعدل والمساواة بغض النظر عن ألوانهم واجناسهم واطوانهم واديانهم حتي لو كانوا غير مسلمين فقال تعالي (بين الناس) ليشمل كل الناس

وهذا فيه بيان عده امور

الأمر الأول

يقول الله عليكم عند التمكين أن تقيموا العدل فانتمصاركم هو للانسانيه كلها فهو تعالي قال (بين الناس) وقال في

موضع آخر (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة... الخ

(

يقول يجب ان يكون اختيار الحاكم من الذين يكون اهلا علم بالمسؤولية الملقاة علي عاتقهم عالمين بحقوق الرعايه أكفاء امناء علي إيصال الحقوق الي اصحابها لأن هنالك دعوي واجابه توجب عليه فهم ومعرفه أحكامها وهذا يتطلب أن يكون القاضي صاحب سعه صدر لا يضييق صدره من الاستماع للأطراف ليس من طبعه الضجر و الملل فلا يمل من مراجعه الخصوم الي الحق لا تحملهم الخصومه علي اللجاج والإصرار علي رايه ومن يسقط بالا خطأ ويصر علي تلك الزاله فهذا لا يصلح للحكم لانه بحاجة الي معرفه الأحكام والحياد في نظر الدعوي فلا يضييق صدره من الرجوع الي الحق إذا عرفه ولا يكون متسرعا في الحكم فلا يكتفي بما يبدوا له باول فهم فاللازم أن يتاني علي أقصى الفهم بعد التأمل ويبني حكمه علي ما يصل الي قضاءه فيكون هنالك اساسا لحكمه في الأ وراق بالدليل القاطع لا الشك والتخمين وهذا يقتضي أن يكون صبور بطبعه من أجل كشف الحقائق واصرمهم عند اتضاح الحكم بقطع الخصومه ومنع اللدد

وهذا يتطلب أن لا يكون طمعا بالنظر الي ما عند الناس وهو يحكم في ممتلكاتهم فإن الطمع من مركز اعلي الحكم فيه منقصه فما ظنك أن دفعه طمعه الي الهبوط إليه وتناوله بالرشوه فإنه ينزل من منزلته ولهذا أمر أن يمنح القاضي من العطايا ما يوسع عليه حتي يكون ما ياخذ كافيا لمعيشه مثله وبما يحفظ منزلته وأمر برفع منزلته عند صاحب الولاية العامه ليري الخاصه ماله من الاحترام فتكون له مهابه كما تهابها العامه ليكون قادرا علي إصدار الأحكام العادله

الامر الثاني

عليك أن تعلم ان العدل في الأصل هو والمساواة بين الأشياء فكل ما خرج عن الظلم والعدوان سمي عدلا ولهذا فإن الأصل الذي ينبثق عنه العدل هو التوحيد والذي يعني أن تكره الظلم وتبغضه وتكره أن تنصر الظالم بالفعل أو القول أو حتي الشعور كان تحب فعله لانك إن فعلت صرت ظالما مثله فقد ورد عن الحسن قوله إن الله أخذ علي الحكام أن يأخذوا بأمر الله ويتركوا الهوي وان لا يحسدوا ولا يشترؤا بآيات الله ثمنا قليلا وقد ذكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمه واين أعوان الظلمه فيجمعوا كلهم ممن يري منهمالي أن قال فيجمعهم ويلقون في النار) وقال ايضا (من دل سلطانا علي جوار كان مع هاما وكان هو والسلطان من أشد أهل النار عذابا)

فصلاح الناس هو في العدل وهو ليس مقصورا علي الحكم وما ورد في الأمر الأول من شروط اختيار الحاكم بل يكون في المجلس بالمساواة بين الخصوم فلا يكون إعطاء أحدهم مجلسا بارزا في صدر المكان لاعتبارات دينيه أو طائفيه أو طبقه أو غيرها في حين يكون جلوس الآخر في مكان أقل منزله فهذا أمر مرفوض في الحكم

وكذلك في النظرات فيجب علي القاضي أن يسوي بينهم فلا يشير لأحد هما بما يوحي أنه متعاطف معه أو ينظر لآخر نظره تويحي بالازدراء أو نحوه. وان يحرص علي مرعاه مبدا المساواه بين المتفقين وتطبيق مبدا المساواه بين المختلفين والمراد بهذا أن يرفع من شأن الضعيف حتي يحس بالأمان فيكون قادرا علي عرض مسأله ويخفض من شأن القوي حتي يشعر أنه ضعيف أمام الحق فلا يتكبر فالمساواه بين المختلفين تقتضي التفريق بينهم في التعامل كما نفهم من الاحكام المتعلقة بالمراه والرجل فقد كان مراعاة الاختلاف المذكور في الأحكام الشرعية فلم تكلف المراه مثل ماكلف الرجل فهذا هو العدل ومفهوم المساواه في الحكم ليكون تهيئه الناس لقبول الحكم وتنفيذه برضا وقناعه

الأمر الثالث

فذكر المولي أن هذا يوجب الرقابه علي أداء كل من ولي امر من أمور المسلمين ومراقبه الأحكام واكتشاف الا
لتزام بحمل الامانه واقامه العدل بين الناس مبينا اهميه أن تغرس هذه الرقابه بالضمير فقال (أن الله نعمًا يعظكم
به)

ولم يقل أن نعمًا ما يعظكم به الله (فكان تقديم لفظ الجلاله لبيان شدة الصله بينهم وبين الله فهو الذي يعظهم
فعليهم الاحساس بذلك وهي لم تكن موعظه بل أمر فسامها بهذا كي تصل إلي القلوب بسرعه فالمولي يريد أن
يصل التوحيد الي المناطق الداخليه للمشاعر ليكون التنفيذ سهلا ثم عقب (أن الله كان سميعا بصيرا)

لبيان ان المسلم بحاجه الي الشعور بوجود الله ليعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فعليه أن يدرك أن الله يراه
يشاهد فعله ويسمع قوله

فهذه الرقابه الاولي للمسلم في حركاته وأفعاله واقوله ثم تأتي الرقابه التي تضعها الحكومه لتقييم حمل الامانه
الموكله لكل مسؤول في مجاله ومحاسبته علي التقصير في أداء الامانه والعدل في الحكم

ثانيا

تستمر النصوص في تربيته الامه وانشائها وأخرجها وفقا للقران الذي كان اداه التربيته والإعداد الجيد والتأهيل
للمسلمين والأجيال ليكونوا قادرين على اداره وقياده العالم ويتجاوزوا الضعف والنقص في الخبرات اللازمه
للقيام بمهمه الاستخلاف علي الارض

فيقول المولي سبحانه وتعالى (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في
شي فردوه الي الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير لكم واحسن تأويلا)

الأمر الأول

أن النصوص تقرر المبادئ الدستورية التي تحكم النظام الإسلامي (العدل والمساواة وتحمل المسؤولية)

وبعد هذا تأتي النصوص بالنداء للمؤمنين عموما بالأمر الذي فيه ثلاثه امور ١ وجوب متابعه القران الكريم (اطيعوا
الله)

٢

وجوب اتباع السنه النبويه (واطيعوا الرسول)

٣

وطاعه أولي الأمر (وأولي الأمر منكم)

النداء جاء موجها الي المومنين باعتبارهم التنظيم الثوري الذي يحرص علي تحقيق اهداف الثوره التي حملتها
شريعته الاسلام للعالم أجمع يقول لهم كلكم مسؤولون وعليكم التزمات والمسأله تحتاج الي ادراه ناجحه

فالأمر للمومنين بالطاعه لله والرسول وأولي الأمر منكم

فالنصوص تبين مبادئ الحكم بأنه يكون طبقا لشرع الله وهو تشريع موضوعي لا ذاتي شخصي فالمولي يضع
للناس ميزان ضابط للبشر في جميع المجالات فرساله الاسلام جاء فيها بيان سبل الحركه بما يتناسب مع حاجه الإ
نسان ومرعاه حاله العالم المتغير فهو لا يوزم شأنه ولا تقتل المواهب كما يقول اقبال في موضوع خلود الاسلام في

رسالته بالتوازن في حياه الفرد والتوازن في علاقته مع أسرته والتوازن في علاقاتهم في المجتمع والدوله والعالم والكون حكاما ومحكومين

لكن تحول تلك القيم والمبادئ الي حقيقه تحتاج الي دعوه منصفه مستمره واعيه بأحوال المسلمين تحتاج الي جهود

تحتاج الي معرفه كل واحد منا الي ماله من حقوق وماعليه من واجبات فلا يضع المرء حواجز حول نفسه تمنع اتصاله بالناس فهو نظام اجتماعي كما هو دين يمنح المومن اعتقاده بالمساواه مع جميع المومنين الآخريين

الأمر الثاني

تبين النصوص أن أساس اختيار الحاكم في الإسلام بأن يكون اختياره من الشعب وأنه يحاسب علي قيامه بأحكام الله وان للشعب أن يعزله للضروره فجعل شرط الطاعه لهم أن يكونوا امناء أكفاء لا يخالفون أمر الله وسنه رسوله ولهذا نجد أنه ورد الأمر بالطاعه بعد الأمر بقاعده التعامل النظام الأساسي لها الامانه وقاعده الحكم العدل ومصدر السلطان هو الله فشريعته الله هي الواجب الإلتباع والتنفيذ وسنه الرسول فالأمر بطاعه أولي الأمر هم أمراء الحق والخلفاء الراشدين ومن يهتدي بهديهم أما أمراء الجور

الذين يصلون الي الحكم بالغلبه والقهر فهؤلاء لا يكون لهم طاعهولهذا نجد خطبه ابوبكر الصديق تبين هذه الحقيقه فقال (اني قد وليت امركم ولست بخيركم ولكنه التزم كتاب الله وسنه رسوله فاعلموا ايه الناس أن اكيس الكيس التقى واعجز العجز الفجور وان اقواكم عندي الضعيف حتي أخذ له حقه وان اضعفكم عندي القوي حتي أخذ منه الحق

ايها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن احسنت فاعيونني وان انا زغت فقوموني)

فلا يكون إماما الابهذه الشروط ..وقد فسر ابن القيم الايه

ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)

أمر بطاعه الله وطاعه الرسول واعاد الفعل (واطيعوا الرسول)اعلام بأن طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم تجب استقلالاً من غير عرض ما أمروا به علي الكتاب لانه لاينطق عن الهوي إنما هو الا وحيا يوحى

وقد افرد طاعه الله ثم جمع طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم مع طاعه أولي الأمر ولم يقل واطيعوا أولي الأمر منكم ولم يأمر بطاعه أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم من ضمن طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم اذ أنهم يطاعون تبعاً لطاعه الرسول صلى الله عليه وسلم فمن أمر منهم بطاعه الرسول وجب طاعته ومن أمر بخلاف ماجاء به الرسول فلا سمع طاعه له فسنه الرسول تبين ما اجمل في القران أو ابهم فالحاكم له سلطه وضع اللوائح والقوانين التي تراعي مصالح الناس في الجزئيات والتي يجب أن ترتبط بالكليات والقواعد الشرعيه الاصول الثابته فمثلا قواعد المرور للحركه السيارات في الطريق يعدها الحاكم المسلم ولا توجد في الكتاب والسنه احكام تحرم تجاوز إشارات المرور فالإنسان هنا بحاجة الي لوائح تنظيم الحركه ولهذا فاللازم طاعه ولي الامر لأن في ذلك تنظيم أحوال الناس وهي لها أصل في الكتاب والسنه ترتبط به (ولاتمشي في الأرض مرحا)

وايضا في السنه لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه منع استصطحاب النبال في الأسواق المزدهمة وفي المساجد فدلّت أن هنالك أصولا تعود إليها في تنظيم حركه المرور وهكذا الكثير من الأمور التي تنظم مصالح الناس

المهم هنا بالوقوف علي الايه (وأولي الأمر منكم)

فقد أشارت الابه بوضوح الي المصدر الذي يستمد منه الحاكم ولي الامر ولايته فليس هنالك دم ملكي أو نطفه تورث الملك ولا تفويض الهلي لآحد من الناس بالحكم

وانما الامه هي صاحبه السلطه في اختيار الحاكم من بينها طبقا لشريعه الله فقد ذكر ابن حزام أن الإمام جعل ليقيم للناس الصلاه ويأخذ الزكاه وبيقيم الحدود ويمضي بهم في الجهاد ضد الأعداء وبيقيم أحكام الله وهي لا تخاطب الا العقلاء المكلفون فلا يخاطب مجنون ولا طفل بها أي لا يامر بها من لا يعقل ولم يبلغ)

ويفهم من هذا أن اختيار الحاكم مرتبط بامانه العقل والحريه في الاختيار فجاءت الابه تبين طبيعه النظام الإسلام مي في اختيار الحاكم للامه فيه الروح التقدمية للإسلام فهو من وحي الحكمة الالهيه والعداله الربانيه والعالم اليوم يفتقر الي هذه الأفكار التقديميّه

الأمر الثاني

تضع النصوص أسس قانون التعامل بين الحاكم والرعيه

بان كل تنازع في أي شأن من الشؤون الدينيه والدنيويه في السياسيه والاقتصاد وكل امر في الفروع والجزئيات و الكليات يكون الرجوع الي الكتاب والسنة في حل النزاع فقال تعالي (ومن يطيع الرسول فقد اطاع الله)

وهنا يوضح الأمور به هنا فيقول (فما اختلفتم فيه من شي فردوه الي الله ورسوله)

والتنازع من النزاع بالجدب كلا واحد منهما الي الآخر كل واحد يريد أن يجر صاحبه الي الجبهه غير الجبهه التي هو عليه فيقول الله أن المساله خطيره فإذا حصل الخلاف فعليكم الرجوع الي كتاب الله وسنة رسوله

والمراد بهذا أنه إذا استشكل عليكم امر من الامور كان يصدر الولي قاعده تنظم أحوال الناس مثل ماقلنا قاعده متعلقه بالمرور علي الطريق ولاحظت أنها لاتحقق المنافع فعليكم تقديم النصيحه والموعظه فطاعه ولي الامر لا يكون في المسائل الشرعيه مثل شريعه الصلاه والصيام فإذا أمر بصيام النذر فلا يكون واجبا عليك امره وانما طاعته تكون في تنظيم شؤون الحياه والمولي يأمر بالانضباط والنظام لمنع الفوضى وهذا طاعته ملزمه لما فيه خير للمستقبل

فأخبرنا الله بأنه في أي مساله يجب الرد عند الاختلاف فيها الي الله ورسوله

والرد الي الله يكون بالآخذ بمحكم كتابه اي نصه الصريح

والرد علي الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بالآخذ بسنته الجامعه غير المفرقه كما ورد عن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها جامعها في الأصل لكن هنالك رويت عنه سنن افرقت عليها الآراء فإذا اخذت فخذ ما اجتمع عليه وما لا يختلف عليه من نسبهته إليه صلى الله عليه وسلم

الأمر الثالث

والاختلاف من التنازع وهومن دعائم الكفر ولهذا نجد أن المولي يربط امتثال الأمر بالاحتكام الي كتاب الله وسنة رسوله بشرط الايمان وحد الاسلام فقال تعالي (إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر) فالذي يرفض القبول بحكم الله ويسعي الي توسيع دائره الخلاف يكون خارجا عن الإيمان فالاختلاف من دعائم الكفر اذا لم يتم الإنتباه إليه

فهو مدخل للشيطان لتمزيق الامه وانقسامها ولهذا فإن ينذر بفساد عظيم فالرسول يقول (إلا أنه من يعيش بعدي فسيري اختلافا كثيرا كما هو في الحديث

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضو عليها بالتواجد)

فالاحياء للسنة إنما يكون عند فساد الامه أنه متعلق بحالات الازمات الاخلاقيه والتي تشمل انقسام القمه النخبه و القاعدة الجماهير في امه الاسلام وتصل المساله الي التصادم والقتال والفشل بكل صورته ومعانيه

لقد شاهدنا الكثير من أحوال الناس نتيجته الانقسام والتمزيق وأثرها علي الحياه نعم عشنا تلك المظاهر

فيحتاج الناس الي مواقف اخلاقيه ليست من سياسه المرحله وانما تتبع من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته من مفهوم معالجه ذلك بالصبر والعداله والأمانه وأحياء العلاقات السلوكية الموديه إلي الرحمه والموده والسلا م لابد من جمع الكلمه ومنع سفك الدماء والعمل علي اصلاح ذات البين وتوحيد الصف وابطال مشاريع الشيطان ولهذا يقول المولي أن عدم القيام بأمر الله بالتزام قاعده حل النزاعات فيه خروج عن الإيمان فالنزاع متوقع (من شي) نكره في سياق الشرط فدل هذا أن هنالك موقف فساد تستدعي التحلي بأخلاق المومنين

بالعوده الي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فالإنسان بحاجه الي ازاله الجهل والظلم ليكون اهلا للخلافه وهذا إنما يتحقق بالمنهج فشرط الخلافه هو التوحيد المرتبط بالمنهج (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف ...الخ

فقد قيدت الخلافه بشرط اتباع الهدي الذي يعني النجاه من الاحزان والخوف

فالله يقول لنا أن أخلاقنا ترتبط بسنن اخلاقيه وسنن ماديه يجب مراعاتها لنجد السعاده الابديه (ذلك خيرا واحسن تأويلا)

فالمنهج هو الذي يرتقي بالإنسان فهو منهج شريعه العدل لاتستقر أحوال الناس في دينهم ودينهم الا بطاعتهم طاعه الله ورسوله فقال تعالي (ذلك) اشاره الي الرد الي الله ورسوله فيه احسن الأحكام واعديلها واصلحها للناس في أمر دينهم ودينهم فهناك ارتباط وثيق بين السنن الاخلاقيه والسنن الماديه فالله يقول في موضع آخر (أن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) فدللت النصوص علي وجود تنسيق دقيقا بينهما فهذه القوانين الالهيه دقيقه شأنها شأن القوانين التي تحكم الجانب المادي في الكون

ثالثا

يقول لك الحق أن المنهج واضح وحدود الطاعه واضحه وفيه شرط الايمان وحد الاسلام فطاعه الأمراء واجبه اذا أريد بها الحق والا فلا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق

ولهذا فإن الايمان بالله واليوم الآخر تعني انطلاق الطاقات بالتححرر من كل سلطان سوء الله فهي تمتاز بالشمول ع لاقه الإنسان بربه بالاخلاص وهو أمر لا يطلع عليها إلا الله وعلاقه الإنسان بنفسه وببني جنسه وعلاقته بالكون فهو يقنع العقل ويشبع العاطفه فقوه الغيب ترضي اشواق الروح للإيمان في الوقت الذي تطلقه في عالم الشهاده يعبد الله بالتعامل مع الكون والعالم بالتعاون علي البر والتقوى فالرقابه الاخلاقيه الاسلاميه تختلف عن الرقابه في الأ خلاق الاخرى فالرقيب هو الله الذي يعلم خائنه الاعين وما تخفي الصدور فقال تعالي (أن الله كان سميعا بصيرا) وقال ايضا في هذه السوره (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول ..الخ

والأخلاق الإسلامية تبنى علي اساس المسؤوليه وأنه سوف يحاسب في اليوم الآخر فهو في سفر الي الله والدار ا
لاخره فيري أن اخلاق الشر عليها عقاب وان اخلاق الخير تعني الثواب

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول متعجبا من اولئك الذين زعموا أنهم مومنون بالقران الكريم والكتب
السماوية السابقة بأنهم يسعون الي الاحتكام الي الطاغوت ويرفضون طاعه الله ورسوله فقال تعالي

(الم تر الي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل عليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الي الطاغوت وقد
أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيد)

الأمر الأول

يتعجب من حال المنافقين الذين ادعوا الايمان بالقران الكريم والكتب السماوية وكذلك من اليهود الذين كانوا
يدعون أنهم من أهل العمل الايماني

والزعم في الأصل هو القول حقا كان او باطلا ثم كثر استعماله في الكذب

فقد أمروا بطاعه الله وطاعه الرسول باتباع منهج الله وسنه رسوله والاحتكام إليه في كل شأن من شؤونهم فقال
(فما اختلفتم فيه من شي...الخ وهو مايفهم معه أنه لايجوز الاحتكام الي غير كتاب الله وسنه رسوله فجاء النص
فيه توبيخ لأولئك الذين يدعون أنهم مومنون مبينا العله أنهم اردوا الاحتكام الي غير منهج الله وهذا يعد خروجا
عن دائره الايمان وان هولاء تابعون لمدرسه الشر الشيطانيه وقائدهم ابليس ويحملون المشروع الشيطاني فالأ
بواه هي المنهج لأن الاستهتار بالأمر هو سلوك ابليس والذي أمروا أن يكفروا به فالمومن كافر بكل ماسوء الله فهو
يومن ب الله وحده وبذلك يتحرر من كل الضغوط والتردد فتنتلق قواه التي لاترضخ لغير فاطرها ويكسبها الايمان
قوه دافعه إذ يرضي الاشواق الخفيه ويحطم أغلال وقيود الأصنام التي في القلب ويوزن كل شي بميزان الايمان
فالعقيده الاسلام تهتم ببناء العقلي للإنسان لكل فرد من أفراد الامه فتصبح عقيدته الاسلام منبع تخريج الاحرار
أولي الأبواب فمنهج القران تسكن فيه الأرواح في كل ميادين الحياة ويصبح نظامها في كل شأن فيستنكر التناقض
بين قول هولاء وادعاءهم الايمان بينما أفعالهم لاتتطابق مع الايمان

الأمر الثاني

يقول لنا الخالق أن دعوه الرسل واحده وهي عباده الله ومحبته ومعرفته وتوحيده وان المحبه لاتحقق إلا باتباع
الرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وان هذا يتطلب تخليص النفس والقلب من الشرك وهذا يكون بالكفر بالطاغوت ونظامه في أي شأن فأشار الله أنه
لايومن احد حتي يكفر بالطاغوت بقوله تعالي (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروه الوثقي)

ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروه الوثقي وبالتالي فهو بمعزل عن الإيمان لأن الايمان
ب الله هو العروه الوثقي ومن كان مومنا بالطاغوت يستحيل أن يكون مومنا بالله الا بالكفر بالطاغوت فهو شرط
لازم للإيمان ولهذا يقول تعالي مستنكر عليهم ذلك فقال (وقد أمروا أن يكفروا به)

وجمع في هذا اليهود مع المنافقين مبينا أن دعوه الرسل والأنبياء كلهم هي الي عباده الله واجتناب الطاغوت

وقد اتصفوا بذلك وصانوا عقولهم من الضياع

فالاستنكار لبيان ان هولاء قد خرجوا عن دائره الايمان وعن أبواه المنهج الرباني فالذي يرفض الاحتكام لمنهج الله
يصبح تابعا لابواه الشيطان الرجيم ولهذا إذا نظرت إلي المجتمع الإنساني اليوم تجد أن منبع الشرور والفساد

الحقيقي إنما هو الوهيه الناس علي الناس أما بطريقه مباشره او بواسطه

لماذا لان الإنسان إذا لم يعبد الله فإنه يعبد هواه أو غيره من البشر أو القوانين الوضعيه فهناك الهه شتي

فأنت اينما وجهت نظرك وجدت أن كل امه اتخذت لنفسها الها فالامه الضعيفه رويما تعبد الامه القويه كما هو حال امريكا التي تعبد من الكثير من الأمم

أو طبقه اوسلاله تسلطت علي الشعب فصارت تعبد من دون الله ومنها الوثنيه الدينيه التي تري أن لها تفويض الهى للحكم

أو حزبا سياسيا استولي علي مناصب الالوهيه والربوبيه وصار مسيطرا علي الحياه وصار يفصل الأحكام التي تحكم حياه الناس وفقا لمقاسه ومقاس اتباعه وابتعد عن منهج الله

ولهذا يقول الله أن الابتعاد عن المنهج الرباني يعني اتباع الشيطان ومنهجه وقيادته الشريره لكم تتبع من أردته لكم الضياع والضلال البعيد الذي لايرجي معه عوده للإيمان

الأمر الثالث

يقول لك الله أنه ليس لداء الطاغوت علاج إلا أن يكفر الإنسان بالطواغيت كلها ويومن بالله وحده لا شريك له فهذا هو الطريق الوحيد الذي فيه النجاه من أعوان الشيطان وأتباعه فيه النجاه من هولاء الذئاب الذين يريدون لك الانحراف هذا هو الصلاح الحقيقي الذي فيه تطهير الإنسان من الاوساخ فهذه النظريه التي حملها جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام الي الناس

أن الدين ليستقيم امره في القلوب والعقول اذا ساروا علي هذا المنهج واتبعوا نظامه وشريعته وربطوها بفلسفه ا لاعتقاديه في أصولها وفروعها ونتائجها الفكرية التي تستمد من منهج الله ولهذا يقول الحق متعجبا من رفض هو لاء العلاج الرباني لامراضهم فقال تعالي (واذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)

أن العلامات الداله علي اتباع الشيطان (المنافقون)

أنهم إذا قيل لهم هلموا اي طلب منهم الاحتكام الي القران الكريم والسنة النبويه فإنك تشاهد هولاء يعرضون عن الطلب فهم يعرضون أعراضا علامه علي الاستكبار فقد قال تعالي في موضع آخر (واذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله لؤؤ رؤؤهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون)

فالنصوص تبين أن أعراض هولاء عنك متوجهون الي غيرك بالكلية فالنصوص ترسم صورته لحركات المنافقين ومشاعرهم لغرض اظهار للمنافقين فقدم الاظمار لتسجيل عليهم نفاقهم وذمهم بذلك والأشعار بالحكم ليشمل هولاء وكل من نحا طريقهم الي يوم القيامة فلا تنخدعوا بهم وعليكم الإنتباه من تسمحوا لهم بالتسلل الي المراكز الحساسه في الدوله

الأمر الرابع

تنقل النصوص صورته قبيحه لحال هولاء عندما ينفضحون

ويعلم حقيقتهم وما تنطوي عليه نفوسهم سوء بظهور علامات النفاق والمرواغه بالزله التي تكون بدون تفكير منهم أو عندما يحل بهم الجور من حكم الكفار الذين يحتكمون إليهم حيث في هذه الموقف يلجأ المنافقون الي المسلمون والرسول صلى الله عليه وسلم لتبرير أفعالهم حتي لاتكشف حالهم فقال تعالي (فكيف إذا إصابتمهم

مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله أن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا)

هكذا هي سلوك المنافقون في كل زمان يخافون من انفضاح أمرهم ويلجأون الي تبرير أفعالهم ونفاقهم بوسيله حلف اليمين الفاجره فترسم النصوص صوره الخزي وانهم يحاولون أن يظهروا أنفسهم أنهم لهم حكمه في فعلهم الخبيث ذلك فقالوا اننا أردنا بالاحتكام الي الكفار أن نخدم الاسلام بتقريبهم اليكم وخدمه المسلمين بازاله الحاجز بينهم وبين الكفار مثلما نسمع البعض يقول إن الخضوع لاهل الكفر من باب اظهار مروانه الاسلام وحتى لانتهم با لإرهاب ويحاولون اظهار ذلك الخزي ان له حكمه

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول لنبية (اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم)

الأمر فيه تهديد لهم بكشف خيانتهم يعلم بواعثهم ودوافعهم فقد جعل في نفس كل واحد شاهدا من عقله ووعيه علي قضيه العقيدته وقطع عليه الاحتجاج والتنصل من مسؤوليته ثم يأمر نبية (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)

والاعراض عنهم وعدم الإقبال عليهم بالبشاشه والتكريم فيه اسلوب تربوي لاطهار عدم القبول باعذراهم دون التصريح بذلك الرفض والمراد بهذا التقليل من شأنهم وعدم الانشغال بهم فهم غير جديرين بالاهتمام وهذا الأ عراض يولد في نفوسهم الهواجس وخوف سوء العاقبه فيحذرون أن تفضح أمورهم ولهذا ربما يحصل تعديل سلوك البعض خوفا من العقاب

فالأمر أيضا بالاعراض يعني أنك لا تظهر لهم أنك عالم بما تكنه صدورهم صراحه لانه ربما قتل فيهم الحياء و الخجل فيصبحون غير مباليين بإظهار العدواه والشر وأما إذا تركه كان هنالك امل لصلاحه

والوسيلة الثانيه لمواجهه هذا الداء وعظهم هذا لصنف منهم يكون العلاج بالزجر والتذكير بالخير علي وجه تليين قلوبهم وحثهم علي تأمل العواقب المذمومه للحسد والكبر والنفاق وهذا يكون بأسلوب خطاب عام إيها الناس احذروا الكبر والنفاق وكما كان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مالي اري أناس يفعلون كذا وكذا... فالأمر فيه اعاده ترتيب الاحساس واثارتها وإجراء عمليات تربويه ودعويه حتي يتهيأ العقل والقلب من جديد لفهم مدلول اتباع أبواه المنهج الرباني وحمل الامانه

الوسيله الثالثه هي النصيحه والموعظه لهم بالسر (وقول لهم في أنفسهم قولا بليغا)

اي القول المؤثر في النفس بأن تحسن انتقاء الألفاظ والمعاني واختيار العبارات التي تحقق الغرض وهذا يتطلب منك حسن التشخيص للمرض بمعرفه طريقه تفكيره وأحواله وظروفه وتدخل من تلك المداخل فتضع العلاج المناسب الذي يشده اليك ويثق بك ويجد الدواء والعلاج لمرضه فاستغل الفرصه عندما تكون انت وهو في خلوه فالإنسان ظلوما جهولا بطبعه ومرضه ناتج عن فساد المعايير لديه للخير والشر المنافع والمصالح والأضرار عندما يجعل اللذه هي المعايير فإنه يقع في التخبط لكن إذا عرف ربه وشعر بوجوده وجعل المعايير لمقاييس الخير والشر هو كتاب الله وحافظ علي امانه العقل وصان العلم فإنه يتخلص من الجهل والظلم

رابعا

يقول المولي سبحانه وتعالى أن تلك الأمور في الايهه الكريمه السابقه تهدف إلي حمايه أخلاقنا من الانحراف لمعالجة الأمراض فهي تهدف إلي تهئية الجو المناسب للحياه الاخلاقيه الفاضله بكافه مجالات الحياه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية بما تضمنته من حث متكرر علي التزام مكارم الاخلاق وحمايتها والتحذير من ذميم الاخلاق وتنفير منها وبما حواها من بيان لما يترتب عليها من اثار في الدنيا والآخرة لإقناع الناس بشخص الرسول وما يحمل من أفكار لكن لابد من تشريعات وقوانين فيها عقوبات لحمايه أخلاقنا ولهذا يقول المولي

سبحانه وتعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذان الله)

فذكر أن الرسل عادة يبدون بإقناع الناس بأشخاصهم وبالفكره التي يحملها الي الناس وهذا يكون بالموعظه و النصيحة والمجادله بالنبي هي أحسن فإذا حصل هذا انتقل الي اصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والا جتماعية والثقافية وفي شتي جوانب الحياه وهذا يحتاج الي سلطه تلزم الناس باتباع الحق

يقول الزمخشري ما من امه الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان ب الله وعبادته واجتناب الشر الذي هو طاعه الطاغوت فالتركيز في كل رساله هو تعبيد الناس كلهم لله رب العالمين وحده

فالمقصود من ارسال الرسل هو طاعه الله من خلال اتباع ما جاء به الرسل فطاعه المرسل هي المقصود من إرسالهم ولايحصل ذلك إلا بامتنال أوامره واجتناب ما ينهي عنه ولهذا لا بد من سلطه للنبي ترغم المتمردين علي ا لانصياع للحق فقد حافظ القران علي الامانه بأن شرع الإسلام عقوبه السرقة بقطع اليد وحافظ علي طهاره الاسره بعقوبه الجلد الزانيه والزاني أو الرجم المحصن وحمايه الأمن شرع عقوبه الحرابه وحمايه امانه العقل بجلد السكران واعطي الحق لولي الأمر العقوبات التعزيرييه لحمايه الاخلاق فتشريعات الاسلام لاتعارض مع الحره الفرديه والشخصية بل هي تحفظها فالحره ليست التحرر من كل قيد ولا التحلل من كل سلطان فالحر خلاف العبد وخيار كل شي ومن الرمل والطين الطيب والحره الفعل الحسن فالحره تعني الخير والطيب والحسن و الكرم والشرف والكرامة وطاعه الله فهكذا يجب أن تكون الحره في هذا الإطار فإن خرجت الي غيره صارت تعني الفوضى الاباحه الهدم والانانيه وذبح الفضائل وآثاره الغرائز وترويج المبادئ المنحرفه المذاهب الهدامه أنها جرائم بشعه

يقول الحق لاجل ذلك شرعت العقوبات ومنح الرسول السلطه لمنع الفوضى لمن يرفض العوده الي الحق فأخبرهم أن الله يرحم تضرعهم وباب التوبه مفتوح فقال تعالي (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا)

يقول إنه سبحانه وتعالى جعل التوبه مفتوح لكل من يرجع الي الله فذكر أن الله يرحم تضرعهم ولايرد استغفارهم لقوله تعالي (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

فالدعاء مخ العباده والدعاء يكون مباشره الي الله فلا نتوجه الي البشر بما هو من خصائص الالوهيه ولو كان هذا البشر النبي صلى الله عليه وسلم فالسؤال والدعاء وفقا لاليه السابقه عباده محضه

وان المراد بالمجي للرسول صلى الله عليه وسلم يقصد به من باب الدعاء المأمور به بسنه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو بعضنا لبعض بظهر الغيب فلا يجوز التوسل الي الله بأشخاص الاحياء ولا الاموات أما دعاء الإنسان لنفسه ولغيره فهو مطلوب في حدود تلك الدائرته من استعطاف العبيد لله وطلبهم باسترحامه فقد طلب عمر من العباس أن يدعو الله للمسلمين فدعا العباس قائلا (اللهم لم ينزل بلاء الا بذنب ولايكشف الا بتوبه وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبه فاسقينا الغيث)

والايه أريد بها أنهم إذا جاؤ الي النبي صلى الله عليه وسلم وهم يدعون الله تعالي أن يغفر ذنوبهم ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فإن مجئهم يدل علي القبول بالحق واذعانهم وانهم قد نفروا من الأخلاق المذمومه ف الله يطمئنهم أنهم سوف يجدون الله توبا ورحيما بهم

المفهوم الثاني

يقول الله سبحانه أن الإسلام لا يخلق باعتناقه ملائكه كاملين يقف عندهم التطور وانما هو يخلق بشر فاضلين ترجح عوامل الخير والشر في نفوسهم مع استمرار التطور والتدافع في نفوس المومنين فذكر أنهم إذا فعلوا الأ

أخطاء (فاستغفروا الله) وان هذا التطور والتقدم من سنن الله فالنظره إليه إنما تكون في حدود الايمان فجعل باب التوبه مفتوح لكل من ارتكب ذنبا فالأمر سهل ماعليك الا تعود إلي الله تائباً وترجع الي سنه الرسول صلى الله عليه لأن احياء السنه عند ظهور الفساد فيها الفائده ف الله يقول (لاخير في كثير من نجوهم ... الخ

والله يقول (أن الحسنات يذهبن السيئات)

وهكذا تجد رحمه الله بالتوبه الصادقه والأعمال الصالحه التي تقربك من الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن ذلك يعني حبك لله ورغبه منك أن يرضا عنك الله ويحبك الله

القسم الثالث

تنتقل النصوص الي بيان معني العباده التي تجب علي العباد وتبين حدود الطاعه للرسول صلى الله عليه وسلم المتعلقة بنظام الحكم وهي الطاعه المتعلقة بتطبيق أحكام الإسلام في الحياه والتي يكون اختيار الحاكم لأجل إقامتها في حياه الناس فقال تعالى

(فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

الأمر الأول

أن أول ما يشد الإنتباه ابتداء الايه بقسم الله بربوبيته فقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما بينهم)

وبالرجوع الي اقسام المولي سبحانه وتعالى في القران نجد أن الحق يقسم بأمور علي أمور وهو سبحانه يقسم بثلاثه أمور فهو يقسم الله بذاته المقدسه (الربوبيه والالوهيه) الموصوفه بكمال صفاته أو باياته المستلزمه لذاته وصفاته وأقسامه ببعض المخلوقات دليل علي أنه من عظيم آياته والقسم أما أن يكون علي جملة خبريه وهو الغالب (فورب السماء والأرض أنه لحق)

وأما أن يكون علي جملة طلبيه كقوله (فوربك لسنالهم اجمعين عما كانوا يعملون)

مع أن هذا القسم كما ذكر شيخ الإسلام قد يرد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يرد محض القسم والمقسم عليه يرد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمر الغائبه والخفيه اذا اقسام علي ثبوتها

ولهذا فإن القسم (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما بينهم)

من أعظم أنواع القسم لأن الله اقسام بذاته المقدسه وهي حاله نادره فهو سبحانه وتعالى اقسام في كثير من المسائل بمخلوقاته الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والليل والنهار...الخ

لكن هنا اقسام بربوبيته ويفهم منها خطوره المساله التي يقسم الحق علي تحقيقها بأنه لا يعد مومنا من لم يحتكم الي شرع الله ويخضع لحكم الاسلام والحاكم الذي يقوم بتطبيق شرع الله ابتداء من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سار علي نهجه من بعده وان يكون ذلك برضاء وقبول ورغبه وقناعه بما يحكم به ويلزم التنفيذ

الأمر الثاني

بعد أن ذكر المولي سبحانه وتعالى في الايه السابقه مساله التوبه ورحمه الله الواسعه وان علي العبد أن يرجع الي الله بالاستغفار عند ارتكاب المعاصي والذنوب وبينت النصوص أن المجي للرسول ليس المقصود به التوسل كما ذهب البعض في تأويل الايه السابقه (ولوانهم إذ ظلموا أنفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا

اللَّهُ تَوَابًا رَحِيمًا)

وقد أوضحنا أن الدعاء مسأله عباده محضه يكون مباشره لله ولايجوز أن نتوجه للبشر بما هو من خصائص الالوهيه

فناسب هذا القسم بعدها لبيان ان المجي للرسول صلى الله عليه وسلم من باب اتباع المأمور في السنه النبويه ومعرفه الحلال والحرام واتباع مااتي به من ربه مبينا أن مهمه الرسل ليست التوسل والوسطه بل اقامه شرع الله ولازاله الفهم الخاطئ لدور الرسول الذي ينظر إليه أنه الوعظ والإرشاد والتوسل به في حياته أو مماته يأتي القسم الإلهي (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما بينهم..الح فأقسم بذاته المقدسه

أن الحق يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه المقسم عليه فأقسم بذاته المقدسه وهو أعظم قسم يقسم به الخالق لانه اقسم بذاته المقدسه الموصوفة بكمال صفاته وهي الربوبيه والتي تتعلق بأفعاله وتصرفاته وتديره لشؤون خلقه فأراد بهذا أن يبين أنه لا يكفي اظهار الاقتناع بشخص الرسول أو الداعيه في المرحله الاولى لدور النبي أو الداعيه فلا بد من حصول الاقتناع بالفكره وكسب ثقه الناس فإذا لم يتحقق كسب ثقتهم حقيقه فإنهم لم يؤمنوا ولم يقتنعوا لانه لو امنت الأقسام بالانبياء وانهم مرسلون من الله لتبليغ دينه ودعوته لا بد أن تؤمن بعد ذلك بكل ماجاءوا به من الله سبحانه وتعالى سواء فيما يرجع الي أمر الدين أو أمر الدنيا لانهم اي الانبياء سيصيرون محل ثقه المطلقه ومحل الصدق الذي لايرتاب فيه

والمسأله هنا إذا متعلقه بحاله نفسيه لأن الناس ينقسمون في التعامل مع المرحله الثانيه التي ينتقل فيها النبي الي العمل التطبيقي العملي لأفكاره في إصلاح الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الي ثلاثه اقسام منهم القسم الكافر الذي لم يقبل بالدعوه من بدايه الامر علي الاطلاق وهذا معروف حاله أما القسم الثاني فهم الذين أعلنوا الايمان بما جاء به الرسول واظهروا الاقتناع بشخصه وبافكاره لكن عند التطبيق العملي لأحكام الشرع في الحياه انقسموا إلي قسمين فريق مومن امثال ماجاء به وفريق يرفض الامتثال أما بالعلن أو بالخفاء لانه الأحكام تتعارض مع مصالحه

حيث أن البعض ينظر إلي دور الرسول والي العباده أنها في الشعائر من صلاه وصيام ويرى أن دور الرسول يكون بالتوسل به في طلب المغفره من الذنوب وثقتة بالرسول تكون ناتجه عن فهم خاطئ بانه يحتاج الي الرسول في التوسل والوسطه به لمحو الذنوب وجلب المصالح الدنويه ولهذا يقسم الله بالربوبيه لما كان علم النفوس بحاجتهم وقرهم الي الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم الي الإله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجله قبل الالجله وكان اقرارهم بالله من جهه ربوبيته اسبق من اقرارهم به من جهه الوهيته وكان الدعاء له والاستعانه به و التوكل عليه فيهم أكثر من العباده والانابه إليه ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم الي عباده الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم للاقرار بالربوبيه وقد أخبر عنهم أنهم (لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وانهم اذا مسهم الضر ضل ما يدعون إلا إياه وقال تعالي (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) فأخبر أنهم مقرون ربوبيته وانهم مخلصون له الدين اذا مسهم الضر في دعائهم واستعانتهم ثم يعرضون في عبادته في حال حصول أغراضهم

ولهذا جاء القسم بعد أن بين الله الانابه والتوبه لله بالدعاء والاستغفار كما (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا)

ليبان ان مهمه الرسول ليس بالتوسل به حيا او ميتا وانما تبليغ شريعته الله وتطبيقها في حياه الناس يقول إن المجي للرسول الكريم المأمور به في الايه الكريمه السابقه ليس المقصود به التوسل والوسطه كما ذهب البعض في تأويل الايه الكريمه السابقه فالدعاء والسؤال عباده محضه يجب التوجه به الي الله مباشره ولايجوز ان

نتوجه للبشر بما هو خصائص الالوهيه وانما يقوم بتطبيق شرع الله في أرضه

الأمر الثالث

أن النصوص تبين أن مهمه كل رسول هو أنه يأمرهم بالخير وهو عباده الله وباجتناب الشر الذي هو طاعه الطاغوت

وهذا واضح اذا تأملنا ما يخبرنا الله به في كتابه عن مهمه الرسل التي بعثوا لأجلها أنها قاصره علي دعوه الناس الي عباده الله وحده والكف عن عباده ماسواه فهذا هو التركيز الذي حمله الانبياء كلهم والذي يهدف إلي تعبيد الناس كلهم لله رب العالمين ونزع الطواغيت من النفوس فهذه القاعده التي تقوم عليها سعاده البشريه كلها فتاتي تاره بالامر بحصر العباده لله تعالي وتاره أنه لايجوز أن يعبد معه أحد

هذا من جانب الأخبار عن حياه الانبياء جميعا أما الجانب التفصيلي وهو الصورة الثانيه فقد جاءت النصوص بالأخبار بالقيام بالمهمه بالدعوه الي التكاليف بأنواعها وربطها بالتوحيد فالمولي هنا يقول لنا أن العباده ليست الشعائر الدينيه من الصلاه والصيام...وانما يراد به أن يكون كل فعل دنيوي أو ديني اذا كان يأتي به المومن متبعا لقانون الله وشريعته هو عباده لله من أوله الي آخره حتي أن بيعه وشراءه في السوق ومعاشرته لأهله في بيته وانهماكه في شوونه الدنيويه البحتة ليس الاعباده لله تعالي

فالعباده تعني الخضوع والتذلل والاتصال بالله خضوع ناتج عن استشعار القلب عظمه المعبود واعتقاده بسلطه له ولهذا فانه لا بد لتحقيق ذلك عنصر الحب فهي تتضمن معني الذل ومعني الحب اي غايه الذل لله وغايه الحب ومن خضع لشي مع بغضه لا يكون عابدا لله ولواحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا لله

والله يقول لنا (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وبالتالي فإن محبه الله تكون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فإن مفهوم العباده كما يرها ابو الاعلي المودودي استنادا الي مفهوم الاستعمال اللغوي ان يذعن المرء لعلو أحد وغلبته ثم يتنزل عن حريته واستغلاله ويترك إزاء كل مقاومه وعصيان وينقاد له انقياد وهذه هي حقيقه العبيده والعبودية فالعربي عندما كان يسمع لفظ عبد فإنه تتكون في ذهنه تصوير العبيده والعبودية بأن وظيفه العبد الحقيقه هي طاعه سيده وامتنال امره فحتما يتبعه تصور الاطاعه ولهذا يقول الحق (حتي يحكموك فيما شجر بينهم)

لأن الاحتكام الي اي قانون آخر يعني خروج عن وظيفه العبد وخروج عن الطاعه فالله يقول (إنما كان قول المومنين إذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا واطعنا) فهذا واجب الإيمان فلا يمكن أن يدعوا لإيمان وهم يطلبون حكما اخر

وان الخطوه الثانيه أنهم لايتوقفون عند هذا الحد فالأمر يستوجب أن تسلم نفسك لسيدك طاعه وتذلا بل وتعتمد مع ذلك بعلائه وتعترف بعلو شأنه وقلبك مفعما بالشكر والامتنان عن نعمه وان أحكامه توجب الشكر لله فهي تربيته لنا فلا تجد في نفسك اي ضيق من حكم الله الذي يقضي به نبيه القائل (لايومن أحدكم حتي يكون هواه تابعا لما جئت به)

الأمر الثالث

أن هذا الإتباع للرسول هو العلامه علي حب الله والخضوع والتسليم في قوله (ثم لايجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

فالنصوص تربط الاحتكام للرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه بمفهوم العبوديه لله تعالي

وتبين لنا أنه لا ينظم الي معاني العبوديه الا إذا كان العبد لا يخضع لسيده رأسه فحسب بل يخضع معه قلبه أيضا ف الموددي إذ أنه يري أن أصل معني العباده هو الإذعان الكلي والخضوع الكامل والطاعه المطلقه ثم يضاف الي هذا المعني عنصر عاطفي يتمثل في عبوديه القلب بعد عبوديه الرأس والرقبه

وبالتالي فإن المفهوم العميق لمعني العباده وحقيقتها التي يطلب الناس القيام بها تعني

الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله أمر ونهيا وتحليلا وتحريما وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعه والخضوع لله تعالي فليس عابدا لله من رفض الاستسلام لأمره واستكبر عن اتباع نهجه والانقياد لشرعه وان أقر بأن الله خالقه ورزاقه فقد كان المشركون يقرون بذلك ولم يجعلهم القران بذلك مومنين ولا عبادا طائعين فخضوع الإقرار ب الربوبيه لا يكفي وخضوع الاستعانة في الكربات والاستغائه في الشدائد لا يكفي فلا بد من خضوع التعبد والانقياد والاتباع الذي هو حق الألوهية

وأساس هذا الخضوع لله تعالي هو الشعور الواعي بوحدنيته وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود فكلهم عبيد لله وفي قبضته وسلطانه

فأقسم بالربوبيه لبيان ان أساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجه الي الرب الذي يملك النفع و الضرر والموت والحياه ومن له الخلق والأمر ومن بيده ملكوت كل شي الشعور بالضعف أمام من يملك القوه و الشعور بالجهل أمام من أحاط بكل شي علما والشعور بالعجز أمام من يملك القدره والفقر أمام من يملك العني شعور العبوديه المخلوقه الفانيه الفقيره أمام الربوبيه الخالقه الازليه الابدايه المالكه لكل شي المدبر لكل أمر

والثاني

ان يصدر هذا الالتزام والخضوع من قلب يحب الله تعالي وأساس محبه الله هو الشعور بفضله وإحسانه ونعمته ورحمته والاحساس بجماله وكماله وجلاله وهذا يكون باتباع الرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

الأمر الرابع

يقول لك الحق سبحانه وتعالى ايه المسلم مخطئ من يتصور أن العباده منحصره في الاستغفار بالتسبيح و المكوث في المساجد والصلاه والصيام والحج والزكاة فحسب

بل اللازم أن تكون حياتك كلها لله فأنت تعبد الله بالتخلي عن الحرام ومنافعه تعبد الله بالقناعه بالحلال القليل المشروع في كسبه تعبد الله عندما تقبل بحكم الاسلام الذي يطبق عليك ويجنبك الظلم والغش والتدليس والكذب وتلتزم الامانه والصدق والعدل في معاملاتك مع الناس بحيث تكون كل حركه تقوم بها عباده لله وإيصال الحق الي أهله فيكون كل قول أو فعل عباده لله عندما تتبع قانون الله وتلتزم حدوده في كل شأن من شؤون حياتك الدنيويه والاخروييه فالعباده تسع الحياه بجميع جوانبها وكذلك تسع الإنسان بجميع كيانه

فمن هذه القاعده الاساسيه الشامله لمفهوم العباده انطلق الرسل والأنبياء كلهم في معالجه مظاهر الخلل الموجوده في اقوامهم ليتمثل الأقوام العبوديه الكامله لله وليبينوا للناس والأمم أن الدين وأن العباده ليست محصوره في أن يقوم الناس بأداء الشعائر التعبدية لله ثم يتركهم ينطلقوا بعد ذلك ليفعلوا مايشاؤون ويتصرفون في سائر شوؤنهم كما تملي عليهم اهوائهم

لا فلو كان الأمر كذلك لما ظهرت الصراعات مع اهل الجاه والسلطان لو أنهم لم يشعروا أن مصالحهم لم تمس وان قوانينهم لن تعطل والدليل أن دعوه شعيب كانت الي عباده الله بالالتزام بماشرع لهم الله في حياتهم الاقتصادية فهي دعوه اصلاح الفساد الاقتصادي والاختلالات الاقتصادية ودعوه موسي هي لإصلاح الأوضاع السياسيه

وتحرير بني إسرائيل من الفراعنه والوثنيه السياسية ودعوه لوط لإصلاح الحياه الاجتماعيه وإصلاح الفساد الأخلاقي وجميع ذلك ذكر فيه أنها جزء لا يتجزء من عباده الله فالعباده تشمل جميع الحياه وليس هنالك ما يسمي فصل الدين عن الدوله فهذا خروج عن مفهوم العباده

ثانيا

يقول الحق لنا طبيعه الاسلام أنه يقدر الضعف البشري ولهذا يقدم الدين الاسلامي صور الضعف للنفس فليمسها لمسات حانيه رقيقه فقال تعالي (ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الاقليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)

فالمولي سبحانه وتعالى يقول إن الإسلام جعل الرسول يدعوهم بالحوار الي الايمان وعباده الله وان التنفير من اخلاق الشر كانت هي الوسيله وأنه جعل لحمايه القيم والمبادئ وفكره الايمان عقوبات لحمايه أخلاقنا ترتبط بسنن اخلاقيه ونفسيه تسد الثغرات وتمنع الفساد وهي عقوبات جاءت فيها مراعاة ظروف الإنسان والفوراق في إطار السعه والقدرة للإنسان فلم يحملهم الله ما يفوق قدرتهم من التكاليف أيضا ليكون رفضهم لها

فالإسلام يقرر لنا طبيعه البشر في التطور والرقى فهو لا يريد أن يخلق ملائكه باعتراف الاسلام يقف عندهم التطور والرقى وانما يخلق بشر فاضلين ترجح عوامل الخير ونوزع الشر في نفوسهم مع استمرار التطور والتدافع في نطاق النفس المزمه فهم إذا فعلوا الفاحشه والظلم لم يغلق أمامهم باب التوبه ولم يجعل الطريق للتوبه شاق كان يقتلوا أنفسهم كي تقبل توبتهم ولا أن يتركوا أوطانهم لا بل قال (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا)

فالإسلام لا يريد أن يكونوا الناس ملائكة لا يخطاون بل أمر بالحركه وبذل الجهد ولو أخطأوا المهم أن تتنوا الخير وان لم يسعفكم بالوصول إليها فإن عليكم أن تتوبوا وان لاتصروا علي الأخطاء

فالتطير سهل فلوا أخذوا بالموعظه والنصيحه بالتوبه فقد اهدوا الي جوهر الايمان حقيقه عندها يتحرروا من التزمتم ومن الجمود والحجود ولا يضرهم أن يترددوا بين الطاعه والمعصيه والفسل والنجاح والنصر والهزيمه و الربح والخساره لأن كل هذه عوراض لا بد من اجتماعها وتتابعه وفقا للسنة الكونيه ولهذا فإذا هم أخطأوا فليجعلوا نيتهم اصلاح الخطاء ويعودوا الي الله بالتوبه

ف الله يعلم قدرتهم وطاقتهم المحدده فجعل باب التوبه مفتوح وجعل الموعظه والنصيحه وسيله للتطور و التقدم لمن اراد أن يتطور (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)

فالتطور سنه من سنن الله فالنظره إليه تكون في حدود الايمان بالاعتراف بالخطاء وعدم العوده والندم وطلب المغفره فالمسألة مساله عظيمه وارده علي تنفيذ أمر الله وعدم العوده الي المعصيه وسوف يمده الله بالعون و التثبيت علي المضي قدما وهذه النظره علي هذا النحو تعين المومن علي مساييره التطور والوثوق بالنتجه فلا يتردد ولا يتراجع ولا يظفر بالعزيمه تجلب التوفيق والنجاح والثبات والأجر الجزيل ويرشدك الي الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة لكن عزل التطور عن سنن الله واخضاعه للمحسوسات الماديه فقط واقتطاع المساله برمتها من فلك الوجود الناطق بمبدعه شي يتصادم مع فكره الايمان تصادما عنيفا

ولهذا يقول الله (ومن يطيع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما)

ينظر الاسلام الي فلسفه التطور والرقى من منظور أن ميزان الحياه هو الذي يجعل الايمان ب الله مهيمنا علي كل شي ويجعل فكره الإصلاح تقوم علي الإيمان الذي يوجب طاعه الرسول في معالجه مشاكل الحياه فهي طاعه لله لأن ذلك يعني تطبيق منهج الله في الأرض فمعالجه التطور الإنساني في دين الله ياخذ بسنن الله موصوله ب الله مذكوره به نافع للناس في حياتهم متمشيه مع الفكره الكليه الواحده للإسلام في معناه الشامل فكره الايمان وفي ذلك طريق الوصول الي مقام الكرامه الذي انعم الله به علي أهل الإيمان فالإيمان عقيدته وإيمان وحركه وعمل برنامج متكامل حيوي متوازن شامل للإنسان بكل وظائفه وطاقاته فأخبرنا الله قبلها أن الإنسان لا يستطيع اسعاد نفسه بما أتوا من علم قليل وطاقه محدده في دنياهم ولم يعرفوا منها الا قليلا حين يردون إليه في اخرتهم ومن هنا أمروا أن يبذلوا قصاري جهدهم في تحقيق اكمل محاولات ممكنه لاقامه المجتمع السعيد بشرع الله في الدنيا لينالوا السعاده الابديه الدائمه في دار الخلد فأخبرنا أن الذي يطبع الرسول يكون مطيعا لله وذلك يودي الي مقام التكريم في صحبه كريمه جور الله الكريم أنها لمسه تبعث في النفس الشوق الي ما عند الله فتوجب الطاعه واتباع منهج الله فهذه الصحبه تجمعك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين تراهم وتجتمع بهم فالتلاقي مع الانبياء من ادم الي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فضل عظيم من الله تلتقي بالصدقين من السالكين من ا لأمم السابقه فهم صاروا قدوه صالحه للناس جميعا

هل انت متشوق أن تلتقي بالصحابه ابوبكر وعلي وعثمان وعمر وسعد وسعيد .. وحمزه هل تريد ان تتحدث مع موسي وهارون ويوسف وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم إذا كنت تشتاق لرفقه هولاء وكل الصالحين فعليك بطاعه الله والرسول اتباع كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شؤون حياتك فهذا فضل واسع خاصه انك سوف تكون في جوار الله الكريم)

فاللازم أن تكون هذه الصحبه هي الطموحات التي تشغل اروحك وقلوبكم فلذه الجنه ونعيمها لابد ان أن تذوق حلاوته في الدنيا لتجده في الاخره فالمرء مع من أحب والله يعلم من يستحق تلك المنزله العظيمه

المقطع السابع

(يايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فإن اصابتمک مصيبه قال قد انعم الله علماذ لم أکن معهم شهيدا ولئن اصابکم فضل من الله ليقولن كأن لم تکن بينکم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياه الدنيا بالاخره ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومالکم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء و الولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنک وليا واجعل لنا من لدنک نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا الم ترا الي الذين قيل لهم كفوا ايديکم واقيموا الصلاه واتوا الزكاه فلما كتب عليهم القتال إذ فريق منهم يخشون الناس كخشيه الله أو اشد خشيه وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الي أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخره خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا اينما تكونوا يدركکم الموت ولو كنتم في بروج مشيده

القسم الاول

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي الموجه للمومنين (يايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فإن اصابتمک مصيبه قال قد انعم الله على إذ لم اکن معهم شهيدا ولئن اصابکم فضل من الله ليقولن كأن لم تکن بينکم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)

فيه التنبيه على اهميه أخذ الحيطة والحذر في تحركات معسكر المومنين معلله ذلك أن هنالك أعداء متربصون بالإسلام عدو كاشف ظاهر وعدو كائد خفي داخل جماعه الاسلام وهم المنافقون... فما هو المراد بالاخذ هل مجازي فيكون معني الحذر السلاح ام أنه حقيقه الأخذ اي يعني تناول الشي البعيد عنك وهذا يعني أن هنالك نسيان أو غفله أدت إلي إلقاء الشي فوجب التنبيه باليقظه والانتباه واصطحاب الحذر وعدم الغفله فإنه قبل الرد علي ذلك لايد أن نقف علي مجمل ما تناولته النصوص حيث نجد أنها تناولت الحث علي القتال وأهدافه وانواعه بمناسبه تناول النصوص اهميه وجود سلطه ودوله يحكمها القران ويطاع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فمهمه الرسول ليس الواعظ فقط بل لايد أن ينتقل الي اصلاح الخلل في الأرض في جميع جوانب الحياه السياسي والاقتصادي والاجتماعية فنجد أنه كان الانتقال من ذكر الأمر بطاعه الرسول الي بيان أن هذه الطاعه توجب الاحتكام لمنهج الله دون تردد وان الأمر يحتاج الي عزيمة وارده وإيمان بالله وتوكيل علي الله فهو الذي يطلب العون منه فهذا هو طريق الهدايه المستقيم الذي سار عليه موكب المومنين من ادم الي أن يرث الله الأرض ومن عليها مبينا أن الا لتحاق بموكب النبيين والشهداء والصالحين... هو الفوز العظيم وهو فضل اختص الله به من يستحق الهدايه

فذكرت النصوص بعد هذا الحث علي القتال والتنبيه علي الاستعداد لمواجهة مخططات العدو والتحذير من العدو الكاسح والعدو الكائد والأمر بأخذ الحذر اكبر قواعد القتال لاتقاء خداع العدو والحذر هو توقي المكروه فكان مناسبا استعمال لفظ خذوا لتغرس في النفس شدة الحذر وملازمته بصيغه توشي تناول الشي حقيقه وهو يطلق علي تناول الشي البعيد نتيجه النسيان والغفله لبيان ان علينا أن نسير علي ما سار عليه موكب المومنين من ادم الي الرسول صلى الله عليه وسلم وأن لاننسي التجارب الانسانيه التي قدمها هولاء للبشريه فالتاريخ الإنساني للمومنين ملئ بتلك التجارب فعلينا أن نستلهم منها الدروس علينا أن ناخذها وان لانلقي بها بعيدا ففي فهم الحضارات وسقوطها ونهضتها مفتاح الخلافه علي الارض والاضطلاع بمهمه الاستخلاف وهو مايفهم منه أن المراد بالاخذ هو السلاح اي مجازي فالنصوص تبين الآتي

الأمر الأول

أن عليك أن تفهم انه سبحانه وتعالى جعل معرفه الوحي سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولا
تها فجاءت النصوص ترسم للمومنين المنهج الذي يكون فيه مواجهه الازمات والتحديات وبيين لهم الطريق
لتجاوز الصعوبات والتحديات فابتدا بالأمر بأخذ الحذر والحذر يعني توقي المكروه ولهذا فإن النص جاء فيه بيان
سلاح مواجهه الازمات والتحديات .والأخذ من الاستعداد لمواجهة خطر وشيك يشكل ازمه عاصفه بالجماعه
المومنه في مبادئها ودولتها وأهدافها ومعتقداتها وممتلكاتها حيث تودي الي اختلال نظام المجتمع وتزول قدره
الدوله علي الضبط والسيطره بسبب فتنه تنسم بالفجائيه وعدم التوقع اذا لم يتم الإنتباه والاستعداد بالتاهب
وأخذ الاحتياطات القادره علي مواجهه التحديات والمخاطر المحتملة التي يسعي لها الأعداء فالتحذير تضمن العله
أن هنالك عدو ظاهر كاسح وعدو كائد خفي وهذا خطره اكبر ولهذا جاء الأمر بالأخذ مرتببا بذكر العله (وان منكم
لمن ليبطئن)

يوصف لنا الحق اللازمه المتوقعه بانها تضع الامه في لحظه حرجه قد تودي الي احداث تحول مصيري خطير.
في حياه الامه تتطلب مهاراه عاليه لادراتها والتصدي لها بشكل شرعي وقانوني وترتيب وتخطيط

الأمر الثاني

يقول لك الحق أن بناء الدول والصراع مع الباطل يحتاج الي

ملازمه عدم الاستخفاف بقوه العدو يقول انتبهوا من المغالاه في تقدير القوه الذاتيه والثقه الزائده في النفس لحد
غير منطقي فإن من شأن هذا السلوك أن يودي الي عدم التخطيط الجيد بما يقود الازمه فأنت بحاجه الي أن
تعرف عدوك وحاله ومواطن قوته ومواطن ضعفه وإعدادهم انتم بحاجه الي معرفه ما بين الأعداء من وفاق
واختلاف بحاجه الي معرفه الوسائل والأساليب التي نحتاجها لمقاومة الأعداء اذا هجموا فلا تحصل مفاجاه غير
متوقعه تودي الي ازمه عاصفه بالجماعه

فالحق يقول لنا أن الذي يستخف بقوه خصمه يكون عرضه للأزمات والهزيمه فأخبرهم الله أنهم بحاجه الي الحذر
لاتقاء خداع الأعداء

ولهذا فإن عليك أن تعلم انك في معركه مع الباطل فلاتغتر لما بينك وبين العدو من عهود فإن العدو يتربص بكم
وينتظرون أن ينقضوا عليكم اذا قلنا إن الايات نزلت بعد غزوه الاحزاب وقبل الخندق وكان هنالك معاهدات مع
اليهودفجاء (خذوا) لفظه قادره علي غرس معني شده الحذر وملازمته فدللت الايه

أن هنالك نوع من الاستخفاف والاطمئنان والركون فكان المسلمين صاروا في امان استلزم شد انتباههم الي خطوره
الموقف يقول لهم الحق انتبهوا واحترسوا من الوقوع في مصيده وكمائن الاعداء فهم يتربصون بكم في كل
مكان ولهذا يقول لهم الحق (فانفروا ثبات أو انفروا جميعا)

١

أي لاتخرجوا منفردين حتي لاتكونوا هدفا سهلا للعدو

٢

أن عليكم أن تخرجوا كتائب (ثبات) ثبه تعني كتيبه أو مجموعات بمعني جيش قوي ليكونوا أقوياء في مواجهه
العدو

فدل هذا علي اهميه العمل كفريق واحد باليقظه

أن النص فيه التوجيه باهميه الاعدد الجيد للمعركة والتوجيه بإعداد الخطه الاستراتيجيه العسكريه فلا يكون جيش المسلمين عشوائي الحركه بل يقوم علي اساس من التنظيم لمنع تعرضه للهزيمة

الأمر الثالث

تأتي النصوص مبينه اهميه الأخذ بالاسباب لمواجهه الأعداء وان نتعلم كيف نصنع الاسلحه وكيف نستعملها ونأخذ بأسباب القوة الممكنه وبقدر الاستطاعة بما في ذلك التدريب وان نعد أنفسنا الاعداد السليم القادر علي مواجهه التحديات فيكون لنا مراكز دراسات وبحوث ومصانع تسليح وجيش وطني قوي وان كل معركه ينبغي أن نجهز لها السلاح المناسب فالمعركه الفكرية تتطلب أن نجهز أنفسنا بالتحصينات الفكرية التي تمنع هجوم الأعداء علينا فكريا والمعركه الاقتصادية تعني تجهيز تحصينات اقتصادية والعسكرية كذلك فقال تعالي (فانفروا) فهو نفر عن أخذ الحذر لانهم اذا أخذوا حذرهم تحروا أساليب القتال بحسب حال العدو

الأمر الرابع

يقول لنا الحق أنه يجب علينا الحفاظ علي سريه المعلومات العسكريه والخطط وسلاح المعركه وان تبقي طئ الكتمان وان نحذر المندسون من المنافقون الي الصف فقال تعالي (وان منكم لمن) فهم متناقلون عن القتال (ليبطنن) ويسعون الي تثبيط الناس عن القتال ويريدون أن يقعدوا عن القتال

ولا يريدون المشاركة بالجهاد ولهذا وجب عليكم مواجهه اعلام هولاء بالتوجيه المعنوي الذي يقوي نفوس المجاهدين ويمنع تأثير هولاء فاللفظه (ليبطنن) قادره علي إيصال جرس الانذار الي النفوس بأصوات تودي معني التعثر والتناقل التي تحملها الكلمه وتشد النفس الي أخذ الحيلة والحذر بما ترسم الآيات من صورته مقززه عن هولاء وبما يغرس اهميه الحذر أنه وصفهم بأنهم أعداء من داخل الصف المسلم (منكم) يمارسون التثبيط بحريه تامه وانهم مصرون علي ذلك ومجتهدون فيها فالأمر خطير خاصه مع وجود المؤكده الداله علي ذلك (وان منكم لمن) ثم قال (ليبطنن) لام التعليل قبل فعل التثبيط بأن هولاء أعداء داخل الصف أن هنالك ضعفا فالمسلمون ليسوا متجانسين في موقف ولحظه حرجه فلوا كانوا متجانسين فالأمر سهل لكن هناك ضعف والصف مخترق ولهذا يقول لهم الحق أن امامكم معركتان معركه مع العدو الظاهر ومعركه مع عدو خفي لاتعرفونه ولهذا فانتم بحاجه الي حمايه اسراركم أن تظل طئ الكتمان

الأمر الخامس

يكشف الحق سبحانه وتعالى لنا صورته معبره عن حقيقة بواعث هولاء الفاسدون داخل الصف كي تكون علي حذر منهم فلا تقع فريسه لجهه تغدر بك حتي لاتقع في شباك المتثقلين عن الجهاد الذين ينظرون للمساله من زوايه المصلحه الماديه فيقول لك الحق هذا هو فكر هولاء فهم قبل ينظرون إلي أي أمر من منطلق الربح والخسارة ولهذا فهم عند الابتلاء الذي يتعرض فيه المسلمون للهزيمة والقتل والجرح فإنهم يفرحون لانهم لم يشاركوا في المعركه ويعتبرونه نعمه أنهم لم يكونوا حاضرين فأنت تجد هولاء يتحدثون عن أنفسهم أنهم اذكياء فيقولون لقد عرفنا أن الهزيمة ستقع لهم لامحاله فكان منا التملص ويعتبرون الفرار نعمه فقد قال تعالي في موضع آخر (وان تصيبكم مصيبه يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)

فالذي لا يتعامل مع الله في عبادته وطاعته والجهاد في سبيله فنظرتة لاتتجاوز موطئ قدمه فهو ينظر إلي الشهاده أنها ضياع فقال تعالي موبخا هولاء (فإن اصابكم مصيبه قال قد انعم الله على إذ لم اكن معهم شهيدا) فهولاء يحيون الحياه وينظرون الي الأمور بنظره ماديه بحته يحسبونها بمنطق الغنيمه والمكاسب والخساره فإذا حصل هزيمة للمسلمين اعتبروا أن الله خصهم بنعمه إذ قعدوا ولم يشاركوا بالمعركه

وأنه في حاله النصر والظفر والغنيمه فإنهم يحزنون لانهم فقدوا الغنائم كونهم لم يشاركوا في المعركه ويندمون ليس لأنهم تخاذلوا عن نصره الاسلام بل لانهم حرموا الغنائم فقال تعالى (وان اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه موده ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)

فالنص جاء بأسلوب التعجب من حاله (كان لم تكن بينكم وبينه موده)

وهذا فيه عده معاني تفهم من النص

الاول كان الحق سبحانه وتعالى يقول أنظروا الي ما يقول هذا المنافق كانه ليس بينكم ايه المومنون وبينه صله الدين ومعرفه وصحبه ولا مخالطه اصلا

والثاني قيل إن الجملة للتشبيه حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها من لامعرفه بينكم وبينه

والثالث قيل إنها داخله في القول اي ليقولن المثبط للمنافقين من الناس وضعفاء الايمان كان لم يكن بينكم وبين محمد معرفه في الصحبه كي يصطحبكم في الفوز حتي تفوز بالغنائم وغرض المثبط ضرب مصدر الإلهام لدي الناس وهو الرسول صلى الله عليه وسلم أو القياده ولهذا فإن التمني للحرص علي المال وليس إثبات الموده من المنافقين

والخلاصة أن الحق سبحانه وتعالى يقول لك ايه المومن أن الظروف المحيطة بعمل جماعه الايمان تستوجب الحذر والاستعداد وإعداد الخطه المناسبه لمواجهه الأعداء بالسلاح المناسب فأنت أن غفلت صرت لقمه سهله للأعداء

القسم الثاني

بعد أن ذكرت النصوص في الايه السابقه حال المثبطين ونظرتهم للقتال والجهاد فذكرت أن أهداف هولاء هو الدنيا والمال والمصالح الماديه فجاءت النصوص مبينه اهداف الجهاد التي يقاتل لأجلها المومنون واغراضه وغاياته فقال تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما)

الأمر الأول

تحديد أهداف القتال التي يقاتل لأجلها المومنون (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره)

بأنه يكون في سبيل الله (في طريق الله) فالمولي يقول إن هدف الجهاد والقتال في الإسلام يكون لأجل إعلاء كلمه الله

أي ليس لأجل قوميه ولا لأجل توطيد ملك أو سلطان ولا لأجل العصبية ولا لأجل الاستيلاء علي خيرات البلدان ا لأخري ولا لأجل جنس ولا لون ولا ارض فقال تعالى (في سبيل الله)

اي اعلاء كلمه الله وهو مايفهم منه أن الجهاد ليس لأجل أن يومن الناس بالإسلام واعتناقه فالله يقول في موضع آخر (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

وانما المراد بالجهاد أعلا كلمه الله ولهذا فإن تمكين منهج الله أن يحكم الأرض هو التطبيق العملي لاعلاء كلمه لأن في ذلك اقامه العدل والحق في حياه البشر ومنع الظلم والاضطهاد والطغيان والاستبداد ولا يعني ذلك (تطبيق

منهج الله (إرغام الناس علي الإيمان وانما المراد بالتطبيق اقامه مبادئ الحريه والعدل التي جاء بها الاسلام في حياه الناس

الامر الثاني

تبين النصوص ان علي المومن اذا أراد أن يكون مقاتلا في سبيل الله أن يكون متجردا من كل الاغراض والمصالح الدنيويه فهو قد باع نفسه لله وباع الدنيا وما فيها من نعيم من أجل الاخره فقال تعالي (الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره)

المفهوم الاول

يقول لك الحق أن انتبه أن تسلل افكار المثبطين الي بيت افكارك ونفسك وقلبك فأنت تختلف عنهم في أهدافك واغراضك للقتال عن المنافقين وضعاف الايمان الذين ذكروا في الايات السابقه بأنهم ابطاوا عن القتال وحاولوا تثبيط الآخرين فسبب ضعف الهمه والعزيمه لديهم نتيجة فساد أغراض القتال لديهم فهم ينظرون إليه من زوايه تحصيل المصالح المادية وهذا يعود إلي النظرة الماديه للحياه فرسمت النصوص صورته انهيار الهمه والعزيمه عند ا لابتلاء بالقتل والجرح وفي حاله النصر والظفر والغنيمه تظهر صورته الحسره والندم لانهم لم يشاركوا في الحرب فحرموا من الغنائم(الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره)

ولهذايقول الحق أن المومن الحقيقي هو الذي يظهر نفسه من أغراض الدنيا ومتاعها ويكون متجردا من الدنيا ويبتغي مرضاه الله في القتال فهو ينظر إلي القتال أنه أحدي الحسينين اما النصر وأما الشهاده

المفهوم الثاني

يقول لك الحق سبحانه وتعالى عليك أن تفهم أن المومن الكامل الذي يقاتل في طريق الله هو الذي يبيع الدنيا مقابل الجنه ونعيمها فهذه مناعه لمقاومه التثبيط فقال تعالي (الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره)

وهنا عليك أن تفهم أيضا أن الإسلام عندما يأمرك بهذا فلا يعني أن نترك الدنيا بالكلية فليس هذا المقصود ولكن الحق يقول لك لا تجعل الدنيا هي كل همك مثلما كان حال المثبطين ولهذا عليك أن توطن نفسك علي أن تصل إلي أحدي الحسينين اما النصر وأما الشهاده فقال تعالي (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) اي عليك أن تنظر الي الاخره أنها اخطر شي في الوجود فهي مستقبلك وقد جعلت الدنيا هي الطريق للاخره

فأراد بهذا ايثار الاخره علي الدنيا وإيثار الطاعه علي المعصيه

فالمومن لا يقاتل لأجل الحقد علي المخالفه للدين أو غيره وانما لأجل إرضاء الله واعلاء كلمه الله فليس له غرض من أغراض الدنيا وانما ينتظر الاجر من الله تعالي

فقال تعالي (سوف نؤتيه اجرا عظيما)

وهي تفيد التحقيق بالأجر العظيم الذي لا مثيل له عند الله لمن يقاتل في سبيل الله متجردا بالتضحيه بنفسه أو يبذل جهده في نصره الله باعلاء كلمته سبحانه فالمومن زاهدا عن الدنيا شوقا الي ما عند الله تعالي فأراد بهذا أن يغرس في النفس حب الله و لانه لايقدر علي الحب الا من كان قادرا علي الفهم والملاحظه والرؤيه والعطاء والا حساس فجاء الأمر من الله بالقتال وهو سبحانه وتعالى له جنود السماوات والأرض فأخبرنا أنه الغني عن العباد وأنه إذا أعطيت روحك فأنت لم تعطي الله شيئا لانك بذلت روح يملكها الله وانت مؤتمن عليها وأن أنفقت مالك كله فإنما تنفق ما أودعه الله عندك فأنت لم تعطي شيئا وانما العطاء من الله ولهذا فعليك أن تفهم أن أمر الله لنا ب

التضحية هو حب لنا منه تعالي كي يعطينا الاجر الجزيل في اليوم الآخر ولهذا يقول لنا أن ثمن هذا أن تبيع نفسك لله وحده لا شريك له عليك أن تخرج من سجن الانانيه وحب الذات الذي يكون ناتجا عن حب الدنيا و التعلق بها وهذا إنما يكون بمعرفه مستقبلك وان تعي أن لك حياه افضل من الدنيا فالدنيا فانيه وبالتالي فلا تستحق الحب العظيم فعليك أن تنظر إلي المصدر الذي ينبغي أن يتوجه حبك إليه فالحب العظيم لا يليق الا ب العظيم والحب الباقي لا يليق الا بالخالد فيقول الله لك (فسوف نؤتيه اجرا عظيما)

فالحب العظيم لا يليق الا ب الله العظيم ..والحياه التي تستحق الحب هي الاخره لأنها باقيه وابدیه فالدنيا لها بدايه ولها نهايه بينما الحب كما يصفه الرومي بأنه وصف من لا يفني ولا يموت

ولهذا يقول لنا الحق سبحانه أن حب الله يتمثل في العطاء والجهد المستمر فقال تعالي في هذا القسم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا) وهنا أخبرنا أنه اعد لمن يضحى بنفسه مخلصا في عمله لله وحده سوف يوتيها اجرا عظيما ليغرس الشوق الي ما عند الله والزهد عن الدنيا

ثانيا

تأتي النصوص بأسلوب عتاب عن من يتقاعس عن القتال في سبيل الله فقال تعالي (ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا)

يقول الحق متعجبا من حال الذين قاعدون عن القتال مالكم لاتقاتلون في سبيل الله لاعلاء كلمه الله والدفاع عن المظلومين من المسلمين الذين يتعرضون للاذي والاضطهاد في ديناهم وهم ضعفاء لا يجدون ملجاء من ذلك إلا الدعاء لله أن يمكنهم من الخروج من مكه والنجاه بأنفسهم ودينهم ويطلبون من الله أن يكون حاميا لهم أو أن يهي لهم من يحيمهم ومن ينصرهم ويدفع عنهم الظلم والاضطهاد وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

يحدد الاسلام لنا اغراض القتال حقيقه والهدف حتي لاتصبح الحرب حميه هوجاء وفورده طاغيه فهي لدفع الطغيان الفكري

فقد أو ضحت الايه السابقه بربطها بهذه الايه أن الإسلام هنا لا يطلب من الأمر بالقتال الا أن يخلي بين دعوته وبين الناس فإذا وجدت هذه الضمانات لحربه الدعوه وحربه الدين فانه لاجاه للقتال بالسيف فالإسلام لا يعنيه بعد ذلك أن أسلم الناس ام لا

فالإسلام يبين في هذه الايات أن إعلان الجهاد إنما يكون يوم تقف سلطه حاكمه تحجز الدعوه بالقوه لانتد عليها الحجه تستخدم سلطتها في حرمان الجماهير من حق التفكير الحر والاعتقاد الحر فقال تعالي (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)

فالإسلام هنا يحارب التحكم في الحريات ولايسعي ليفرض نوعا من الاعتقاد وانما يهدف ازاله وازاحه العقبات التي تقطع الطريق أمام الناس وحرياتهم

فالإسلام شرع القتال لوقف المظالم الدوليه (واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)

فالإسلام عندما ينتصر فإنه ينتصر بانتصاره العدل الالهي الذي لا يميز بين غالب ومغلوب تنتصر الفكره الانسانيه التي لاتميز بين ارض وارض ولا سلالات نسب ولا طبقات فقال تعالي وصفا
اهل مكه (الظالم أهلهما)

فهم لم يذكروا اسمها فلم يقولوا مكه فدلّت علي عدم العصبية لاي شبر من اشبار الأرض وكذلك وصف أهلهما بـ
الظلم فلا تعصب للانساب

المفهوم الثاني

تاتي النصوص بأسلوب التعجب من التقاعس عن القتال لرفع الظلم عن المظلومين والألم فتقول للمسلم لا عذر لكم
عن القيام بهذا الأمر فالمسلم خليفه في الأرض التي هي أرض الله وهو مسئول بوصفه خليفه أن يجاهد في سبيل
الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان... فأراد بهذا الاستفهام أن يغرس في نفس المسلم الشعور بـ
المسؤولية عن وجود الشر في الأرض يقول له الحق أن الأصل المفروض عليك أن تحارب وتقاوم الشر انت
مفروض عليك رفع كافه الالم التي يعاني منها البشر فعليك أن تحارب كل صور الالم كالطغيان والفساد والخطايا
هي معارك ينبغي عليك أن ترفع سيفك فيها

المفهوم الثالث

أنه في إطار بيان مسؤوليه المسلم عن رفع كافه الالم عن النوع البشري نجد أنه سبحانه وتعالى يبين أن هذه
المسؤولية ينبغي أن تكون منطويه علي الحب العميق للنوع البشري ينبع من حسن استخدام ملكات الرحمه والإ
حسان ولهذا جاءت النصوص بأسلوب تعجب فيه اثاره احساسيس النخوه في المومنين وايفاظ مشاعر الرحمه
يقول لهم الحق وظيفتكم رفع معاناه الناس فهؤلاء المستضعفين تقطعت بهم الأسباب فاستعانوا بالله والمؤمنون
للخروج من وضعهم الباس طالبين أن يسخر الله لهم من يتولي أمرهم وينصرهم علي الظالمين فيتمكنوا من
الخروج من مكه والهجره الي ديار الإسلام فالأمر جدير بالاهتمام منكم ولا عذرلكم أن تاخرتم بالتنفيذ لأن المومن
يقااتل في سبيل الله فهي معركة الحق ضد الطاغوت فقال تعالي (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا
يقااتلون في سبيل الطاغوت)

فالمومن كما تصنعه عقيدته الاسلام انسان يحزنه البؤس الإنسان ويحس بالعار عندما يري تعاسه أمامه ليست من
صنعه ويضحى بنفسه وماله من أجل تقليل الحزن عن العالم فهو اذا كان يملك القوه لتغيير الحياه رفع سيفه
للقتال لمواجهه الطواغيت من الملوك والجبابره والظالمين الذين يمنعون عن الناس ضوء الحقيقه ويمنعون الناس
من الاتصال بالله ويقفون ضد رقي العقل البشري وينتكسون به الي عباده الطغاه فعلي المسلم ان يقاتل هؤلاء
الطواغيت يرفع سيفه وقرانه لقصم الجبابره وبالقران يفتح شمس الروح والحريه والعداله للناس لإخراج الناس
من الظلام

المفهوم الثالث

تبين النصوص أن غايات المسلم هو التوحيد واعلاء كلمه الله وطريقه هو منهج الله وبينما الكافر يقاتل من أجل
الطاغوت ومصالح الدنيا ولهذا فإن المومن يستند الي ولايه الله بينما الكافر يستند الي ولايه الشيطان ولهذا يأمر
الحق بقتال أولياء الشيطان وان لا يخاف من كيد الشيطان فهو ضعيف وهذا فيه تقويه العزائم والهمم للمومنين
فعليهم الشعور أن الله معهم في معركتهم مع أولياء الطاغوت فعليهم الثقه بالنتيجة

فانتم عندما تمشون في طريق الله فإن الله يخرج أولياءه من الظلمات الي النور...بينما الطاغوت يخرج أولياءه
من النور الي الظلمات وبالتالي فما الذي تخافون منه طالما ان الله معكم فالمسلم يدرك أنه ليس وحيدا في هذه

المعركة ف الله معه يتولاه برعايته.وينصره ومن كان الله معه كيف له أن يخاف من الطاغوت فهم ضعاف فأراد بهذا تصحيح المفاهيم الفاسده لضعفاء النفوس

القسم الثالث

جاء الخطاب موجها الي الجماعه المسلمه وفيهم ضعفاء النفوس حيث ذكر انها نزلت في جماعه من المهاجرين كانوا قبل الهجره في مكه كانوا يستعجلون القتال وهم يتكبدون الالم ويعانون الاضطهاد والاذي ولم يكن قد أذن لهم بالقتال آنذاك وأنه عندما استقر بهم الحال في المدينة المنورة وامروا بالقتال حصل التناقل منهم فنزلت ا النصوص والتي فيها التعجب من حالهم

بعد أن ذكرت النصوص اهميه أخذ الحيطه والحذر واوضحت أغراض القتال في سبيل الله يربي المومنين علي كيفية اداره لزامات حيث ابتداء الحق سبحانه وتعالى بما يلفت انتباه المخاطبين الي هذا العنوان فأخبرهم أن المرقله الاولي لاداره الازمات تتطلب اكتشاف إشارات الانذار التي تسبق الازمه حيث أن الأعداء سوف يلجأون إلى محاوله اختراق القوانين التي تنظم أحوال الناس ولهذا فإن مصدر هذه الإشارات هو فريق صناعه الازمات الذي يحاول اختراق النظام الذي تقوم عليها الجماعه عن طريق الخداع والتمويه فهم يحاولون النفوذ من اي تغور في الصف المسلم فقال تعالى (وان منكم لمن لبيطنن)

ولهذا أمر بأخذ الاحتياطات والاستعدادات للوقايه من سعي هولاء الي التثبيط وسعيهم الي زعزعه الثقة بالقائد الرسول صلى الله عليه وسلم فهم يحاولون صرف المومنون عن أهداف القتال التي حددها الاسلام وأغراضه الي الدنيا ومتاعها لغرض قتل الشجاعه يقول الحق عليكم وضع التحصينات لمنع احدث الضرر مبينا انه اذا حدث الضرر بعد ذلك فعليكم احتواءها فذكرت النصوص الإشارات ا المتوسطه لحال ضعاف النفوس من المومنين الذين كانوا متحمسون ومنذفعون للقتال وعندما فرض أظهروا الجبن وحب الدنيا فأخبرنا الله أن هولاء لم يفهموا مقاصد الشريعة من الأمر بالكف والأمر بالصلاه والزكاه عندما كان القتال غير مسموح به ولهذا لم ظهرت إشارات ازمه نفسيه لديهم تحتاج الي احتواء ومعالجه قبل أن تنفشي فآخبرنا الحق أن اللازم علينا مراعاة التكاليف ومقاصدها فأخبرنا الله أن الكف كان لتنميه صدق طلب القتال فهناك احكام وقوانين ضروريه (واقيموا الصلاه واتوا الزكاه)

ثم تأتي الأحكام الحاجيه من أمثلتها (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياه الدنيا بالآخره...الخ

ثم تأتي الأحكام التحسينيه المتعلقه بالاعداد الجيد...الخ

ولهذا فإن أي خلل في الضروريات يعني الخلل المطلق بالحاجيات كما ذكر الشاطبي في بيان النسق بينها

لأن الحاجي يخدم الضروري ولهذا فإن الأمر بالصلاه والزكاه من الضروريات التي في إقامتها يقوم المومن بأداء حق الله وحق الناس وهذا فيه أساس قيام الدوله ولهذا فإن الجهاد مرتبط بهذا الأمر وهو يخدمه فمن قام بالصلاه حق قيامها واتي الزكاه كان قيامه بالجهاد أمر سهلا ولهذا فإن التقاعس عن الجهاد ينذر بازمه

ولهذا فإن الذي يحافظ علي الضروري ينبغي أن يحافظ علي الحاجي واذا حوفظ علي الحاجي وجب المحافظه علي الحسيني

ولهذا فإن ظهور بوردار ازمه بالتساهل بأمر القتال نتيجه حب الدنيا ينذر بازمه ينبغي احتواءها ومعالجه المرض واستعادة النشاط والتعلم من الدرس فاللازم عليكم ملاحظه الإلتباع ومعرفة أحوالهم واحتواء الازمات قبل حصولها و ضع المعالجات لها ولهذا نفهم من النصوص الآتي

الأمر الأول

يبين لنا الحق أن علي المومنين أن لا يستعجل الأمور قبل أوانها ولا التهاون بها عند امكانها ولهذا يتوجه الحق ب الخطاب الإلهي الذي فيه التعجب من حال بعض الصحابة رضي عنهم الذين كانوا في مكة يستعجلون القتال وهم يتكبدون الألم ويعانون الاضطهاد والاذي ولم يكن قد أذن لهم بالقتال آنذاك فقد كانوا متحمسون وماندفعون للقتال في وقت لم يحن أوانه ف الله قال لهم (كفوا ايديكم) اي أمروا بعدم القتال في ذلك الوقت فقد كانت المرحله غير مناسبة للقتال. فهي مرحله لاعداد المسلم القادر علي الاضطلاع بالمهمه وهو يتطلب الاعداد السليم النفسي و الجسدي والترسانه اللازمه للقتال فالمساله تحتاج الي اختيار الوقت المناسب حيث أن الحماس والاندفاع الزائد للقتال أمر سلبي فالقتال انضباط وانتظام في الصفوف ويحتاج الي احترام الهيكل التنظيمي الذي يناط به ادره المعركه ولا بد من التحلي بالصبر ومعرفه اهداف القتال وأغراضه وهذا مرتبط بالشعور بالمسؤولية لأداء حق الله تعالى بالتعظيم لامره بالخشوع والتواضع والخضوع والتسليم لأمره ولهذا أمروا (واقيموا الصلاه)

و حق الناس بالاحسان إليهم (واتوا الزكاه)

ارتبط الأمر بالكف عن القتال مع الأمر بالصلاه والزكاه والأمر بالكف متعلق بمخاطر الاندفاع والحماسه الزائده و التهور لأن هذا إنما يكون نتيجة عدم تقدير حقيقه المواقف فالشجاعه لها حد اذا تجاوزتها صارت تهور... فيكون اندفاعا ارتجاليا غير مدروس وايضا يكون ناتج عن عدم تقدير حقيقه التكاليف ولا فهم مقاصده واحيانا يكون عن ضيق الحال وعدم قدرته علي الاحتمال فيكون بمثابة انتحار ناتجه عن قله الاحتمال فيطلب الحركه والا ندفاع... أو استخفاف بقوه العدو فيكون اندفاع بلا تخطيط

ولهذا فإن ارتباط الأمر بالكف عن القتال وربطه بالصلاه والزكاه ل

ولهذا ربط الأمر بالصلاه وايتاء الزكاه يقول لك الحق أن الأمور تحتاج الي تدرج في المسائل التطبيقية العمليه للمعرفه النظرية لشهاده لاله الاالله فهذه الشهاده تعني خروج الإنسان من غربته ووحدته واتصاله بالله فهو إذا شهد أن له ربا يبسط عليه خيام المن الإلهي فإذا أيقن أنه ليس وحده تحرر من الغربه والخوف وتحررت طاقاته ومواهبه من قيود السكون عندئذ يصير الإنسان حرا

ولهذا كان أول عملي تطبيقي لمعني مدلول الشهاده هو الصلاه التي يتصل بها العبد بالله كل يوم خمس مرات فاعدل الملوك وارحمهم برعيته لايلتقي بهم حتي مره واحده بالاسبوع بينما الله يلتقي بعباده كل يوم خمس مرات وهو يعيظهم ما يسالو. فهو الجود الرحيم الذي تتعالي رحمته وجوده عن النقصان والنفاد فالصلاه في الإس لام اتصال بالله وتطبيق عملي لحب الله والزكاه تصرف اقتصادي ينطوي علي فعل من أعمال الحب هدفه انتشال الفقراء من الفقر واسعادهم بالحياه الكريمه

فالمولي يقول إن تلك المرحله كانت هذه الشعائر هي مسؤوليه المومنين فيها تهئيه المومنين لتحمل المسئولية

فهي مرحله اعداد المومنين ليكون بذل اروحهم ابتغاء مرضاة الله في إعلاء كلمه الله والتفاني في خدمه الناس بازاحه كل مظاهر الظلم والاضطهاد عن النوع الإنساني

الأمر الثاني

كما أن ربط الأمر بالكف عن القتال بالصلاه والزكاه وذكر وصف لحالهم عندما كتب عليهم القتال في إطار التعجب من حالهم يخبرنا الحق فيها ان المومن الحقيقي هو الذي يكون قادرا علي وضع كل شي في موضعه فالأمر بالكف عن القتال يعني أن هنالك حاجه الي الثاني فالتسرع فيه الهلاك عند موارد العجله لأن الاستعجال هنا بمثابة انتحار

وهو ناتج عن ازمه الياس والقنوط او الاغترار بالقوه والاستخفاف بالعدو وهذا يعود إلي عله عدم الفقه الإداري ف المولي سبحانه وتعالى أخبرنا عن اغترار الكفار بالقوه نتيجته عله عدم الفقه الإداري فقال تعالى في موضع آخر (ياايها النبي حرض المومنين علي القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون)

فهم يقاتلون علي غير بصيره فسوء التقدير كان بعدم النظر إلي أسباب هلاكهم كما حدث للمشركين عندما خرجوا في بدر حيث رفض ابوجهل العوده حتي بعد أن استطاع ابو سفيان النجاه بالقافله فالسكر والنخوه جعله لايدرس تكلفه تحقيق الهدف والخسائر التي سوف تنتج عن ذلك فالفرح المذموم هو الذي يخرج صاحبه عن حد الاتزان وكذلك فإن الياس والقنوط الناتج عن ياس البعض من انتصار الحق دفع الياسين منهم الي طلب التصرف الغير مدروس العواقب ولهذا امروا بالكف عن القتال وامروا بالصلاه والزكاه

الأمر الثالث

ذكرت النصوص مخاطر الاستعجال للأمور قبل أوانها والتهاون بها عندما يحين أوانها أنها تعبر عن ازمه لدي البعض ناتجه عن اساءه تقدير الأمور وعجزهم عن وضع كل شي في موضعه

فالمولي يقول لك ان الذي يستعجل الأمور قبل أوانها يتهاون ويتساهل بالامور عندما يحين أوانها فالاولي ناتجه عن الاندفاع والتهور والثانية ناتجه عن ترك محاسبه النفس بالاغترار بطول الامل فقال تعالى (فلما كتب عليهم القتال إذ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشيه من الله) وهذا عيب يجب الإنتباه له فمن غير اللا ثق أن يكون ذلك خلق مسلم تحرر من الخوف والغربه عندما قال لاله الاالله فلو صدقوا في طلب التحرر والموت لأجل إعلاء كلمه الله لما حصل منهم

فجاء التوبيخ كيف يخافون من أن يقتلهم المشركون كما يخافون أن ينزل الله عليهم عذابه أو اشد من ذلك فلا صل أن الصلاه والزكاه والشهاده قد حررتهم من الغرابه والخوف

فالأمر بالكف عن القتال كان لتنميه صدق الطلب ليكون الذي سألوه (القتال في سبيل الله) فهو يورث العلم ب البصائر ولهذا قال تعالى بعده (واقموا الصلاه واتوا الزكاه)

فالأمر يحتاج إلي تنميه صدق طلب القتال ليكون دافعا همك جمع اليقين في هذه المرحلة يريد الحق أن يربهم علي كتم الاوجاع وان لا يكون الغضب للنفس وانما يكون الغضب لله ولذلك أمر باقامه الصلاه يقول لك أن تقم بين الله بكليتك والأمر متكرر في القران الكريم فلم يقول مثلا صلوا بل نجد أن الله تعالى يقول أقيموا الصلاه وهذا يكون بأداءها بشروطها الظاهره والباطنه من الخشوع والخضوع والتسليم لأمره تعالى والاذعان والباطن تكون باستشعار خشيه وانت واقف بين يديه فلا يصرفك عنها شاغل مهما يكون وان من ثمارها أن تربى المومن علي الصبر وتمنحه قوه التحمل وقت الشدائد ف الله يقول (واستعينوا بالصبر والصلاه) ويقول (وأمر اهلك بالصلاه واصطبر عليها) وهي من شأنها ازاله المنكر (أن الصلاه تنهي عن الفحشاء والمنكر) وهي تمحو الخطايا (اقم الصلاه طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات) أنها أيضا تضع بين صاحبها وبين تذبذب من في دائره الجزع والبخل سدا منيعا (أن الإنسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون)

فالصلاه تسكب في النفوس النشاط علي الطاعه ف الله يقول عن المنافقين (واذا قاموا للصلاه قاموا كسالي)

واداء الزكاه تعني القيام بها بنشاط ورغبه مرعاه حقوق المحتاجين والفقراء والمساكين

فالأمر بالصلاه والزكاه تعني أن تقوم بما امرك الله به وفق منهجه وبهذا يكون تنميه صدق طلب القتال في سبيل

الله من خلال التسابق علي الطاعه ومعرفه ذلك يوجب خوف الله وتقواه وتحرر من كافه الأصنام ولهذا يخبرنا الله أن الاستعجال والحماس الزائد كان ناتجا عن بواعث نفسيه مرتبطه بحب الدنيا أو المغالاه ولهذا لم يكن هولاء عند مستوي التكليف عندما حان موعده نتيجه الضعف الايماني لديهم فذكر الحق صورته من الضعف الايماني لدي هولاء (وقالوا ربنا لولا اخرتنا الي أجل قريب) فدل هذا أن هنالك حب الدنيا وهذا ناتج عن نقص في العقل ناتج عن الاغترار بالأمل فهم يحاجه الي المحاسبه لأنفسهم علي ذلك ف الله يقول لنا أن هولاء لم يفهموا حقيقه الأمر ب الكف عن القتال فلو فهموا أن ذلك كان أعدادهم للتسابق في العمل والعلم بالخشيه

فالقول هنا ليس اعتراض منهم علي أمر الله وانما فيه أن هولاء لديهم ضعف يفزعون من الأمر فقد طلع عليهم الأ مر من جهه شبح الموت الذي ينتزع الأرواح ولهذا قالوا يارب لولا امهلتنا الي وقت آخر حتي نتمتع بالدنيا فما زال الوقت مبكرا فقد شاهدوا في الأمر الموت فظهروا بمظهر الضعف والجبن نتيجه حب الدنيا وملذاتها فهم لم يقولوا ذلك اعتراض علي حكمه ولا إنكار لما أمرهم وانما قالوا ذلك طلبا للامهال فقط لبيان ان هولاء تركوا ما يميزون به أنفسهم من الأعمال التي تعود عليهم بخالص التوفيق

فالحق يقول إن هولاء لم يفهموا حقيقه الأمر بالكف عن القتال بأنه كان لتنميه صدق الطلب منهم ليكون بعد ذلك التسابق للقتال في سبيل الله فلو حصل لهم العلم لأغراض الأمر بالكف والأمر بالصلاه والزكاه لكان أثار العلم ب الخشيه من الله فموجود علمه بتقوي الله وطاعته حيث أن الأمر بالصلاه والزكاه بقوله (واقموا الصلاه واتوا الزكاه)

ولهذا جاء النص لمعالجه الباعث الذي دفعهم لذلك كما يتضح من خلال الآتي

١

(قل متاع الدنيا قليل)

زائل يفني وينتهي .. وبالتالي فإن من كان هذا وصفه فإنه لا يستحق الحب ولا التعلق ... وانما الذي يستحق الحب هو المتاع الخالد الذي لا ينقطع ولا يفني وهذا إنما يكون في اليوم الآخر فعليك أن تزهد عن الدنيا ومتاعها بالنظر الي ما عند الله من متاع

فالسبق لمن عمل فالدنيا لا تستحق التعلق بها فالعاقل بمجرد ما ينظر إليها يحصل له اليقين بفنائها وانقضائها وليس وراء الدنيا الا الاخره فالدنيا مودعه والاخره مشرفه ومقبله فهي فانيه ولهذا فهي ليست محل التسابق وانما السابق المطلوب هو علي الاخره فقد ورد عن الأمام علي رضي الله عنه أنه قال (الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقه الجنه... الخ

فلم يقول علي أن النار السبقه وانما ربط ذلك بالجنه لأن التسابق إنما يكون علي أمر محبوب

فالعامل إنما يكون في أيام املك قبل حضور الأجل فقال تعالي

(والاخره خير لمن اتقي ولا تظلمون فتيلاً)

يقول لك الحق أن مايصل إليه العبد من الفهم بقدر ما يؤثر عقله علي هواه وحظوظ نفسه فذلك يرتقي بالعقل فيكون منه ايثار الطاعه علي المعصيه وإيثار العلم علي الجهل وإيثار الدين علي الدنيا يعرف ربه بعدله وأنه لا يبخس أحدا شي فموجود علمه بنقواه الله وطاعته

٢

يقول لك الحق أن المسلم تختلف نظرتة للموت عن نظره الكافر فالكافر يري الموت نهايه الحياه

أما المسلم فيري أن الموت بدايه الحياه جديده هي الحياه الابدايه فالمسلم لايعتبره نهايه لحياه ثمينه وانما مقدمه لحياه باقيه خالده وابدیه باقيه

فالعمران لا يكون الا بعد خراب والذي يريد استخراج كنز مدفون لابد أن يحفر الأرض فأنت اذا رايت منزلا ينهدم تعرف أنه سشيد منزلا جديد ا بدلا عنه فالله لايسلب الحياه الضعيفه الا ليعيظك حياه اجمل وافضل واكرم منها ولهذا فإن هذا العلم لابد أن يورث الخشيه من الله تعالي فالخوف لمن أيقن فقال تعالي (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيده)

حتي لو كنتم في حصون محاطه بالاسوار لابد أن يلحق بكم الموت ولهذا فترقب الموت وسيله تدفعك الي ترك المعاصي والذنوب والمسارعه الي الأعمال قبل فوات الاوان فلا تغتر بطول الامل فأنت تدرك أنك مطارد من الموت ويمكن أن يلحق بك في أي وقت ولهذا فعليك أن تقف مع نفسك وارتدك والخواطر فخذ ماكان لله ودع ما كان لغير الله واستعن علي قصر الامل بدوام ذكر الموت

القسم الرابع

(وان تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئه يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنه فمن الله وما أصابك من سيئه فمن نفسك وارسلك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا)

اولا

لابد أن نقف مع النصوص لمعرفة منهم المراد في قوله تعالي

(وان تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله وأن تصبهم سيئه يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) وماهو المراد بالحسنات والسيئات هنا

وغيرها من الأمور

الأمر الأول

أنه لمعرفة المقصودين بالنص لابد أن نربط النصوص بما قبلها فهي جاءت معطوفه علي ما قبلها (وان تصبهم)

وقد وردت في سياق الأمر بالجهاد ودم الناكثين عن أمر الجهاد

وذكر قبلها ضروره طاعه الرسول والاحتكام لمنهج الله ودم من يرفض الاحتكام الي الله ورسوله فكانت فيها تبينا للإيمان بالله وبالرسول فقال تعالي (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

والجهاد يكون تابعا للإيمان القاطع باليقين فالله يقول (إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله)

فذكرت النصوص هنا نوعان من الناس في الصف المسلم يعانون من الارتاب وهم المنافقون الذين كانوا متناقلون عن الجهاد ويخبطون الناس مبينا أن المرض يعود إلي حب الدنيا

والصنف الثاني هم ضعاف الإيمان فذكر ذم من يخاف العدو ويطلب الحياه وبين أن ترك الجهاد لا يدفع عنهم الموت فلا ينالون الا خساره الدنيا والآخرة (الم تر الي الذين قيل لهم كفوا ايديكم... الخ

حيث أنهم مومنون لكن حصل منهم جبن وفشل فكان في قلوبهم مرض والله يقول (فإذا أنزلت سوره محكمه وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه الموت فاولي لهم طاعه وقول معروف)

وقال تعالي (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا)

والمعني يتناول هولاء وهولاء اي المنافقون وضعاف الايمان وكل من كان بهذه الحال ثم قال تعالي (ايضا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيده وان تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله... الخ

فالضمير في قوله (وان تصبهم) يعود إلي من ذكر وهم (الذين يخشون الناس) ويعود الي المثبتين (وان منكم لمن ليبطئن)

وهولاء هم المراد بالنص فقد صاروا معلومين من سياق النصوص

لانهم كما ذكر الحق (فان اصابتم مصيبه قال قد انعم الله على إذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)

(السئيه)والحسنة)هنا يراد بهما النعم والمصائب وليس المراد بهما ما يفعله الإنسان من الأعمال باختياره من الأعمال الصالحة ولا الأعمال القبيحة باعتبارها من الحسنات والسيئات

فالمسألة متعلقه بعقيده الايمان بالقضاء والقدر فكان جمع ضعاف الايمان الذين ذكر أنهم يخشون الناس مع مرضي النفاق لأن ضعاف الإيمان صنف غلب عليه قصد التاله لله ومتابعه امره والنهي والإخلاص لله تعالي واتباع أوامره لكن إيمانهم منقوص من جانب الاستعانه والتوكل فيكون أما عاجزا وأما مفرطا وهو مغلوب أما مع عدوه الباطن وأما مع عدوه الظاهر فتجده يكثر من الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته وهو حال كثير ممن يعرفون شريعه الله وأمره ويرى نفسه متبع للشريعه وللعباده ولايعرف قضاء الله وقدره فهو غير عارف بالسبيل الموصله للحق و الطريق المفصيه إليه وإن كان حسن القصد طالب للحق فالمعلومه لديه موجوده لكنه لايفهم المقاصد منها

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يربي ضعاف الإيمان بعقيده القضاء والقدر يقول لهم احذروا أن يودي بكم الفشل والجبن وعدم القدره علي التحمل أن تقعوا فريسه المنافقون الذين يحاولون استغلال الابتلاء بالقتل والجرح لتصوير الأمر أنه ناتج عن سوء اداره الرسول صلى الله عليه وسلم للمعارك فعليكم الخروج من حاله الجزع و الخوف وقت المصائب فعودوا أنفسكم الصبر علي الشدائد فسنة الله أنه يمتحن عباده بالبلاء تاره بالفقر والجوع و المرض أنه ابتلاء للتمحيص ولهذا كان الأمر بمكه بمنع القتال اختبارا علي تحمل اثقال الأعباء فكانوا في أضييق - ال تجرعوا مراره العذاب ولازم حالهم القهر والذل لم يبرح عنهم حتي لم يجدوا حيله في امتناع ولا سبيل الي دفع حتي اذا راي الله من المومنين جد الصبر منهم علي الاذي في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم الفرج وابدالكم العز مكان الذل

فيقول الحق كيف لم تنتفعوا من ذلك الدرس

فالاصل أن تلك الدروس تجعلكم أقوياء أمام الازمات تلجأون الي الله في كل أمر فهو بيده مقاليد الأمور فما كان في مقدورك القيام به قمت به وما كان خارج عن قوتك وطاقتك صبرت فالله امرك بالدعاء وتكفل بالاجابه وان

لم تحصل علي اجابتك قبلت بأمر الله فصبرت وان اجابك شكرت فالدنيا ليست دار القرار والله يختبر عباده تاره ب النعماء وتاره بالبلاء واعقابها الجزء في الاخره أن كان خيرا فخييرا وان كان شرا فشرا وانت محاسب علي ماكنت مختارا فيه أما ما كان خارجا عن اردتك كان تقوم بعمل قاصدا تحقيق هدف إرضاء الله مثل الاعداد الجيد للمعركه وحصلت الهزيمه فلا حساب عليك لأن ذلك قضاء وقدر ولهذا يقول تعالي (ولاتظلمون فتيلا)

ويقول الحق لك لماذا تجزع وتخاف فذلك لن ينجيك من قضاء الله وقدره أن أراد الله ذلك

يقول الحق ان عليك أن تفهم انك طريد الموت فلا ينجوا منه هارب فلا بد أن يدركه فكن منه علي أمور أن يدركك وانت علي حال حسنه وان تحدث نفسك باليوم الآخر فأكثر من ذكر الموت وذكر ما يهجم عليه وما بعد الموت حتي ياتيك وانت قد أخذت حذرک منه بالأعمال الصالحة والقيام بأمر الله وطاعته وهذا يزودك بقوه تدفع بها عدوك الباطن والظاهر فلا تخاف الا الله وحده لا شريك له

الأمر الثالث

يقول الحق لك أن اللازم عليك أن تبذل جهدك في تحقيق الخير وانشاءه بالاعداد الجيد للأمر والتخطيط لذلك يبذل الجهد لمقاومه الشر ودعوتك للحق مع ايمانك بالقضاء والقدر والتاريخ يذكر كيف أن المسلمون حققوا النتائج الباهره مع إيمانهم بالقضاء والقدر ففي معركه القادسيه وقفت جيوش المسلمين بقياده سعد بن أبي وقاص أمام جيش الفرس الذي كان عدده مائتين وأربعين جندي بينما جيش المسلمين كان عدده اثنان وثلاثون ألف فقط

اي أن جيش الفرس كان ثمانيه أضعاف جيش المسلمين وقد حقق المسلمين النصر وهزموا العدو

فالإسلام يقول إن عقيدته الايمان بالقضاء والقدر تقوي جانب الاستعانه والتوكل على الله وتدفع الي التقدم وليس العجز الجمود فالإيمان بالقضاء والقدر يعني النظر إلي ربط المشئيه الانسانيه بطلاقه المشئيه الالهيه فلا ينجح عمل لم يباركه الله ويوفقك إليه سبحانه وتعالى وربما فعل المسلم كل ماعليه ثم فجاءته الظروف بما لم يخطر في باله من كوراث أو قوه قاهره

هنالك تصير فكره القضاء والقدر شاهدا علي جلال الله وقهره وبلسما للجراح ف الله يقول (ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبراهها أن ذلك علي الله يسير لكيلا تاسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم)

فالتسليم هنا هو الشكل العملي للإيمان بالقضاء والقدر وهو حكمه كبري لأن الجزع لايرد الخسائر والله ورواث لكل شئ وهو يبتلي عباده لاختبارهم ومعرفه الصادق من الكاذب والله يعلم كل شي قبل أن يختبر الناس ولكنه يريد من الناس أن يعرفوا أنفسهم

الأمر الثالث

يقول الحق لك انك في معركه مع المنافقون الذين يحاولون تثبيط الآخرين عن الجهاد ولهذا فإن ضعاف الإيمان بعقيده القضاء والقدر والتوكل والاستعانه ب الله يكونون هدفا سهلا لهؤلاء

ولهذا ينكر الله حال المنافقين في التعامل مع الابتلاء بالنعم والابتلاء بالمصائب حيث كانوا إذا وجدوا النعم في حياتهم من الأموال والغنائم يقولوا هذه من عند الله لما لنا من منزله ومكانه وإذا وجد فيهم الجوع والفقر والخوف والمرض قالوا هذا بسبب تركنا ديننا واتباع محمد .فهو لاء قد جعلوا المصيبه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم اي بسبب دينه وما أمروا به

ولهذا يقول الحق قل لهؤلاء أن النعمه والمصيبه من عند الله لامن عند محمد ومحمد لاياتي بالنصر ولا يأتي ب

الهزيمة

ولهذا يقول الحق بعد هذا (فما ل هولاء لا يكادون يفقهون حديثا)

والفقه هنا الفهم للحديث وهو القرآن الذي بين لهم أنه إنما يأمرهم بالخير والعدل والصدق والتوحيد ولم يأمرهم بما يكون سببا للمصائب فإنهم لو فهموا ما في القرآن لادراكوا أنه لا يكون سببا للشر مطلقا

يقول ابن تيميه رحمه الله في هذا الشأن أن هذا مما يبين أن ما أمر الله به يعلم بالأمر به حسنه ونفعه وأنه مصلحه للعباد وليس كما يقول من يقول قد يأمر الله العباد بما لامصلحه لهم فيه اذا فعلوه ... فإنه لو كان كذلك لكان قد يصدقه المتطهرون بالرسول وأتباعهم

ويقول ابن تيميه مما يوضح ذلك أنه لما قال (ما أصابك من حسنه فمن الله وما أصابك من سئيه فمن نفسك) قال بعدها (وارسلناك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا)

فإنه قد شهد له بالرساله بما أظهره علي يديه من الآيات والمعجزات واذا شهد الله له كفي به شهيدا ولم يضره حجد هولاء الرساله بما ذكروا من الشبه التي هي عليهم لا لهم بما اردوا أن يجعلوا سئياتهم وعقوباتهم حجه علي ابطال رسالته والله تعالي قد شهد له أنه ارسله للناس رسولا فكان ختم الكلام بهذا أبطالا لقولهم أن المصائب من عند الرسول ولهذا قال بعد هذا (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا)

الأمر الرابع

تبين النصوص أن المنافقون لهم اهداف من محاوله استغلال الأحداث التي يتعرض فيها المسلمون للنكبات و المصائب لاثاره الضجيج الإعلامي واشاعه الفوضى في الصفوف فيقولون إن هذا بسبب عدم الاعداد الجيد من الرسول أو من القائد اذا حصلت الهزيمة فالايه معطوفه علي قوله (وان منكم لمن ليبطئن فإن اصابكم مصيبه قال قد انعم الله على إذ لم اكن معهم شهيدا... الخ

فكان العطف في نطاق تربيته ضعاف الإيمان من المسلمين بعقيدته القضاء والقدر وذم هولاء أنهم لا يفهمون حقيقه الأمور... لتحذير المومنين من هولاء والتأكيد علي اهميه توجيه خطاب الجماهير في قضايا الامه المصيريه الي خطاب موحد فيه الآراء والمواقف بحيث يكون المومنون كا لجسد الواحد فلا يصح وقت الحرب اثاره الخلافات الناتجه عن اختلاف الرؤي والمواقف وتقدير حجم المصائب والأعداء من حولك يسطون علي القيم والمبادئ وينتهكون الحرمات فاللازم التوحد في مواجهه الازمات والتحديات فلا بد أن يهب الجميع لنصره الحق ويتوثقون عروه الولاء فيمضون علي ثبات وقوه مراد الله

فالمسلم عليه بذل جهده والأخذ بالاسباب أما تحقيق النتائج فهي ترجع إلي الله فهو الفعال لما يريد

ثانيا

تبين النصوص الأسس العقيدته الايمان بالقضاء والقدر بان علي المسلم بذل الجهد والأخذ بالاسباب وترك أمر النتائج علي الله ولهذا فالمسؤوليه علي العبد بناء علي هذه الفكره تقوم علي اساس أن العبد مسؤول عن أعماله التي يمارسها بحريته أما الأعمال التي تكون خارجه عن أردته اي يكون مجبور عليها فلايسال عنها كان يقوم بعمل لتحقيق الخير ولايتحقق الأمر فإن ذلك لاحساب علي العبد لأنها خارجه عن أردته ولهذا تأتي النصوص مبينه أن السئيات التي يحاسب عليه الإنسان هي المتعلقة بالأعمال القبيحه (ما أصابك من حسنه فمن الله وما أصابك من سئيه فمن نفسك) اي التي تكون من عمل النفس وارتدتها لذلك وهي اذا سئيات الأعمال فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)

فهو استعاذ من شر النفس الذي نشأ عنها من ذنوبها وخطاياها ويستعيز من سيئات الأعمال التي هي عقوباتها و
المها ولفظ السيئات الأعمال السئيه هنا وليس ماذكر في الايه السابقه وهي مايسو الإنسان من المصائب
ومعلوم أن شر النفس هو الأعمال السئيه فتكون سيئات الأعمال هي الشر والعقوبات الحاصله بها فيكون الاستعاده
من نوعي السيئات الأعمال وعقوباتها

فالله يقول هنا (ما أصابك من حسنه فمن الله)

لأن التوفيق للأعمال الصالحه هي من الله تعالي لأن هدايه البيان للجميع فمن كان لديه استعداد وفقه الله الي
تزكيه النفس والأعمال الصالحه (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

فالنعمه بالأعمال تقع بلا كسب فهي من احسان الله الي عباده بأن أرسل الرسل وانزل الكتب وحبب إليهم الايمان
فإذا تدبرت ذلك وشكرت الله زادك من الخير واذا علمت أن الشر من نفسك ثبت فزال الشر

أما الذي يرفض القبول بهدايه البيان فهذا نفسه خبيثه وبالتالي يكون مسؤولا عن فعله السيئات ولهذا فإن العقوبه
علي ارتكابه المعصيه الاولي هي المعصيه الثانيه فالابتلاء بالذنوب عقوبه له علي عدم فعل ماخلق له

الأمر الثاني

ان الحق يريد منك ايه المومن أن تحاسب نفسك علي الدوام فلا تطمئن لرغباتها فأنت اذا عرفت أن السيئه من
النفس والسئيه خبيثه فالله يقول ((الخبثات للخبثيين) وقال (ومثل كلمه خبيثه) وقال (إليه يصعد الكلم
الطيب) فإذا اتصفت النفس بالخبث فمحلها ومايناسبها وهو الأقوال والأعمال الخبيثه فقد ورد أن النفس الخبيثه لا
تدخل الجنه حتي تتطهر لأنها لاتصلح للجنه لحديث (حتي إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنه) يقول ابن
تيميه رحمه الله انه اذا علم الانسان أن السئيه من نفسه لم يطمع في السعاده التامه مع مافيه من الشر بل علم
تحقق قوله (من يعمل سوءً يجزبه) ولهذا فهذا يدفعك الي تزكيه النفس من الاوساخ عليك أن لاتطمئن لنفسك
فعليك عند الاقدام علي اي عمل أن تعرضها علي منهج الله في كل أمر من امورك فإن وفقك شرع الله عملته وان
خالفته تركت العمل به

وعليك أن تنشغل بنفسك واصلاحه بدلا من الانشغال بأمور الناس وتتبع عوراتهم عليك أن تسأل الله أن يمدك بـ
العون

فهمه الرسول هي البلاغ للناس وهذه هي هدايه البيان (وارسلناك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا) هذه هي
مهمه الرسول وليس احداث الخير ولا احداث السوء والله شهيدا أنه أرسله من عنده لهذه المهمه وأمر الناس
بطاعه الرسول والذي يطيع الرسول يكون مطيعا لله فقال تعالي (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله)

فأراد بهذا

١

أن هنالك فرق بين الحسنات والسئات كما أوضحنا سابقا فعندما تكون في النعم والمصائب فهي كلها من الله وانه
إذا قصد بها في الأعمال فالاعمال الحسنه التي فيها الخير وان الأعمال السئيه هي التي فيها الشر فالاعمال
الحسنه سببه الله والأعمال السيئه سببها الإنسان نفسه أن المعني الثالث لهذا أن يراد به الجزء الثوب والعقاب
وهذا إنما يكون من الله

٢

تأتي مبينه أن حقيقه الأعمال الحسنه والسيئه تعرف من جهه الأمر فما ذكرها بأنها حسنه وطلب الإقبال عليها فهي أعمال حسنه وان ما ذكرها علي سبيل الذم والتنفير منها فهي أعمال سيئه

٣

تبين النصوص أن الجبهه التي لها أمر وصف العمل بالحسنه او السيئه هو الله تعالى وليس الرسول ولا احد من البشر

ولهذا أخبرنا الله أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس سببا للمصائب فأخبرنا أن طاعه الرسول ليست سببا للمصيبه بل طاعه الرسول من طاعه الله وهذا فيه الخير والثواب في الدنيا والآخرة

وقد أخبرنا الله أنه قد يصيب المومنين مصائب بسبب ذنوبهم اذا لم يطعوا الله ورسوله كما حدث في أحد عندما خالف الرماه وكذلك يكون الابتلاء للتمحيص والتميز الخبيث من الطيب وايضا يكتب لهم بما يلحقهم من الابتلاء والتعب عمل صالح فقال تعالى

(ذلك بانه لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمسه في سبيل الله ولا يطوون موطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح)

فالجبهه التي له أمر حق اصدار صفه الحسنه للأعمال أو السيئه هو الله تعالى وحده وليس الرسول ولا احد من البشر

ولهذا فإن السئيات منشأها الجهل والظلم ولهذا يقول الله أنه أرسل الرسول حاملا منهج الهدايه الذي يزيل الجهل والظلم لمن أخذه وطاع الرسول وهذه هي الهدايه العامه أما الهدايه الخاصه فإنما تكون باتباع الرسول عندها يوفقههم الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ولهذا يقول الحق أن الذي يرفض ويعرض عن اتباع الرسول فهذا اختار طريق الهلاك والرسول لم يكلف بأن يحفظهم من الأعراض والتولي وانما البلاغ والبيان

القسم الخامس

تستمر النصوص بنقل صوره المنافقين وأقوالهم وأفعالهم بأسلوب ترسم النصوص حالهم في صوره قبيحه مذمومه فهم كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم يسمعون مايقول لهم الرسول من تكاليف القرآن الكريم فقال تعالى (ويقولون طاعه فإذا برزوا من عندك بيت طائفه منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وكفي بالله وكيلا)

فهو لاء كانوا يقولون طاعه اي سوف ننفذ ما أمرت به لم يكونوا يناقشون حتي مضمون التكاليف فيبدو أنهم كانوا يضيفون بما يسمعون لخبث نفوسهم فتفكيرهم هو كيف يغادرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكونوا ينظرون إلي التكاليف ومقاصدها ولا الي الجبهه التي تصدر منها التكاليف فلا اعتراض ولا استفهام ولا استضياع منهم

لكن ما الذي يحدث أنهم بمجرد أن يخرجوا من عند رسول الله حتي تبدأ هذا الطائفه الخبيثه التي كانت ضمن تشكيلة الصف المسلم تتلاقي فيما بينها تتأمر علي عدم التنفيذ وهي قد بيتت اراده التخلص من التكاليف كان كل واحد يسمع التكاليف وهو يبحث عن خطه يتنصل فيها عن التنفيذ ولهذا كان يلجأون الي التأمر ووضع المكائد و الدسائس التي تعيق عملية تنفيذ التكاليف فالنصوص تبين أن نفوس هؤلاء لم تكن متجانسه مع الفكره ولا مع المومنون وان أظهروا الايمان

فالصوره التي ترسمها الآيات مقززه تبعث علي النفور من هكذا سلوك فهي تصدر عن أناس لايشعرون بالرقابة علي ما في نفوسهم ولا يحسون برصد أفعالهم وأقوالهم وهذا قمه التبذل ف الله يعلم كل شي وهناك ملائكه تسجل أعمالهم فقال تعالي (والله يكتب ما يبيتون)

يقول الحق للمومنين لاتقلقوا من مكر هولاء ف الله يكتب ما يمكرون وهذا يبعث في نفوس المومنين الاطمئنان بأن عين الله تراي هولاء وترصد ما يخطط له هولاء وهذا يثبت قلوبهم وايضا فيه تهديد لهولاء المتامرين

فالنصوص تبين أن هنالك ازمه ناتجه عن تامر قطاع من العاملين بالمؤسسة وهو أمر باعث للخوف فكان ذكر ماعليه هولاء للحت علي الحذر وأخذ الاحتياطات وبنفس تطمئن المسلمين الي وقوف الله مع المومنين يقول الحق انتبهوا أن يتجاوز الحذر حده لدرجه يشاع فيها حاله انعدم الثقه بين أبناء المجتمع المسلم بناء علي تحليل تصرفات قد تكون خاطئه فليس التقاط الإشارات الا لأجل الحذر لاتمزيق النسيج الاجتماعي ولهذا يأمر الله رسوله (فأعرض عنهم)

الأمر بغض الطرف عنهم وان يكون أساس التعامل هو الظاهر لا النوايا وعليك الاعتماد علي الله (وتوكل على الله وكفي بالله وكبلا)

فالاعتماد علي الله يعطيك قوه وطاقه للحركه فهو أشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه فهو تعالي مطلع علي مافي ضمائر الأعداء واسرارهم مكشوفه (والله يكتب ما يبيتون)ولهذا فعليكم بالاعتماد علي الله وان صبت عليكم المصائب فعليكم اللجوء إلي الاستجاره ب الله مع العلم بأن ازمه الأمور بيد الله ومصدرها من قضاءه والله يحمي من يتوكل عليه وينصر أولياءه

الأمر الثاني

أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالي وهو يعلم مافي النفوس ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يكشف جانبا من البواعث والدوافع النفسيه التي دفعت هذه الطائفه الي القول بحضره الرسول طاعه وهم يبيتون التخلص من التكاليف عند الخروج بأن هذا يعود إلي أن هولاء لم يكونوا مومنين حقيقه بأن القرآن منزل من عند الله فهم يشكون في مصدر القرآن الكريم ولهذا السبب لم تحصل منهم مطابقه العلم العمل ففي ذلك فساد من جهه الاعتقاد والارده ولذلك نجد أن القرآن جاء يخاطب العقل ويحاوره بالمنطق ويطلب حضوره يهدف من ذلك أن يصل الي القناعه الكامله ليكون ثمرتها الايمان فقال تعالي (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

فيقول لهم الحق إذا ذلك بسبب الشك بمصدر القرآن فعليكم التفكير فيه والتدبر باياته ف الله سبحانه وتعالى يدعو عباده الي معرفته بطريقتين أحدهما النظر في آياته المشهوده اي النظر في مفعولاته والثاني التفكير باياته وتدبرها وهذه آياته المسموعه المعقوله فالعلم مع الايمان يحصل به الرفعه

وتقوم هذه الفكره انه لو تأملت القرآن ووقفت علي معانيه وما فيه من آيات تجد أنها خاليه من التعارض و التناقض

وبالتالي فهذا يدل أنه من عند الله لانه لو كان من هواجس البشر وسوائح الأفكار والخوطة البشريه والاراء لوجدت فيه التعارض والتناقض

فالاراء والخيالات وسوائح الأفكار لاتصلح أن تكون دينا يدان به فهي متعارضه ولهذا فإن ما اختلف وتناقض فليس من عند الله وان ما كان من عند الله تعالي لا يختلف

ومن هنا يجب عند الاستماع للقران الوقوف علي آياته وأحكامه لتستفيد من العلم فلا يكون الاستماع من أجل

البركه أو عند الموت أو في رمضان كما هو حال الكثيرون فدل وجود التنسيق الكامل بين أجزاء القرآن الكريم وأحكامه أنه من عند الله فما نظريه بشرية الا وجد فيها التعارض والتناقض والاختلاف ولهذا فإن هذا الإدراك و الفهم اذا تأملت القرآن ليدل دلاله قاطعه أنه من عند الله تعالى

القسم السادس

بعد أن ذكرت النصوص ماكان من أمر المنافقون من التثبيط للناس من القتال وذكرت أنهم كانوا يسمعون التكليف من الرسول ويقولون طاعه وبمجرد خروجهم من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم يبدون بالتأمر للتخلص من التكليف تأتي النصوص بعدها (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذعوا به ولو ردهوا الي الرسول والى اولى الا مر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا

اولا

توحي الآيات إن الصف المسلم يعاني من الضعف حيث نجد أن النصوص بعد أن تناولت ماكان من أمر المنافقون من التثاقل عن الجهاد والتثبيط لضعفاء الايمان وذكرت حاله الفشل والجبن لدي بعض المومنين ثم بينت نقص الولاء وعدم الانضباط في تنفيذ التكليف ومقاصدها فهم يقولون طاعه كلمه لاتتجاوز طرف اللسان وانهم بمجرد ما يخرجوا من مجلس الرسول يبادرون الي التخطيط لكيفيه التنصل من التكليف ومن القيام بما أمروا ومبينه أن الازمه تعود سوء الادراك والتحليل للمعلومه فهم يقروان القرآن ولكنهم لايفهمون مقاصده وهذا خلل فيهم ناتج عن سوء الفهم نتيجة غياب الرؤيه لديهم والخلل الفكري والحاله النفسيه المريضه بالشك والريبه لعدم إدراك قيمه الدليل فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

وهنا تأتي النصوص مبينه صوره قبيحه مذمومه لما هم عليه من الضعف وعدم فهم المهام الموكلة إليهم فقال تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذعوا به)

فالنصوص فيها

الأمر الأول

إنكار علي من يبادر الي اذاعه الاخبار قبل تحقيقها فقال تعالى

(اذا جاء) اي اذا بلغ فاستعمل جاء وهي للقرب اشاره الي انه بمجرد ما يبلغه خبر ما حصل منهم إفشاء الخبر ونشره واذعته

والنص يذم هؤلاء لانهم من جهه يرددون كل مايصل إليهم وتطلق ألسنتهم كل ما يصل إليهم دون التثبت من صحته وهذا عيبا لايقبله عاقل فالاصل أن تفكر في الخبر وتبحث عن مصدره وهل هو ثقه فالحق يقول إن مثل هذا الشخص كيف له أن يتأمل في كتاب الله لازاله مافي قلبه من شك لو كان باحثا عن الحق فيقول الحق انه لا مبرر لتنصل هؤلاء عن التكليف عندما كانوا يقولون طاعه ويبيتون التنصل عن التكليف فالخلل لسوء الفهم لديهم يعود عدم إدراك قيمه الدليل وانهم لا خبره لديهم ومن جهه اخري فهؤلاء طبعهم اثرته لا اهداف لديهم ولا رشد لايشعرون بدورهم في الحياه ولايهتمون بعواقب ما تردده ألسنتهم

فالانكار عليهم ذلك الفعل لغرض اثاره الاحساس لديهم لأجل أعمال العقل فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل مايسمع)

وورد في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال اي الذي يكثر في الحديث كما يقول الناس من غير تثبت ولاتدبر فقال (من حدث بحديث وهو يريد أنه كاذب فهو أحد الكاذبين)

الأمر الثاني

تبيين النصوص أن علي المسلم الارتقاء الي المستوي المطلوب منه عليه أن يرتفع الي مستوي الأحداث وان يدرك المواقف عليه أن يحس بدوره في بناء الدوله في حاله السلم والحرب فكل مسلم معني بما بهم الامه وبما سوف يقع بها يكون حريصا علي عدم إلحاق أضرار بالامه فهو عنصر مهم في الامه وان هذا يستوجب منه عدم التطاول في الحديث فيما لاخبره به يقول لك الحق اعلم انك في حاله حرب مع الأعداء الكفار وأعاونهم من المنافقون والاشاعات من أخطر أنواع الأسلحة التي تستعمل في الحروب العسكرية أو الاقتصادية أو غيرها وهي تعتمد علي معلومه تنسج حولها أباطيل تهدف إلي ادخال المجتمع المسلم في ازمه كما حصل في حادثه الافك

ولهذا فإن عليك التثبت من الأخبار التي تصل اليك وان تقوم بالتثبيت من صحتها وان تمتلك الادوات التي توصلك الي المعرفه والاستنباط من خلال التحليل أو إذا كنت قليل الخبره عليك أن تطرح المعلومات علي قياده تستعين بأهل الخبره لمعرفة المراد من المعلومه

ولهذا جاء الذم لمن يفشي الخبر في الأمن حاله الاستقرار أو الخوف الحرب فأخبرنا الله أن ادعتهم الخبر فيه مفسده واول هذه المفسده أنه لم يتثبت من صحته وثانيا العواقب المدمره لاذاعه الاخبار ففي حاله الاشاعه الأ من كما ذكر السيد قطب رحمه الله تعالى أن اشاعه الأمن في معسكر متاهب مستيقظ متوقع لحركه العدو تحدث نوع من التراخي والركون وهذا يخل بالأمر بملازمه الحيطة والحذر (خذوا حذرکم)

لأن الأمر باليقظه النابعه من التحفيز للخطر تختلف عن اليقظه النابعه عن مجرد أمر فالأمر المجرد يكون فيه نوع من التراخي والركون وعدم الحذر المناسب ولذلك ربط المولي سبحانه وتعالى في بدايه المقطع الأمر بالحذر (وان منكم لمن ليبطئن)

وكذلك فإن اشاعه الخوف في معسكر مطمئن يكون سببا في الارتجاف والارتباك وفقدان السكينه وربما تبعه حركات غير ضرورية لاتقاء الخوف فربما شكل سببا من أسباب الخذلان والفشل كما ذكر الحق بضعف الهمه لدي البعض خوفا من المشركين فقال (إذ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشيه)

الأمر الثالث

فالنصوص تبين لنا أن الاشاعات سببا رئيسيا من أسباب الازمات التي يجب عليك ايه المسلم الإنتباه لها لأنها تحمل مخاطر مدمره تستهدف النظام الإسلامي وكيانه ودولته وقوته تهدف إلي احداث الفوضى والعشوائية وتغيب الهيكل التنظيمي والإداري ولهذا اعتماد القران في معالجه هذا الداء من خلال الآتي

١

ترسم النصوص صورته منفرد له لجال الجندي الذي يذيع الاخبار من غير تمحيص ومن غير أن يكون خبيرا ولاقادرا في التحليل للمعلومات فترسم حال من يفعل في أفبح صور بأنه يتسبب في اشاعه الفوضى والعشوائية داخل معسكر المومنين

وهذه الصوره لابد أنها تغرس البغض والكراهية والاحتقار والاشمئزاز من هكذا انسان يعمل ضد نفسه ويكون اداه لخدمه العدو فهذا يعني أنه ليس لديه حس وطني ولا ولاء لأهل الإيمان وهو متبلد لايشعر بمخاطر فعله وهذه الصوره لابد أن تغرس في نفس المستمع من ذلك السلوك فيتجنب أن يقع فيما وقع فيه الضعفاء من المومنين

٢

بعد التشخيص الداء يعلمه الحق كيف يكون جنديا فعال في المجتمع المسلم يقوم بأداء وظيفته يقول له الحق

عليك احترام الهيكل التنظيمي والإداري فأنت عندما تسمع خبر ما يجب عليك اولاً جعله بمنزلة غير المسموع فقال
تعالى (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم... الخ

فهناك قياده وهيكل تنظيمي عليك أن تنقل إليهم الخبر فلا تنقله لزملائك فالقياده هي صاحبه السلطه في تقدير
المصلحه من نشر الخبر او منع تدواله

ذلك أن غياب الهيكل التنظيمي من أسباب تفاقم الازمات حيث يعم الفوضى والعشوائية ولا تحدد الصلاحيات
التي تختص بها كل جهه فالجندي لابد أن يحترم الهيكل التنظيمي ويرجع الى الفريق الذي له الصلاحيات في
اتخاذ القرارات ليأخذ منها التعليمات والتوجيهات فذكرت النصوص الرجوع الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى
أمراء السرايا لبيان اهميه الهيكل التنظيمي لمواجهه الازمات

٣

تبين النصوص أن اللازم علي المومنين الاهتمام بالهيكل التنظيمي الذي له صلاحيات اتخاذ القرارات وان يعرف كل
واحد المهام المطلوبه منه وإن لايتجاوز حدود الصلاحيات الممنوحة له وأنه ينبغي أن يكون هنالك جهاز في لديه
خبره وعلم علي فهم وتحليل المعلومات المتاحة لمعرفه مقاصد الأعداء وهو ما يوجب ضروره وجود التخصصات
وهم أهل الحل والعقد والمراد بهم أهل العلوم كل في مجاله ولهذا قال (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

حيث ذكر الى جانب الرسول أولى الأمر الذين يستخرجونه ويستنبطونه من معانده فالحق يقول لنا انتبهوا من
التطاول في قضايا قد تكون من دقائق الأمور ولاتمتلكون الادوات التي تمكنكم من فهم المسائل حتي لو كانت
نواياكم صادقه فإن هذا يزيد الأمور تأزم فلا بد أن تقوموا بإعداد الخبراء في كافة المجالات لأن العمل يتطلب
الفحص له واختباره وهذا يتطلب مهارات وأدوات واختصاصات ولهذا فإن التطاول دون امتلاك الموارد البشرية
التي لديه خبره والمهارات ودون امتلاك الادوات والتخصصات ينمي التخلف ويزيد الخبال ويودي الى مزيدا من
الإشكالات والأزمات

٤

يربط الحق كل ذلك ب الله وان الاسلام وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم فضل ورحمه من الله تعالى لبيان ان
الضعف الذي في الامه يعود لأن امه العرب لم تكن تعرف النظام ولا القوانين ولم تكن تعرف الجيوش المنظمه فهي
كانت أمه متفرقه وممزقه لادوله لها فيقول الحق أن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم رحمه ((ومارسناك الا
رحمه للعالمين) فلولا بعثته لبقوا في التيه والضلال فقال تعالى في موضع آخر (ويذكهم ويعلمهم الكتاب و
الحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

اختيار هذه الامه بهذا الدين هو فضل اختص الله به امه الاسلام (فضل الله يويته من يشاء)

فلولا هذا الفضل والرحمه من الله بالإسلام وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم لبقيت امه العرب في الجهل والض
لال لاتعرف الانظمه ولا الدول ولا المؤسسات ولكانوا تابعين الشيطان الرجيم الذي يدعو الى الفوضى والعشوائية

ثانيا

فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرص المومنين عسي الله يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا وأشد
تنكيلا)

الأمر بالتكليف موجه للرسول صلى الله عليه وسلم أن لايتوقف علي القتال وان عليه ان يقاتل حتي لو لم يوجد

من يقاتل معك الا نفسك ..بعد أن ذكرت النصوص التثبيط من المنافقين وذكر قله رغبه المنافقين وسعيهم الي تثبيط المومنون ودلت النصوص أن هنالك من تأثر بذلك ولهذا نجد

الأمر الاول

أن النصوص ابتدأت بالقاء فقاتل ..وهي جزائيه والجمله جواب لشرط مقدر مفاده أن تثبيط المنافقين وان حصل استجابة من البعض فعليك انت يا محمد وحدك أن تقاتل في سبيل الله فلا يضرك من يقف في طريق الدعوه

والأمر بالجهد من الأمور الشاقه والتي يكون فيها العمل بالحب والرغبه فلا قيمه للفعل بالتكاليف اذا لم يكن فيها مشقه فيقول الحق إذا أردت النصر والتمكين والظفر فعليك مقاتله الأعداء حتي لو اقتصر الأمر علي أن تقاتل وحدك فافعل فلا تتأثر بأفعال المثبطين ولا الذين قالوا ربنا لم كتب علينا القتال .. فالنصوص ترسم لنا حجم الخلل الذي أحدثته تثبيط المنافقون في المجتمع فكان إبراز التكاليف علي هذه الصوره وعلي هذا النحو لغرض استجاشه النفوس لجلب الاستجابة ليشعر كل مسلم أنه مكلف باعلاء كلمه الله يشعر أنه مسؤول عن ازاحه الالم عن النوع البشر

الأمر الثاني

اذا كان الله يأمر نبيه بتحمل المسؤولية والقيام بالتكاليف في إعلاء كلمة الله وازاله الظلم عن المظلومين وهو الذي أمر الحق سبحانه وتعالى المومنين بطاعته فقال تعالي (من يطيع الرسول فقد اطاع الله) فإن اللازم علي كل مومن الاحساس بالمسؤولية والتوكل على الله والاعتماد عليه فيه تقويه العزائم والهمم .

فاساس المشقه يرجع إلي ضعف قوه الحب وضعف قوه الغضب ولهذا قرن الحق التوحيد بالمعرفه والمحبه لله وعبادته وحده لا شريك له وأن لانعبده الا بما أحبه وما رضيه وهو ما أمر به وشرعه علي السن رسله صلوات الله وسلامه عليهم فهو متضمن لطاعته وطاعه رسوله وموالاه اوليائه ومعاداه اعدائه وان يكون الله ورسوله أحب إلي العبد من كل ماسواهما وهو ما يعني أن تحب في الله وتغضب لله فتحب الله حبا لا يماثله ولا يساويه فيه غيره بل يقتضي أن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه فقال تعالي فقال تعالي ((من يطع الرسول فقد اطاع الله) وحب المومنين للرسول لأجل أنه رسول الله يجب أن يكون احب الي المومن من نفسه وأهله فكيف بربه سبحانه وتعالى فالأمر صادرا من الله لهم بالجهد وان يشعر كل فرد أنه مكلف به أي فرض عين اذا لم يقوم به الناس

فجاء الأمر (وحررض المومنين) اي رغبتهم بالقتال وحثهم عليه مبينا الطريقه الصحيحه لحث المومنين علي القتال كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر وهو يسوي الصفوف فقال قوموا الي جنه عرضها السموات والأرض

وهذا هو التحريض علي القتال ببذل النصيحه لا ارغامهم بالقتال بالقوه اي أن الأمر هنا مبين الطريقه الصحيحه لحث المومنين علي القتال

فدلت النصوص تحريض النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين هو الحامل علي القتال ولهذا فإن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعداد للقتال كما أمر (فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك)

هو جزء من التحريض كما أوضحنا بشأن إبراز التكاليف للرسول بهذه الصوره هو لأجل أن يشعر المسلم بـ المسؤولية ولهذا كان الأمر بالتحريض علي القتال هو للمومنين فأخرج من هولاء المنافقون لأن المومنين يحبون الرسول أكثر من أنفسهم كما أوضحنا لأن التوحيد وحب الله يقتضي حب الرسول احب من أنفسهم وقد قال تعالي في موضع آخر (النبي أولي بالمومنين من أنفسهم) والله يقول (قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله

وجهاد في سبيله فتربصوا حتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

ولهذا فإن المومن يخاف من أن يدخل تحت هذا الوعيد الذي يسلبه صفه الايمان ويضعه في خانه الفاسقين اذا لم يكن الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من الأهل والأصدقاء والاقارب والأموال علي اختلاف أنواعه فهذه هي فكره التوحيد التي يحملها الموحدين والتي تهدف نشر الخير وهدم منابر الطاغوت وترك الكفر والشرك ولهذا شرع الجهاد لحمايه دوله الموحدين ولهذا فإن علي المومنين أن يبذلوا الجهود الحثيثة لبناء الدوله وإعدادها بالتجهيزات والاسلحه حتي لاتطمع الدول القويه لاهل الكفر بالاستيلاء عليها اذا شعروا أنها ضعيفه

الأمر الثالث

ترسم النصوص حاله الضعف لدي المومنين فهم كانوا يتمنون أن يكف الله عنهم الكفار دون قتال لم يكن لديهم ثقه بالقدرات النفسيه في خوض المعركه ولهذا قال تعالي (عسي الله يكف بأس الذين كفروا)

وايضا تدل النصوص أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلف بقتال الكفار الذين كانوا يقفون أمام الدعوه فذكرت النصوص أن الكفار كانوا أصحاب قوه (بأس) يهدف إلي إذلال المومنين ويقول له تعالي أن الأمر يوجب عليك أن تكون شجاعا وان تقاقل حتي وحدك وجاء الوعد من الله بالنصر والتمكين بكف قوه المشركين

فقال تعالي (والله اشد بأسا وأشد تنكيلا) فالله اقوي وأشد منهم قوه وهو أشد تعذيبا لهم وفيه الردع والزجر لا مثلهم وهذا فيه تطمئن للمومنين وازاله المخاوف عنهم وقد حقق الله وعده حيث رجع ابو سفيان ومن معه وكفي الله المومنين شر القتال وهذا في غزوه بدر الصغري

ثالثا

ولما كانت الايه السابقه قد تضمنت توجيه المومنين الي التوكل على الله والاعتماد عليه والصبر والإقرار بأن كل شي بيد الله وان لايسال العبد غير الحق سبحانه وتعالى ولايتوكل الاعليه ولايستعين الا به سبحانه وتعالى بيده العطاء والمنع والكف فقال تعالي (عسي الله يكف بأس الذين كفروا) فذكر توحيد الألوهية بعد أن ذكر الأمر للرسول (لا تكلف الانفسك وحرص المومنين) وتوحيد الألوهية يعني عليكم القيام بالمأمور وترك المحظور والرسول مكلف مثلكم ليس بيده تحقيق النصر والتمكين والظفر ولادفع الهزيمه وهو مكلف بالقيام بتنفيذ أمر الله ولو وحده معتمدا علي الله فهو عبد لايملك النفع ولا الضرر وليس بيده منع والعطاء وعليكم الدعاء لله كما يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم فالحق سبحانه وتعالى يقول لهم أنه تعالي لاشفاعة لأحد عنده عنده سبحانه وتعالى الا باذانه فقد أخبر رسوله (لاتكلف الا نفسك) وربط ذلك بتوحيد الألوهية وأخبره أنه ليس بتحقيق النصر وانما بيد الله كما قال تعالي في موضع آخر (ليس لك من الأمر شيء) وهو يقول (له مافي السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) والاذن إنما يكون لمن يريد الله أن يشفع له الشافع وهذا يكون لمن سعي لنشر الخير ولهذا تأتي الايه بعدها (من يشفع شفاعة حسنه يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سئنه يكن له كفل منها وكان الله علي كل شي مقيتا)

الأمر الأول

أن الاذن من الله للشفيع بالشفاعه هو لمن اطاع الله وامتثال امره

وجعل من نفسه شفيعا للرسول صلى الله عليه وسلم وناصره له بالقتال وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايرغم احد علي القيام بالتكليف وان ينهض بذلك حتي ولو وحده وانما يحرضهم علي القتال فمن قام بمعونتك علي نشر الخير والدعوه عندما ابطي الآخرون فهذه المعاونه علي أمر الجهاد حسنه لأنها تاييد للحق واعلاء كلمه الله التوحيد ونصره العدل فهي معاونه حسنه لأنها في سبيل الله فلفظ حسنه يعني أن تكون خاليه من الرياء و

العجب وغيرها مما يزيل عنها صفه الحسنه لأن الله أمر عباده عبر رسله أن يعبدوه بعمل الحسنات مبينا أن هذا له الأجر في الدنيا بأن يكون له نصيب من النصر والتمكين والظفر الذي كان منه المعونه فيه وله الثواب في الآخرة عند الله فجاء الادغام بالتثوين مع الياء (حسنة يكن) والتثوين مع الميم (نصيب منها)

وان الذي يعاون الأعداء بالتثبيط عن الجهاد فهو مناصر للأعداء وهذه المعاونه (شفاعه سيئه) وسماها سيئه لانه يدخل ضمن الوعيد (فتربصوا حتي يأتي أمر الله والله لا يهدي القوم الفاسقين) بعد أن ذكرت النصوص أن هذا الوعيد للذين يحبون الاولاد والاقارب والأموال باختلاف أنواعه أكثر من الله ورسوله والجهاد في سبيله فما بالكم بمن قام بالتثبيط للجهاد فهذا رافض لأمر الله وبالتالي فهو مشرك ولهذا فهو يكتفيل لما يترتب علي فعله من أضرار لأن المحرض مثل الفاعل

الأمر الثاني

أوردت النصوص مبدأ عام في كل شفاعه خير أو سوء في إطار ذكر واقعه خاصه ويربطها بعقيده التوحيد بأن الله هو الرزاق فهو يرزق كل شئ وهو الذي يمنح القدره قادر علي إيصال الجزء الي الشافع مثلما يوصله الي المشفوع منه وحافظ للأشياء

والمبدأ العام لمعني الشفاعه هنا هي المعاونه اي أنه من يسعي في أمر الخير ويكون سببا في رفع الشر والظلم واقامه الخير والعدل يكون له أجر وثمرت ذلك الخير فمن سن سنه حسنه يكون له أجرها وأجر من عمل بها وأن الذي يسعي الي الشر فإنه يكون متحمل ازر ما نتج عن فعله وازر من اوزار من عمل بها ولهذا فإن المعني عام ويدخل في ذلك شفاعات الناس لبعضهم البعض لأن أمر الجهاد لاعلاء كلمه الله وهو يقتضي رفع الالم عن الناس ومنع الظلم وربط ذلك بالتوحيد فقال تعالي (وكان الله علي كل شئ مقبلا)

لانه الأصل الذي ترتبط به الكليات والجزئيات وكل امر من امور المسلمين فهذا هو التصور الإسلامي للشرائع والأحكام والغرض من هذا تقوم بنشر الخير وتعون عليه قاصدا بذلك إرضاء الله تعالي وهذا يتطلب قبل الفعل منك معرفه الحكم الشرعي هل يتفق ومراد الله ام لا

ولهذا فإن معني قوله تعالي (وكان الله علي كل شئ مقبلا)

ليس كما حاول البعض حصره بمعني الرزق لانهم نظروا الي أن الأمر فيه ايماء بالترغيب بالسعي الي الخير فقالوا أن سعيك رزق غير منقطع فالحسنات ارزاق ورصيد لك فهذا معني اصيل من معناه لكن النص جاء تعقيبا علي أمرين من يسعي الي الخير وهذا حاله فعلا أن سعيه فيه رزق له عظيم فقوله (نصيب) تدل علي عليه ولاخلاف لكن الساعي للشر يكون كفيلا ويحمل وزوه ووزر من اضل واستخدم لفظ كفيلا وهو الضامن الذي يكون مؤخذ وتقع عليه مسؤوليه عن متبوعه أو المحرض علي الجريمة يكون له عقاب المجرم فهو أيضا فيه ترهيب وليس مقصورا علي الترغيب ولهذا فإنها تعني مقتدر اي مجازيا بالحسنه وبالسيئه ومن يسعي الي الخير أو الشر سيجد الجزاء فناسب هذا التعقيب الذي يحقق الترغيب والترهيب لانه يقال لمن قات علي الشئ اذا اقتدار عليه وقد قال الامام الغزالي في شرح الاسماء الحسنی لله أن معني مقبلا خالق الاقوات فيكون بمعني الرزق إلا أنه اخص لأن الرزق يتناول القوت وهذا يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفي منه البدن او يكون معناه المستوي علي الشئ القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدره والعلم به فانظر قوله تعالي (وكان الله علي كل شئ مقبلا)

اي قادرا مطلقا فيكون معناها راجعا الي العلم والقدره فوصفه بالمقبلا المطلق فكان اجتماع صفه العالم والقادر وبذلك يخرج هذا الاسم من اسم الرزق

والاشاره في الايه (من يشفع شفاعه حسنه)

لإيصال نوع من أنواع الخير الي الغير يكن له به منفعة منها فان من خصوصيتها أن يكون له نصيب من هذه الحسنه اي من تلك الخصوصيه التي اتصفت بها بانها حسنه

ومن يشفع شفاعه سيئه يكن في الحقيقه كفيل بما يترتب عليها شفاعته من أضرار وتبعات لأن خصوصيتها أنها إيصال نوع من أنواع الشر والله يقول (والبلد الطيب يخرج نباته بأذان ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا)

والله شهيدا وعالما بأفعال العباد ومقتدرا علي مجازاه المحسن يا حسانه والمسي باساءته

رابعاً

(واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها أن الله كان علي كل شي حسيبا)

الأمر الأول

الايه وردت بعد ذكر مبدأ عام متعلق بالشفاعه التي بين الناس بعضهم البعض بأن عليهم نشر الخير ومعونه بعضهم البعض في الخير فالله يقول في موضع آخر (لاخير في كثير من نجوهم الا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله... الخ

تأتي النصوص بقاعده اداب التعامل في ظل جو الشفاعه التي سبق التوجيه بها والتي من معانيها أن من سن سنه حسنه كان له أجرها واجر من أجر من عمل بها وأن من سن سنه سيئه فلها اثمها واثم من عمل بها التي نطلق عليها البدع ولهذا فإن الخلاف بين العاملين في الحقل الاسلامي اليوم يدور حول فكره البدع والسنن حول هذه المساله وهذا الوجه من الخلاف أمر صحي لأن البدعه شرك ويجب الوقوف ضدها والعمل علي معالجه الأمر لكن هنالك اختلاف بالوسائل وليس في مضمون الفكره اي وسائل نشر الخير ولهذا تأتي النصوص بعد ذكر الشفاعه بقوله تعالي (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها)

اي اذا سلم عليك المسلم فقال السلام عليكم فردوا عليه بافضل مما القي عليكم من التحيه أو ردوها بمثل ماسلم عليكم فالزياده مندوبه والمماثله مفروضه فقد ورد أن رجل سلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمه الله ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمه الله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمه الله وبركاته فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم وعليكم فقال يا رسول الله دخل فلان وقال كذا فقلت كذا ودخل فلا ن فقال كذا وقلت كذا ودخلت فقلت السلام عليكم ورحمه الله وبركاته فقلت وعليك فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم انك

لم تدع لنا شئيا والله يقول (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) فرردنا عليك اي اذا بلغ السلام غايه ماشرع ردها عليها فلا توجد زياده عن ذلك

يقول الحق أن هنالك الكثير من المسائل التي تجمع امه الاسلام في عمومها وان الاختلاف هو في مسائل فرعيه وهذا أمر طبيعي نتيجته الاجتماع الإنساني الذي يكون فيه المعونه بالسعي لنشر الخير فمن الطبيعي أن يكون هنالك اختلاف في الوسائل فلا يكون الاختلاف سببا للتباعد بينكم ولا يلبق بمن يسعي الي الخير التنافس الذي يصل الي درجه القطعيه ومحاولة صد الناس عن الخير الذي لدي الغير فلا بد أن تطوعوا أنفسكم علي القبول بالأخر ضمن أطر التعاون علي نشر الخير والنهي عن المنكر والابتعاد عن التصادم ومسبباتها واقتناص العلاقه العامه لخدمه مبدأ الاجتماع علي الاسلام

فالمخالطه بين العاملين في الحقل الاسلامي وان اختلفت وجهات النظر بينهم لاينبغي أن تكون سببا لقطع الصلات فالإسلام يدعو للسلام مع الأعداء فكيف الحال بنا ونحن يجمعنا الايمان وهدف نشر الخير فهل من المنطق أن

يصبح هذا الهدف الذي أمرنا بالتعاون فيه سببا لاساءه التعامل مع بعضنا البعض

فاللازم الاجتماع علي ازاله أسباب القطعيه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنه حتي تومنوا ولاتومنوا حتي تحابوا هل ادالكم علي شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم)

فالسلام من معانيه احياء القواسم المشتركة وفي احياء القواسم المشتركة بينكم اماته لبدع الكفر والجاهليه ف الله يقول (وكنتم علي شفاء حفرة من النار فانقذكم منها)

فالإسلام يعني السلام بالتضحية بالنفس لإنقاذ البشرية وتحقيق السلامه لها خاصه في مثل هذه المرحله التي نعيشها نحن المسلمون في القرن الواحد والعشرين حيث أن القرار الكافر قد تسلط علي مقدرات المسلمين الا قتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية والتعليمية وأصبح المسلمون ينفذون مخططات الكفار نتيجته تفاقم بؤر الخلاف بين المسلمين وصارت مركز دينيه تخص المسلمين تاتمر بأمر الأعداء وتنفذ سياسيه العدو ومبادئه في شعوب الاسلام فنحن بحاجة الي أن نمد أيدينا لبعضنا البعض لمواجهة الأعداء نحن بحاجة إلي اشاعه روح التعاون والاخوه بيننا وان نبتعد عن التآمر والابتزاز ضد بعضنا البعض فهذا يعرض موسسه العمل الا يمانى لمخاطر كبيرة مدمره تخدم الأعداء

الأمر الثاني

أن الايه الكريمه وردت في وسط آيات الجهاد وبعدها أيضا آيات الجهاد فأراد الحق بهذا أن يبين للمسلمين أن الإسلام هو دين السلام يبين لهم الغرض من الجهاد في الاسلام بانه لا يهدف الي القتل بدون سبب لا يهدف الي إزهاق الأرواح لأجل إرغام الناس علي اعتناق الإسلام فالإسلام فرض الجهاد لأجل حمايه النفس الإنسانية من أن تزهد فاصل التحيه (واذا حييتم بتحيه فحيوا باحسن منها)

هي الدعاء بالحياء وطولها ثم استعملت في كل دعاء لأن الدعاء بالخير لا يخلو شي منه من الدعاء بطول الحياه أو بما هو سبب مودي الي قوتها وكمالها أو بما هو الغايه والمطلوب منها وقد كان العرب إذا لقي أحدهم الآخر قال له حياك الله اي اطال الله في عمرك ولهذا فتحيه الاسلام هي طلب الحياه للغير اي تطلب له السلامه والامن باعتقاد أن الأمر ملزم اي أن يكون ذلك التمني صادرا من النفس ف الله يقول في موضع آخر (فسلموا علي أنفسكم تحيه من عند الله)

فالسلام ميزه الاسلام فهي ترسم القاعده التي تقوم عليه سياسيه دوله الاسلام مع غيره من الدول فيجعل السلم أساس التعامل مع الغير أن هم جنحوا للسلم بأن التزموا بعدم منع الناس من الدخول في الإسلام وتوقفوا عن الظلم والعدوان عندها لم يبقي هنالك داعي للمعونه (الشفاعه الحسنه) لنصره المظلومين طالما أن الأعداء توقفوا عن الظلم وخصعوا للعدل فهذا هو نظام الاسلام لأن معني السلام عليكم تتضمن وعد بالسلامه والأمان

فأنت عندما تقول لشخص انت سليم مني ما سلمت منك فالسلامه والأمان من مستلزمه والسلام من اسماء الله وبالتالي فإن تحيه المسلمين فيها اقتلاع جذور العصبية والمذهبية والقوميه وتقتلع جذور العصبية بأشكالها وتؤسس للتعايش السلمي بين الناس جميعا علي كواكب الأرض وأن هذا التعامل يقوم علي المعامله بالمثل في مد جسور الصداقات أو افضل بما لا يمس بعقيدته المسلمين وأن علي المسلم ربط ذلك ب الله فيقول الحق انتبهوا من عدم الاجابه علي من يلقي عليك تحيه الاسلام لأن عدم الاجابه يعني الاهانه للآخرين ومخالفه أمر الله فالاهانه ضرار والضرار حرام فقال تعالي (وكان الله علي كل شي حسيبا)

فالنص فيه التهديد والوعيد لمن لا يمتثل بالسلام عندما يبذله الآخرون فأراد بهذا أن يشعر المسلم بالمسؤولية في التعامل فلو القي عليك الكافر السلام وجب الرد باعطائه الامان فلا يكون التفحص في حاله من زوايه اراده سلب ماله أو الغنيمه والمكاسب الماديه فالحق يقول إياكم أن تتعرضوا لهم وانما التفحص من زوايه أنه لا يريد من

إظهار السلام الخداع والأضرار بالمسلمين فالله انتبهوا من التعرض لهم إذا صدقوا بإعلان السلام فجاء التهديد و الوعيد بأن الله سوف يحاسبكم علي اعمالكم وكافيا في إيصال جزء اعمالكم وهذا التعقيب مرتبط بمسأله ضمانه وكفاله عداله الحساب ف الله يقول في موضع آخر (وكفي بنا حاسبين)

فكان هذا التشديد للتحذير من انتهاك هذه القاعده في التعامل مع غيرهم من الأمم فهو يقول احذروا من المخالفه والتكليف يدل علي شده الاعتناء بحفظ الدماء فالجهاد يهدف إلي حمايه النفس الإنسانية واحياءها بتحريرها من الاستبداد وليس ارغامهم علي اعتناق الإسلام

المقطع الثامن من سوره النساء

فقال تعالى (الله لا اله الا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا

المقدمه

أنه بعد ذكر احكام الجهاد في سبيل الله والأمر بإظهار الموده وقت السلم وانهم يجازون علي ذلك في المقطع السابق تأتي النصوص بجمله اخباريه من الله تعالى جمعت ركني الايمان التوحيد والإيمان بالبعث فقال تعالى (الله لا اله الا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا)

ثم ذكرت النصوص بعدها القواعد والقوانين التي تحكم العلاقات في التعامل مع الآخرين قانون التعامل مع الدول الأخرى والافراد خارج نطاق جغرافيه الدوله الاسلاميه فالنصوص تبين لنا الآتي

اولا

قاعده الانطلاق في حياه المسلم التي تحكم علاقه المسلم والمجتمع الاسلامي والنظام الاسلامي في التعامل فيما بينهم ومع الآخرين ومع الدول الأخرى والمؤسسات والمنظمات الدولية والهيئات أفراد ودول وجماعات بأنها تنطلق من قاعده التوحيد فقال تعالى (الله لا اله الا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا)

فالمسلم يتحرر من كافه الضغوط التي تقيد حريته في الانطلاق بالحركه في الكون فالتوحيد (الله لا اله الا هو)

تعني أن يحس ويشعر المسلم بوجود الله وتدبيره لشؤون خلقه وحده لا شريك له فهو المعبود المألوه لكمال ذاته وصفاته فالتوحيد أساس انشاء المجتمع المسلم وانشاء نظام الاسلام ودوله الموحدين وفي تعامله مع الآخرين أفرادا وجماعات دول فيكون فالمسلم اهتمامه ودوافعه تقوم علي اساس هذا الايمان فكل حركه يتحركه ترتبط بـ التوحيد الذي يعني انطلاق طاقات الإنسان في الحركه علي الارض متحررا من كافه الضغوط التي تحد من الحركه فيكون حرا بإحراق الأهواء والشهوات والطفغان من وجدانه فمركز اهتمامه الكلي هو الله الذي يتجه إليه في الفكر والعمل والخواطر والمشاعر يخرج من جخيم الدنيا والانانيه فيعيش حياته كلها لله فهو يزن كل أمر وكل فكره وكل فعل وفقا لميزان الله وحده لا شريك له

يخرج من سجن الانانيه ويتحرر منها فهي تجعل العبد اسير أهواءه ومصالحه ويكون عابدا لذاته يزن الأمور بميزان مصالحه فهذا لا يعترف بحقوق غيره ويريد أن يلبي كل متطلبات مزاجه ولا يعترف بعقبه تحتجزه ويريد أن يحقق رغبات نفسه فهو مسعور تؤرقه شهواته ورغباته والحاح هواه لطلبها فهو لايقبل أن توجه مطالبه كيف وهو ليس في تقديره الاحساب ذاته

ولهذا نجد أن الايه وردت بعد قوله تعالى (أن الله كان علي كل شي حسيبا)

عليك ايه المسلم أن تحاسب نفسك وتزن اعمالك بالالتزام بمنهج الله وان تحرر من كافه النزوات فتنتلق قواك لأنها لاترضخ الالفاظرها فالمومن بالله كافر بكل ما عداه وهذا الايمان قوه دافعه يرضي الاشواق الخفيه ويحطم أغلال وقيود الأصنام الباطله فلا تتبدد الطاقات للإنسان الذي يتجه الي معبود واحد لاشريك له

فالمسلم يعلم أن له خالقا واحد وأنه هو معبوده ولا شريك له

ويعلم أن لحياته معني فهو لم يخلق عبثا وانما خلقه الله ابتلاء واختبار وسوف يحاسب علي أعماله (الذي خلق الموت والحياه ليبلوكم ايكم احسن عملا)

وقد خلق الله الاخره دار الجزاء والقضاء فجاء جواب القسم الإلهي (ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه)

علي قوع الجزء في يوم القيامة ف الله سوف يبعثكم ويحشركم جميعكم الي مقام واحد في ساحه الحشر يوم
القيامة

ف الله يقسم بذاته المقدسه لإثبات البعث والحساب علي الأعمال وهذه شهاده من الله فالكون ومخلوقاته شاهده
علي قدرته على اعاده المخلوقات

وبعد الجمع يكون التفريق بينهما فالفريق المومن يكون مصيره الي الجنه وأما الكافر فمصيره الي النار
والايه وردت بعد قوله (وكان الله علي كل شي حسيبا)

فجاء القسم لبيان ان كل شي مقدر ومحسوب ومسجل ف الله لم يخلق شيئا عبثا فهو الحق الذي يستحق العباده
وعليكم التقرب إليه بالطاعه ومحاسبه أنفسكم قبل أن يحاسبكم الله

يقول الله لك أن عليك ايه المسلم أن تومن باليقين الجازم ب الله وحده لاشريك له وانه سوف يكون الحساب و
العقاب والبعث والنشور فقال تعالي (ومن اصدق من الله حديثا)

ف الله سبحانه وتعالى منزه من النقص والعيب ومحال أن يكون في أخباره وحديثه غير الصدق

الدرس الثاني

يخبر الله المومنين الأسس التي تقوم عليها عقيدة الاسلام بأنها تقوم علي الإيمان ب الله واليوم الآخر وهما ركنا الا
يمان

فالذي لا يومن باليوم الآخر لا يكون مومنا وان أمن ب الله ..

والايمان ب الله يضع بين أيدينا معرفه المصدر الأول الذي صدر عنه الكون والايمان باليوم الآخر يحقق لنا المعرفه
بمصير الوجود ويعطينا النهايه والمستقبل الذي ينتظرنا والنهايه التي ينتهي إليها الكون

والله يقسم مبينا لنا أن يوم القيامة ضروره من ضروريات عدل الله وان الجنه والنار ضروريتان من ضرورات عدله
ورحمته سبحانه وتعالى فأقسم تعالي بذاته المقدسه علي وقوع الجزء في يوم القيامة ليغرس في النفس الا
حساس بالمسؤولية عن كل فعل أو قول ليغرس في النفوس الإحساس بأن هنالك حياه بعد الموت والشعور ب
الرقابه وبوجود الله والحساب عن الأعمال هي المعرفه المطلوبه التي تودي الي الفاعليه الإيجابية في الحركه لأن
الحياه في مظاهرها الغالبه يشاهد فيها انتشار الظلم والاضطهاد وتسلط الظالمين في حين أهل الخير مغلوبين في
أغلب الأحوال وفي السجون والتشريد في الكثير من الجولات تنتهي الي انتصار الظلم وتنطوي صفحته دون الا
نتصار للمظلوم

فلو كانت الدنيا هي ايام الله وحدها لكان مايقع من الظلم يفوق العدل أضعاف مضاعفه

ولهذا يقول الحق انتبهوا فالدنيا ليست الا دار ابتلاء واختبار لمعرفه من يعمل الخير ومن يعمل الشر وان الآخره
هي دار الجزاء

ولهذا فإن عليك أن تحاسب نفسك وتزن اعمالك قبل أن تحاسب فأنت عندما تفكر بالجريمه أو الظلم أو التجاوز
أن تتذكر أن المحاكمه سوف تعاد مره اخري أمام الحق سبحانه وتعالى وهو العدل الذي احصي الأعمال ولن
تستطيع الافلات من قبضته وعقابه فالقاضي هو الله الذي لا يخفي عليه شي ولا يمكن التملص من الجزاء والشهود
لا يمكن شراء ذمتهم مثلما هو حال الدنيا فكل عضو منك سوف يشهد علي جرائمك فالملك لله وحده وهو يحكم ب
الحق والعدل فقال تعالي (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)

وهو الضامن علي عداله الحساب فقال تعالي في موضع آخر (وكفي بنا حاسبين)

وعندئذ يتحقق العدل ولهذا وردت الايه بعد قوله تعالي (وكان الله علي كل شي حسيبا)

فإذا حصلت لك هذه المعرفة ب الله والتي هي غايه الوجود فإن هذه المعرفة ليس المراد بها معرفه الله فكل الناس يعرفون الله ولكن المراد بالمعرفه وجود الله بالإحساس بوجوده واحاطه علما بكل شي وانك في قبضته فهذه هي المعرفة فكان مجئ الايه بعد ذكر الحق الأمر بالجهاد والأمر. بالسلم والمجازه علي الأعمال فأخبرنا الله أن هذه المعرفة تتفاوت من انسان الي اخر علي قدر المسافه التي تقطعها سفن القلوب في بحار المعرفة الالهيه باستشعار وجود الله وانك سوف تحاسب علي اعمالك لتشعر بالألم العذاب إذا ارتكبت ذنبا فهذا هو هدف الوجود الانساني وغايه المطاف الذي تسفر عنه رحله الحياه أما إلي الجنه او النار

القسم الثاني

قال تعالي (فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون أن تهدوا من اصل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتي يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الي قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم كل ما ردوا الي الفتنة اركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمومن أن يقتل مومنا الا خطأ ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبه مومنه وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديه مسلمه الي أهله وتحرير رقبه مومنه فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبه من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاءه جهنم خلد فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ياايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الدنيا فعند الله مغانم كثيره كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيرا)

فذكر الحق قاعده الانطلاق في التعامل أنها تنطلق من قاعده التوحيد وعلي أساسها انشئ الاسلام المجتمع المسلم وربط تعامل المسلم بالأساس الذي ينطلق منه المسلم وهي التوحيد فوضع الاسلام قواعد وقوانين التعامل مع الدول الأخرى ومواطنيها في حاله السلم والحرب فالإسلام اول من وضع قواعد القانون الدولي في التعامل مع الدول والمنظمات فذكر الحق قواعد التعامل فوضع القوانين التي تنظم العلاقات مع الدول الأخرى من خلال الآتي

١

قاعده التعامل مع المواطنين الدوله المحاربه للإسلام والذين يقيمون فيها ويظهرون الاسلام باللسان ويرفضون الا نتقال الي ديار الإسلام ويحملون السلاح مع العدو فهؤلاء أعداء ولامعني لاطهار الايمان باللسان

٢

قواعد التعامل مع رعايا الدول التي بينها وبين الاسلام موثيق سلام فهذه الدول يكون لها ولرعاياها ومن التجاء اليها حق عدم الاعتداء عليهم

٣

الدول التي تقف علي الحياد ولاتحمل السلاح ضد المسلمين ولامعهم فهي ورعاياها يجب حفظ أموالهم ودمائهم

المتلاعبين بالعقيدة والعهود أفرادا وجماعات ودول فهؤلاء في حالة حرب مع الاسلام

تذكر النصوص احكام القتل الخطأ والعمد ثم تختتم بأحكام السلم فالنصوص تضع قواعد التعامل مع الدول الأخرى وترتبط ذلك بالتوحيد

اولا

(فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون أن تهدوا من اضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا ً ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)

ابتدأت الايه بالانكار لحاله الاختلاف اراء المسلمين بشأن المنافقين حيث ذكر انها نزلت في قوم تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون الكفار وأنهم استدانوا الرسول بالخروج الي خارج المدينة وبعدها ذهبوا الي مكه واطهروا الكفر وذكر ابن عباس أنهم خرجوا من مكه يطلبون حاجه لهم وقالوا أن لقينا أصحاب محمد فليس لنا عليهم بأس وان المومنين لما علموا بخروجهم من مكه قالت فئه من المومنين اركبوا الي الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عدوكم فقالت فئه اخري من المومنين سبحان الله اتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم وأموالهم فنزلت الايه وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الامر الاول

أن الاسلام يحرص علي صيانه الطاقات والقدرات للمسلم من التبدد الناتج عن اختلاف الآراء فابتدأت النصوص بإنكار حاله الاختلاف و عدم التجانس والتنسيق في المجتمع المسلم فيقول لهم الحق ما الذي جعلكم مختلفين في الآراء بشأن المنافقين

بعد أن تناولت النصوص قبلها التوحيد والإيمان بالبعث التي تضع بين يدي المسلم معرفه المصدر الذي أوجد البشر والنهائيه التي ينتهي إليها الإنسان في رحلته من الدنيا وهي الآخره تضع للمسلم النظرة للإنسان والحياه الدنيا بان الدنيا الدنيا مزرعه الآخره وان الإنسان سيد علي الارض من صنع الله ولهذا فإن هذا التكريم إنما يكون بمعرفه الله استشعار وجود الله وانك محاسب علي اعمالك ولهذا ولهذا جاء الإنكار بعد قوله تعالي (ومن اصدق من الله حديثا)

ليهز القلوب وهذا فيه اثاره المشاعر ويربط ذلك بالتصور الاعتقادي التوحيد فيقول كيف يكون منكم الاختلاف بشأن الأعداء فأراد بهذه التوطئه اقتلاع العصبية من خلال الوصول إلي الاعماق البعيده في النفس لتحريرها من الداخل وتحريرها من الانقياد الالهه والأهواء أنه يقتلع الجرائم النفسيه التي تنتج عن المغالاه أو التفريط والافراط يقول الحق لك عليك أن تنطلق من هذه المعرفه (الايمان بالله واليوم الآخر) فالمنهج الذي يحقق صيانه الطاقات والقدرات من التبدد الذي يجب أن تجتمعوا عليه هو التوحيد باستشعار وجود الله وانك محاسب علي اعمالك ولهذا ارسل الله الرسل وانزل الكتب السماويه فهو المنهج الرباني الذي أنشئ به النظام الإسلامي في كل شأن وهو الذي تنطلق منه فاعليه المسلم في كل شأن من شؤونهم وهو الميزان الذي يزن به المسلم الاشياء والأمر ولهذا يستنكر الحق الاختلاف بين المومنين بشأن المنافقين الذين ادعوا الايمان ووقفوا في صف الكفار و المراد بهم المنافقون الذين كانوا خارج المدينة المنورة وهم في ديار الكفر

فقال تعالى (فما لكم في المنافقين فئتين)

ولهذا فإن الاستنكار للفريقين ابتداء بدم حاله الانقسام في الصف المسلم كيف يكون هذا في وقت الحرب فدل هذا علي خطوره الموقف وان الأمر يحتاج الي الوقوف بحزم في هذه المسائل ثم بينت النصوص خطأ الذي كان يعتبر أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صار مومنا وان لم يعمل بهذه الكلمه أنه مسلم وان خالفت أعماله معني الشهاده فدل الإنكار أن الفريق الذي حاول التبرير للمنافقين أخطئ في وضع الأمور في موضعه

الأمر الثاني

في إطار صيانه الطاقات والقدرات للمجتمع المسلم تبين النصوص أن هنالك مواقف فيه ميل الي التميع بالنظر الي المنافقين خارج المدينة المنورة وهو موقف خطير ولهذا ابتداء بإنكار حاله الاختلاف لأجل أن يعي المومنون خطوره المرحله فهم قد أصبح لهم دوله ولايد من اعاده ترتيب أنفسهم وفقا لهذا التحول فلايد أن يبدأ الترتيب من داخل المجتمع المسلم أو الدوله الاسلاميه وإصلاح منطلقاتها

وهذا الترتيب يكون بالاعتناء بالبناء التعليمي والتربوي والدعوي والدوله ومؤسساتها وربطها بضابط منهجي يؤظف الطاقات والقدرات بما ينهض بالامه بالعمل الواعي الخاضع لمنهج الله الذي يوزن فيه الأمور بميزان الحق ولهذا يقول الحق المخاطبين في كل زمان أنتبهوا من مواقف تسييس الاعتدال بالتسامح مع الأعداء ومد جسور الصداقه مع العدو المحارب فهكذا موقف فيه تميع لقضيه الايمان (التوحيد بالإيمان بالله واليوم الآخر) ناتجا عن خلل الميزان الذي توزن به حقيقه الاشياء أنه يعود إلي ميزان شخصي يقوم هذا المعيار علي عاطفه القرابه أو القبيله أو الأرض في وزن الأمور نظرا لأن هولاء المنافقون كانوا من أقاربهم أو لخلل في الفهم لعدم ادراك مقاصد النصوص بالخلط بين النصوص المتعلقة بالتعامل مع المنافقين المقيمين في الدوله الاسلاميه اي المنافقين في المدينه الذين أمر المسلمون بالاعراض عنهم وعدم الاهتمام بشأن نفاقهم فهولاء جزء من المجتمع المسلم بغض النظر عن الأمور الباطنة التي يخفونها من الكفر فهولاء يكون التعامل معهم بالظاهر فالمهادنه مع هولاء لأجل خدمه الاسلام فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل وجودهم بالمسجد وفي جهاده ويخالطهم رغم علمه بهم وعندما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم دعني أضرب عنقه (يقصد راس النفاق رد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم (لا حتي لايقول الناس محمد يقتل أصحابه)

فدل هذا علي اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بوحده الصف المسلم وأنه يجب أن تكون الجبهه الداخليه متماسكه ومتينه ولو بالصبر علي المخالفين فلو وافق النبي صلى الله عليه وسلم عمر في طلبه لادي ذلك إلي استفاده المتربصين بدوله الاسلام وهولاء لهم حقوق المواطنه في الدوله الاسلاميه

وأما الذين هم خارج حدود دوله الاسلام فهولاء لهم حكم آخر فلا يكون التسامح معهم فعليكم فهم المرحله وظروفها ووضع كل حكم في موضعه فلا تضعوا حكما شرعيا في غير موضعه

الأمر الثالث

يحذر الله عباده من تسييس الوسيطة والاعتدال بالتميع بالمواقف فيقول لنا أن ذلك يودي الي الإفراط والتفريط وان كان قصدك فيه خير كان تتطمع أن يصلح هولاء المنافقون ويعودون الي الصواب فيقول لك الحق أن هذا فهم خاطئ لوسيطيه الاسلام يقول لهم أله أن هولاء كانوا قد آمنوا وعرفوا الحق فما الذي حصل انقلب حالهم رأسا علي عقب (والله اركسهم بما كسبوا)

فهم ترجعوا الي الوارء فيقال اركسته اذا رددته وقلبت آخره علي أوله فترسم النصوص صورته لحال هولاء لبيان أنهم لا يستحقون هذا الاهتمام لماذا

لأنهم رفضوا التكريم بعباده الله وتوحيده وطاعته الذي فيه الرفعه وفضلوا الانحدار والتراجع إلي الوراء فقال الله أنه خذلهم ولم يوفقهم للخير بسبب سوء نيتهم وأعمالهم القبيحة والنص فيه تحذير من التراجع عن فكره الايمان كما فعل هولاء الذين أظهروا الايمان وابتنوا الكفر فهذا شهادته من الله بعد شهادته بالواحدنيه وأنه سوف يبعث الناس ليوم الحساب فالله يقول قد حسم أمر هولاء بأنهم مخذولون بما فعلوا فانتبهوا أن تقعوا فيما وقعوا فيه

الأمر الرابع

أن القرآن الكريم في هذه النصوص يخاطب العقل الانساني المسلم ويحاوره بالدليل والبرهان فيما يدعوه إليه من أوامر وهو يضع بين أيدينا قواعد وقوانين التعامل مع الانظمه والمجتمعات والافراد فالإسلام يقيم في المسلم عقبيه الدين وبنفس الوقت يقيم البناء العقلي الكلي لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم يقيم البرهان الذي يرد علي خلجات النفس فيشبع العاطفه ويقنع العقل وبنفس الوقت فإن فلسفه الاسلام تسكب روحها في كل ميدان ولهذا يربطها بالمبادئ التوحيد (والله اركسهم بما كسبوا)

في إطار الهجوم علي الانقياد لهوي النفس وايحاء العرف والتقليد ولهذا نجد أنه يأتي فيه استنهاض لحيويه الارده الانسانيه التي بها يغدو للإنسان قوه ايجابية فعاله فلا يكون تبديد الطاقات والقدرات فيما لم تكلف به ولهذا يقول الحق (اتريدون أن تهدوا من اضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)

يقول لك الحق أن أول إخطار مواقف تسييس الاعتدال بالتسامح أنه يقتل الاحساس والمشاعر في النفس لحقيقة الحب والبغض وتصبح الفاعليه سلبيه ذلك أن التفاؤل والامل مطلوب لكن في إطار الاحساس بالمسؤولية فجسور الصداقه مع الآخرين مطلوبه لكن ليس علي حساب الاسلام ودولته وقوته ولهذا جاء استنكار ثاني (اتريدون أن تهدوا من اضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)

أن الله قد جعل سنن للهدايه الخاصه (التوفيق والسداد) مثلما جعل سنن الضلال والحرمان من الرشاد والسداد و التوفيق فقد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم يحمل الهدايه العامه التي هي للجميع فمن قبل وامتنال وفقه الله الي الهدايه الخاصه وان من رفض عاقبه الله بالحرمان وهولاء قد اركسهم الله بسبب رفضهم الهدايه العامه بعد أن عرفوا الايمان وقلب حالهم رأسا على عقب فهم يمشون علي وجوههم كما قال تعالي في موضع آخر (افمن يمشي مكبا علي وجهه اهدي أمن يمشي سويا علي صراط مستقيم) فيقول الحق أن هولاء قد فسدت فطرتهم فبعقوبوا ب الحرمان من الهدايه الخاصه فيقول الحق للذين كانوا يرغبون في إعطاء المنافقون فرصه فقالوا لعلي الفرصه تجعلهم يعودون الي الصواب فجاء الاستنكار لغرض ايقاف اللجاج والتسويق فأخبرهم انه سبحانه وتعالى جعل سنن للهدايه الخاصه كما أوضحنا ولهذا يقول لهم الحق انه ليس في استطاعتكم هديه من يضل الله ولن تجدوا الطريق الذي يعيدهم الي الصواب

الأمر الخامس

يقول الحق لعباده انتبهوا من اصابه النزعات الغريزه بمقتل نتيجته التميع في المواقف بالتسامح مع الأعداء نتيجته الحب للآخرين وان خالفوا منهج الله والتعاطف معهم رغبه أن يومنوا وان يدفعكم هذا الي التفریط في المبادئ وقيم الاسلام والتي منها وحده الصف المسلم فعليكم الحفاظ علي الغريزه أن تكون في إطار التوحيد تحب في الله وتبغض في الله فالحياه الانسانيه تحتاج لتحصل علي الحيويه أن تكون النزعات الغريزه قويه مستقيمه ولا بد من السيطرة علي الغرائز لتيقي الحياه صالحه لتمنع حالات الرغبات الشخصيه فيكون اتصالك كله ب الله

فانظر ايه المسلم كيف أن الثوره الاسلاميه التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم ورباها بالمنهج الرباني حولت القبائل الضعيفه الي امه عزيزه فقد ادي هذا المعتقد الديني الي جعل الامه متجانسة وغير عواطف الامه الثابته فقد أزال العصبية للوطان والانساب والسلاله فالحق يقول للمومنين انتبهوا أن تفسد الغريزه لديكم فيحلق بكم

الهزل

يقول لنا أن من عناصر القوه في الشعور الديني أنه ليس ادركا ونظر فحسب أنه وجدان وانفعال والتقاء واتصال وتذوق ومناجاه مع الله تعالي التي اقتنعت وأمنت به وحده لاشريك له

وهنا يقول لنا الحق أن مشاعر هولاء وارتدتهم فاسده فهي تجتمع مع الكفر وأهله في تمني زوال الحق ويتمنون لو أنكم تكفرون مثلهم (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)

فالحق يقول إن الكافر لا يستريح ولا يهدأ له بال حتي يجعل الآخرين مثله بالكفر هذه قاعده يجب عليك إدراكها وان تضعها نصب عينيك في كل الصدقات التي تعقدها مع الكفار فهم يكرهون الايمان وأهله ويضعون الخطط و المكائد التي تحقق أهدافهم في اضلال المومنين فالمومرات الاخلاقيه والعسكريه والاقتصاديه والثقافيه والا جتماعيه التي تحاك منهم في كل زمان تنبع من مشاعر كراهيه الايمان وأهله ولهذا عليك الحذر منهم فالأمر واضح ولا إشكال فيه فاحذروا أن تكون الموقف فيها تميم بالنظر إليهم فتقعوا في مصيده هولاء

فالاصل أن الإيمان تذوق تجعل صاحبه يذوق حلاوته بعد مراره الكفر فتكون مشاعره وإحساسه مع المومنين لا ضدهم ولهذا فإن هولاء من أهل الكفر وبالتالي وجب الحذر منهم فالأمر في غايه الخطوره فقال تعالي بعد ذلك (فلا تتخذوا منهم اولياء حتي يهاجروا في سبيل الله)

أمر بقطع كامل العلاقات مع من يقيم في دوله الكفر وينتظم في صفوف الكفار محاربا للإسلام في أي مجال من مجالات الحرب سواء الاعلاميه أو العسكريه أو الاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه فاللازم قطع صلات القرابه و النسب والعلاقات التجاريه والمصالح التي تربطك بهولاء طالما أنهم في حاله حرب مع دوله الاسلام فالولايه فرع المحبه وبالتالي فإن هولاء يستوجب بغضهم وكرهيتهم وعدواتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده وربط هذا به الهجره من دار الكفر الي دار الايمان (حتي يهاجروا في سبيل الله)

وحتي للغايه بمعني أنهم إذا تركوا ديار الكفر وانتقلوا الي دار الإسلام صار لهم من الحقوق مثل المسلمين واشترط أن تكون الهجره خالصه لله فالاسلام هو دين ودوله يحكمها فمن كان مومنا بالله لابد أن يهاجر لأجل اقامه دوله الاسلام ولاقامه المجتمع المسلم الذي يعيش بالمنهج الرباني فمن كان مومنا لابد أن يترك الأهل والأموال ويضحى بذلك في سبيل الله

والمراد بهذا ايضا ازاله الأعذار لمن يحمل السلاح مع الأعداء ويتمرس في صف العدو سواء كان ذلك بالكلمه الإعلا م أو القتال معهم فلا يقول كنت واقعا تحت الضغط والا فأنا مسلم معكم فالله يقول إن المومن الحقيقي اذا كان بمقدوره أن يهاجر الي ديار الإسلام التي يجد فيها الامن والسلامه بدينه فلن يتردد عن الهجره أما إذا رفض الهجره فإن هذا الشخص ليس بمومن ويجب التعامل معه مثلما نتعامل مع الكفار فقال تعالي (فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)

إذا تمكنتم من أسرهم فخذوهم أسري ولكم أن تقتلوهم فلا تتعاطفوا معهم وانتهوا أن تنظروا إليهم أنهم أولياء وناصرين لكم (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وهذا فيه لفت انتباه أن هولاء لا يدخلون ضمن الذين ذكرت النصوص أنهم في مكه مستضعفون (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)

فهولاء كانوا عاجزين عن الهجره لايمتلكون المال وكذلك كبار السن ونساء وأطفال... فلا تنظروا انكم مسؤولون عن المنافقون في مكه برعايتهم ونصرتهم فهم يختلفون عن الضعفاء الذين حثت النصوص علي الجهاد لإنقاذهم من ظلم المشركين

ثانيا

تبين النصوص قاعده التعامل مع الدول الأخرى وفقا لقواعد القانون الدولي الذي بينته النصوص

الحاله الاولي

التعامل مع الدول التي بينك وبينهم عهود اي الغير محاربه لدوله الاسلام

(الا الذين يصلون الي قوم بينكم وبينهم ميثاق)

أن القاعده الاساسيه في التعامل الدولي هو احترام الموائيق والعهود الموقعه مع الدول الأخرى وهذا يوجب احترام سياده الدوله وعدم التدخل في شؤونها الداخليه ولهذا فإن هذه العهود والموائيق توجب علي دوله الاسلام م ترك المحاربين الذين يلجأون الي دول أخرى غير محاربه للإسلام ودولته فلا يجوز المساس بهم طالما أن الدوله التي وصلوا إليها قد منحتهم حق اللجوء فيها فيكون هولاء داخلون في العهود المبرمه مع تلك الدوله

وهذا فيه تشجيع علي السلم طالما أن الآخرين يحترمون ارده الإنسان وحريةه في اختيار دينه ولايتعرضون لدعوه الاسلام ولايقفون محاربين للدين الإسلامي فهولاء يجب احترام العهود والموائيق المبرمه معهم

الحاله الثانيه

حاله الأفراد أو الدول التي تفضل الوقوف علي الحياد من مساله الحرب القائمه بين دوله الاسلام ودول الكفر

(اوجاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فماجعل الله لكم عليهم سبيلا)

١

ترسم النصوص الحاله النفسيه لهولاء بأنهم في حيره من أمرهم فالضغوط النفسيه تدفعهم الي التوقف عن القتال يكرهون مقاتله المسلمين ويكرهون قتال قومهم أما لكونكم مسلمون وهم يحترمون العهود أو لايريدون قومهم لا نهم أقارب فقال تعالي (حصرت صدورهم)

وحصر الصدر الضيق والمراد بهذا بيان الرغبه بالسلم وعدم الحرب تدفعهم الي الوقوف علي الحياد والمراد بهذا تحبيب المسلمين في القبول بموقف هولاء الذين اختاروا الوقوف علي الحياد يقول إن هذه المشاعر بالرغبه ب السلم تكفي فلا تلزم هولاء بالوقوف معكم فيكفي أن لا يقفوا ضدكم

٢

يقول لهم الحق انه كان من الممكن لهولاء أن يقفوا في صف العدو محاربين لكم لكن مشئيه الله هي التي تقف وراء هذا الموقف من هولاء فقال تعالي (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم)

بأن الأمر كان من الله بأن جعل صدورهم تضيق من مساله القتال ضدكم وفضلوا الوقوف علي الحياد فالتدبير الهى فقذف في قلوبهم الرعب وكرهيه القتال

ولهذا فهذه نعمه من الله تعالى عليكم ينبغي أن تشكروا الله عليها وهذا فيه امتصاص لغضب المتحمسين و المندفعين الذين يرفضون الحياد ويقولون لاحياد أما معي اوضدي ف الله يقول إذا اعتزال هولاء قتالكم ولم يقفوا ضد أي حق من حقوق الاسلام (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم)

فلم يرخص لكم قتالهم باي حال من الأحوال (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)

الحاله الثالثه

تحدث النصوص عن المتلاعبين بالعقيده والعهود أفرادا وجماعات ودول فقال تعالى (ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الي الفتنة اركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)

الايه تحدث عن الذي يتخذ العقيده والعهود بشكل عام من زوايه المصلحه الماديه فهم يريدون تأمين مصالحهم فإذا وجدوا المومنين أظهروا الايمان كذبا وإذا رجعوا الي قومهم اظهروا الكفر هولاء ليس لديهم اهتمام بالمبادئ والقيم وانما اهتمامهم مرتبط بالمصلحه وحيثما كانت مصالحهم أظهروا الولاء فهم ليس لديهم احترام لا للعقائد و لا حتي للعهود فالمصلحه عندهم فوق كل شي فتجد امثال هولاء يبحثون عن الطرف الذي فيه حفظ المصلحه ليظهروا أنهم مومنون بفكره ولهذا فإن هولاء يسقطون عند ابسط عارض يرون أن مصالحهم مهدده مع هذا الطرف ليكون منهم الإسراع الي الالتحاق بالطرف الآخر فقال تعالى (كلما ردوا الي الفتنة اركسوا فيها)

فقال اركسوا فيها) لبيان انه ينقلب حاله رأسا على عقب ويصير معكوس حاله عند تضرر مصالحه فهذا لا مبادئ له فهو لاء يختلفون عن الفرقة السابقه التي وقفت علي الحياد احتراما لكم أما هذه الفرقة فهي أن توقفت عن قتالكم فإن ذلك خوفا منها منكم ومن قوتكم وأنها تهدد مصالحهم اذا وقفوا ضدكم لكن إذا وجدوا فرصه في قتال المومنين فإنهم لا يترددن عن مباشره ذلك فهم سوف يقدمون علي الفعل ولهذا فإذا لم يظهروا المسالمة حقيقه و المودعه ويكفوا أيديهم عن القتال فلكم أن تاخذوهم أسري وتقتلوهم حيث تمكنتم منهم (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم)

ويخبرنا الله أن هولاء مأذون لكم ايه المومنون قتلهم وأسرهم فالله قد منحكم الرخصه الواضحه بشأن هولاء ف لا حرج عليكم بقتلهم أو أسرهم والتنكيل بهم (واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)

القسم الثالث

انتقلت النصوص الي معامله المسلمين بينهم البين وتضع قواعد القانون الجنائي المطبق في مسائل القتل الخطأ فابتدات النصوص بقوله تعالى (وما كان لمومن أن يقتل مومنا الاخطئا) وتضع قواعد القانون الجنائي المطبق جريمه القتل الخطأ التي يكون المجني عليه مومنا وربط ذلك بحقوق ذويه من جنسيات اخري في حالات وجود علاقات دبلوماسيه ومعاهدات وفي حاله عدم وجودها

تبين النصوص أن المومن لا يقتل مومنا آخر لا خطأ فلا يليق بالمومن ولا يمكن له أن يقتل مومنا آخر عمدا فاخلاق الايمان لا تسمح له بقتل غيره من المومنين الا في حاله الخطاء كان يريد أن يقتل شخص كافر فيقتل مومنا أو يجده في معسكر الكفار فيظنه كافرا فيقتله أو كان لابسا ملابس تخص ملابس الكفار في الحرب أو شعار الكفار فيقتله خطأ أنه كافرا حيث ذكر أن الايه نزلت بشأن عياش بن ربيعه أسلم في مکه واقسمت امه أن لا تاكل ولا تشرب حتي يترك الإسلام وقد اختفي في مكان من مکه خوفا من قومه وجاء إليه ابوجهل وقال له إن دينك يأمر ببر الوالدين فأظهر لها ترك الإسلام وأبقي علي دينك وبهذا يكون منك البر بوالدتك والحفاظ علي دينك ففعل فقوموا وقيدوه فوجده الحرث بن يزيد وقال يا عياش أن كنت علي الهدى فقد تركته ودخلت في الضلال فقال له إذا وجدتك خاليا فاني قاتلك وفعلا وجده خاليا ولم يكن يعلم أنه أسلم فقتله فلما علم ندم وجاء الي الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان بينهما فنزلت الايه

وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

ابتدأت النصوص باستبعاد أن يقوم المومن بقتل مومن آخر (وكان لمومن أن يقتل مومنا الاخطئا) لترسم لنا النصوص سمات الفكر الايماني الذي يربي به المومنين أفراد وجماعات ودول يقول لنا أن أسس فكره الايمان الحقه ومقومات تكوين الشخصية المومنه التي يطبع عليها المومنون لها خطوط رئيسه لاتتجاوزها فأول هذه الخطوط ان اخلاق التطلع في حياه المومنين تقوم علي مبدأ الاخوه في الله فحياه المومنين كالجسد الواحد يوحدهم الشعور برابطه الايمان والحب في الله ولهذا فإن من أهم سمات اخلاق المومن وانفعالاته أنه يتفاني في خدمه اخيه المومن فحياه المومنون تقوم علي الشعور بروح الفريق الواحد في العمل والتعاون والإخاء ولهذا جعل علامه الايمان أن لا يقتل المومن مومنا آخر إلا خطئا لماذا ؟

لأن الايمان الحقيقي يولد طاقه روحيه في الإنسان المومن ويبرز دور الايمان في تربيته النفوس في المواقف العمليه التي فيها اختبار صدق الايمان ولما كان القتل العمد يعود إلي نزعات الغضب النفسانيه فإن المواقف التي تبعث علي استنفار قوه الغضب للانتقام للذات هي اختبار عملي للمومن يوضع فيه لمعرفة صدق إيمانه ومدى تأثير اخلاق الضغط والتطلع علي سلوك المومن هل أدت عقيدته الايمان الي قوه إلزام في أعماق نفس المومن بتهديب قوه الغضب بحيث يكون غضبه لله وليس لذاته أنها امتحان لمعرفة هل تحقق مبدأ المساواة والاخوه في الله في النفوس هل أوجدت النصوص التي ترسم خطوط الايمان ومبادئه حياه جديده في حياه المسلمين هل أوجدت غرائز اجتماعيه تميز المومنين في أعمال الواجب الاجتماعي بالثبات لمبادئ الايمان بتلقي الأوامر من الله فإذا وجد الايمان كان العمل بروح الفريق الواحد فالإيمان يقضي علي نزعات الحقد والانتقام والتمزيق ويقضي علي النزعات العنصريه ولهذا يقول الحق أن الاحتمال الوحيد الذي يمكن أن يحصل قتل المومن لآخر هو في حاله القتل الخطأ فجاء الاستثناء المنقطع (الأخطاء) فالاسلام قد حدد اغراض القتال لمنع حالات الهمجيه والقتل لمجرد سفك الدماء وانما ذلك يكون الغضب فيه لله تعالي فلا يكون مومنا حقيقه من يقوم باتلاف الموجود وهو جسد المومن فالإيمان مانع من ارتكاب هذه الجريمه فلا يليق بالمومن ذلك ومحال أن يقصد قتل مومنا آخر لان الايمان مانع له من ذلك ومحال أن يكون مومنا ويقتل مومنا آخر إلا في حاله الخطأ وهذا فيه أنه أن الفعل خارج عن الطاقه البشريه فالإنسان معرض للخطاء فذكر الحق

أن الخطاء مفترض ويمكن أن يحدث دون أرده الفعل ولا اراده احداث نتائجه والخطا يكون من عده أوجه

١

الخطا بالفعل نفسه بعدم توفر القصد الجنائي كان يقصد صيد حيوان أو ماشابه فيمر انسان في المكان فيقتل او الحادث المروري فالخطا هنا مفترض

٢

الخطا بالشخصية كان يكون قاصدا أن يقتل فلان من الكفار وهو في منتظر له في الطريق أو مكان ما فيمر أمامه شخص آخر تنطبق ملامحه علي ملامح من كان مترصد له فيقتله

او يتصور أن هذا الشخص كافرا فيقتله مثلما حصل في قصه عياش والحارث بن يزيد

٣

الخطا بالاله كان يستعمل عصا غير قاتله في الغالب بطبيعته وتحدث نتيجة القتل فيكون قاتلا خطاء

الدرس الثاني

يقول الحق أن التأثير الديني الايماني الحقيقي في حياه المسلم والحضاره التي انشاءتها عقيدته التوحيد إنما تكون بالوصول بها الي مستوي الاخلاق الإيمانيه في انفعالات المومنين الاخلاقيه والتي تزوال معها الحواجز التي تشكل عائقا من بناء المجتمع المومن والدوله المومنه ولهذا تأتي النصوص مبينه احكام وقانونين حالات القتل الخطأ

الحاله الاولي

فقال تعالي (ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبه مومنه وديه مسلمه الي أهله إلا أن يصدقوا)

اذا كان المقتول من رعايا الدوله المسلمه وهو مومنا فتضع النصوص لنا احكام وقوانين العقاب للقاتل

١

تحرير رقبه مومنه اي تحرير اي عبد أو جاريه ذكرنا كان أو انثي صغيرا أو كبيرا من الرق وهذه العقوبه ذكرت في جميع الحالات الثلاث وهذا فيه بيان حرص الإسلام علي القضاء على النزعات العنصريه من المجتمع المسلم أنه يقيم فيهم الاخوه والمساواة حقيقه بعكس دعاه الحريه الكاذبون في الحضارات الماديه حيث نجد أن أمريكا ودول الغرب يتباهون بالديمقراطية والحريه وحقوق الإنسان وهم في أعوار اعماق النفوس بعيديون عن هذه الشعارات إنما جعلوها طلاء من مظاهر التسويه القانونيه والمجاملات الشكليه في حين أنهم عنصريون في الحقيقه وقد نشبت فيهم حروب عنصريه ضروسه وهم يدعون أنهم بلد الاخاء والمساواة فحضاره هولاء لم تصل إلي الانفعال الخلاق الذي وصلت إليه حضاره الاسلام فنظم الاسلام وشريعته ليس نظم فقط بل هو منهج تربوي يغوص في أعماق النفس ليخرج منها كل اوساخ الانانيه والعنصريه فلا بد لكي يكون مومنا حقيقه أن يتخلص من اهواه واصنامه التي تسكن في أعماق النفس ولهذا نجد أن الحق يضع حكما لمن يقتل مومنا خطأ بان يحرر من الرق شخصا مومنا مثله فيقوم مقام المومن المقتول وهذا فيه الحق العام لما لحق المجتمع من الفزع فالجريمه مفزعه ولأنه ازهق روح والمسلم مكلف بأحياء النفس وليس إزهاق الأرواح ولذلك كان تحرير نفس مومنه من الرق لمام

لأنه أخرج نفسا مومنه من جمله الاحياء ولهذا الزمه الله أن يدخل نفسا مومنه مثلها في جمله الاحرار لأن إطلا قها من قيد الرق كاحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالاموت فالرق اثر اثار الكفر والكفر موت (أو من كان ميتا فاحييناه) لأن الرق بنظر الاسلام عارض فالاصل أن الإنسان حر وان الرق مثل الموت ولهذا فإن تحرير نفس مومنه مقابل ما قتل فيه احياء الجاريه أو العبد بالحريه

وهذا فيه غرس قيمه الحريه في النفوس بأنها عظيمه وتخليص من النزعات العنصريه

٢

أيضا أن الإسلام يجبر نفوس أهل المقتول ويجبر خاطرهم بتسليم الديه

وهذا حق لايسقط الا بالتسامح وإسقاط هذا الحق من ورثه الدم وسماها (إلا أن يصدقوا) لأجل الحث علي التسامح والتنبيه علي فضله لتغرس في النفوس روح الاخاء والتعاون والمحبه

الحاله الثانيه

أن يكون المقتول مومنا وأهله محاربون للإسلام وفي هذه الحاله يكون تحرير رقبه مومنه ولايجوز تسليم الدين لأهله ولا استرضاءهم ولاكسب مودتهم فقال تعالي (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبه مومنه)

أن يكون المقتول مومن وبين دوله الاسلام ودوله المقتول معاهدات اي توجد بينهم علاقات دبلوماسيه ومغاهدات تمنع القتال بينهم فالإسلام يحترم العهود ولهذا يلزم بتسليم اليه لأهله وتحرير رقبه مومنه والنص مبين فيه أن المقتول مومنا وليس كما حاول البعض تأويله أن هذا مطلق وأنه يدخل فيهم المقتول الكافر فهذا غير صحيح لأن الايه تتناول حكم قتل المومن خطأ بعد استبعاد وقوع قتل المومن لأخيه المومن الا في حاله القتل الخطأ وايضا أن النص تضمن تحرير رقبه مومنه وهذا لا يكون في حاله قتل نفس مومنه فقال تعالى (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديه مسلمه الي أهله وتحرير رقبه مومنه)

الدرس الثالث

(فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبه من الله وكان الله عليما حكيما)

الآتي

١

تبين النصوص صيانه الاسلام للطاقت والقدرات بحيث يمنع تبدها بالعقوبات جاءت ضمن شرائع وأحكام فيها من المرونه بحيث لا تنغلق ولا تنحصر ولا تتجمد فليست احكام نظريه غير قابله للتطبيق نظرا لاختلاف الظروف وعدم القدره علي تنفيذ العقوبات فقال تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبه من الله وكان الله عليما حكيما) فقد جعل عقوبه من لا يجد المال لعتق رقبه أن يصوم ستين يوما دون انقطاع وهذا تسهيل العقوبه علي أهل العوز فمن شرع التكاليف هو الله الذي يعلم بحال الناس وهو حكيم يضع كل شي في موضعه

٢

يقول الحق (توبه من الله) أنه سبحانه وتعالى قد جعل العقوبات سالفه الذكر لتطهير قوي الإنسان من اوساخ ما ارتكب من جريمه القتل الخطأ فعقيدته الاسلام لاتريد باعتناقها خلق ملائكه من الناس ولكن الواجب عليك أن تتحمل تبعات اخطائك وان تعترف بخطاك وتقبل بالحكم الشرعي الذي يرفع عنك وزر الخطاء الذي ارتكبتة أن الإس لام لم يغلق الباب أمام التائبين ولم يجعل الطريق صعبا أمامهم ولهذا قال تعالى (توبه من الله

٢

يقول لك الحق أن هذه الأحكام نعمه من الله تعيد لك منزلتك الكامله في المجتمع المسلم بعد أن تعرضت درجه المواطنه المتعلقة بك للنقص بارتكاب جريمه القتل الخطأ فكان جبر الخاطر لأولياء الدم والمجتمع بالعقوبات التي فرضت عليك اعادتك الي مكانك الطبيعي في المجتمع المسلم

والله لم يكلفك بما يشق عليك فاحكامه النظرية قابله للتطبيق العملي بما فيها من المرونه بحيث تلائم كل فرد من أفراد المجتمع فالله عالم بكم ومايناسبكم وهو يشرع من الأحكام بما يناسبكم فأراد أن يغرس في النفوس الشعور بان المنهج الرباني فيه الرعاية والحمايه من الله للمومن من الازمات النفسيه التي تذهب بالطاقت الا نسانيه

الدرس الرابع

أن من أهم مايصون طاقت الإنسان وقدراته من التبديد هو الإيمان بالله الواحد الاحد فهذا الاعتقاد يمنح الإ

إنسان بكل قواه وطاقاته قدره علي الانطلاق في الحياه بعقيده شامله تجعله يراقب الله في اتصاله بالناس ويلتمس الاخره في طلب الدنيا فهو لا يحب الا في الله لأجل أن يتقرب من الله ولا يكره الا في الله فهذه قاعده انطلاقة في الحياه ولهذا يقول الله تعالى (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاءه جهنم خلدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما)

فهذا التضخيم للجزاء عن ارتكاب جريمه القتل العمد لمومن بما يوحي أنه لا يكفرها ديه ولاعتق رقبه وانما الجزء موكل لله تعالي فيه تربيته المومنين علي الاحتراس من هذه الجريمه فالتضخيم يرسم شناعه الجريمه لأنها اغتيال لوشيجه الايمان التي إنشاءها الله في جسد أهل الإيمان ولهذا فإن هذا القاتل قد استحق العقاب بأن مقره جهنم فهي سكنه وله الخلود فيها الي ما لانهايه وان هذا رجع بفعلته تلك بالطرد من رحمه الله (وغضب الله عليه)وقد جهز الله له وهيا له عذاب يذله به بكثره تفوق التصور

وبالتالي فعليك أن تراقب الله فلاتغضب الا لله فنفسك لاتستحق الغضب

الدرس الخامس

تبين النصوص دور الدين وايقاعه علي النفس البشريه من خلال الانتقال من الفلسفه النظرية التي تبين أسس فكره الايمان ومقومات تكوين الشخصية المومنه والسمات التي يطبع به المومن فيقول الحق أن هذه الأفكار ليست مجرد فلسفه نظريه بل هي منهج عملي واقعي ولهذا ابتدأت النصوص بالنداء (يايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القي اليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الحياه الدنيا فعند الله مغانم كثيره كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيرا)

فاسلوب النداء (يايها الذين آمنوا) يعين علي العمل التطبيقي للنظريات التي عرضتها النصوص لانه جعل علامه الايمان القيام بالتكليف فهو يناشد الايمان الذي في النفس للتنفيذ وهذا يعين علي تثبيت العقيدة وتطبيق البرنامج العملي وهذا إنما يكون بشعور المرء أنه يعمل في مجالات المومنين ووفقا لأمر الله وهذا فيه بيان دور الدين في توجيه الطاقات وتحريكها لأن النفس قد تميل وتقتنع وقد يتأثر الإنسان بالرغبه والرهبه لكن الطاقه في هذه الأحوال تكون قليله مقارنة بالطاقه التي يطلقها الدين في الفرد والمجموع فهو اكبر وأعمق من كل مايتاثر به الإنسان من التجارب وهو أوضح وأبين في تحريك الطاقه من كل قواه

ولهذا تعطينا النصوص نماذج عمليه لتربيته المومنين والذي قامت عليه حضارات الاسلام في مجتمع وبيئه لم تعرف النظام والانضباط ولا الدول وانما نشاوا في بيئه العصبية والوحشيه فاحدث فيهم الاسلام هذا التحول العجيب فيما تعجز عنه كل النظريات فالنداء يبين الشعور بالمسؤولية عن وشيجه الايمان وحرص المومنون علي القيام بالالتزامات التي توجهه هذه الوشيجه أنهم يتعبدون بتنفيذ الأوامر ويقدمون التضحية الصادقه وهو عنصر اندماج الحياه بين المومنين ولهذا يشكل امتثال الأمر الإلهي جوهر الايمان وقوه الدوله ولذلك يقول الله عليكم ايه المومنون اذا لقيتم أناس اذا خرجتم للقتال في سبيل الله فوجدتم من بدأ بالسلم بأن قال لكم السلام عليكم أن تتوفقوا عن القتال وتبثثوا في مساله صدق هولاء من عدمه فقال تعالي (اذا ضربتم في سبيل فتبينوا ولا تقولوا لمن القي اليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الحياه الدنيا)

حيث أن أسباب النزول أن سريه من المسلمين خرجت لقتال المشركين فلقيت رجلا معه غنم فقال السلام عليكم قاصدا أن يفصح عن حاله أنه مسلم فاعتبر البعض أن تلك كلمه قالها لينجو بنفسه فنزلت الايه للنهي عن مثل هذا التصرف وتنفض عن قلوبهم الطمع بمصالح الدنيا بأن عليهم ايثار الاخره علي الدنيا فهي لاتساوي شيئا (تبتغون عرض الحياه الدنيا فعند الله مغانم كثيره)

انتبهوا من التسرع في الحكم نتيجه الطمع في الدنيا فعليكم الزهد عن الدنيا والنظر الي ما عند الله من جنات

يتمتع فيها المطيعون الذين اتصفوا بايثار الاخره علي الدنيا وهذا الأسلوب فيه بيان دور الدين في توجيه الطاقات وتحريكها نحو الخير يقول لهم أن المبادئ والقيم هي التي تستحق التضحية لأجلها وليس المصالح الماديه فالذين يقدمون التضحيات لأجل القيم والمبادئ هم الفائزون بعكس الذين يضحون للمصالح فسرعان ما ينسي ما قدموا

فوظيفه الدين أن ينشد الإنسان الاتصال بنا يومن أنه يقف وراء كل تجاربه (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)

يقول للمومنين أن يتحروا عند خروجهم للجهاد عدم إلحاق الضرر بالغير وان يطهروا أنفسهم من حب الدنيا ومتاعها فالله هو الرزاق وعنده المغنم العديده وان يتذكروا التجارب التي عاشوها قبل الاسلام فهم كانوا كافرا فاما لامر لا يقف عند تذكر من يقف وراء التجارب التي عاشوها بل رؤيه انعام الله وان تكون تجاربه أمام عينه حاضره يعي بها سر الوجود (فمن الله عليكم) فالتجربه هنا تكون خير واعظ تمنع الاستعجال بإطلاق الأحكام (فتبينوا) لأن من مناجاه الله تكشف للعقل البشري الحقائق بعكس حقائق الكون المتفرقه اذا لم ترتبط بالله فإنها تجعل العقل عاجزا عن الإدراك لانه ينظر للكون كانه اشياء مشتتة بين أرباب متفرقه وذلك يوذي الي تسلط اراده الطمع بالدنيا غيرها من الأهواء علي اراده الإنسان وتوجهها الي غير جهتها ولهذا يبين اهميه قراءه الاشياء من خلال ربطها بمراد الله وبالشعور برقابه الله وأنه لا يخفي عليه شي فقال تعالي (أن الله كان بما تعملون خبيرا)

المقطع التاسع من سوره النساء

جاءت النصوص بعد تناول العلاقات مع الدول الأخرى ومواطنيها والأساس الذي تقوم عليها فكره الجهاد واغراضه وغاياته وأهم تلك الاغراض هو رفع الظلم عن المظلومين وتحرير الإنسان من تسلط الوثنيه الدينية والسياسية واي شكل من الأشكال التي تضع قيودا علي حريه الإنسان تأتي النصوص للحث علي الجهاد بكل معاني الجهاد ليسود العالم العدل والمساواة والحرية والحث علي الانتقال الي دار الإسلام بالهجرة من ديار الكفر تدم المتخلفين عن الهجرة نتيجته التمسك بالمصالح وحب الراحة في الوطن وبجوار الأهل والأصدقاء للتحذير من ذلك يأتي القرآن بمنهج تربوي وتعليمي فيه اعاده ترتيب أوضاع المومنون ليكونوا جزء أصيلا من المجتمع المسلم وان المتخلف يعاقب بعد موت وماواه جنهم ويستثني من ذلك العاجزين عن الهجرة لعدم وجود الحيله للهجرة وعدم الاهتداء لوسيله ثم تعالج النصوص البواعث علي التكاسل والرضا بحكم الكافر من خلال بيان أن الأرزاق بيد الله وان الأرض كلها وطن للمسلم وان مواجهه الازمات والتحديات يتطلب الصبر والصلاه والثقه بالله فهو كفيلا باجرك أن هاجرت في سبيله من لحظه خروجك من بيتك ثم تأتي النصوص لتقويه الطاقات العزائم والهمم للمومنين لمواجهه الازمات والتحديات بأن الاتصال بالله يميزهم بقوه يفتقدها الكفار فعليهم الثبات ليقوم المومن بمهمته في رفع الالم عن البشريه كلها وتأسيس نظام عالمي يحترم فيه الإنسان وحرية في التدين ولهذا سوف نتناول تأويل النصوص والمفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال الآتي

القسم الاول

(لا يستوي القاعدون من المومنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي القاعدين درجه وكلا وعد الله الحسني وفضل الله المجاهدين علي القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفره ورحمه وكان الله غفورا رحيما)

اولا

ذهب المفسرون الي القول أن الايه تتناول بيان الفارق بين الذي يبذل نفسه بالتضحية في سبيل الله ويبذل ماله لنصره الحق وتأييده وبين الذي يقعد عن الجهاد رغبه في الراحة والحرص علي الحياه ويمسك أمواله عن الإنفاق بخلا وشحا مع أنهم مخلصون وصادقون في إيمانهم فهو لاء ليس لهم عذر فذكرت النصوص بأن المجاهدون افضل من هؤلاء مكانه ومنزله... وأن هنالك متخلفون عن الجهاد لعذر كالمريض والفقر والعجز يكون له الاستواء مع المجاهدين بالأجر.... فإذا أخذنا بهذا التأويل فانه يفهم من هذا أن هنالك تخلف عن الجهاد من قبل فئه من المومنين وهنالك افات تحتاج اعاده ترتيب الاحساس واثارتها للوصول إلي الكمال الايماني اذا اعتبرنا أن القعود بمعني السكون والجلوس وعدم النهوض بالقتال وبالتالي فإن المعلوم أنهما لا يستويان عقلا ومنطقا فما فائدة نفي الاستواء بينهما اذا والحال كذلك ؟

ثم كيف يأتي الوعد من الله للجميع بالحسني بما فيهم المتقاعس المتخلف عن الجهاد والله قد قال في موضع آخر (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله... الخ ولهذا فإن المراد بهذا الحث علي الجهاد والتاهب للقتال وعدم الاسترخاء والنص فيه اهميه اعاده ترتيب الاحساس واثارتها للوصول إلى الكمال و الرقي بحيث يكون كل فرد من أفراد المجتمع المسلم جنديا مستعدا للتضحية بنفسه وماله في سبيل الله حيث أنه بامعان النظر لمدلولات النصوص نجد أنها تتناول المفاهيم الآتيه

الأمر الأول

يقول الحق سبحانه وتعالى أن الوصول إلي الكمال الذي يتطلع له كل مومن يتطلب الانتقال بالرغبه في نصره

الحق وتأييده الي مرحله الاراده اي ارداه التطور والوصول الي الكمال فلا تكفي مجرد الرغبة للحصول علي الكمال فمنازل المومنون متفاوتة ومختلفة باختلاف حظوظهم من البذل والتضحية في مواطن الدفاع عن الحق ولهذا فإن تحويل الرغبة الي اراده يتطلب ان تكون الرغبة مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع والإصرار المتواصل المقصود ولهذا استعمل لفظ القعود والذي يقابله النهوض ولما كان مفهوم لفظ القعود أنه كالجلوس وهو يدل أن ذلك كان بعد القيام مثلما أن الاضطجاع يكون عن جلوس فيقال كان قائما فجلس خاصة وان الايه وردت بعد ذكر القتل والقتال فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله.... الخ واختتمت بقوله تعالي (وكان الله بما تعملون خبيراً) وذكر بعدها (لايستوي القاعدون من المومنين....)

فكان المجاهد كان قائماً فقعد بعد الغزوه ولهذا وردت النصوص مبينه أن اراده الكمال وارده انتصار الحق يتطلب ارده قاطعه وهذا إنما يكون بالاصرار والشعور انك اداه تحقيق انتصار الحق لاتركن علي غيرك وتعتبر ان دورك انتهى بانتهاء المعركه فلا بد من الإصرار المتواصل المقصود ولهذا فعليك باليقظه من اغتيال قوه اردتك وتطلعك الي المنزله التي يحظي بها المجاهدون وهذه القوه تستمد من خلال الاحساس والتطلع للسعاده الابدائيه فلا تضعف ولاتركن علي قيام غيرك بالواجب وهذا يقتضي أن تكون في يقظه دائمه وتحديد الهدف من خلال النظر إلي مايحققه من مكاسب ورفعته في الاخره فاختلف المنازل في الاخره مرتبطه بحظ العبد من التضحية بالنفس و المال

فأراد الحق بهذا الحث علي الجهاد بالاصرار المتواصل والتطلع نحو الهدف من خلال وضع اردتك في قالب واحد وهو السعي لتحقيق الهدف (في سبيل الله) فلا تركز علي أحد للقيام بالواجب وهذا يقتضي أن تكون في يقظه دائمه وان تتخذ هيئه المقاتل في كل وقت فلا تنتظر حتي تكلف بالقتال ولاتقعد بعد عودتك من المعركه وتظن أن غيرك سوف يكمل المشوار عليك الإنتباه وان تحس من لحظه دخولك الاسلام انك جندي مدافع عن الإسلام ونصرته وتأييده في المجال الذي انت فيه ومن موقعك عليك أن تكون مستعدا وواقفا علي صهوه جودك وممسك باللجام حتي لايدهمك العدو فالكلمه سلاح لا يستهان به إذا كنت إعلاميا فعليك أن تكون مجاهدا من موقعك لنصره الحق وأهله فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (افضل الجهاد كلمه حق في وجه سلطان جائر)

والسياسي من موقعه والتاجر في مجاله مجاهد في سبيل الله

الأمر الثاني

يقول الحق أن كل مسلم عليه أن يوطن نفسه أنه جندي في سبيل الله فيكون في حاله تأهب قصوى واستعداد لبذل النفس والمال في سبيل الله فلا يكون الركون علي الجيش في الدفاع عن الاسلام ودحض الباطل فالجهاد فرض كفايه صحيح أن قام به البعض سقط الإثم عن الكل لقوله تعالي (ولولا نفر من كل فرقه منهم طائفه... الخ ولهذا قال تعالي (وكلا وعد الله الحسني)

لكن علي المومن أن يكون جاهزا وقائما فلا يقعد فمتي

كان الاسلام محتاجا له للدفاع والوقوف بوجه الظالمين فهو جاهز لتحمل مسؤولياته

ولهذا فإن النفي في هذا المقام اذا اخذ معني القعود بما ذكر أنه جلوس بعد القيام فيه لفت انتباه المخاطبين الي اهميه اليقظه والاستعداد وعدم الركون علي الآخرين في القيام بأمر الجهاد فأراد بهذا طرد البواعث التي تؤدي الي التقاعس والكسل من القيام بالجهاد الذي فيه مشقه فيكون الجلوس استرخاء يولد حب الراحة والسكون اذا لم يتم الإنتباه لذلك فأراد بنفي الاستواء اعاده ترتيب أحوال هؤلاء ومعالجه هذا الضعف فهم من التهاون و التساهل فهم ليسوا من المنافقين الذين ذمهم الله في المقطع السابق بأنهم مثبتون ونواياهم سيئه.. ليس هذا - الهم فهم مومنون استقر الايمان في صدورهم وصادقون في الايمان ومخلصون لكن لديهم قصور خطير وهم

يحتاجون الي أن تحفزهم وتحثهم علي النهوض بالتكاليف حتي لايقعوا في الغفلة ولهذا فإن النفي يدق آذانهم بطرق اسماعهم بنفي المساواه فهذا لايمكن اي أن الحق يقول لهم أن الاستواء لمن كان صادق النيه ومخلصا بدون النهوض بالتكاليف أمر غير منطقي حتي وان كان هنالك من يقوم بالجهاد نيابه عنكم فلا تركز علي الآخريين

طالما أنك قادر علي الجهاد لانه إنما يكون انتفاء المسؤوليه عن التخلف والقعود لعذر كالمرض أو عدم وجود ما يحملهم وعدم النفقه فهؤلاء فقال تعالي (غير أولي الضرر) فهؤلاء هم الذين ليس عليهم حرج فالله يقول (ليس علي الاعمي حرج... الخ والحرج المنفي يعني الإثم فدل هذا أن هنالك إثم علي الذين لم يشاركوا من غير عذر اذا أخذنا معني نفي الحرج عن العاجزين فقط

فالحق يخبرنا أن الإسلام أن هؤلاء غير قادرين علي التاهب فإن قعودهم ليس رغبه في الراحة ولا بخل ولا حرص علي مال بل هنالك ضرر أفسد قدرتهم علي القيام والله لم يكلف أحد فوق طاقاته ولهذا فإن هؤلاء اقعدهم أمر خارج عن طاقاتهم وقدرتهم كالعجز والفقر أو عدم قدره علي القتال أو الانتقال الي ديار الإسلام فهذا يكون بمنزله المجاهد في سبيل الله لأن تخلفه لعذر وهذا إذا كانت نيته صادقه وهو عازما علي الخروج في سبيل الله لو كان بقدرته الخروج فإن نيه هذا غير نيه القادر علي الخروج وقعد لأن نيه هذا كان يمكن أن تتحول إلي فعل يترجم الرغبه لو كان بمقدوره ولهذا فهو يحصل ثواب المجاهد لأن المقصود من العمل وجميع الطاعات استناره القلب بنور معرفه الله تعالي ولهذا فإن المشاعر التي سكنت قلوب هؤلاء وصدورهم وحنينهم لانهم عجزوا عن مشاركه المومنين في الجهاد قد ولدت في قلوبهم النور ولهذا حصلوا علي الاجر فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أنس أنه قال إن اقوما ماسرتم من سير ولاقطعتم من ود الا وهم معكم فيه قالوا يارسول الله وهم في المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم حبسهم... الخ

فبين الحق متي تنفع النيه في الحصول علي ثواب عمل المجاهد وان لم يعمله فسقط عن هذا الإثم وحصل له الأجر لانه كان معذور وليس من كان قادرا علي ذلك لأن الجهاد مشتق من الجهد وبذل الطاقه بحسب قدره لما في الوسع فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولهذا فإن النيه لمن كان قادرا لا تكفي وحدها حتي ولو كان هنالك من يقوم به الجهاد صحيح أنه يسقط عنك الإثم والحرج لانه فرض كفايه لكن الواجب عليك أن تاخذ هئيه المقاتل لتكون علي استعداد لتلبية النداء فلا تركز علي الآخرين وتأخذ هئيه الاسترخاء بل عليك أن تكون في حاله تأهب وكانك واقفا منتظرا دورك للقيام بواجب القتال فهكذا تتحول الرغبه عند هؤلاء الي اراداه فالله يقول في ذم المنافقون (ولو اردوا الخروج لاعدوا له عده) فالاستعداد هو الدليل علي تحول الرغبه الي اراداه مبينا أنه عندها يسقط عنك الإثم والحرج ويكون لك الجنه ونعيمها لكن ليس بمنزله من ضحي بنفسه وماله في سبيل الله

الأمر الثالث

يقول الحق لعباده عليكم عند تلقي كلام الله وقراءته أن تتدبر معانيه وتفهم مقاصده وان تنظر إلي موقعك من هذه الكلمات فهذا ابن ام مكتوم عندما نزلت الايه (لايستوي القاعدون من المومنين) وأمر زيد بكتابتها وهو كفيف البصر بادر الي سوال الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين لماذا لأنه وضع نفسه فنظر إلي موقعه فعرف أن مدلول النص بهذه الحاله يفهم منها أن منزلته أقل من المجاهدين في سبيل الله وهو لا يستطيع الجهاد ولهذا كان علي يقظه وأنه يرغب أن ينال اعلي المنازل في الآخره فأخذت الرسول صلى الله عليه وسلم السكينه ثم سري به فقال لزيد اكتب (لايستوي القاعدون من المومنين غير أولي الضرر)

فقد وجد ابن ام مكتوم الجواب لسؤاله

وهذه الواقعه تعليمنا كيف نستحضر الآيات ونحن نقراءها بحيث نشعر أننا المخاطبين بها فننظر الي موقعنا فلا

تسمع باذنك شيئاً حتي تفهم المطلوب منك ودورك وموقعك منها لتلافي القصور

ثانيا

تبين النصوص ضروره معالجه الازمات التي تعصف بالمؤسسة من خلال ادراه قادره علي صقل المواهب واتاحه الفرصه للمبدع لظهار إبداعه ولهذا ذكرت النصوص السابقه اهميه الشعور بالرقابه فقال تعالى (وكان الله بما تعملون خبيراً)

للتحذير من تجاوز الحد أثناء الجهاد بالانحراف عن أغراض الجهاد الي القتل لأجل حطام الدنيا فغياب الرقابه يودي التسبب وتراكم الأخطاء فأخبرنا أنه لا بد من وجود نظام الرقابه في اداره المؤسسات

وهنا تأتي النصوص مبينه اهميه استخدام التحفيز والمكافاه في الاداره ولهذا فإن شعور العامل أن عمله سيكون محل تقدير يدفعه للانجاز والإتقان فاذا ساوت المؤسسه بين المنتج والمهل في عدم وجود مكافآت فإن هذا يدعوا لإهمال المجد ولهذا نبه القران الي خلل هذا المنهج فقال تعالى (لايستوي القاعدون من المومنين غير أولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله)

فالحق ينبه الي اهميه وجود حوافز واعتماد نظام المكافآت ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يذكر هذا التفضيل بصوره متحركه قادره علي الوصول إلي أذهان السامع للحث علي الجهاد من خلال الآتي

١١

ابتداء بذكر التفضيل مجملاً فقال تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي القاعدين درجه وكلا وعد الله الحسني)

فذكر أن المجاهد الذي ضحي بنفسه وماله في سبيل الله اي مخلصاً بذلك الفعل لاعلا كلمه الله هذا محل تفضيل من الله اكبر من القاعد عن القيام بتكاليف الجهاد وان هذا التفضيل درجه

وهذا حافزا يدفع الضعفاء الذين تكاسلوا وقصروا عن القيام مع صدق إيمانهم فالصوره التي ترسمها النصوص في الأذهان تولد طاقه روحيه تحول الاماني والرغبات الي أفعال لأنه يشعر أن هنالك تفاوت ومرتبته سبقه إليها الآخرون وأنه إذا أراد الوصول إلي المرتبه والمنزله عليه تحمل المشقه عليه أن يأخذ مكانه في جماعه الايمان ويودي دوره فالتنافس علي اعمال البر

والنصوص تبرز صوره الضعف في الصف المسلم لبيان انه مهما وصلت اي دوله أو جماعه من التفوق فلا بد أن يوجد فيها ضعف ولهذا عليك معالجه تلك الأمراض من خلال المكافآت لأجل أن تصقل المواهب وتشجع علي الاداء بين أفراد المؤسسه

وبنفس تعالج داء النفوس من الشح والحرص والضعف من خلال اعاده اثاره الاحساس وإجراء عمليات تربويه وتعليمه ودعويه حتي يتهيأ العقل والقلب من جديد لفهم مدلول الجهاد فهذا التحفيز والمكافاه لمن يمثّل أمر الله ويقوم بالجهاد في سبيل الله ليبدل علي قيمه الجهاد بأنه عنصر اصيل في العقيدته والنظام الاسلامي فهو فرض كفايه صحيح فإن قام به البعض سقط الإثم عن الامه ولهذا قال تعالى (وكلا وعد الله الحسني) فهذا الاستدراك يدل علي ذلك لأن الوعد الحسني هو بالجنه لحسنها وهذا إنما يكون للمومنين فيستحيل أن يوعد الله القاعد بالجنه لو لم يكن الجهاد فرض كفايه ولهذا فإن المراد بهذا هو الحث علي الجهاد مقرونا بالحوافز والمكافاه فالإسلام يهدف إلي السمو بالإنسان والارتقي به فيقول لنا أن الجهاد وان كان فرض كفايه فهو إنما يسقط الإثم عنكم بفضل قيام من استحقوا التفضيل بالقتال نيابه عنكم ولهذا فهم أهل فضل عليكم ولهم منزله ومكانه افضل منكم فالجهاد ضروري لأن أعداء الإسلام يتربصون بمبادئ العقيدته الاسلاميه فمن سوف يحمي هذه القيم لو تقاعس

الجميع وبالتالي لابد أن يحس ويشعر الجميع بالمسؤولية وان تكون مستعدا للقيام بواجبك متى كان هناك احتياج لك في ميادين الجهاد

٢

أن الحق سبحانه وتعالى لم يترك قاعده عدم الاستواء مبهمه فبين الفارق فقال تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي القاعدين درجه)

فأراد بهذا غرس الحرص علي التنافس علي الوصول لهذه الدرجه التي ترمز للكمال وترسم في الذهن صورته بعد المسافه في التفاوت بالمنزله بينهم فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدرجه فقال ان في الجنه مائه درجه أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)

وحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال من رمي سهم فله اجره درجه فقال رجل يا رسول الله ما الدرجه فقال له الرسول أنها ليست بعته امك ما بين الدرجتين مائه عام)

فالتمثيل لبيان بعد المسافه بينهم يعطي صورته تقريبيه في الذهن أنها تفوق التصور وأنها منزله عظيمه فاستعمل ألفاظا (ما بين السماء والأرض)(ومائه عام) للتعبير عن مافيه اقصي البعد المكاني والزمني الذي يعرفه الإنسان لتقريب الصورة في الذهن بما يمثل أقصي شيء يعرفه الإنسان من حيث المكان أن ابعد شيء يعرفه من حيث المنازل بالنسبه للمكان هو بعد السماء عن الارض وبالنسبه للزمان فاقصي شيء يعرفه الإنسان أن أكثر شيء يعيش الانسان فيه مائه عام فيقال لمن تحب أن شاء الله تعيش مائه عام

فأراد بهذا تضخيم المنزله ليكون التنافس عليها وايضا فإن هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمان للمؤمنون وهم لا يعرفون الابعاد بين الكوكب وهم يصدقونه فكيف لانومن نحن في وقت أصبح العلم متاحا لنا وهو يخبرنا أن الضوء يقطع المسافات بين كوكب واخر في مئات السنين الضوئيه فالدرجه فيها الرقعته فمن يدرك هذه المنازل نال السعاده الحقيقيه

٣

بعد هذا الإبهام تأتي النصوص بتفصيل هذه المنزله التي يحظي بها المجاهدون في سبيل الله فقال تعالى

(و فضل الله المجاهدين علي القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفره ورحمه وكان الله غفورا رحيما)

وبعضهم قال إن الاولي (درجه) هي للفارق بينهما في الدنيا وان هذه الايه هي للرفعه في الاخره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللآخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

ودرجات الاخره مبيته علي درجات الدنيا من قوه الايمان بالله وإيثار رضاء الله علي الراحه وترجيح الاخره علي الدنيا والشهوات ولهذا قال تعالى (اجرا عظيما)

للاشعار أن ذلك التفضيل هو اجر لأعمالهم وذكر بعدها درجات منه أي عطاء زياده بدل من أجر مبيين لكميه التفضيل منه صفه للدرجات فهي داله علي ضخامه الرفعه فهي من الله تعالى ثم ذكر (ومغفره) وهي محو الذنوب اشارة الي التخليه قبل التحليه فقال (ورحمه)

وذكر أنه غفورا رحيما...للحث علي الجهاد والإسراع بالتهايب التام والاستعداد الكامل لبذل التضحية بالنفس وبذل المال في سبيل الله وعدم الابطاء فالقيام اشارة لذلك والعودة اشارة الي الابطاء عن القيام ولهذا ذكر الثواب لتقويه العزائم بالتطلع الي الفرق الذي فيه الرفعه لتيادر من موقعك متاهبا لنصره الحق فتلك المنزله تختلف باخت

لاف حظوظ العباد من البذل والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله

القسم الثاني

بعد أن ذكرت النصوص فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي القاعدين ذكرت النصوص حال قوم اخلدوا الي السكون وقعدوا علي مافي قعودهم من الذل والهون وضياع الايمان والوقوع في الفتنة في ظل حكم الكفار الظالمون فقال تعالي (أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا إن كنا مستضعفين في الأرض قالوا لم تكن أرض الله واسعه فتهاجروا فيها

حيث أنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

ابتدات النصوص بنقل صورته لحال قوم اسلموا ولكنهم لم يهاجروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وظلوا بمكة حرصا منهم علي الراحة وخوفا من مشقه الهجره لأن المشركون كانوا يتربصون بالمهاجرين ويمنعونهم ويرصدونهم بالطرق فلما حاول المسلمون التعرض لقايله قريش فقد ادي ذلك إلي قيام قريش بارغامهم علي القتال في صفهم وقتل بعضهم في بدر فالحابس هو حرصهم علي المال والمصالح والنصوص تنقل صورته هولاء عند الاحتضار اي عند الموت فقال تعالي (أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)

فالحق يقول أنظروا الي حال هولاء عند الموت لتروا نهايه الذي يتنازل عن حريته وعن كرامته مقابل الراحة قرب الأهل والأصدقاء كيف هي نهايه من لايقاوم الظلم والشر والعدوان فهو يخسر نفسه ..أنظروا لحاله في لحظه الا حتضار والملائكة بجوراه تقبض روحه واستعمل لفظ الجمع (توفاهم الملائكة) والمراد به ملك الموت وانما أراد التهويل لهذه اللحظه حيث أن المومن تنزل الملائكة لتطمئنه فقال تعالي (يايها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضيه مرضيه) وقال تعالي (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنه التي كنتم توعدون) أما هذا فهي تجعله يجد الخوف فالمواقف بذاته مرعب لتنظر نهايه الراحة التي حستك علي الاتحاق بركب الايمان لتنظر الي نهايه الراحة الزائفه يكفي أن تخاف من الموت وانت ظالم نفسك فهذا يكفي كي تراجع حساباتك أما بعد الموت فما فائده أن تعرف ظلمك لنفسك فإنما المراد بهذه القصة كي تعود إلي الصواب وتستغل الفرصه لإنصاف نفسك قبل أن يداهمك الموت

فالتوفي تعني انقطاع العمل

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه مقاومه الظلم ومحاربتة فالاسلام إنما شرع الهجره لمصلحه العبد فمن بلغته الحجه وأمن بالا سلام ديننا فإنه لايجوز له الاقامه في ديار الكفر اذا كان لايسمح له بممارسه دينه ولايقبل المومن سلطان غير المسلم فيجب عليه الهجره ولايعذر الا لعذر شرعي لمرض ونحوه وهذا أمر في كل زمان ومكان أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا هجره بعد الفتح) فهذا محمول علي الهجره الي مكة فإنه بعد الفتح لم يعد هنالك حاجه للهجره

ولهذا فإن النصوص تبين أن الإسلام يستهدف الحفاظ علي قوي الإنسان والنوع الإنساني والرقى والسمو به ولهذا فإن الهجره إنما شرعت لمصلحه الإنسان وإلا فإن الله لا حاجه له الي مضمرة إيمانه في بلاد الكفر ولا الي معلن إيمانه في ديار الإسلام

ف الله يقول إن كرمه الإنسان التي هي هدف الإسلام تفرض عليه أن يدفع جميع وجوه الظلم والضميم والذل وإذا قعد عن ذلك فإنه يتنازل عن إنسانيته وادميته ولهذا فعلي الإنسان المومن مقاومه الظلم بما يمتلك من قوه فإذا

كان تسلط الظالمون فوق قدرته فقد جعل الله لك سلاح اخر تحمي افكارك وعقيدتك وانسانيتك وهو الهجره الي ارض تجد فيها الحريه والعدل والمساواة فالرسول صلي الله عليه وسلم قال للمومنين عندما أمرهم بالهجره الي الحبشه أن فيها ملك لا يظلم عنده احد فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم المعيار هو وجود العدل الذي يحفظ كرامه الانسان

ولهذا تبين النصوص أن الذي يفضل القبول بحكم الظالمون علي الهجره وترك الديار بأن هذا ظالم لنفسه لانه تنازل عن كرامته وادميته ولهذا يوضع محل الاتهام ويتم تلاوه قرار الاتهام عليهم لحظه الاحتضار بجريمه ظلم أنفسهم كمقدمه لمحاكمتهم علي هذه الجريمه فيقول لهم الملائكه (فيم كنتم)

سوال مفاده ما الذي جعلكم تتخلون عن الهجره مثلما فعل إخوانكم المومنون ما هذا الحال الذي انتم فيه فيحاول هولاء التعلل بأنهم كانوا مقهورين نتيجه وقوعهم تحت هيمنه الكفار فلا يقبل منهم العذر فالمومن عزيز بالله كريم علي الله وطاعم الظلم لاكمه ولاعزه له وبالتالي فلا عذر لهم إلا في ظروف استثنائية محددده فقد كان بمقدورهم الهجره والكفاح في سبيل الفرار بدينهم

الأمر الثالث

تطلق النصوص علي من يتنازل عن كرامته وصف بأنه ظالم لنفسه فمن الظالم أنه هذا الذي يتنازل عن ادميته ومن المظلوم هي نفسه وهنا قد يقول كيف يكون ظلم النفس

هذا فيه بيان عن أن الكرامه الانسانيه مغروسه في فطره الإنسان ولهذا تحدث معركة جدل وحوار بين رغبات النفس من الشهوات وبين المسؤوليه الشخصيه الإيمانية التي تعرف الحق حيث يكون هنالك حوار بينهما كلا منهما يشد من جهته فإذا كان الإيمان صادق المستقر في النفس وتغلب علي نوزاع النفس حينها تكون النفس مطمئنة بهذا الايمان أما إذا كان الايمان متزعزع وحصل تغلب النوزاع النفسانيه علي الإيمان فطاوع نفسه ولبى رغباتها حينها يكون تابعا لاهواءه كما قال تعالي عن ابني ادم (فطوعت له نفسه قتل أخيه)

فنتيجه الصراع بين نوزاع النفس وبين المسؤوليه الشخصيه الإيمانية انتهت بقبول نوزاع النفس وبهذا يكون ظالم لنفسه لمخالفته المنهج كما ذكر الشعرواي رحمه الله

فهؤلاء ظلموا أنفسهم لحرمانها من العيش في ظل الحضاره الاسلاميه التي تصون الكرامه ظلموا أنفسهم لانهم اختاروا العيش تحت حكم الكفر في وقت كان بمقدورهم الهجره والفرار بدينهم

ظلموا أنفسهم عندما استجابوا لشهوات النفس ولم يزكوها من الاوساخ فلا يقبل بالظلم الا صاحب النفس الخسيسه والحقيره

فترك العمل بالحق خوفا من اذي الكفار وفقدان الكرامه عند ذوي القرابه المزعومه فمسايره الباطل ومداهنته فيه ظلم الناس وكما قال تعالي (ومن الناس من يقول امنا فإذا اودي في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله)

ولهذا سمي هذا الفعل ظلم للنفس للتحذير من القبول بسلطه الأمر الواقع التي تسلب الحقوق فاللازم مقاومه

ذلك أو الهجره فالإسلام بالأمر بالهجره يريد أن يسمو بالإنسان الي الكمال حتي لاتستهلكه معركة مطالب الأمن فالإنسان خلق حرا وميزه الله بالعقل فحين ياكل ويامن يستطيع أن يفكر بهدوء ولهذا كيف يكون لمن تفزعه سيات الجلادين ومقارع الطغاه أن يجد فسحه وقت وهدو بال وحصافه عقل وحصيله علم ليفكر في الأديان والمذاهب ويتأمل

الأمر الرابع

تقرر النصوص اسس نظره الاسلام للإنسان بأن له الحق بالعيش الكريم والحريه في اختيار دينه ومعتقداته ولهذا يامر بالهجره اذا تعرضت الكرامه الانسانيه للظلم وان عليه السعي الي مافيه السمو حتي لاتستغرقه معركه القوت والامن وتنقل النصوص صورته قبيحه لمن يتنازل عن حريته وكرامته فالإسلام لا يريد في صفه من يقبل الذل والهون ولهذا تأتي النصوص بأسلوب الحكايه لحال هولاء عند الاحتضار لتبين أن من كان حاله مثلهم فهو زاعما للإيمان أنه ايمان مؤقت يهتز عند أول عاصفه ولهذا لم يقف مستويا في صف المومنون وهو ما جعل الملائكه يسألونهم ماهذا الحال الذي كنتم فيه لماذا لم تنتظموا في صف أهل الإيمان لماذا لم تطلبوا النجاه في طريق الاستقامه لماذا هذا الميل فانتم امنتم بالله وقتلتم مثل المومنون آمنوا بالله وقد قطعتم نصف المشوار لتجدوا الامان في هذا الموقف فالله يقول (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال القاضي عياض (اي وحدوا الله وامنوا به ثم استقاموا فلم يحميدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلي أن توفوا علي ذلك

فلاعتصام يكون بالإيمان بالله ثم الاستقامه كما ورد أن أحد الصحابة قال يارسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال الرسول صلى الله عليه وسلم (قل امنتم بالله ثم استقم)

وقال عمر بن الخطاب (استقاموا) لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وقال ابو العاليه الرياحي الاستقامه في ثلاثه اتباع الكتاب والسنة ولزوم الجماعه

ونحن نعرف أن الملائكه تنزل عند الموت لتبشير المومنين أما هولاء فالحاصل هو التوبيخ (فما كنتم)

فدل أن التوحيد دون الاستقامه لامعني له وأن الميل والانحراف عن التوحيد من هولاء هو قبولهم بالذل والهون في ظل حكم الظالمين وهذا ماترسمه الآيات في نفي العذر لما تغل به المخالفون بقولهم (انا كنا مستضعفين في الأرض) اي كنا اذلاء فالايه تصور قبح حالهم بقولهم المعبر أنهم عاشوا حياتهم في غايه الذل حتي اخر لحظه في حياتهم وهم يلفظون أنفاسهم حديثهم بذل والمسلم لا يكون كذلك

ولهذا يأتي الرد بأن هذا العذر غير مقبول (الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها)

بأن العذر غير مقبول لانه كان في مقدورك الفرار بدينك

ثم ذكرت النصوص بعد ذلك مصير هولاء (اولئك ماوهم جهنم وسات مصيرا)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الحق يريد منك أن تتحرر من كافه الضغوط التي تقيد حريتك ولهذا يأتي التوبيخ (الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها) اي هذا عذر غير مقبول فالعجز الحقيقي هو القبول بالذل والهون والاستضعاف و أنت من صنع العجز لنفسه لانك سلكت بنفسك ومالك دون الله بأن وضعت روابط نفسك بالاسباب ولم تتوكل علي الله وأما الذي يضع منهج الله فوق كل شي ويثق بالله ويتوكل عليه فهذا لن يكون عاجزا فهذه الحججه لم تقبلها الملائكه

فقالوا لهم لماذا لم ترحلوا الي اي بلد آخر فيه العدل لتحرروا أنفسكم من رق الذل الذي لايليق بالمومن ولهذا تأتي بذكر مسكنهم في الاخره (فاولئك ماوهم جهنم وسات مصيرا)

استخدم اسم الاشاره الذي فيه البعد لبيان بعد منزلتهم عن المومنين وكان الانتقال من الخطاب المتكلم الي الغيبه ليرسم لك النهايه فهولاء اردوا الراحة بقرب الأهل في الدنيا علي الهجره ومافيه من مشقه فقال تعالي (ماوهم

جهنم) فقد كان لهم مسكن الجحيم في جهنم كما كان ماوهم في الدنيا دار الكفر فهم خافوا من مقاومه الظالمين خوفا من المستقبل في المدينه فأخبرنا الله بقبح نهايه هؤلاء

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن علي المومن التخلص من أن يقع اسير العاده والمالوف فالمسلم عليه أن يوطن نفسه علي هجره العادات ولهذا فإن الحج تدريب اجباري علي تغيير الأرض فالهجره للوطن الي ارض اخري ليس للسياحه والمتعه وانما في سبيل الله

والمسلم في حركه وقد تدعوه الظروف الي الهجره فلا يمكن أن تحتجز المسلم ارض دون ارض فالله يقول إن أرضه واسعه (الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها)

فالملائكه توبخ هذا الذي رفض الهجره وعاش ذليلا مقهور فتقول له انت الذي صنع لنفسه تحديدا في بقعه معينه

وإلا فإن ارض الله واسعه وانت خليفه الله في الأرض فالله قال (اني جاعل في الأرض خليفه) فقد جعل الأرض كلها مسرحا للنشاط البشري كوحده تتدوال عليها الأجيال دون أن تحتجز الإنسان ارض معينه فالارض كلها لله وهي مسخره للإنسان ليقوم بالخلافه ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجره الي الحبشه لأجل حمايه المسلمين وتوفير الأمان لهم في ارض الحبشه فقد كان فيها ملك لا يظلم أحد ولهذا فإن السعه في دار الكفر (ارض الله واسعه) تكون أن النظام لا يوزي الناس ولا يمنع الناس من ممارسه اديانهم والدعوه الي الله

والهجره شرعت في الإسلام لأجل

١

لمقاومه الظلم والاضطهاد فاللازم التصدي للعدوان خاصه في أمور العقائد بحيث يكون المسلم حرا في ممارسه الشعائر الدينيه والدعوه لدين الله فإذا وجد المحاربه أو كانت قانونيين الدوله تمنع المسلم من ممارسه عقيدته فاللازم علي المسلم الهجره في هذا الحال

٢

لتلقي العلم والتفقه في الدين أو أي علوم تعود بالنفع علي الامه

٣

لنصره دوله الاسلام اذا لابد للمسلمين من دوله قويه تقيم شريعه الاسلام وتنشر دين الله ولهذا فعلي المومنين الهجره الي الأرض التي تقام فيها تعاليم الإسلام

فإذا تعرضت لخطر يهددها من الأعداء وجب علي المومنين الهجره إليها لمواجهة المخاطر التي تهدد الدوله مهما بعدت أرضهم والا كانوا راضين ومساعدين للأعداء علي ابطال الدعوه وتشريد الدعاه

وايضا فإنه إذا كنت في دوله كافره محاربه لدوله الاسلام فاللازم الهجره من الدوله المحاربه لدوله الاسلام لأن امت لأك جنسيتها قد يرغمك علي محاربه دوله الاسلام مثل استدعاء مايسي في الوقت الحالي قوه الاحتياط

وقد كانت هذه الأسباب متوفره في أمر المومنين بالهجره

الأمر الخامس

تأتي النصوص بالاستثناء فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيله ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسي الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفورا)

أن العذر هو للعاجزون حقيقه وهم الشيوخ والنساء والاطفال الغير قادرين علي الهجره لفقر وضعف ومرض وان الله سوف يتجاوز عن ذنبهم فهو يستر الذنوب ويغفرها مهما عظمت لمن يشاء وهذا فيه

المساله الاولى

أن الحق سبحانه وتعالى يبين أن عذر هولاء لهم خصوصيه فهم ليس لديهم قدره علي الهجره أما بحكم طبيعته هذه الشريحة لكبر السن او النساء أو الاطفال والذي يمثل عائقا علي الحركه في الأحوال العادية فما بالك في مثل الظروف والملابسات التي أحاطت بظروف الهجره الي المدينه فقد كان المشركون يتربصون بالناس في الطريق مانعين لهم من ذلك

او لفقر فهم لا يجدون الرحاله والمؤونه والزاد للسفر وعدم وجود الطريقه والوسيله للفرار بالدين

المساله الثانيه

ربط العفو عنهم (لا يستطيعون حيله ولا يهتدون سبيلا)

وهذا لبيان ان العذر لا يكون إلا بعد المحاوله وبذل الجهد لأجل الفرار بدينهم من ظلم الطغاه

والحيله أنهم لا يستطيعون ولا يجدون حيله علي الخروج

والحيله من الخداع والتمويه ف جاء الاذن لهم باستعمال الخداع علي الأعداء كان تختلق قصه أو سبب للخروج من مكه مثل انك تريد العلاج ذلك أن الضعيف من مرض أو نحوه لا قدره له علي مواجهه العدو ولهذا ليس امامه سواء استعمال الخداع

فلا بد أن تبحث عن وسيله للخروج من قهر العدو فلا تستلم للاضطهاد والظلم وان كنت مريضا أو نحوه ذلك أن العجز بحيله معذور لقوله تعالى (ليس علي الاعمي حرج.. الخ ولقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا امرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم)

لكن هذا يتطلب منك بذل الجهد قبل التقرير بالعجز فاذا الحق سبحانه وتعالى بقوله (لا يستطيعون حيله ولا يهتدون سبيلا)

أن عليك عدم الاستسلام للعجز فعليك أن تشغل عقلك وتبحث عن مخرج والبحث عن الأسباب فموسي عندما كان هاربا من فرعون ومعه بني إسرائيل التفت قومه الي خلفهم فروا الفراعنه وراءهم والبحر أمامهم فقالوا لموسي (انا لمدركون) فقال موسي (كلا أن معي ربي سيهدوين) اي سوف يرشدني الي طريقه أخرج بها من هذا المازق ولهذا فإن الحق يقول لك اذا اردت العون الإلهي عليك أن تبحث عن الوسائل والطرق لتتجاوز المصاعب فلا تستسلم لحاله الضعف ولهذا يقول الحق (فاولئك عسي الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفورا)

وعسي للترجي وهي عن الله تفيد الوقوع بمقتضي كرامته وذكر العفو بهذه الكلمه لا الكلمه الداله علي القطع للبحث علي عدم الاستسلام لمشاعر العجز ولأن الإنسان شديد النفرة لمفارقة الوطن فقد يظن نفسه ضمن العاجزين المشمولين بالخطاب مع أنه ليس كذلك حقيقه فكان الحاجه الي العفو الشديد في هذا المقام اشاره الي تعظيم أمر

الهجره وان تركها جرم عظيم وأنه ينبغي للمومن أن يترصد الفرصه السانحه للفرار بدينه وان يعلق قلبه بذلك حتي تبقي مشاعره وإحساسه حيه لاتموت بالذل فكان مناسبا التعقيب (وكان الله عفوا غفورا)

أن العفو عن الذنوب التي لها اعدار صحيحه بعدم المؤخذة ومغفرتها بستر صاحبها بعدم فضحه في الدنيا والآخرة
القسم الثالث

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعه ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله ورسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع اجره علي الله وكان الله غفورا رحيمًا)

اولا

أن الحق سبحانه وتعالى يبين للدعاه كيف يكون استجلاب الاستجابه من المخاطبين للعلاج للأمراض التي تصيب فئه من فئات المجتمع المسلم فاللازم عليك التشخيص السليم للداء بحيث تدرك أسبابه لتكون وصفه العلاج قادره علي احداث العلاج ولتحصل استجابته الناس للعلاج

ولهذا فإن الحق بعد ذكر قبج وخطوره القبول بحكم الظالم علي الهجره جاء بالترغيب بالهجره في وسط المستضعفين بأسلوب وأفاظ قادره علي الوصول إلي أعماق النفس الداخليه للمشاعر الانسانيه حيث أن دقه التشخيص لدواعي التثاقل عن الهجره له عده اسباب أهمها أن ماجرت عليه العاده من أن الإنسان يهاب الأمر المخالف لما اعتاد عليه وانس به ويتخيل مصاعب ومشقات لاتكون لها وجود الا في خياله فيري أن هنالك عسرا في تغير أنماط حياته وهذه العاده حتي في حياتنا البسيطة فاحيانا تكون مستاجرا منزلا في مدينه ما وبرغم ضيق المسكن الا أنك تجد في الانتقال منه الي منزل آخر صعوبه ومشقه وتشعر أن هنالك قوه تنبعث من داخلك تحاول منعك من الانتقال تجد خيالات واسعه ترد الي ذهنك ترسم صورته معقده عن الانتقال من مخاوف اختلاف الإيجارات ومن مخاوف اختلال الميزانيه الشهريه و ضياع بعض ادوات المنزل عند الانتقال هكذا هي عاده الإ نسان أنه يهاب الأمر المخالف لما اعتاد عليه ويعسره علي نفسه بتلك الخيالات ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يعالج هذه الأوهام والمخاوف التي ترد الي النفس... فقال تعالى

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعه)

تضمن الوعد الإلهي لمن يهاجر في سبيل الله بالنصر والظفر علي اعدائهم وبما يحبون بتيسير السبل أمامهم وجعلها ميسوره ومن سعه العيش

فهم كانوا مستضعفون في الأرض فيقول لهم الحق إذا أردتم الخلاص من الاستضعاف فعليكم بالهجره فالله يعطيكم وعده أن انتم هاجرتم بنيه خالصه لوجه الله تعالى وفرار بدينكم أن يكون لكم إرغام أنوف الظالمين الخير والسعه فوق النجاه من الاضطهاد والاذي والذل

وهذا وعد بتسهيل السبل أن هاجروا في سبيل الله ووعد بارغام أعداءهم والظفر عليهم

الأمر الثاني

تستمر النصوص في معالجه المخاوف التي تدور في نفوس المستضعفين وتمنعهم من الهجره فالقران يعترف ب المشاعر الانسانيه ويضع الدواء لمعالجه ما يطرأ عليها من مشاعر تبعث علي التقاعس فساتين بالعلاج الفعال و القادر علي اثاره الاحساس الداخليه لاستئصال المرض من جذوره فالحق يعلم أن البعض يتخاوف من الموت في الطريق قبل الوصول الي الغايه نظرا لأن أغلبهم مرضي وكبار السن ولديهم ضعف ولأن الطريق فيها مشقه ومخاطر كبيره يغلب عليها الهلاك فالكفار متربصون بالمهاجرين ويمنعوهم من الانتقال الي المدينه

ويخافون من فقدان مصادر أرزاقهم أن انتقلوا الي مكان آخر كما هو حال الكثيرون في عصرنا الحاضر حيث نجد أن هنالك من يقبل الذل والهون ويتناول عن كرامته لأجل الوظيفة وخوف ضياع مصدر رزقه ولهذا نجد أن الحق يعالج كل ذلك ويربطه بالله تعالى من خلال غرس المفاهيم الاتيه

١

يقول لك الحق أن الرزاق هو الله والأرض أرضه فالرزق ليس مرهون بارض معينه ولا وظيفه محدده ولا مصادر معينه فالله هو الرزاق فلماذا تخاف من فقدان مصدر رزقك وتتنازل عن كرامتك وتقبل الذل ثم إن الأرض هي ملك الله وفيها مصادر رزق متعددة ومتنوعه وكثيره

٢

ان علي المسلم أن يوطن نفسه علي الهجره وتحمل المشاق والباساء والضراء كي يجد الغنائم وثواب الاخره وكي يكون لك القوه التي ترغم اعداءك بها فذكر المراغم كنايه عن الشده التي تحصل عليها بعد الضعف والهون فترغم أنوف اعداءك

٣

يقول لك الحق أن الظفر يتطلب ان تكون الهجره في سبيل الله والأمر يحتاج الي عزيمة وسلوك وعمل فمن صحت نيته قطع نصف الطريق فإذا تحركت في الطريق الصحيح بالاستقامه قطعت النصف الآخر واستحققت الا جر سواء بلغت المكان ام لم تبلغه طالما أن هجرته كانت لله وليس لأجل مال ولا ثروه ولا شهوه

ولهذا جاء الوعد لمن يموت في الطريق قبل الوصول الي دار الهجره (ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره علي الله)

بالأجر العظيم والضامن له هو الله بشرط أن خروجه من بيته كان لأجل مرضاه الله ونصره رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته واتباع سنته بعد وفاته

٤

تبين النصوص اهميه الهجره ولهذا نجد وعد الله المهاجر في سبيله بالظفر علي الأعداء وتسهيل أموره وتيسرها و العيش بسعه ثم الوعد لمن يموت وحصوله علي الاجر من اول خطوه يخطوها من منزله ويؤكد ذلك بصيغه التأكيد الجازمه وابهام الاجر بقوله (فقد وقع اجره علي الله)

تعظيما لها لانه جعله حقا واجبا عليه نفسه سبحانه وتعالى وهذا فيه تعظيم قدر الاجر فالله أوجب علي نفسه هذا الحق ولله أن يوجب علي نفسه مايشاء وليس لغيره أن يوجب عليه شئيا اذ لاسلطان فوق سلطانه

فناسب هذا التعقيب (وكان الله غفورا رحيمًا) فالله يغفر الذنوب لمن امتثال وهاجر في سبيل الله وترك وطنه ابتغاء مرضاة الله وهو له الرحمه الشامله

وقد ورد أن الايه نزلت في جندب بن ضمده حيث أنه لم سمع قوله تعالى (أن الذين توفاهم الملائكه... الخ

صعب عليه الأمر وكان في مكه وهو شيخ كبير فقال لأولاده احمولوني فانا لست من المستضعفين ولا من الذين لا يهتدون الي الطريق وأقسم أن لايبيت في مكه بعد ليلته تلك فحملوه علي السرير وتوجهوا صوب المدينه فما ت في موضع قرب المدينه فلما أدركه الموت أخذ يقول بكل صوته (اللهم هذه لك وهذه لرسولك صلى الله عليه وسلم ابايعك علي ما بايع عليه رسوله ولما بلغ ذلك الصحابه قالوا ليتها مات في المدينه فنزلت الايه

ورد التعقيب بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيمًا) باسمين من أسماء الله الغفور الرحيم بينما ورد في الآية قبلها (وكان الله عفوا غفورا) وذلك لبيان أن التنازل عن الكرمه والقبول بالذل والهون والعجز أمر شديد الخطورة ولهذا فإنه حتى المعذور بعذر يكون بحاجة الي عفو الله وستر خطاهه بينما ذكر هنا الغفران والرحمه لبيان عنايه الله وعظم أجر من هاجر في سبيل الله فالله قد أوجب حقا لهم علي نفسه وليس لأحد أن يوجب عليه فهو لاسلطان فوق سلطانه وانما هذا رحمه من الله بهم وهذا فيه بشاره لمن خرج مهاجرا في سبيل فمات بالأمن والفوز بالجنة والنجاة وقد ذكر في بدايه الآيات تأنيب الملائكه لمن ظلم نفسه بالقبول بالذل والهون لبيان ان عمل الملائكه لا يقتصر علي تسجيل الأعمال وقبض الأرواح وانما توعد النفوس الظالمه بالنار ويبشرون المومنون بالجنة فقال تعالي في موضع آخر (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكه الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا ب الجنة التي كنتم توعدون نحن اولياءكم في الحياه الدنيا وفي الآخرة) وتتبع رحمه الملائكه من رحمه الله واذنه فهم جند مأمورون وهم يصلون علي المومنون بأمر الله يتبعونه بالصلاه سبحانه وتعالى قال تعالي، (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الي النور وكان بالمومنين رحيمًا) فهو سبحانه وتعالى أهل الرحمه وهو أهل المغفره

القسم الرابع

بعد أن تناولت النصوص الحث على الهجره والخروج من أسر العادات وانه لا يمكن لحغرافيا تختزل المومن في نطاقها وربط ذلك بالغايه من الوجود الإنساني علي الارض وهو عباده الله وتوحيده وطاعته والقيام بأمر الخلافه علي الارض والتي فيها بيان النظرية الاسلاميه للإنسان بتكريمه من الله وانه لايجوز التنازل عن كرامته وادميته واحترامه مبينه أنه لتكون خليفه لآب من النهوض بالتكاليف وان الهجره الي دار الإسلام أمر ضروري وملزم فلا بد للإسلام من دوله والهجره تقضي ضربا في الأرض ويقتضي الجهاد فقال تعالي (واذا ضربتم في الأرض فلا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاه أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا أن الكافرين لكم عدو مبين)

وهذا فيه

اولا

ابتدات الآيات بالضرب الذي هو السفر لأن المسافر يحمل معه العصا وقد ورد الضرب في القرآن في مواضع عده في القرآن الكريم فقال تعالي (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون فضلا من الله) وقال تعالي (لايستطيعون ضربا في الأرض)

والضارب هو السائر الذي يمشي في الأرض فهو يطلق علي كل ما يسميه الناس سفرا كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وضربا في الأرض فإنه سفر ..ولهذا فإن النص جاء فيه بيان احكام السفر لظاهر الآية بالقصر للصلاه في السفر ولقاء العدو والمطر والمرض واصل القصر التضييق وقيل ضم الي أصله والقصر تخفيف من الله لعباد وهو عند البعض واجبا وهو الأرجح لقوله تعالي (لاجناح عليكم أن تقصروا من الصلاه) فيه نفي الحرج

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي حقيقه شعائر العباده من الصلاه والصيام والحج و الزكاة بأنه يقصد بها الجوهر لا المظهر حيث أن البعض كانوا يعتقدون أنهم أن أقاموا الصلاه وشعائر العبادات بأنها هي التي تعبر عن إيمانه وان تنازل عن كرامته وادميته وقبل بحكم الظالم ولم ينهض لمقاومه الظلم والاضطهاد

ولم يهاجر الي ديار الإسلام لاقامه دوله الاسلام فترسم النصوص أن الإسلام لايجعل صورته المثاليه للمومن بـ العكوف علي شعائر العباده من الصلاه ونحوه فقط بل لابد من السفر والعمل والجهاد ولهذا تأتي النصوص بمناسبة ذكر نوعين من الضرب في الأرض (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا) فذكر الهجره في سبيل الله وهو يقتضي السفر وكذلك الجهاد فالإسلام عندما أمر العباد بالهجره لأجل اقامه دوله الاسلام يقول لهم أيضا أنه لايسرق الإنسان من الدنيا ولهذا يقول له الحق أنه خليفه الله في الأرض ويخبره أنه سوف يجد في الأرض أرزق واسع ومتعدده فلا تحصروا الأرزاق بأرض محدده فارض الله واسعاً وعليكم الهجره إليها فيقول لك الحق أنه يريد من الأمر بالهجره أن تتحرر من الأوهام وان تشارك في بناء الدوله الاسلاميه في مقاومه الأعداء بالجهاد والمساهمه في العمران علي الارض بالعمل والإنتاج في الحياه فالخلافه تتطلب الجديه والحركه لا الخمول والكسل عليك أن تترك العجز والتخلف فأنت مسؤول عن تخفيف الالام عن البشريه ويجب عليك أن تتفاني في خدمه البشريه والقيام بالعمران ولهذا فإن الضرب مقصود منه أن تمشي بصلابه وعزم وقوه ولهذا كان التخفيف للعباد عن الفرائض والعبره في الصلاه وسائر العبادات بما تسكبه في أغوار النفس والضمان فالصلاه دعوه للفلاح فهذا هو المقصود منها فهي تنهي عن الفحشاء والمنكر ولهذا فإن القبول بحكم الكافر يعني أن الصلاه لم تسكب في نفسك جوهرها فهي الصله بين العبد وربّه التي تمنحه القوه والطاقه في كل المجالات ولهذا ذكر وجوب القصر في السفر سوء كان في الجهاد أو في السعي لطلب الرزق حتي لايتصور البعض أن الإسلام عندما أمرهم بالهجره يطلب من الإنسان ترك الدنيا فذكر مشروعيه القصر بقوله (واذا ضربتم) اي سافرتم ف الله يخبرك أنه يريد منك أن تقوم بأمر الدين والدنيا فجاه بصيغه الوجوب للقصر في السفر عموماً

(لاجناح عليكم أن تقصروا من الصلاه)

ولما تقرر في نفوس المسلمين بوجوب أداء الصلاه علي الصفه التامه ولايزيل ذلك من نفوس الكثيرون الا بذكر ما ينافيه ولهذا كان النبي يدوام علي القصر في جميع أسفاره وهذا من باب الرحمة الالهيه لعباده بالتخفيف فجاه هذا مناسباً بعد اختتام الايه قبلها (وكان الله غفوراً رحيماً)مراعاة لظروف السفر والذي يشمل طلب الرزق والقتال لمافيهما من مشقه فذكر مشروعيه القصر في السفر عموماً

والقصر نوعان قصر عدد في الصلاه الرباعيه العشاء والعصر والظهر من اربع ركعات الي ركعتين وقصر في الكفيه أو الصفه بأن يكون فيه نقص للركوع والسجود والتشهد لهذا فسره ابن الجوزي بالنقص من عدد الركعات في الا داء والكيفيه وذهب البعض الي القول إن المراد به القصر في عدد الركعات في الصلاه الرباعيه العشاء والعصر و الظهر من اربع الي ركعتين ولهذا قال (أن تقصروا من الصلاه) ولم يقل أن تقصروا الصلاه فالتبويض حتي لايتوهم البعض أن الفجر تقصر الي ركعه فدل هذا أن القصر للمغرب وهذا فيه أيضاً أن القصر منضبط ومحدود وهذا فيه ازاله توهم البعض الذي قد يتصور أنه نقص غير منضبط

والخلاف هل المراد به قصر عدد ام قصر كفيه وهل يكون القصر مقيد بالخوف فقط وبالوقوف علي معني قوله تعالى (واذا ضربتم) اي سافرتم ومفهومه أن القصر مختص بالسفر وهو كذلك وأما قوله (وان خفتم)

فمفهومه اختصاص القصر بالخوف لكن هذا لايتعارض مع مشروعيه القصر للمسافر في حاله الأمن فقد سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله (أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (صدقه تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته)أخرجه مسلم فثبت القصر في الأمن ببيان السنه فالنص يناقش القصر عموماً مع مراعاة كل حاله بالظروف التي تحيط به لأنه إذا حصر معني الايه علي القصر في حاله قيام الخوف فإن ذلك يعني توفر شرط أن يكون الخوف مقترناً بسفر اي في حاله الهجوم الذي يكون ترك ديار الإسلام فكيف الحال في حاله الدفاع الذي يكون فيه خوف شديد كما ذكر الله لنا عن حاله الخوف في معركه الخندق والتي كان المسلمين متحصنون داخل المدينه المنوره وقد قال تعالي عن شدة الخوف (وبلغت القلوب الحناجر)

ولهذا فإن الرخصة تكون لها أحوال ثلاثة إذا اجتمع السفر والخوف قصر عدد وكيفيه وإذا انفرد الخوف كان قصر كيفيه فقط وإذا انفرد السفر كان قصر عدد

الأمر الثاني

ولما كانت النصوص قد تحدثت عن القصر بصيغه عام في السفر عموماً أنتقلت الي بيان مساله القصر في حاله قيام عله الخوف من الكفار أن يصدوكم عن دينكم بقتلهم اياكم أو بأسباب اخري يصدونكم فانتم مستهدفون منهم في كل احوالكم في أي سفر كان من تجاره أو هجره أو قتال لان الغالب في أحوال المسلمين في وقت النزول أنهم كانوا في حاله حرب مع الكفار فقال تعالي (أن الكافرين لكم عدو مبين)

يقول الحق أن الحاصل بينكم وبين الكفار أن العدواه شديده وهم يحرصون علي النيل منكم فعدواتهم واضحه فظاهر العدواه تشير الي أنهم سوف يتعرضون لكم بالقتل كونهم كانوا يتربصون بالمهاجرين وبالمومنين في كل الأحوال في الطرق لقتلهم ولهذا يقول الله احذروا فلا تثقون بهم ولا تغتروا بوجود مصالح معهم

وهذا فيه تنبيه للمومنين من الخطر من الأعداء في كل الأحوال ولهذا فإن الصلاه هي ما يحتاجها العبد في هذه الأحوال فالضارب يكون بحاجة الي الانس والاطمئنان ولهذا يقول لهم أن هذا يكون بالاتصال بالله والصلاه فيها الصله التي تربطك بالله انها تصلك بمصدر الحياه الحقيقيه وقت الشدائد ف الله يقول (واستعينوا بالصبر والصلاه) (هـ)

والصلاه هي التي تحقق الاطمئنان باتصال الإنسان بالله والاحتماء به في هذه الأوقات الصعبه أثناء التطبيق العملي لمفهوم الخلافه والقيام بالصلاه باحوالها من الركوع والسجود وغيرها في هذه الأوقات تعيق الضارب في الأرض من هدف النجاه بالحياه والافلات من المتربصين به من الكفار الذين يحاولون استغلال اي فرصه للنيل من المسلمين يأتي الحق بحكم التخفيف عن المسلمين في مثل هذه الأحوال بتشريع لصلاه يخفف فيها الركوع و السجود هي صلاه الخوف بقصر كيفيه

في كل الاحوال وليس في القتال فقط فمتي توفر شرط الخوف كان للمسلمين أن يصلوا صلاه الخوف وهنا تأتي النصوص لتعليم المسلمين كيف تكون صلاه الخوف فقال تعالي (وان كنت فيهم فاقمت لهم الصلاه)

قال ابن عربي أن شرط كون الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم إنما ورد لبيان الحكم لا لوجوده والتقدير بين لهم بفعلك لكونه أوضح من القول فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (صلوا كما ريتموني اصلي) وذكر ابن حجر العسقلاني في كتاب شرح الباري أن الأصل في كل عذر طراً علي العباده فهو علي التساوي كالقصر وكيفيه وردت لبيان الحذر من الأعداء وذلك لا يقتضي التخصيص لقوم دون قوم وقال الزين بن المنير الشرط اذا خرج مخرج التعليم لا يكون له مفهوم كالخوف في قوله (أن تقصروا من الصلاه أن خفتم) والنصوص تبين حكم صلاه الخوف في حاله الخوف من أن يقتلهم المشركين لأن هنالك خوف الفوات ووجه الاختلاف ان خوف الفوت لا يخاف المسلم من استيلاء العدو عليه وانما يخاف أن يفوته العدو كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظه) وذكر أبو إسحاق الفزازي في كتاب السير له عن الأوزاعي قال إذا خاف الطالبون أن نزلوا بالأرض فوات العدو صلوا حيث وجهوا علي كل حال فيكون صلاته راكبا أو ايماء اذا كان النصر لا يرفع مادام الطلب وكذلك في صلاه الخوف عند التحام المقاتله تكون كيفيه لها الصلاه في اي جهه بالايماء الا
شاره

الأمر الثاني

يلفت الله انتباه المخاطبين الي ضروره صلاه الجماعه في مقام الحث علي الهجره الي ديار الإسلام ولذلك نجد التوجيه جاء (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاه) يأمر بها في كل الأوقات واشدها لاتسقط الصلاه جماعه وايضا

فيها غرس معاني و مقاصد صلاحه الجماعه وجوهرها في جميع الأحوال بالسلم والحرب بأنها صلح العبد بربه وايضا فيها اهميه الانضباط ووجود قياده واحده يتبعها الناس حيث انه رغم المخاطر والتي توجب التخفيف في صلاحه الخوف نجد أنه يترك الكثير من شروط الصلاه ولوزامها وفيها من الافعال ما تكون مبطله في غيرها فهذا لتأكيد صلاحه الجماعه لبيان اهميه الصلاه جماعه واهميه الانتقال الي ديار الإسلام وأن من مقاصد الهجره أن يكون تأسيس دوله تخضع لقياده واحده فهم يصلون بإمام واحد ولو تضمن ذلك الإخلال بما يكون باطلا في غيرها لو صلوا فدللت النصوص أن من جوهر الصلاه جماعه اهميه اجتماع كلمه المسلمين وانضباطهم خلف القياده وعدم الاختلاف وان يكون العمل كفريق واحد

وهذا فيه بيان قيمه الاجتماع لمواجهة العدو ففي ذلك أوقع في قلوب الأعداء فيقول الحق أن العبره في الصلاه بما تسكبه في النفوس

ثانيا

(واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاه فلتقم طائفه منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفه اخري لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتمكم فيميلون عليكم ميله واحده ولا جناح عليكم أن كان بكم اذي من مطر أو كنتم مرضي أن تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم أن الله اعد للكافرين عذابا مهينا)

تأتي النصوص مبينه حاله صلاحه الخوف في المعركه وليس مجرد الخوف فقط وهنالك قولان في هذا الأمر

الاول

أن تصف المصلين صفين الاول الفرقة الاول تقوم معك للصلاه حتي إذا أكملوا صلاتهم فقالوا إن هذا يدل عليه التعبير (فإذا سجدوا) أنه عبر عن الصلاه بالسجود للدلاله علي فضل السجود وان المراد بقوله (فليكونوا من ورائكم) هم الطائفه الذين قاموا إزاء العدو وانه علي الامام بعد انصرف الفرقة الاولی أن يبقي منتظرا الفرقة الثانيه فإذا حضروا صلي بهم ماتبقي من صلاته ثم جلس منتظرا حتي يكملوا صلاتهم ثم يسلم

الراي الثاني

أن ينقسم المسلمون إلي قسمين فريق يصلي خلف الرسول مع الحذر والاستعداد بالسلاح ويكون الفريق الآخر خلفهم لحمايتهم

وأنه بعد سجد الفريق الأول يكون عليهم أن يرجعوا الي الخلف للحمايه ويأتي الفريق الثاني الذي كان يحرس ويصلي خلف الرسول صلى الله عليه وسلم وهكذا

وبغض النظر عن الآراء فإن جميعها تشير الي نقص في صفه اداء الصلاه وبالوقوف علي ماتحملة النصوص نجد أن النص ورد فيه مع بيان صفه حكم صلاحه الخوف تربيته المومنين والجماعه المومنه لتكون اهلا للقياده ومواجهه الازمات والتحديات ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

تبين النصوص اهميه وجود قياده للمومنين وان علي القائد أن يكون في الصف الأول والخطاب للامه كلها لكنه خص به القائد لبيان اهميه وجود القياده وان يكون هنالك انضباط وانتظام في الصفوف وراء القائد والابه ترسم التفاف المسلمون حول الرسول صلى الله عليه وسلم حتي كانه فيهم الظرف الزماني والمكاني فعبر عن ذلك بقوله (فيهم)

الأمر الثاني

الحرص علي الصلاة في ساحه المعركه فهي السلاح الذي تحتاجونه لمواجهه الأعداء ولهذا يقول لهم لاتفرتوا ب الصلاة في أي حال من الأحوال فهي من أهم الاسلحه فلا تنسي أمرها مهما كانت المشاغل ولهذا قسم المصلين إلي قسمين قسم يصلي وقسم يقوم بالحراسه والنص فيه أنه لايشترط استواء الفريقين في العدد فقال تعالي (طائفه) فدل هذا عدم شرط استواء العدد وولكن لابد أن تكون التي تحرس يحصل الثقه بها بالقيام بالحراسه فيكون التوزيع مناسباً مع المهمه لأن الطائفه تطلق علي الكثير والقليل ولهذا يقول الفقهاء أنهم إذا كانوا ثلاثه جاز لواحد أن يصلي بواحد ويحرس واحد ثم يصلي الآخر والأول يحرس وهو أقل ما يتصور في صلاه الخوف جماعه وهناك أحوال يكون صلاه الخوف بكيفيه لا يعتد بالقبله فيها ولا يكون فيها جماعه (رجالا وركبانا) كما ورد في سوره البقره (فإن خفتهم فرجالاً أو ركبانا) تصلي وانت علي الدابه أو ماشي علي كل جهه قائماً أو راكباً

الأمر الثالث

اهميه العمل كفريق واحد والحيطة والحذر فذكر أن الاولي قامت الي الصلاة مع أخذ السلاح الخفيف كالسيف و الخنجر وتركوا خلفهم من يحميهم فالاولي تأخذ السلاح والثانيه تأخذ الحذر والمراد بأخذ السلاح أن لا يضعوها ولا يلقوها وعبر عن ذلك بالاخذ للايدان بالاعتناء واستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداءً فلا تمكنوا العدو فرصه للنيل منكم

الأمر الرابع

يأمر الله المومنين بأخذ الحذر والسلاح لبيان أمر في غايه الاهميه أثناء الحرب أن علي المقاتل أن يخاف علي سلاحه ومتاعه حتي لا يضيف للعدو قوه فوق قوته أن استطاع أخذ سلاحك لأن هذا أن حصل فإنه يكون فيه أضعاف موقف المومنين ولهذا ذكر في الاولي (ولياخذوا أسلحتهم) بدون الحذر أما في الثانيه فقال (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم) لانه في الاولي يكون نظره الكفار للمسلمين فيتصورون أنهم في انتظام للقتال لكن في الثانيه عندما يرون قيامهم من السجود يعرفون أنهم في صلاه وعندها يطمعون في اذايه المسلمين ثم تبين النصوص مخاطر نسيان السلاح والحذر (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميله واحده)يقول الحق لك لاتنسي سلاحك فالعدو يتمني لو انك تغفل عن سلاحك بالانشغال بالصلاه فيميل نحوكم مباغتة مره وحده فعليك الحذر والأخذ بأسباب والاستعداد بالسلاح المستمر فانتم أمام عدو لا يحترم العبادات و الصلاه فعليكم اليقظه وأنه في حاله الارهاق من حمل السلاح نتيجه المطر أو المرض أو ثقل السلاح فلا حرج أن تضعوا السلاح في هذه الحاله لتكون فرصه لاستعادته النشاط وتجديد الطاقات فالمساله تخضع لكم في تقدير الموقف وهذا يكون متوقف علي الحذر التام وان يقدروا الموقف بهذا الاعتناء فالعدو في وجه لا يتورع من ارتكاب الجريمة

الأمر الخامس

يقول الحق لك عليك أخذ الحيطة والحذر بالاخذ بالاسباب وبنفس الوقت لاتغفل عن المسبب لانه سبحانه وتعالى (اعد للكافرين عذاباً مهيناً)

فأراد بهذا ازاله التوهم الذي قد يصيب البعض فيتصور أن الأمر المتكرر بأخذ الحذر بالاخذ بالاسباب بمعزل عن المسبب ففي الاول والاخير عليك أن تنظر إلي المسبب وهذا فيه تطمئن المومنين بأن عليهم اللجوء إلي الله فهو اعد لعدوه وعدوهم عذاباً مهيناً بالقتل والجرح والأسر بايدي المومنين فانتم ستار لقدره الله واعد لهم في الاخره عذاب جهنم

ثالثاً

فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلي جنوبكم فإذا اطمنتم فاقوموا الصلاة أن الصلاة كانت علي المومنين كتابا موقوتا)

تبين النصوص أنه إذا فرغتم من صلاه الخوف فعليكم ذكر الله في جميع الأحوال قياما وقعودا والي جنوبكم والذكر هو حياه القلوب فالله يقول (الابذكر الله تطمئن القلوب)

وبدونه تموت القلوب وخص به صلاه الخوف بالأمر بالذكر لأن الذكر فيه الثبات فالله يقول (ياايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون) فالذكر يقوي الهمم ويعلي العزائم بأن تقول الله اكبر الله اكبر فهذا ثابت بالسنة أنه عند الاغاره والحرب يكون التكبير والصلاه والمباغته وهذا فيه تربيته النفس ووصفا الروح بالانشغال بالله تعالي في كل وقت والخلافه ذكر والجهاد هو التطبيق العملي لأحكام الخلافه فالحق يوجه عباده بالاتصال بالله في كل حال وفي كل وضع الي جانب الصلاه فهذا سلاح المومن في المعركه يتفوق به علي الكفار

ولهذا لايتخلي المومن عن هذا السلاح وهنا يقول الحق أنه إذا حصل الاطمئنان بعد زوال حاله الخوف وانتهاء القتال فيكون أداء الصلاه علي الهيئه التي أمروا بها دون نقصان فقال تعالي (فإذا اطمنتم فاقوموا الصلاة أن الصلاه ه كانت علي المومنين كتابا موقوتا)

فهي ميزان الايمان وعلي حسب إيمان العبد تكون صلاته تامه وكامله لأنها صلح العبد بربه وهي فريضة واجبه لها اوقات محده يودنها منجما في وقتها لأن الموقوت إنما هو مفعول من قول القائل وقته عليك وقته فلو لم تكن موقته لوجد من يتساهل في أداءها

رابعا

تختتم النصوص بالتشجيع علي القتال وتجاوز الالام فقال تعالي (ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تالمون فإنهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما)

الأمر الأول

بهذا الكلمات التي اختتمت بها الآيات يخاطب الله نفوس المومنين يغزو المشاعر الداخليه للنفوس لتربيته المومنين علي الثبات فقال تعالي (ولاتهنوا في ابتغاء القوم)

يقول لهم انتبهوا أن تضعفوا أو تتكاسلوا في طلب اعداء الله وأعداء المومنين في جهادهم والمرابطه علي ذلك

والابتغاء هو الطلب والمراد بهذا الحث علي الشجاعه والجلد وإظهار الغلظه مع العدو كما قال تعالي (وليجدوا فيكم غلظه) والطلب يعني أن تكون متاهبا للقتال في أي وقت فلا تدفعك الراحة الي التخلي عن الجهاد من الاعداد الجيد بالتدريب والتجهيز للمعارك والاستعداد لذلك في كل وقت فلا تضع سلاحك والطلب يجعل من العدو مطلوب لك والمراد بهذا الحث علي عدم الضعف الذي يكون فيه فوت المطلوب وهم الأعداء فلا يكون الخوف من الأعداء سببا للوهن بل عليك أخذ الحذر بالاستعداد والأمر فيه أن لاتتكاسل عن طلب التنكيل والقتل للكفار ومواجهتهم فالابتغاء تعني أن تجعل القضاء علي الباطل وأهله ورفع الظلم والاضطهاد والقضاء علي الانظمه الديكتاتورية بغيه لك او هدف أو غايه

والمراد بهذا الانتقال من الدفاع الي الهجوم فهو افضل وسيله للدفاع عن الحق ضد الطغاه وهذا يستوجب ان تستعيد بالمخططات والإعداد الجيد وصيانه الطاقات حتي لاتتفاجا بالكفار يهاجمون ديار الإسلام يقومون بتدمير الاوطان وقتل الناس

الأمر الثاني

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي الموجه للمومنين بعدم الضعف والتكاسل عن القضاء علي الطغيان وان يكون ذلك هدفا وغيابه لك فالحق يعلم بما في النفوس من ضعف فكان التشخيص للمرض بأن البعض يريد أن يظل في موقف الدفاع ويكره الانتقال الي الهجوم حيث أن الايه نزلت بشأن ماحدث من الصحابه الذين كلفوا في طلب ابي سفيان في بدر الصغري ولهذا انزل من الأحكام ما فيه العلاج فناسب هذا التعقيب (وكان الله عليهما حكيمًا)

والعلاج هو أن عليكم الانتقال من الدفاع الي الهجوم فهو خير وسيله للدفاع عن قيم ومبادئ الحريه فأمرهم بـ الحذر من الأعداء والاستعداد لقتالهم بعد الفراغ من الصلاه وذلك فيه معني الأمر بالهجوم وسر هذا أن الذي يوجه همته الي المهاجمه تستدعي علو الهمة وتقويه العزيمه أما الذي يلزم حاله الدفاع فقط فان عزيمته وهمته تضعف وهذا قد يحدث الياس ويقتل الابداع والابتكار فيقول لهم أن لكم أسباب داعيه للحرب ليست لهم (أن تكونوا تـ المومنين فإنهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون)

وبالوقوف علي النصوص نجد رحمه الله ولطفه بالمومنين بالقران الذي فيه كمال علمه وحكمته

فالحق يخاطب المومنين بأسلوب يجتث الجراثيم التي تسلت الي النفوس فالنفس ترغب بالراحه وتكره القتال وقد تصاب النفس بالضعف نتيجة رغبات النفس وكراهية القتال فكان الأسلوب الذي خوطب به المومنين بالحوار الذي يخبرهم الله فيه أن لديهم أسباب داعيه للحرب ليست لدي العدو تشكل دافعا للانطلاق والخروج من ضغوط رغبات النفس ولهذا نجد استجاشه الرجوله فيهم (إن كنتم تالمون فإنهم يالمون كما تالمون)

هل الخوف والضعف يعود من مخاطر الالام والمتاعب والجراح التي قد تصيبكم في المعركه فإن هذه الالام و المتاعب والمعاناة مشتركة بينكم وبين الكفار فهم مع كفرهم لم يضعفوا وهم يتربصون بكم في كل مكان ويمنعوكم من الهجره بالتربص بالطرقات ولهذا فإنه للقضاء علي تربص الكفار الذي أصبح خطرا يهدد حياة المومنين ويشكل خطرا علي التنقل والسفر لابد من الهجوم والقضاء عليهم واذا كان الالم مشترك بينهم وبينكم فليس من الرجوله والهامة والايامن أن تكونوا أضعف منهم وانتم قد تساويتم في ذلك فقد جرت العاده أنه لا يضعف الا من يولف عليه الالام وانتصر عليه الأعداء علي الدوام لا من يكون الحرب فيه سجال ومن جهه اخري فإن الحق يبين لهم أن الناس من حيث الأبدان شي واحد يتالم من الجراح ومن السفر ومشقه القتال وان الاختلاف يكون في قوه النفس علي الثبات والصمود فيقول الحق انه انكم متساون في الخلق والاحساس بالألم فكيف يكون منهم الصبر وهم كفار كيف يكون منهم الثبات بقوه علي ما يحملون من أفكار ويقاوتون لأجلها وهم علي الباطل في حين تضعفون انتم وانتم علي الحق فأراد بهذا غرس الثقه بالنفس خاصه في نفس اولئك الذين هاجروا بعد أن عرفوا عقوبه من يفضل الراحه في ديار الكفر بقرب الأهل والأصدقاء والاقارب والأموال فالثقه بـ النفس هي بدايه الخروج من اللازمه فهذا اول عنصر لمواجهه الازمات والتحديات لأنها من عناصر القوه للهمة والعزيمه وأما الأمر الثاني الذي يعلمنا الله إياه لمواجهه الازمات هو الإيمان بالله و التوكل علي الله فيقول إنه زياده علي التساوي بينكم وبينهم في المعاناه فانتم لديكم أمر تمتازون به عنهم (وترجون من الله ما لا يرجون)

فالكافر إذا أصابه الإحباط اذا انهزم فهذا أمر طبيعي لانه ليس له امال وغايات وطموحات ولاقوه يرجوا أن تساعد في استعادته النشاط أهدافه محصوره بنزوات نفسانيه بحتة اذا لم تتحقق اصابه الجنون أما أنت ايه المسلم فإن ارتباطك بالله يعني اشاعه الامل في نفسك بأن الله يقف معك في المعركه فما الذي تخاف منه فأنت تلجأ الي الله بالدعاء برفع الضر عنك وترجو من الله اليسر بعد العسر فالدعاء لله وقت الازمات سلاح فعال يصل بـ المومن الي الامل والرجاء وتحقيق الصمود والقدره علي مواجهه التحديات مستندا في ذلك إلي باري الكون صاحب القدره المطلقه علي الهدايه الي الحل ويحول ذلك دون السقوط والانكسار ويودي الي التجاوز بل الارتقاء والمناعه المستقبليه

يقول الحق أن الياس إنما يكون لمن كانت أهدافه عاجله صار تحقيقها مستحيلا بالنظر الي العوامل الماديه وهذه صفه متعلقه بالكفار أما انتم فإن لكم اهداف وغايات وطموحات أجله وعاجله ترجونها من الله أن ينصركم علي الأعداء وترجون من الله الفوز بالجنه (اما النصر وأما الشهاده) وهذا من شأنه أن يقوي العزائم لأن تلك المقاصد المرتبطه بالله تعطي حوافز ماديه ومعنويه لمزيد من الابداع والتفاني في مقارعه الأعداء

يقول لهم الحق أن الإيمان بالله والتوكل عليه والعزيمه مع الافاده من الخبرات اللازمه هي من أسباب النصر ودواعي القوه والتغلب علي إرهاب الحرب فالامه عليها مواجهه الأعداء

الأمر الثالث

يقول الحق عليكم أن تثقوا بالله فيما ترجونه فقال تعالى

(وكان الله عليما حكيما) عليما بأحوال الناس فهو لم يكلفهم أمر الا وهو عالم أنه سببا لصلاحهم بالدنيا والآخرة فهو تعالي له الحكمه المطلقه يضع كل شي في موضعه ولهذا شرع الجهاد لرفع الظلم والاضطهاد والالام عن البشره

ولهذا لما ترك المومنون الجهاد اصبحنا في وهن يخجل كلا منا من نفسه أنه وفي أثناء كتابه هذه الحروف بتاريخ ١٧/اكتوبر٢٠٢٣م وانا اشاهد دماء أبناء غزه تسيل انهار والمسلمون يتفرجون عرفت دلالة قوله تعالي (ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تالمون فإنهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما)

فنحن أصبنا الذل والهون لأننا لم نأخذ بكتاب الله ومعاني هذه الايه ثلاثه مليار مسلم يقران الايه ولم يدرك معناها سوي أبناء غزه وقله من المسلمين الم يخاطر ببال حكام شعوب الاسلام معني هذه الايه بالثقه بالله والتوكل علي الله والإيمان به انها هي السلاح الفعال الذي أن غرست في أعماق نفوسهم فهي قادره علي أن يظهرها بمظهر الرجال بدلا من الوقوف بذل وهوان أمام شاشات التلفزيون تجعلك تخجل وانت تشاهد الحكام العرب والمسلمين يقفون في مشهد الذل وهم يتحدثون عن المقاومه بما يرضي رغبات اليهود في وقت يمتلكون المال والعتاد والمعدات لكن الأيدي مرتعشه أمام الأعداء ترتجف لكنهم نور علي الشعوب أن الم يقران هذه الايه فهي وحدها تكفي لاجتثاث مافيه من ضعف فالقران هو المنهج الرباني الذي ربي المومنين وبه كان إحداث التغيير للامه هو القائد الذي كان به انتقال العرب من الاميه والوحشيه الي الحضاره من عصر القبيله والتمزق الي الدوله والقوه بهذه الايات كان قياده المومنين نحو التطور والرفي والتقدم والفرق بيننا وبينهم أنهم كانوا يتلقون الايات القرانيه أنه فكره موحاه اي أنها وحيا منزلا علي كل واحد منهم فالثقه بالله هي التي مكنت الصحابه رضوان الله علي الصمود في المعارك نقول للزعماء العرب والمسلمون كفي عارا فلاتهنوا في طلب مواجهه العدو ف الله يقول لكم إن المعركه معركه اردات أكثر منها معركه مواجهه فقال تعالي (إن تكونوا تالمون فإنهم يالمون كما تالمون) وانتم لديكم ما يقوي الارده أنها قوه الايمان بالله والتوكل عليه مع الاستفادة من الخبرات والتجارب والقدرات بقدر المستطاع فعليكم ان تنظروا الي المقاومه الفلسطينيه

برغم حدود امكاناتيتها فقد واجهت العدو وكبدته من الخسائر في الأرواح والعتاد مالم تقدر انتم مجتمعون الم تسألوا أنفسكم ما سر قوه هولاء التي فاقت قوتكم واصبح العالم كله اليوم بما فيه انتم خائفون فصار الخوف والالام الذي اصاب اليهود سببا لاجتماع العالم علي ثله من المومنين لايتجاوزن عشره الاف مقاتل بعتاد محدود يقفون أمام جيوش العالم كله بما فيها انتم ايه الخونه جيوش تفوق مليون مقاتل وطيران واسلحه متطوره فتاكه ان الفارق بينكم ايه الزعماء العرب وبين المقاومه الفلسطينيه هو ان العدو استطاع اختراق قلوبكم بسهم مرض الخوف والهون والضعف فظهرتم بمظهر المستضعفين من جواري النساء لأن الحرائر لايقبلن بالذل فحرائر غزه اليوم يسطنن مواقف البطوله والكرامه والحريه والعزه ما عجزت عنه الجيوش العربيه وثروات المليارات لأن الرجوله والهامه لاتشتري بالاموال ف الله يقول إن الرجوله الحقيقه تكون بأن يكون ابتغاء القتال للأعداء غايه

وهدفا لرجال الايمان نقول للزعماء العرب والمسلمون الذين يكبلون المومنون من نصره اهلهم في غزه أتعلمون ماهو الفرق بينكم وبين المقاومه الفلسطينيه أنه البناء الايماني الحقيقي الذي وجدته وهم يقرون القران فهم تلقوه أنه وحيا منزلا عليهم بينما انتم تنظرون إليه أنه فكره مجردة أنزلت علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنكم غير معنيين به ولهذا اصابكم الوهن والخمول والعجز والذل واصبحتم محاربين لدين الله مع الأعداء بالتمترس في خندق الكفار انتم لاتملكون القرار لانكم تنازالتهم عن الكرامه الانسانيه أمام الطغاه ومكنتم العدو من امتلاك قراره لامة ومقدرتها وثرواتها لتصبح اداة لضرب المومنين في غزه وليس ذلك فحسب بل أصبحت اداة تكبير شعوب الا مة الاسلاميه من مناصره اهلهم في غزه حتي بالاكل والغذاء والدواء وليس ذلك فحسب انكم تستكثرون علي الا مة الحسبله والحوقله فتكرهون أن تسمعوهم وهم يتألمون مما يصيب إخوانهم في غزه ويرددون حسبنا الله لا حول ولا قوه الا ب الله فانظروا الي اين وصل حالكم عندما رميتم بكتاب الله وراء ظهوركم

المقطع العاشر من سوره النساء

انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله أن الله كان غفورا رحيفا ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أن الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول وكان بما يعملون محيطا ها انتم هولاء جادلتهم عنهم في الحياه الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيفا

اولا

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله أن الله كان غفورا رحيفا)

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) بأنه مكلف بتطبيق منهج الله واقامه حكمه ولهذا انزل القران لاقامه العدل في الارض وفق منهج الله ووفقا لما علمه الله تعالي واتباع هذا بالنهي عن المدافعه عن الخائن فيقول لنبيه لاتكن محاميا عن الخائن وتوجيهه الي الاستغفار وذلك بمناسبة أن أحد المسلمين من الأنصار اسمه طعمه بن بيرق قام بسرقة درع لقتاده بن النعمان وعمه رفاعه وكان في كيس به طحين فنثره وهو ما جعل قتاده يتتبع الأثر ويجد أنه يصل الي دار طعمه وكان معروفا أنه لص فشكا قتاده طعمه الي الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا إن طعمه سرق درعي وكان طعمه من أهل بيت من الأنصار يقال لهم بنو بيرق فلما عرف طعمه وقومه ذلك خافوا من الفضيحه فرمي الدرع عن يهودي اسمه زيد بن سمين فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم أن قتاده اتهم صاحبنا بدون حق حيث وان الدرع وجد في منزل اليهودي زيد بن سمين وعندها قال الرسول صلى الله عليه وسلم لقتاده اعتذر لظعمه فأنزل الله الايه لتبرئه اليهودي من التهمه الزور التي حاول طعمه وقومه تليفقها علي اليهودي وبالوقوف علي ماتحملة النصوص نجد أنها تتناول عدده امور

الأمر الأول

ابتدأت بالخطاب الإلهي الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) وهذا فيه بيان الأسس التي كان بها بناء دوله الاسلام التي أمر المسلمون بالهجره بترك ديار الكفر وهو مايفهم أن الأمر بالهجره الي ديار الإسلام فيه اجتماع والاجتماع يعني وجود دوله فالأمر بالهجره الي ديار هذه الدوله يهدف أن يشارك ويساهم المهاجرون في بناء الدوله الاسلاميه وهذا يتطلب وجود سلطه سياسيه قياده تقوم باداره هذا النشاط وتوزيع المهام الموكلة لكل فرد وفريق بما يحقق الأهداف والقيم والمبادئ العليا للدوله والتي كانت وراء الأمر بالا انتقال الي ديارها ويتطلب أيضا وثيقه دستوريه تبين الأهداف والقيم والمبادئ العليا والمهام الملقاه علي عاتق كل واحد من أعضاء الموسسه أفرادا وجماعات وهو ما يطلق عليه الدستور الذي ينظم العلاقات بين الناس وبين الحاكم والمحكوم ونحن نعلم أن قوه هذه الوثيقه يعود لثقه وا طمئنان الناس الي صلاحيتها هو الذي يدفع الي ويحدد دور كل واحد فناسب هذا مجئ الآيات بعد الحث علي القتال ومواجهه الكفار والمساهمة في بناء الدوله الاسلاميه بالهجره الي ديار الإسلام لأجل ارسى قواعد وقوانين ومبادئ وقيم دوله الاسلام وتحويلها إلي واقعا في الحياه ولهذا ابتداء بقوله تعالي (انا) وهذا فيه التعظيم للخالق سبحانه وتعالى فلم يقول (اني) فالحق بهذا يريد أن يغرس في النفوس التعظيم لأمر الله وتعظيما للمتحدث إليه (النبي صلى الله عليه وسلم) والتعظيم

للمتحدث عنه (انزال القرآن الكريم) فأراد الحق بهذا التعظيم من المومنين تلقي قيم ومبادئ الاسلام بالتعظيم لها والتعامل معها بجديه لان قوه الوثيقه الدستوريه والمبادئ والقيم تحتاج للتحويل إلي واقعا يفعل في الحياه قوه ثقه واطمئنان الناس الي صلاحيتها في تحقيق الرفاهية والتطور والتقدم ذلك أن التحول من النظريات الي الفعل ينطوي علي مشكله معقده وشاقه فناسب هذا مجئ الآيات بعد الحث على القتال ومواجهه الكفار والمنافقين و المساهمه في بنا الدوله الاسلاميه بالهجره الي ديار الإسلام لأجل إرساء قواعد العدل والمساواة والحرية في دوله الموحدين تنفيذاً لأمر الله والعرب لم تكن تعرف الانظمه ولا الدول ولا المؤسسات فالعربي كان يعيش في جاهليه يسودها الجهل والظلم فهي تقوم علي العصبية التي تفرق بين القبيله والقبيله وبين الافخاذ والبطون في القبيله الواحده ومن هذه البنيه تكونت ثقافه العربي في تفسير الاشياء والأمور فشاهدنا كيف أن قبيله طعمه سارعوا الي إصاق التهمه باليهودي خوفاً من الفضيحة فقد نظروا للمساله انها مساله عار وشرف يجب غسله من جبين القبيله والإسلام فالعار بنظرهم لن يقتصر علي شخص طعمه بل يمتد الي القبيله وجماعه الإسلام بأكملها ولهذا جاء الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله انزل عليه القرآن وهذا بهدف إلي أن تستقر في النفوس حقيقه ان ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن هو منزل من عند الله فلم يأتي به من عنده وبالتالي فإن السامع عندما يسمع أن نزول التكاليف من عند الله فإن هذه الكلمه تجعله يدرك الجبهه التي أنزلت القرآن بأنها من الله تعالي لا بد أن يغرس في النفس قوه القبول به وان الرسول يتلقي ذلك من عند الله ولهذا فإن هذا يوجب تعظيم القيم والمبادئ التي يحملها القرآن الكريم اي تستمد قوتها من قوه القبول بالحق فالقران منزل من الله بـ الحق والباء في قوله (بالحق) للمصاحبه

يعني نزل متلبسا بالحق والعدل والصدق من عند الله فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع آخر (وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا) فهو كتاب لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالله قد أنزله متلبسا بالحق وقد حفظه أن يتطرق إليه الباطل (انا أنزلنا الذكر وانا له لحافظون) فهو مشتملا علي الحق فكل مافيه من أوامر ونواهي حق وان الغايه من انزال القران هو لاقامه العدل بين الناس في جميع شؤن حياه الناس وان الرسول مأمور باقامه حكم الله وفقا لما جاء به القرآن ولهذا فإن الايه تضمنت أسس بناء السلطه السياسيه لدوله الاسلام والتي سبق ذكرها (اطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) وهنا تأتي النصوص مبينه أن شرعيه الحاكم باقامه حكم الله وتستمد قوتها من القبول بالحق (أنزلنا اليك الكتاب بالحق)

ولهذا يبين الحق أن الاجتماع الذي أمر به بالهجره الي دوله الاسلام يقتضي وجود دوله وهذا فيه ان مهمه القران كمنهج هو تحويل امه العرب الي دوله وان دور الحاكم هو اقامه العدل وهو لا يقتصر في إقامته بين المومنين فقط بل بين الناس جميعا (لتحكم بين الناس) وهذا يقتضي العدل وبيان أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقتصر علي تحويل امه العرب الي دوله بل يتجاوز ذلك إلي آفاق عالميه الاسلام ولهذا تبين النصوص أسس أداء الدوله بأنها تقيم الحق بالعدل بين الناس كلهم فاساس نظام الحكم في الاسلام يحترم الإنسان بغض النظر عن دينه فلا تمس كرامته وحقوقه فالعدل يعني إعطاء كل ذي حق حقه من غير تحيز أو محاباه أو تفرقه بين المستحقين أو تدخل لهوي النفس فالإسلام دين العدل وانتصاره هو انتصار للبشريه يقول لهم الحق عليكم أن تتحملوا مسؤوليه وان تتعاملوا بأخلاق الاسلام فالله امركم بالهجره من ديار الظلم لتكوين دوله الموحدين فامانه الحكم تعني اقامه العدل فذكرت النصوص التحذير من أسباب ازمه الأداء للسلطه السياسيه حيث أن الازمه تعود إلي عجز السلطه القائمه أو خيانتها للامانه (تنفيذ مراد الله) يسبب هواه بين القيم التي احتوت عليها الوثيقه الدستوريه وبين الأداء هو النتيجة لأسباب ازمه الأداء ولهذا نجد أن الحق يبين أن الميثاق الذي هو دستور الدوله ملزم للقائد قبل الأفراد لانه منزل إليه من عند الله

الي النبي صلى الله عليه وسلم وأن الرسول منزله من العجز في القيام بوظيفته في تطبيق أحكام القرآن فقال تعالي (لتحكم بين الناس بما اراك الله)

فالله هو الذي تولي تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم علي كيفية تطبيق أحكام القرآن في حياه الناس كل

الناس ليس المسلمين فقط وهذا فيه عالميه الاسلام فالرسول صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوي أنه الا وحيًا يوحى (القران والسنة) فالرسول صلي الله عليه وسلم لا يحكم بالهوي فهو معصوم وانما بالعلم الإلهي حيث يفهم أن شرط الحكم العلم والعدل فالله يقول (بما اراك الله) ولم يقول (بما رأيت)

ورتب علي هذا الحكم أداء السلطه أن يكون عالما بكتاب الله حتي لا يكون عاجزا عن إصدار القراءات فأول سبب لازمه الأداء للسلطه السياسيه هو حاله التردد وتضارب التعليمات والخلط بين الأولويات فتكون عاجزه عن القيام علي اصلاح الخلل فيقول الحق أن اللوويه هي أن تحقق العدل في حياه الناس وأنه لا يجوز نصره الخائن للا مانه لأن خيانه الامانه هي السبب الثاني للازمه أداء السلطه السياسيه

الأمر الثاني

يقول الحق لك ايه المسلم أن القرآن الكريم هو الدستور الذي فيه تجسيد مراد الله تعالى في كونه الفسيح وان الأمر بالهجره الي ديار الإسلام هو لأجل أن يصبح الزاد النظري واقعا يفعل في الحياه فالإيمان بالحريه و المساواة والعدالة واقامه الدوله التي لأجلها أمروا بالهجره وترك ديار الكفر لا يكون التحول الواقعي لها إلا عندما تتحول إلي قانون ينظم حياه الناس في كل شأن من شؤون حياتهم وأن ذلك فيه مشقه أعظم من غرس المبادئ والقيم الإسلاميه في النفوس ابتداءً وتحويله إلي قانون ينظم أحوال الفرد والجماعه وتفعيلها في واقع الحياه وهذا يبدأ من خلال اعاده قراءه الاشياء والأمور وفقا لمراد الله ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد حث المومنين علي قتال الكفار والمنافقون ومحاربه الظلم والدعوه الي الهجره للمساهمه في بناء دوله الاسلام فيقول الحق لك ايه المومن انتبه أن تتصور أن تقديم التضحيه منك وتحمل المشقه والمتاعب من قبلك في المساهمه في بناء الدوله يعطيك امتياز عن بقيه الناس حتي لو كان هولاء الناس كفار فاعلم أن الإسلام لا يحابي احد فديارا لاسلام المأمور بالهجره إليها هي دار السلام لكل الناس يقام فيها العدل والمساواة ولهذا فإن انت اخطات بحق اي شخص وان كان كافرا فسوف تنال عقابك لامحاله ولن تنجو من العقاب

فعليك أن تدرك أن الإسلام يحمل رساله عالميه فرساله الاسلام ابتدأت بالخطاب للعرب ثم كان الانتقال لمخاطبه العالم كله فهي رساله عالميه ولهذا قال تعالي (لتحكم بين الناس بما اراك الله)

فلم يقل أن المنهج انزال ليحكم بين المسلمين وانما بين الناس كلهم فعليك أن تدرك أنك تحمل منهج الحق ولهذا فأنت ملزم بالقبول بالحق وهذا يقتضي إن كان الحق مع الكافر أن تعطيه حقه فأنت حاكم بين الناس وليس بين المومنين فقط

و لما كان غرس هذه المبادئ والقيم في النفس اسهل من تحويلها الي واقع فعلي لان تحويل النظريات الي واقع تطبيقي عملي أمر في غاية الصعوبة يجد المرء صعوبه ومشقه لأن النفس فيها نوزاع وبوعث تعيق عملية التطبيق ولهذا وضع الحق المجتمع المسلم في هذه التجربه التي كانت فيها صعوبه ومشقه فالحق لليهودي والسارق مسلم من الانصار أنه وضع معقد فنحن نعرف منهم اليهود فهم الذين يتربصون بدوله الاسلام ويستغلون كل شبهه للتشهير بالإسلام وهم حاقدون علي الاسلام ويتآمرون ضد الإسلام كلما سنحت الفرصه وقد مثلت هذه الواقعه ماده اعلاميه لهم للاساءه للإسلام والتشهير بالإسلام فقد كان المسلمون في وضع لا يحسد عليه فهو يشكل فضيحه للمسلمين فسوف يقول اليهود أن المسلمون يسرقون ويلفقون جرائمهم علي أناس أبرياء فماذا يقولون وايضا أن طعمه قبيله تناصر الاسلام وهي تخاف الفضيحة وربما ترتد عن الإسلام فقد أراد البعض اخفاء حقيقه طعمه وما كان منه من السرقة خوفا علي سمعه الاسلام وايضا نظروا أن اخفاء ما حصل من طعمه يحفظ سمعه الاسلام فأراد الحق أن يربيههم علي احترام القيم والمبادئ التي تقوم عليها دوله الاسلام وتحويل النظريات الي واقع يفعل في الحياه فيقول الحق أن الأمر يحتاج الي شجاعه وقوه فلا تنظروا الي الأمر نظره سطحيه فالإسلام لم يأتي ليحابي المسلمين لا بل جاء لاقامه العدل في الحياه فالمسألة ليست مجرد قيم شكلية فالإسلام لا يحابي المسلم علي الآخرين بل جاء بالحق ومنهج الحق فعليك أن تقف الي جانب الحق اياك ان تقول هذا مسلم لا يصح

أن يتم التشهير به لانك تري أن ذلك فيه اساءه للإسلام اياك أن تخشي أن يرتفع راس اليهودي لأن هنالك عدواه معهم وهم سوف يستغلون المساله ضد الإسلام فلا تحكم له إن كان صاحب حق فهذا خطأ فادح يجب الإنتباه له ولهذا يقول لك الحق أن حصل هذا منك فإن هذا يعني فساد قراءتك للأحداث فإن فعلت ذلك فهذا يعني أنك تقرأ الاشياء وفقا لمراد الشيطان وليس وفقا لمراد المطلب الرباني فاعلم أن السارق يجب معاقبته طالما ثبت إدانته ولا يجوز إصاق التهمه بشخص بري وان كان كافر

فلا تنظر إلي السارق بالتعاطف وان كان مسلم فتقول إن ذلك فيه صيانه لسمعه الاسلام فهذه نظره سطحيه لمدلول قيم الإسلام فهو لو كان مسلما حقيقه فقد كان عليه أن يصون هذا الانتساب فلا يرتكب الخطأ فهذا قد خان امانه الخلافه التي كلف بحملها وخان غيره بأن حاول تفتيق جرمه بالآخرين فلاتهتم لأمره فلا يستحق أن تدافع عنه هكذا يعلم الله المومنون مساله في غايه الخطوره أنها متعلقه بمفهوم الحضاره بأنها تنطلق من الازن الرباني في العالم فالله يقول لنبيه (بما اراك الله)

فدل هذا أن من يخالف مبادئ وقيم القران والسنة النبويه التي تترجم بمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم يكون منطلقا من وجهه نظر الشيطان لانه ينطلق من الأهواء والشهوات والرغبات والالتواء والخيانه

فالله يخبرنا أنه للانتقال من النظرية الي التطبيق العملي يجب أن تكون القراءه للأمر وفقا لمراد المطلب الرباني فهذا يحقق للعالم بأكمله الحق والعدل

فالنصوص تعطينا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع قيم العدل في الحكم لتكون سنه المواقف للرسول صلى الله عليه وسلم قدوه حسنه تدلنا علي كيفية التحول أثناء التطبيق العملي لأحكام القران فهذه العمليه فيها تجارب الحكم الاسلامي ليكون العمل الوعي بهذه التجارب الي قيم الساعه فهذا المنهج الذي قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتربيته المومنين عليه فهذا هو المنهج الرباني القادر علي تربيته المومنين وأثاره الا حساس وهذا هو المعلم القدوه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي علمه الله فعليك أن تقف مع القصة وتعيش واقعها فضع نفسك مكان الرسول صلى الله عليه وسلم والظروف المحيطة التي أحاطت بالواقعه لتقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا كلفت بالحكم بين الناس فلا تتعصب لشخص لانه مسلم أو من مذهبك فهذا أن حصل تكون قد حولت المنهج الرباني الي سلاح فتوي أو حزبي أو طائفي أو مذهبي وبالتالي فأنت تحكم وفق احوالك وليس وفق مراد الله وهنا تكون عاملا وفق مراد ومطلب الشيطان وليس وفق مراد ومطلب الله

الأمر الثالث

يحذر الحق من التسييس للقضايا والمبادئ والقيم (أسس بناء دوله الاسلام) بالتكتل الفتوي ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى بعدما أمر بالحكم بين الناس بالقسط والعدل رتب علي ذلك عدم جواز الظلم والجوار فدل علي اطلاق حكم الاسلام المتعلق باداء السلطه في الإسلام انه يكون بالتعامل مع المحكومين بالعدل بغض النظر عن اديانهم فهذه هي اسس أداء السلطه فهذا هو الميزان التي تزن به أداء سلطتها في واقع الحياه أنه ميزان الحق في كل وقت وزمان فقال تعالي (لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله أن الله كان غفورا رحيفا)

فالنصوص تبين أن رساله الاسلام عالميه الابعاد ومهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هو نقل الناس الي مرحله تتجاوز حدود الوطن العربي والأجناس والأوطان فهو يحمل منهج الخير للعالم بأكمله ولهذا فإن أداء السلطه السياسيه التطبيقية ينبغي أن تكون منسجمه مع مراد الله فقال تعالي (بما اراك الله) فهذا هو المفهوم القرآني الواعي الذي تدرك به الامه مسؤوليتها التاريخيه للمرحله لتفهم سر القراءه العليا التي أمر الله بها لقياده العالم ولذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم شرع منذ اللحظة الاولي بارساء قواعد الشريعه لمواجهة الانحراف فالإسلام لم ينظر إلي الأسباب التي كان يتخوف منها البعض اذا عوقب طعمه بأنها ستكون ماده اعلاميه يستغلها

اليهود للتشهير بالإسلام فيقول الحق أن الامه مكلفه بقياده العالم وليس امه العرب فقط فيجب الحذر من التسييس للقضايا بالتكتل الفئوي فهذا فيه أضعاف روح التدين اذا سقطت الامانه فالخلافه تتطلب العدل والعلم فإذا حصل الالتواء عن ذلك صارت الخيانه وهي عكس الامانه فيجب أثناء التطبيق تجسيد معاني القرآن (بما ارك الله)

لأن البعض يحاول تسييس القضايا بتطويع الشرع لاهواه ورغباته ولهذا يقول الحق انتبهوا فإن هذا خلل خطير في أداء السلطه السياسيه فيه هدم للقيم والمبادئ ناتج عن شهوه الرئاسة فجاء الاسلام لاقتلع جراثيم العصبيه التي كانت تمثل أسس الانظمه في القبائل العربيه التي كان أغلب مكونات الشعب المسلم منه فأراد اقتلاعها من النفوس ولهذا جعل مشروعيه الحاكم باقامه حكم الله وحمل الامانه ولهذا يقول الحق احذروا من تسييس الوسيطة والاعتدال

فالتعسف للمفاهيم عند التطبيق العملي يعني الخيانه لانه يعني التحول في القراءه من مراد الله الي مراد الشيطان فالاداره تعني عدم الخلط للالوويات ولهذا لم يبالي الاسلام بالمخاوف التي كان البعض يخاف من أن يودي ادانه طعمه وتبراه اليهودي من اضرار بدوله الاسلام ودعوته فأخبرهم الله أن هذه الأسباب لا اهميه لها مقارنة بالاهداف العظيمه التي يحملها الاسلام بارساء العدل في حياه الناس ولهذا يقول الحق عليكم عدم الخلط لالوويات وهذا الترتيب للالوويات من أهم عناصر أداء السلطه السياسيه بتحقيق مراد الله ينبغي الحذر من الخروج عنه بتسييس القضايا فهذا مقدمه الفشل الذي كان سببا في زوال قياده اليهود للعالم فقد كان تسييس القضايا كانوا اذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وان سرق القوي تركوه فكان خيانه الامانه منهم هو السبب بالفشل وانتقال القياده الي امه الاسلام ولهذا فإن مراعاة الأولويات يتطلب أن يكون القائد شجاعا يعلن استعداده للدفاع عن القرار الذي اتخذه إذا تعلق بقضيه مصيره بشرط أن يكون هذا الحكم والقرار موافقا لشرع الله وهنا يقول الحق لنبيه (فلا تكن للخائنين خصيما)

لاتكن مدافعا عن الخائن فأنت تتطبق منهج الله فكيف تدافع عن الخائن عليك أن تفهم أن اختيار التوقيت هذا بذات واختيار الأطراف أمر يخضع لمشيئه الله واختياره وتدبيره وذلك لحكمه الهيه فالامه كي تكون لها الوسيطيه والاعتدال وكي تكون صالحه لقياده العالم لابد أن تقيم العدل بين الناس بالحق دون النظر لاي اعتبار آخر ولهذا فإن الحق يضع الامه وقائدها في موقف حرج لتربيته الامه علي قول الحق واقامه العدل في الحياه ولو كان ذلك علي حساب خساره الاسلام لبعض الناس الذين قد يتأثرون من اقامه العدل لانهم ارتكبوا جرم يعاقب عليه فلا تتدافع عنهم لأن هولاء خائنون لاجه لك بهم اذا لم يرجعوا الي الله تائبين فهدف انزال الكتب السماويه وإرسال الرسل هو اقامه العدل (لقد أرسلنا رسلتنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) فكان اختيار الأطراف والتوقيت لأن العدل وقول الحق يحتاج الي قوه شجاعه في الأحوال والظروف الصعبه لأن عدم قول الحق في الظروف العاديه وعندما لايشعر المرء أنه لن يلحق به ضرر أمر سهل وهو حاله طبيعيه لأن الفطره تنفر من الكذب والخيانه اذا لم يوجد داع من دواعي الأهواء النفسانية مثل الخوف من الضرر من قول الحق واقامه العدل في النفس أو المال أو العرض أو غيرها من الأمور ولهذا كان اختيار التوقيت والأطراف من الله ليضع المومنين في هذه الظروف ليكون التحول من حاله الطبيعيه للعدل التي مغروسه في الفطره الي ان تكون خلق يمتاز به المسلمون دون غيرهم ولهذا يحذر الحق من تسييس القضايا بأسلوب واضح فيها الصرامه و الحزم الإلهي بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المدافعه عن الخائنين وبما يفوح منه الغضب الإلهي والغيره علي العدل لبيان أن قوه الغضب ينبغي ان تكون في الحق وان تكون لله وحده لا شريك له فلا تدخل فيها المصالح الضيقه لبيان ان استخدم الغضب لأجل المصالح ولو كانت لأجل تحسين صوره فرد من أفراد المجتمع المسلم يخشي أن يودي معاقبته اساءه للإسلام وسمعته فيقول الحق ان هذا أضعاف للإسلام فالإسلام جاء لاقامه العدل في الارض وحمل الامانه يمنع الدفاع عن الخونه يقول الحق لنبيه لا تدافع ولا تترافع عن الخائن فمن عرفت خيانته لا يجوز الدفاع عنه

فلا تقول إن اسره اللص سوف تتأثر فتلجأ لاختفاء جريمته وتعتبر ان ذلك اولويه تجعلك تبرر عدم عقوبته انتبه
ف الله يقول (ولاتكون للخائنين خصيما)

الأمر الرابع

يقول الحق ان حمل امانه الخلافه في قياده العالم يتعين أن يكون اداء السلطه السياسيه قادرا علي اتخاذ
القرارات التي تحقق العدل بالشعور بالمسؤولية وبرقابه الله حتي لاتصاب بالعجز بمخالفه القيم والمبادئ

فلا تتردد القياده في إصدار القرار الذي يوافق الصواب فلا تنظر إلي المصالح الضيقه فعليك اقامه الحق فالتردد ب
النسبه للقائد أمر خطير لارتباطه بالمسؤولية الملكة علي عاتقه في تحقيق العدل بين رعايا الدولة دون محاباه له
آثار مدمره علي مستقبل الدوله ولهذا نجد أن الحق يلوم الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول الله لنبيه (واستغفر
الله أن الله كان عفورا رحيمًا)

فالاستغفار يجي هنا علي مجرد خاطر التردد بين نصره المسلم أو نصره اليهودي فالرسول صلى الله عليه وسلم لم
يكن قد نصر احد قبل نزول النصوص بعد ولكن مجرد الخاطر في هذه المساله توجب الاستغفار ومن الذي صدر
عنه الأمر بالاستغفار أنه الله سبحانه وتعالى ولرسوله ولا اعتراض منه صلى الله عليه وسلم علي أمر الله

وهذا فيه بيان أن العدل في الحكم يتطلب تحري الحق فعليك الثاني وفحص الاداله دون ميل فالرسول صلى
الله عليه وسلم كاد يندفع بملايسات لحن القول التي كادت أن تثبت الجريمه علي غير مرتكبها وكاد أن يتورط
في حكم جائر استنادا الي الظاهر لولا أن حماه الله تعالي فرسول الله معصوم أما انتم فلا

فالرسول صلى الله عليه وسلم هم بضرب اليهودي زيد بن سمين تعويلا علي شهاده أقارب طعمه ولأن طعمه كان
في الظاهر مسلم ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستغفار بسبب ذلك الهم بالحكم والذي لو وقع لكان
خطاء في نفسه وان كان معذور فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر لان حسنات لابرار سيئات المقربين

الأمر الخامس

كما أن النصوص تبين أن اقامه العدل يتطلب وجود قاضي ومدعي ومتهم وان للمتهم الحق بالاستعانة بمحامي
ولهذا يقول الحق للمحامي الذي يترافع أمام المحاكم عن المتهمين عليك عدم التهاون بتحري الحق فلا تدافع عن
الظالم فتضع النصوص اداب الترافع فيقول الحق للمحامي انك بمتابه قاضي فأنت القاضي الواقف فعندما تعرض
عليك قضيه فعليك أن تحري الحقيقه فإذا عرفت أنه ظالم أو ظننته كذلك فلا يجوز لك أن تترافع عنه فلا
تستعمل قدراتك في الدفاع من خلال لحن الحجه فإن ذلك يجعلك شريكا للظالم في الجريمه لانك تستعمل ملكات
لحن الحجه في تزين الخصومه المبطله فتوثر علي الحاكم بأن يقضي للخائن بلحن القول فتقع في ورطه الدفاع
عن الخائنين فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إنما بشر مثلكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن من بعض
في الحجه فاقضي له فإذا قضيت له فإنما اقتطع له قطعه من جهنم فليردها)

فالاستغفار لبيان اهميه الحرص علي الحق فلا ينبغي استخدام الملكات لتكون مخادع لمنفعه الظالم أو تحاول أن
تصور اقامه العدل بأنه يشكل خطرا علي المصالح العليا للدوله أو الدعوه فقال تعالي (فلا تكن للخائنين خصيما)
يقول الشعراوي أن اللام لام النفعيه اي أن الله يأمرك أن لاتقف موقفا ينفع الخائن بل عليك أن تقف لمصلحة
الحق فاللام بمعني عن اي لاتكون مدافعا عن الخائن ولم يستخدم عن بدلا من اللام لأن الغايه من الدفاع عن
الخائن أن ترجح امره ويكون له لا عليه ولهذا جاء باللام هنا من أجل أن تعرف الغايه بأسلوب اوضح وله دلالة
أعمق من عن والمراد بهذا أن لاينفع المسلم خائنا فلا تكون المساله له بل عليه وقد جاء الحق بهذا الصيغه لتكون
أكثر إيضاحا واختصارا لتعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في جانب الخائن ولن يأتي له بما ينفعه
لبيان ان الرسول صلى الله عليه وسلم غير موزون له بالشفاعه للخائن والله يقول في موضع آخر (من ذا الذي

يشفع عنده إلا بإذنه) ولهذا يقول الحق لرسوله لا تلت لمن يحاول المساومه كما حصل من بني ظفر قبيله طعمه عندما اردوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يحكم علي اللص الذي كان منهم وتمحكوا بأن الإسلام سوف يتضرر لو عوقب طعمه المسلم وبرئ اليهودي لأن ذلك سوف يلحق الفضيحه بالمسلمين فيقول الله انه لا بد من اقامه الحق وأن التوسط من هؤلاء ذنب عليهم كما ذهب البعض من أن المقصود به اولئك الذين حاولوا المساومه فذكر قبول الله التوبه فهو يستر الذنوب ويغفرها مهما كانت لمن عاد تائباً بان عليهم التوبه فالله مبالغاً في المغفره والرحمه لحت اولئك الذين اتفقوا علي أن يشهدوا بالسرقه علي اليهودي دافعا عن طعمه عقوبه السرقه ولهذا جاء النص بصيغه الجمع (فلا تكن للخائنين خصيماً)

وصفهم جميعاً بالخيانة فالمراد بهذا تحذير من يدافع عن المذنب بالباطل فعرف الخائن أنه كل من يقف مع المذنب فيقول الحق لاتعول علي علي شهادتهم فتحكم علي اليهودي ..وايضا جاء باللاد في (للخائنين) يقول الامام الشعراوي أن اللاد لام النفعيه اي أن الحق يأمرك أن لاتقف موقفا ينفع الخائن بل عليك أن تقف لمصلحة

ثانيا

تأتي النصوص بعدها بقوله تعالي (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم أن الله لا يحب من كان خواناً اثيماً يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول وكان بما يعملون محيطاً هانتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياه الدنيا

المبحث الأول

جاءت النصوص بصيغه العطف (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم...الخ

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بالكف عن الدفاع عن من أذنب وتوجه عليه عقوبه يقول له قف لاتحاول دفع من صدر عنه جنايه وسماهم (يختانون)والاختيان تعني الخيانه بمعني الجنابه الظلم والاثم وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

أن توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فيه مبالغة بالتحذير لك ايه المسلم من التفریط بالعدل سواء كنت حاكماً أو قاضياً أو محامياً فالتحذير الموجه للرسول وهو اعدل الناس واكملهم يدل أن القضيه في غايه الا هميه وان الحق يريد إشباع القضيه وإلا فإن ماسبق ذكره في الايه قبلها يكفي

وهذا فيه شد الإنتباه الي ضخامه المسؤولية لمواجهه الأخطار التي تهدد الدوله والقيم والمبادئ العليا للدوله يقول فيه الحق لرسوله وهو خطاب لكل المومنون أنه يوجد في صفوفكم شوذ فلا يكون مثل هؤلاء الشوذ سبباً لفشل الدوله بالاضطلاع بالتزاماتها في حمايه القيم والمبادئ يقول إن المسؤولية الملقاة علي عاتقكم توجب اعاده ترتيب الشعب بالعمل الواعي بهذا المنهج بتطبيق أحكام الله في الحياه بحيث يمتد تحقيق العدل ليصل أثره في النفوس لاستئصال الأمراض والجراثيم من النفوس اي أنه يحقق العدل وتربيته المجتمع المسلم لمواجهه إخطار مرحله التحول بالعمل الواعي بعدم المشاركة بظلم وبناء الإنسان المتمسك بالمنهج الرباني وهذا يتطلب وجود معلم يقوم بتربيته الأجيال لاحداث بناء شرعي في نفس المكلف يستأصل رواسب الفكر الجاهلي والبيئة التي نشاء بها ف القضيه مصيريه فانجاح المشروع الرباني يتطلب الاعتناء بالمعلم والمنهج والمتعلم لاستمرار اجيال العمل الايماني فاعمار الحضارات لاتقاس بالعمران فقط بل بالثبات علي القيم والمبادئ التي يحملها المشروع الرباني فإذا لم يحصل الالتزام بذلك وعدم الشعور بالمسؤولية عن حمايه المبادئ والقيم فإن مستقبل الحضاره مهدد بالانهيار وقد شاهدنا كيف صار حالنا عندما تخلينا في الوقت المعاصر عن القيام بواجبنا في حمايه المبادئ والقيم فقد نتج عن ذلك افرازات قلبت المنطقه بكاملها رأساً علي عقب

ولهذا أراد الحق أن يربط الناس بالالتزام بالمبادئ والقيم وحمايتها لتكون ثابتة فالمنهج الرباني والسنة النبويه ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبرنا أن الله هو من علمه فأراد بهذا بيان مشروعيه لحاكم باقامه منهج الله وبذلك تتعالي القيم والمبادئ علي هوي الحاكم فلا يتجاوزها الي أفقه الضيقه العابره

والحق يبين لنا أن للقيم والمبادئ التي ذكرتها النصوص قبل هذا المقطع من الحريه والمساواة وسياده الامه والا خوه والشورى. وحقوق الإنسان... الخ

كلها تنبثق وترتبط بالعدل فهو القيمه الكليه العليا في الإسلام فهو قيمه القيم والجذر الذي ترجع إليه القيم كلها ف الله أخبرنا أنه جعله غايه ارسال الرسول وانزال القران (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما)

وكذلك قال تعالي (ولقد أرسلنا رسلتنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

فمن العدل تنبثق القيم الاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه والسياسيه وكل شي فالله يقول إن الحريه التي حث الحق سبحانه وتعالى عباده علي التمسك بها وذكر عدم جواز التفريط بها أو التنازل عنها واخبرنا أن الذي يقبل بحكم الظالم ماواه جهنم (أن الذين توفاهم الملائكه ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأ رض قالوا لم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها)

فالحريه جزء من العدل فمن الظلم تقيد حريه الناس ومن الظلم إهدار قيمه الشوري والتحدث باسم الناس وهم لم يختار الحاكم ولله يقول (اطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم.. الخ

فالقيم الانسانيه والدينيه كلها تعود إلي العدل ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين عندما أمرهم ب الهجره الي الحبشه أن فيها ملك عادل لا يظلم عنده احد او كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد توصل الشنقيطي في كتابه الازمه الدستورية الي خلاصه مفادها

أن العدل من بين كل القيم له قيمه مطلقه لاتدخلها الشبهه لاتخضع لمنطق تزامم القيم ومايقتضيه من ترجيح لقيمه علي اخري لانه جذر كل القيم وقد إدراك ابن تيميه ذلك فكتب أن عامه مانهي عنه في القران والسنة النبويه من المعاملات يعود إلي تحقيق العدل والنهي عن الظلم

الأمر الثاني

يقول الحق إن العدل اساس نجاح الحضارات أو فشلها وسقوطها ونهضتها وهو أمر واجب علي كل مسلم ليكون شاهدا علي الأمم فمقتضي الامانه بحمل الخلافه توجب عليك حفظ الامانه بالتعامل بالعدل في كل حال ومع كل الناس فالظلم محرم ولهذا كان العطف بالخطاب الإلهي الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم)

والجدل كما يذكر الشعرواي هو القتل فحين يفتل الإنسان شيئا مثل أن يحضر بعضا من الشعر والصوف والليف ويجد لها ليصنع حبلا فهو يفتل الغزل ليقويه ويجعله غير هش وقابلا للشد والجدب والخصمين كل واحد منهما يريد تقويه حخته فيحاول أن يقويها باي وسيله بالاستعانة مثل توكيل محامي فطن ذكي قادر علي توجيه التهمه نحو خصم موكله أو وسيط يوثر علي القاضي لتقويه حجه أحد الأطراف

ولهذا جاء الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايقوي مركز اي انسان يختان نفسه

فالحق أراد بهذا العطف الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم اشباع قضيه العدل من خلال اسلوب المبالغه في

التحذير ارساء أساس قيمه العدل في أعماق نفوس المومنين لتكون الحادته مصدرا دأئم للمومنين في التعامل مع كل الناس ورصيذا متجددا للنظام فكان التوجيه بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو اعدل الناس واكملهم

والمراد بهذا اقتلاع جذور العصبية الدينية التي قد تتسلل الي نفوس البعض من فعل رواسب الجاهليه التي عاشها العرب قبل الاسلام

يقول الحق للرسول صلى الله عليه وسلم أن المنهج الرباني الذي يحقق مراد الله كما علمك يوجب عليك نصره من كان علي الحق وان كان صاحب الحق يهودي معادي للإسلام ويتربص ويحارب الاسلام فلا تقوي مركز المسلم وقبيلته الذين يناصرون الاسلام اذا كانوا علي الباطل

يقول الحق لنبيه وهو خطاب للمومنين أن الأمر بالجهاد لمحاربه الكفار وتحمل المشقه والمتاعب والمعاناة في القتال لايعني محاباه المسلم ليقوم بالتصرف كيفما يشاء في المغلوب عليهم من الكفار وأهل الأديان الأخرى الذين يذعنون لدوله الاسلام بعد انتصارها فليس هذا هو هدف الجهاد فالإسلام لايحارب اختلاف الأديان وانما يحارب البغي والعدوان والإسلام لايرغم الآخرين علي اعتناقه وليس هذا هو هدف الجهاد ف الله يقول لنا في موضع آخر (لا إكراه في الدين)

فهو لايريد ان يجعل الناس مومنين بالتضييق عليهم أو ارغامهم علي اعتناق الإسلام ولا معاملتهم بهضم حقوقهم لا وانما يريد أن يكون القران الكريم ومنهج الله هو الذي يحكم الأرض وهو يقوم علي العدل فقال تعالي (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا.. الخ

فأراد الاسلام تربيته المومنين علي قيم الإسلام التي يكون التعامل بها فيقول الحق أن أساس المعامله مع الآخريين تقوم علي العدل هذا هو الخلق الذي يجب أن يتعامل المسلم مع المسلمين ومع غيرهم من الناس فالخلافه شرف وهذا الشرف مرهون بالالتزام بأمر الله وان يشعر المسلم بالمسؤولية عن الالم النوع الإنساني ويرفع الظلم عن المظلوم ولو كان الظالم مسلم والمظلوم كافر فيكون عليك الوقوف مع الحق فالحق يقول لنبيه أن القرآن وحي من الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) وليس من صنع البئيه ولهذا نجد العطف بالخطاب الإلهي الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم لأن رواسب الجاهليه وعصبيتها خطر يهدد فكره الخلافه والحضارة الإسلامية لابد من اقتلاعها ولذلك كان توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ليشعر المومنين بضروره اقتلاع رواسب الفكر الجاهلي من نفوسهم فيقول لنا الحق أن الإسلام يعطي غير المسلمين ممن دخلوا في ذمه الاسلام واستامنوا في دولته من الحقوق مثل ما للمسلمين وعليهم ما علينا واختلاف العقيدة لايببر التعصب الديني فهذا خروج عن شرف الخلافه التي تقوم علي امتثال أمر الله فانتصار الاسلام هو انتصار للحق الذي قامت عليه السموات والأرض وبالتالي فليس انتصار الاسلام خروجاً علي ميزان الحق في انتهاك حقوق غير المسلمين فقد نزلت الايه لتبراهه يهودي وادنه مسلم وتنهى عن مناصره الظالم المسلم ضد المظلوم اليهودي

مبينه أن هذا المسلم خائن لأنه خرج عن نظام الجماعه والدوله المسلمه التي تهدف إلي اقامه العدل فكيف يكون تقويه مركز انسان خائن خان المنهج الرباني الذي هو امانه ملقاه علي عاتقه فالمسلم خليفه في الأرض فهو مكلف بحمل امانه الخلافه بارساء قيم العدل وماتتبعق عنها من قيم فلم يتورع من ارتكاب الإثم فهو وضع نفسه موضع العقاب بتدنيستها بالسرقه والكذب والشهود الزور وخان غيره ممن أمر بالتعامل معه بالصدق والعدل فقد اجتمع فيه ثلاثه امور خان نفسه بأن وضعها موضع فيه مضره راجعه علي نفسه كما يقال لمن ظلم غيره ظالماً لنفسه لأنه اوقعها فيما يوجب العذاب وخان غيره بالظاهر بأن قام بارتكاب إثم تلفيق التهمه علي غيره وخان المنهج الرباني الذي يحقق السعاده في اجتماع الامه

المبحث الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف المسلم مكانه في الكون بأنه خليفه الله في أرضه وأنه انزل المنهج ليقوم الخليفه بتحقيق مراد الله في أرضه فهو يحمل امانه الخلافه ولهذا فإن هذا يوجب عليه الشعور بالمسؤولية ب القيام بأمر الله والخلافه لا تثبت للمرء بمجرد ولادته وانما تكون لمن اردها وقام بتحمل وأداء الأمانة بطاعه الله وهي شرف المومن فإن خروج المسلم عن طاعه الله يعني خيانته للامانه وفقدانه الشرف المرهون بامتثال أمر الله ولهذا يقول الله (يختانون أنفسهم) وهنا يبين لنا كيف يخون الإنسان نفسه فيقول الحق أن المعاصي والكذب والبهتان اضرار من الإنسان بنفسه لأن ذلك يفقده شرف الخلافه وخائن لنفسه لانه ارتكب المعاصي فهو قد جلب لنفسه المضرة فهو قد خان فطرته بمخالفه ما يعود عليه بالضرر فالفطره تنفر من الكذب والبهتان والخيانه فاي انسان لا ينفر من ذلك مالم يكن هنالك داع من دواعي الأهواء النفسانية التي دفعتة الي ما يعود عليه بالضرر ولهذا وجد هذا السارق وقبيلته الذين ناصره في أنفسهم اشمزاز ونفور من السرقة فحاول إصاق التهمه ب اليهودي فهذه الدوافع النفسانية هي صاحبه الباعث علي الخيانه فالخوف من الفضحيه ولهذا نجد أن القران جاء بنصوص لمعالجة الدواعي النفسانية التي تدفع الي مخالفه الفطره من خلال إرساء العقيدة التي فيها السعاده كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

التغقيب بقوله تعالى (أن الله لا يحب من كان خوانا اثيما)

أن الحق يريد بذكر هذه العقوبه التي تحمل معاني اكبر من كلمه العقوبه ذاتها لأنها كناية عن السخط والغضب الإلهي للخائن الذي يرتكب المعاصي بإصرار يعاقب بالسخط والغضب الإلهي

يريد الحق أن يسمو بدوافع الخضوع في نفوس البشر حتي لايساء استخدمها في الانقياد للناس والأهواء ويحكم صمامات النفس بعروه العقيدة الوثقي فأنت عندما تعرض عليك نفسك ارتكاب الفعل أن تنظر إلي الحكم الشرعي هل يحقق مراد الله وهل هو حلال ام حرام

هكذا تصرف مشاعر النفس بحيث تجعلها تخضع لاراده الله بأن تقبل علي الفعل أو الترك بهدف ابتغاء مرضاة الله ولهذا فأنت تكره فعل الخائن لان اراده نيل رضاء الله توجب عليك أن تجعل النزاع النفسانية موافقه للمنهج الرباني كي تكون مستقيمه وقويه ولهذا فإن الذي يخالف منهج الله ويتجبر عن الحق لا يحق لك أن تدافع عنه فجاء التنبيه من أن يكون الدفاع والمناصره بدوافع الحب للشخص فالحق يقول لك انتبه أن يكون معيار الحب قائما علي معيار شخصي مثل الحب عصبية أو قبيله أو لون او جنس لا فالحب الحقيقي هو الذي يكون قائما علي معيار موضوعي بالاجتماع علي أبوه المنهج الرباني الذي يحقق مراد الله وما يحب ويرضى فانت تحب في الله وتبغض في الله

ولهذا نجد أن الأمر جاء (ولاتجادل) والايه قبلها ذكر فيها (فلا تكن للخائنين خصيما)

وهنا لم يقل خونين بل جاء بكلمه (خوان) يقول الشعراوي أن هنالك فرق بين كلمه خائن وخوان لماذا لأن الخائن يصدر منه الخيانه مره واحده أما الخوان فتصدر منه الخيانه مرارا وتكرارا فالخائن في أمر يسر أما الخوان فحاله إصرار وتكرار للجريمه ولهذا جاء تضخيم الفعل والعقوبه ومن لطف الله أنه لم يقل خائن لأن ارتكاب الجريمة مره واحده يتجاوز عنها الحق فلا يسخط الحق عليه فهو قد أخبرنا أنه غفورا رحيمًا..

ولهذا ذكر أن أمراه جاءت لعمر بن الخطاب محاوله ايقاف حد السرقة عن ولدها فقالت إنه أول مره يسرق فقال لها كذبت أن الله لايفضح من عمل الذنب مره واحده والاثم فظيع المعاصي

ولهذا إذا شاهدت رجل انفضح وانكشف امره وصارت جريمته واضحه فاعلم أنه قد ارتكب الجريمه أكثر من مره وأنه قد صارت الجريمه عاده له ولهذا غضب الله عليه وفضحه فلا تتعاطف معه لأن ذلك التعاطف منك نوع من ا

لاعتراض علي حكم وفيه فساد معيار الحب والبغض فأنت بهذه المشاعر تدافع عن مجرم سخط الله عليه وفضحه ولهذا نجد أن الحق يقول في سورة النور (ولتاخذكم بهما رافه في دين الله) وهو يتحدث عن عقوبه الزنا انك مكلف ايه المومن بحضور موقف اقامه الحد دون أن تتعاطف مع الزاني

الأمر الثاني

تأتي النصوص مبينه اهميه صرف مشاعر الخوف والرجاء الي الله فلا تتجبر بها بغير الحق يقول الحق أن الا متحان الحقيقي الذي يوجه الناس عند الانتساب للدين هو الأساس العقائدي الذي يبني عليه الدفاع عن الدين وان الخوف من الله هو الغذاء الروحي الذي يحتاجه الناس للدفاع عن الدين وهذا يكون أن عليك اذا اردت اعاده ترتيب أحوال المتدينين أن تبدأ بغرس العقيدة في النفوس فهي الأساس بأن تتمسك بالحق بالشعور انك بقبضه الله لاتستطيع الافلات منه فيكون تمسك بالصدق ولاتسكت عن الحق وان كان قولك للصدق فيه ضرر علي نفسك ومالك وعرضك هكذا يجب أن نتعلم الدين كما أنزل ولهذا نجد أن الحق يرسم صورته قبيحه مذمومه لحال قوم طعمه وهم يخططون للخلاص من الفضيحة التي يخافون من إلحاق الضرر بسمعه القبيله أو الاسلام من فعل طعمه فقال تعالي (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لايرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطا)

وهذا فيه الآتي

اترسم النصوص صورته تنفر منها النفوس من ذلك السلوك مبينه فساد قوه الخوف لدي هولاء وانهم اساءوا استخدم قوه الخوف فالاستخفاء من الاستتار فهم يخافون من أمر لايريدون اطلاع الناس عليهم يقول الحق أن هذا السلوك القدر لايجوز أن يصدر من المومنين فدل هذا علي ضعف الايمان وضعف النفس فالاصل أن الخوف يكون من الله ولهذا يقول الحق كيف تخافون من اطلاع الناس ولاتخاف أن يراك الله في مواطن يكرهه الله

٢

يقول الحق لعباده عليكم أن تكسروا الحواجز التي تشكل اسوار تعيق عملية الانطلاق فكيف تسجن نفسك في سجن الحياء من الناس من انفضاح امرك وتلجاء الي وضع المكائد والدسائس والمومرات في ظلام الليل لأن قوله (يبيتون) من التبيت وهي مؤخذة من وقت عوده الرجل الي بيته ليلا حيث يستتر عن الناس في بيته في الليل

فأراد الحق بهذا توجيه النفوس الي استحضار وجود الله تعالى فقال (ما لايرضي من القول) فيقول الحق أن ا الخوف لا يكون إلا لله فكيف لم ترقبوا الله وتخافوا من الفضيحة يوم الوقوف أمام الله في ساحه الحساب

يقول الحق أن الإيمان بوجود الله يقتضي عليك استحضار وجود الله والحياء منه وخوفه ولهذا فإن الإيمان بوجود الله دون استحضار وجوده الایعد إيماناً لأنه لو كان مومناً من أعلن إيمانه بوجود الله ما تجرأ علي صناعه المومرات خوفاً من الناس ولم يخافوا من الله وان الله ينظر اليهم كيف لك أن تبارز الله بالعظايم دون مبالاه أنه مطلع علي أفعالك ولهذا يقول الحق أن التحول المعبر عن الإيمان الحقيقي وانما يكون بالشعور بوجود الله فتراقب الله في أفعالك وان تستحضر وجود الله وانك في قبضته ولاتستطع الافلات من عقابه فهو محيط بكل عمل تعلمه (وكان الله بما تعملون محيطا)

فاستحضار وجود الله وتسجيل اعمالك وانك في قبضته هو الذي يحقق الفاعليه الإيجابية لعقيدة الايمان ولهذا فإن هولاء فيهم نقص ايمان ولامعني لايمان وجود الله دون استحضار وجود الله بدليل أنهم يخافون من انفضاح أمرهم من الناس وهذا فيه فاعليه سلبيه وبالتالي فعليكم تحويل الفاعليه الي ايجابيه باستحضار وجود الله

فيكون قولكم الحق والوقوف مع الحق وان كان بظاهرة الأضرار بكم أو اقاربكم فهذه هي الفاعليه الإيجابية ف العقيدة هي التي تبني في صميم الوجدان اخلاق الفكر واخلاق النفس واخلاق السلوك فهذه هي عقيدة الايمان

المبحث الثالث

(ها انتم هولاء جادلتهم عنهم في الحياه الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا)

انه بالوقوف علي الاسلوب الذي يخاطب الحق سبحانه وتعالى اولئك الذين اجتمعوا بالخفاء و وضعوا الخطط و المكائد لتبرئه طعمه من جريمه السرقة والصاقها باليهودي فإنك تعجب من هذا النقاش الرائع والجدل يجريه رب العزه مع مخلوقه فيقول الحق (ها انتم هولاء جادلتهم عنهم في الحياه الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)

حيث أن ذلك فيه بيان كيف يكون اعاده ترتيب الشعوب بحيث يسهل تطبيق القيم والمبادئ في واقع الحياه ولا يكون هنالك فجوه بين القيم العليا للدوله والشعب وبين واقعهم الفعلي ولهذا نجد أن الحق يبين لنا أساس المنهج الرباني الذي كان به تربيته المومنين واعاده تشكيلهم العقلي وصياغه روح الامه وقيمها ومفاهيمها وموزانيها حتي لاتختلط عليهم السبل فتفرق بهم عن سبل الاسلام ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

عليك أن تدرك أن الإسلام منهج عقلي في إثبات صحه عقيدته وإقرارها في العقول والقلوب فالإسلام يقوم علي تقدير العقل البشري وتكريم الإنسان ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب اولئك الذين اجتمعوا بالخفاء ووضعوا الخطط والمكائد لتبرئه طعمه من جريمه السرقة والصاقها باليهودي بأسلوب نقاش رائع وجدل يجريه رب العزه مع مخلوقه فقال تعالي (ها انتم هولاء جادلتهم عنهم في الحياه الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا)

اي افرضوا انكم استطعتم اخفاء الحقيقه بتبرئه اللص من فعلته الشنيعه والصقتم التهمه بشخص آخر خوفا من الفضيحة فإنه لم يكون بمقدوركم الدفاع عنه يوم القيامة

أنه حوار بالمنطق يدعوهم فيه الحق الي التحرر من سلطان النزاع النفسانيه التي دفعتهم الي المدافعه عن السارق خوفا من الفضيحة ولهذا جاء بهذا الهجوم علي البواعث والدوافع النفسيه التي تقف وراء مدافعتهم عن المجرم فيقول الحق (ها انتم هولاء جادلتهم عنهم في الحياه)

اي افرضوا انكم استطعتم اخفاء الحقيقه بتبرئه اللص من فعلته الشنيعه والصقتم التهمه بشخص آخر برئ وكان لكم منع العار و الفضيحة والحقتم ذلك بشخص برئ فمن سوف يقوم بتلك المهمه يوم القيامة عندما يجمع الخلق كلهم للحساب والجزاء ويكون كشف الحقيقه أمام الخلائق أجمعين فهل يوجد من يقف مدافعا ومحاميا عنه في هذا اليوم الذي يكون القاضي فيه هو الحق سبحانه وتعالى ولا يخفي عليه شي والشهود يدك ولسانك ورجلك

فهذا المنطق الذي عرض به الله جلا وعلا دينه والمناقشة للمخالفين بما يدحض نزواتهم يجعل السامع مشاركا في الوصول إلي النتائج المنطقيه من السامع نفسه بأنه لن يستطيع أن يدافع عنهم وأنه سوف تحصل الفضيحة فهذه النتائج المنطقيه هي التي توسس عليها نظم الاسلام ومبادئ وقيم الاسلام

الأمر الثاني

يبين لنا الحق طريقه عرض قواعد التصور الإسلامي الفكرية وتطبيقه العملي بأن العرض الفكري ليس عرضا

سطحيا بل لابد أن يمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه ويكون اعاده تشكيل عقولهم بحيث يكون صياغه روح الامه وقيمها ومفاهيمها وموزانيتها حتي لاتختلط عليهم السبل فتفرق بهم عن سبل الاسلام

ولهذا فاننا نري عرض نظام الاسلام مرتبنا باساسة العقائدي الذي يثبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها بما يودي الي الهدايه في سائر قضايا الفكر والعمل ولهذا نجد أن الخطاب جاء بأسلوب الحوار الإلهي الذي يربطهم بـ التوحيد من خلال الدعوه الي الايمان بالله واليوم الآخر... الخ

فهذا هو الأساس العقائدي الذي يجب ربط كل أمر أو شأن سوء كان اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو أي شأن به فهو الروح الاصيل الذي يهيمن علي النظام الإسلامي والأساس الذي ترتبط به الجزئيات في كل الميادين فيجب عليك حينما ندعو الناس الي الاسلام او تطبيقه أن تربطه باساسة الاعتقادي في شتي الميادين

ولهذا نجد أن الحوار الإلهي يدعو الذين يدافعون عن المجرمين لأعمال الفكر والتدبر فيقول اذا قدرتم اخفاء الجريمه وتلقيها بشخص بري في الدنيا وهذا أمر ممكن في الدنيا لأن البشر علمهم محدود ويمكن أن تنطوي حيلتكم عليهم فهل يمكن لكم استخدام قدرتكم هذه في يوم القيامة لابد أن الجواب لا اننا عاجزون

الأمر الثالث

كما أن النصوص من خلال هذا الحوار الإلهي مع الذين حاولوا اخفاء جريمه طعمه والصاقها باليهودي ترسم صورته قبيحه لمن يوثر حصانه العقل الي نزوات الهوي ويختار التمراغ في مواخم الضلال فجاء هذا الحوار الذي فيه الهجوم علي الانقياد لهوي النفس وقهر سلطانها وازاله رواسب الفكر الجاهلي لأجل استنهاض لحيويه الارده الا نسانيه بعرض حالهم القبيح في ساحه الحشر يوم الوقوف بين يدي الله يقول أن الدنيا ليست هي كل ايام الله بل دار العمل الذي يزوال الإنسان نشاطه ابتغاء الدار الاخره يقول لنا أنه لو كانت الدنيا هي ايام الله فإن الحياه سوف تتحول إلي شرور أكثر من الخير شرور لانهايه لها فنحن نشاهد أن الظالمون لهم اليد الطولي فلو كانت هي دار الجزء لما تحقق العدل ولهذا فإن الاخره لابد منها لتحقيق العدل الالهي وان الجنه والنار ضروريتان من ضرورات عدله ورحمته تعالي فما تشاهدون من اختلاف أحوال الناس من حيث الصلاح والفساد والكفر والايمان وما يجري بين الناس من ظلم وبغي وتسلط القوي علي الضعيف ولانري اطراد الجزء حاصل في هذه الحياه لكل إنسان علي إحسانه أو إساءته لذلك كان اعظم من مظاهر العدل والحكمه ولهذا فإنه لابد من البعث للناس لحياه اخري يجمعهم الله فيها ويحاسبهم ويجازيهم الجزء الاولي

فيقول الحق انه اذا كان يمكنكم اخفاء الحقيقه وتزويرها في الدنيا لأن القاضي البشري يحكم بالظاهر فانه في هذا اليوم يوم القيامة يكون القاضي هو الحق سبحانه وتعالى وميزانه العدل ولايظلم احد ولايجرء احد أن يدافع عن المجرمين ولا يستطيع أحد أن يتلف الاداله التي فيها ادانه المذنب وسوف تحاسبون فاحذروا من المدافعه عن الظالمون

الأمر الرابع

كما أن الإيمان باليوم الآخر فيه عزاء لمن يناله اذي من الظالم والمعتدي الباغ لأن المظلوم يكون مطمئن الي أنه سوف يقف مع خصمه بين يدي الله سبحانه وتعالى الذي سوف يحكم بين عباده بالعدلوينتصف للمظلوم من الظالم فهو يوقن أن حياته سوف تنتهي وهناك حياه فيها السعاده الابديه

القسم الأخير

لما هدد الله المكذبين بالعقاب وإنصاف المظلومين من الظالمين فالدنيا ليست نهايه الحياه فهناك حياه اخري ابدية فيها السعاده الابديه أو الشقاء الابدي فإن الخطاب الإلهي في الايه السابقه فيه بذل النصيحه لهم فهذا فيه

الحافظ الحقيقي الي عودتهم الي الله تعالى أن الصورة التي ترسمها الايه لابد أن العاقل يقلق ويطير نومه ويكدر صفو عيشتهم ويجعلهم لا يهدل لهم بال ولا يقر لهم قرار

ولما كان الايمان باليوم الاخر حافزا اقوي وأعظم

هو حافظ اقوي وأعظم سلطانا علي نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام واضطراب الأحوال فيكون ذلك موجبا لقبولهم لدعوه الايمان وهم يشفقون علي أنفسهم فتجد الرغبة في التوبه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يبين لنا ميزان الحساب بأنه العدل والرحمة

ويبين قواعد التصور الإسلامي للحساب والجزاء والعقاب

ا ولا

فأول قاعده هي

أن باب التوبه مفتوح لكل من يعود إلي الله تائباً فقال تعالى

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)

الآتي

الأمر الأول

ترغيب اولئك الذين اجتمعوا بالخفاء ووضعوا الخطط والمكائد لتبرئه طعمه من جريمه السرقة والصاقها باليهودي وهم صنفان قسم كان يريد القيام بذلك ظنا منه أن الجريمه سوف تلحق الاذي بسمعه الاسلام والقسم الثاني كان يخشي علي سمعه قبيلته من القول إن فيهم سارق وكلهم مذنبون ولهذا يدعوهم الله الي التوبه فهو سبحانه

قد جعل الناس أهل اغيار ولهذا لم يشاء الحق أن يعاقب هؤلاء بمجرد ارتكاب ذنب من دائره الايمان ومن رحمته سبحانه وتعالى ولذلك يقول لهم انه شرع التوبه

وذلك فيه مصلحة للإنسان نفسه والمجتمع المسلم لماذا ؟

لان التوبه لو لم تشرع وكان طرد كل من أذنب من رحمه الله فإن هذا سوف يودي تفاقم الشرور في المجتمع وسوف يصبح هذا المذنب يسعي الي تحقيق شهواته ونشر الظلم دون خوف لانه سوف ينظر لنفسه أن مصيره محتوم وان اللذه في الدنيا فقط وان ينال اكبر لذه قبل أن توفيه المنيه فيسلك كل سبيل لنيل ماتهواه نفسه وشهواته ولايرده عن ذلك شي فالخير بنظره هو ما يحقق له مصلحة عاجله أو سمعه أو نحوها مما يجد فيه متعه الحياه في هذه الحياه وفي هذه الحال لايبالي أن يقترف في اي طريقه اي إثم او ظلم مادام سيحقق له المصلحه ولايبالي بمصالح الآخرين ولاحقوقهم وبذلك يعم الشر والفساد والظلم وتتحول الحياه الي جحيم لا يطاق

ولهذا فإن ذكر أن باب التوبه مفتوح لكل مذنب أن يعود إلي الله تائباً فكان هذا حافزا اقوي وأعظم سلطانا علي نفوسهم لعودتهم الي الله تائبين وفيه حمايه المجتمع من الشر

الأمر الثاني

أن حكم التوبه مفتوح وهو حكم عام ليس مقصورا علي الذين اجتمعوا بالخفاء ووضعوا الخطط والمكائد لتبرئه طعمه من السرقة والصاقها باليهودي وليس مقصورا علي طعمه لمن ذهب للقول أنه المقصود بالحكم .. لا بل هو

حكم عام لكل مذنب إلي قيام الساعه

فقال تعالي (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه)

ومن يتأمل النص يجد دقه القران في وضع المعايير التي توضح لنا أن الغرض من المنهج الرباني الذي ذكر فيه أن التوبه مفتوحه لكل الناس فيه حمايه المجتمع المسلم وحمايه الإنسان نفسه فذكر أن الذي يعمل الأعمال السيئه التي تضر بغيره من الناس أو الذي يظلم نفسه بأن يكون الضرر عائدا علي النفس بأن يضعها في موضع يوجب علي نفسه العقاب لمخالفته المنهج فهذا قد جعل الله باب التوبه له مفتوحا ف الله يقول (والذين إذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم)

فالحق يبين لنا كيف أن المنهج فيه حمايه المجتمع المسلم من شرور الفاسد وحمايه الإنسان من نفسه أن يوردها موارد الهلاك فالنفس امانه ويجب عليك رعايتها حق رعايتها وتطهيرها من الاوساخ بالتوبه

فأخبر الحق أن من ارتكب ذنبا بحق غيره أو بحق نفسه مهما كان من الصغائر أو الكبائر ثم جاء تائباً الي الله فإن كرم الله وعفوه ورحمته ومغفرته أنه سبحانه وتعالى يتجاوز عن ذنوب العبد ويقبل التوبه طالما كان صادقا في توبته ونادما وان الحق يوفقه الي الأعمال الصالحه التي تمحو السيئات ويستتر ذنوبه فلا يفضحه في موقف الحساب فمن نوقش الحساب عوذ ب فقال تعالي (ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا)

والحق يرغب بالتوبه ولهذا نجد أنه سبحانه يصور لنا أنه بانتظار التائب فما عليه إلا أن يتوجه الي الله فالباب مفتوح لا يوجد شي يحجبهم عن الله فقال تعالي (يجد الله غفورا رحيمًا)

يقول لاتقنط ولا تيأس من رحمه الله ومغفرته

ثانيا

القاعده الثانيه من قواعد التصور الإسلامي هي

قاعده المسؤوليه بأن تبعات المسؤوليه فرديه فلا يؤخذ أحد بذنب غيره فقال تعالي (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه علي نفسه وكان الله عليما حكيما)

فالنصوص تحدد المسؤوليه بأن كل واحد سوف يحاسب عن أفعاله فيقول الحق لك كما قال لقوم طعمه أن القبيله لاتحاسب علي عمل المذنب فلماذا تحاول المدافعه عن المذنب فعليك الاهتمام بنفسك فأنت سوف تحاسب علي اعمالك فلا تعارض العدل في الدنيا فالعمل الذي تعمله هو الذي تجازي عليه

فكل من فعل إثما فإنه يكون هو المسؤول وحده ولايسال احد غيره عنه

والجمله شرطيه فعل الشرط فيها ومن يكسب إثما...وجواب الشرط

(فإنما يكسبه علي نفسه)

واقتران الفاء بالجواب فيه تأكيد الجواب واثما نكره في سياق الشرط يفهم أنه شمول الإثم صغيرا أو كبيرا و الكسب يفيد جر منفعه فأراد الحق أن يغرس في النفس قوه نفور من ذلك فهو ليس منفعه لأن المذنب يتلذذ بالمعصيه ويظن أنه منفعه ولهذا جاء الجواب أنه لم يجلب لنفسه منفعه وانما جلب لنفسه مضره فأراد بهذا أن يحصل النفور من ارتكاب الذنب فالعاقل ينظر إلي نهايه اللذه العاجله فهي لاتدوام ونهايتها العقوبه علي نفسه دون أن تمتد الي غيره ولاتزور وزر اخري

وان الله عليم بما ينفع الناس وحكيم في تشريعاته وقرره

ثالثا

القاعده الثالثه

تقرر التبعية بالجزء المضاعف لمن يرتكب فعلا محرما سوؤ كان هذا الفعل خطاء بغير قصد أو ذنبا متعمدا اذا قذف به علي شخص بري

فقال تعالي (ومن يكسب خطيئه أو إثما ثم رمي به برئيا فقداحتمل بهتاننا وإثما مبينا)

أنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد

أن أو ما يلفت انتباه السامع تحميل من يرتكب جرما محرما سوء كان هذا الجرم المخالف للمنهج الرباني ناتجا عن خطاء من الفاعل أو عن قصد فقال تعالي (ومن يكسب خطيئه أو إثما ثم رمي به برئيا فقد احتمل بهتاننا وإثما مبينا)

حيث أن لفظ خطيئه تعني أن يكون ارتكاب الفعل المحرم خطاء وليس متعمد بينما الإثم يطلق علي ارتكاب الفعل المحرم عمدا من الفاعل وهذا هو الفرق بينهما في حاله اجتماعهما فالمعلوم أنه إذا اجتمع الإثم والخطيئه افترقا وإذا افترقا اجتمعوا في المعني فيكون معني كلا منهما أن ارتكاب الفعل المحرم عمدا ولهذا فإن اجتماعهما مع العطف يفيد المغايره فدل هذا أن الخطيئه كان ارتكابها من الفاعل خطاء دون قصد وان الإثم ذنبا ارتكب من فاعله متعمدا فكيف يكون الجمع بينهما في الحكم ونحن نعلم أن الخطاء الغير مقصود لايعاقب معه الفاعل يوم القيامة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول رفع عن أمتي الخطاء والنسيان وما استكرهو عليه)

ونعلم أن التبعية بالمسؤولية في الدنيا لجريمه الخطاء تكون مخففه وبالغالب تكون عقوبه ماديه بينما التبعية لجريمه العمد تكون مشدده فمثلا القاتل عمدا يكون الحكم عليه بالقصاص في الدنيا إما في الاخره فقد أخبرنا أنه خالدا في النار فقال (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاءه جهنم خلدا فيها..الخ

بينما الذي يقتل خطاء مثل حادث السياره فهذا يكون عقوبته في الدنيا هي الديه وعق رقبه واخبرنا أن ذلك يجزئ عنه ولايعاقب في الاخره فقال تعالي (وما كان لمومن أن يقتل مومنا الاخطئا ومن قتل مومنا فتححرير رقبه مومنه وديه مسلمه الي أهله...الي أن قال (توبه من الله وكان الله عليما حكيما)

وهنا قد يقول قائل لماذا جمع الله الفاعل خطاء بالعقوبه مع الفاعل عمدا وسماه (إثما مبينا)

فالجواب فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي مساله في غايه الخطوره وهي أن علي المسلم تحمل المسؤولية عن فعله وان يكون شجاعا بالاعتراف بفعله فالاعتراف بالخطاء اول خطوه في الاتجاه الصحيح في اداره الازمه وبالتالي فعليك أن تدرك أن إلقاء اللؤم علي الآخرين هو بدايه السير في الطريق الخاطي في اداره الازمه

فالحق يريد أن يعلم ويربي جماعه الايمان علي الاستفاده من تجربته التي وضعهم الحق بها ويقول لاولئك الذين اجتمعوا لتبرئه طعمه لانهم كانوا يريدون اخفاء الحقيقه والصاقها باليهودي خوفا أن من الاساءه لسمعته القبيله التي ينتمي إليها طعمه أو الفريق الثاني الذي كان يخاف علي سمعه الاسلام اذا اعترفوا بأن الفاعل هو مسلم واراد

إصاق التهمة باليهودي انتبهوا من خطوره عدم الاعتراف بالذنب فإن هذا لا يخدم الاسلام وانما يجنح بكم عن المسار لأن الذي يلؤم الآخرين بفعله ويرفض

الاعتراف بالجرم الذي ارتكبه يعني أنه يرفض اقامه واقع حياته بقيم الاسلام ارتكازا واعتزازا واعتبارا فانتم جعلكم الله الامه الشاهده علي الناس (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس) ولهذا فإن هذا الدور لن يتاتي مالم تكن الامه في مستوي إسلامها قيما ومبادئ وهذه التجربه التي وضعتم فيها لاقامه واقعكم بقيم الاسلام ولتتعلموا كيفيه التعامل مع القيم الاسلاميه تربيته وتنزيلا بناء وارتقاء ولهذا فإن الوسيطة وكونكم شهداء علي الناس يوجب الصدق ولو علي نفسك ولذلك فإن رمي التهمه والصاقها بمن لم يفعلها يعني الخروج عن شرف الشهادة التي ميزت به هذه الامه لماذا

لأن ذلك بهتان يدل علي عدم إدراك دوركم في الواقع العالمي بدقه في اضافته اثم واضحا لا لبس فيه يوجب العقاب حتي لو كان الفعل خطأ غير مؤخذ به فإن الافتراء بالكذب علي الآخرين لأجل تخليص النفس من تبعيه الفعل يجعل الفعل الخطأ نتيجته البهتان ينتقل الي منزله الذنب المقصود الواضح

الأمر الثاني

أن الحق يربي المومنين علي تحمل المسؤولية وتنقيه النفوس من اثار وركام الفكر الجاهلي لتكون الامه قادره علي الاضطلاع بالمهمه في قياده العالم باقامه نظام الاسلام في حياه الناس ولهذا ترسم لهم النصوص صورته قبيحه مذمومه لمن يرتكب فعلا خطاء أو عمدا ثم يحاول إصاق التهمه بالابرياء بأن هذا الفعل يثقل كاهل فاعله ويجعله يحمل ازرا ثقيل لم يكن ليعاقب لو أنه اعترف بذنبه فقال تعالي (فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا)

وهذا فيه اشاره الي الذنب العظيم وتصيح جريمته واضحه توجب العقاب وان فاعله هو الذي أوجب علي نفسه عقوبتين عقوبه البهتان وعقوبه الذنب البين

فاستعمل لفظ احتمل ولم يقل حمل لتأكيد مكابده وشده وثقل يتحملة الذي يرمي بالجرم علي البرئ

وسما ذلك (بهتان) يرسم صورته الالام النفسي الذي يصيب البرئ عندما يسمع الأكاذيب فيقال بهت فلان إذا دهش وتحير ويقال بهته بهتان اذا قال عنه مالم يفعله لبيان قبح الكذب وشهادته الزور

واراد بهذا أن يلفت انتباه المخاطبين الي الابتعاد عن تلبيس القيم بالذات فيقول انتبهوا أن تنظروا لأنفسكم وكانكم الاسلام المعصوم الذي لا يخطي فلا تقبلوا النقد ليكون منكم المراجعة لفعالكم والإقرار بالتقصير فلا تجعلوا الدفاع عن الاسلام لونا من ألوان الدفاع عن النفس ومحاولة للتستر علي اخطاءكم علي حساب النظر في كيفيه بناء الامه بهذا الاسلام وتجسيده في حياتكم فلا تحاولوا حمايه المخطئ باسم حمايه الصف المسلم وعدم تبصير الأعداء بمواطن الضعف والخلل والثغرات حتي لا يوجهوا سهامهم إليها فإن هذا تقديس الذات بأنها لا تخطي فيجب فصل الذات عن القيم ليسهل التعامل معها بدون خوف أو توجس فالمراجعة لواقع المسلمين والا عتراف بالخطأ أن وجد ليس عيبا وخطاء الفرد ليس قيم الإسلام ولا تلبيس بين قيم الإسلام وحال المسلمين فلا يجوز إعفاء الذات من المسؤولية بالقاء اللؤم علي الآخرين فالانتماء والارتباط للفكره والقيم لا الأشخاص و الذوات فالعصمه هي للفكره وليس الذات والحق يعرف بالقيم وليس بالافراد الذين يجري عليهم الخطاء والصواب ولهذا جاء التحذير من حاله إلقاء اللوم علي البرئ مهما كانت المبررات فذلك هو الجرم الواضح أن حصل والمراد من هذا أن يغرس الشجاعه في النفوس للاعتراف بالذنب

القسم الأخير

تأتي النصوص بهذه الايه الكريمه فيها اختتام ما أشارت إليه النصوص

قبلها كيف حفظ الله نبيه بالعصمه وأظهر الله له الحق فلم ينساق وراء أهواء اولئك الذين اردوا أن يجعلوه يعاقب برئى بذنب اخر فقال تعالى

(ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفه منهم أن يضلوك وما يضلون أنفسهم وما يضرؤنك من شي

ا ولا

الايه الكريمه (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفه منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرؤنك من شي

ف الله يمتن علي نبيه بفضله ورحمته والفضل زياده العطاء بلاصطفاء وبالرساله والرحمه يكون فيها دفع المكروه وحصول المطلوب بينما الفضل حصول المطلوب كما ورد علي لسان سليمان (هذا من فضل ربي لينظر اشكر ام أكفر)

ولهذا فإن هذا يوجب عليك ايه المومن عندما يحصل لك المطلوب بالتوفيق للحق أن تشكر الله وتحمده فهذا من عطاء الله

والحق يمتن علي رسوله صلى الله عليه وسلم بأن عصمه من الانسياق وراء المتامرون الذين اردوا أن ينحرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكم بناء علي شهادتهم الزور فاطلعه الله علي موامرتهم فقد اردوا أن يكون تطبيق العدل مشوها فأرادوا أن يضلوا الرسول بتورطه بالحكم علي برئى وهم يدركون أن طعمه سارق فقد سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدافع عن السارق وتبرئته ونسب ذلك لليهودي ولهذا ذكر الحق (لولا) شرطييه فيها امتناع لوجود والوجود هنا فضل الله ورحمته وهي العاصمه والممتنع هو أن يدافع عن المجرم

والحق يبين حاجه الناس الي فضل الله ورحمته وتوفيقه للحق ذلك أن هنالك من يحاول اضلال الحاكم كي ينحرف عن العدل من خلال تلبيس الحق بالباطل فذكر الحق (لهمت طائفه منهم أن يضلوك)

اي طمعوا في ذلك فقد جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم

وشهدوا أن السارق اليهودي وانكروا أن صاحبهم سارق فقد هموا وفعلوا وخص الهم بطائفه وهي الطائفه المنافقه التي أردت تلف الاداله وتضليل العداله بسوء نيه وليس تلك الطائفه التي كانت حسنه النيه فنظرت للمساله انها فيها اساءه للإسلام وسمعته

فذكر النص الطائفه سيئه النيه لبيان ان هنالك من يريد تضليل العداله فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطاء فما بالك نحن البشر

واخبرنا الله أن هولاء اوقعوا الضرر بأنفسهم لانهم اضلوا أنفسهم بأن حملوها ذنبا لم يرتكبه بمناصره الظلم ومحاوله اخفاء الجريمه وتلفيقها بشخص بري فجاء التطمئن للرسول صلى الله عليه وسلم بأن هولاء لن يضر النبي صلى الله عليه وسلم شي وقد جاء اللفظ نكره (شي) في سياق النفي وهذا يفيد نفي اي ضرر قل أو كثر

ثانيا

أن الحق سبحانه وتعالى يمتن علي رسوله صلى الله عليه وسلم وهو امتنان علي الامه الاسلاميه بالفضل والرحمه ففضله هدايه وهدايته ورحمته انعامه وإحسانه فالفضل والهدي والنعمة والرحمه متلازمات لاينفك بعضها عن بعض والهدي والرحمه وتوابعهما من الفضل والانعام كلها من صفات العطاء والاضلال والعذاب وتوابعها من صفه المنع

وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه ومنعه وذلك كله صادرا عن حكمه بالغه ومملك تام فلا اله الا الله كما ذكر ابن القيم رحمه الله ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى بمناسبة ذكر المنه في حفظ النبي صلى الله عليه وسلم من المومره الاخيره وصيانه أحكامه من أن تتعرض لظلم برئ وتبرئه مجرم وكشف له الحقيقه وتعريفه بالمؤامره تجي المنه الكبرى منه الرساله كما ذكر الشهيد سيد قطب رحمه الله فقال تعالي (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

وفي هذا الآتي

١

امتنان الله بعطاءه وفضله ورحمته وانعامه للرسول صلى الله عليه وسلم ولامه الاسلام بل للبشريه كلها بان أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم معلما وقائدا ومربيا لاستصال افات وأمراض العالم فيه رحمه ونعمه من الله ف الله يقول (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين)

فأخبر الله نبيه أن من أعظم انعام الله هو انزل القرآن الكريم الذي فيه الأحكام الواضحه والسنة النبويه لإخراج البشريه من الظلمات الي نور الايمان (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة)

فهذا هو الأصل في كل مناهج العمل الدعوي والشرعي (الكتاب هو المصدر الأول للاحتكام والسنة النبويه هي المصدر الثاني للاحتكام ومنها تستمد الحجج والبراهين القاطعات حول مسائل الخلاف والاختلاف

٢

ولما كانت معرفه المنه وقدرها مرتبطه بمن عرف ماكان عليه قبل المنه فإن هذا يستلزم أن تعيش بمشاعرك واحساسك حياه الناس قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فتري كيف كان حياه الناس في الجاهليه من العصبية المقية وكيف كان حال الناس من التمزق والانقسام وضيق الأفق وكيف أن الناس كانوا وحوشا مفترسه يأكلون الميتة ويفطعون الطريق ويسلبون الضعاف فالقوي ياكل الضعيف انظر كيف أنهم تقاتلوا اربعين سنة لأجل ناقة لتعرف نعمه الاسلام الذي حولهم الي اخوه يرحم بعضهم البعض انتقلوا فيها الي أناس يشعرون بالم الآخرين ويهتمون بما تعاني منه البشريه ويسعون لخدمه النوع الإنساني بأخلاق القرآن الكريم لتري الفارق وتذوق لذه النعمه التي انعم الله بها علينا بالقران وإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صار الحياه للبشريه التي كانت قد فقدت ادميتها

٣

أن لغه القرآن الكريم التي كان بها احياء العالم وإخراجه من الظلمات هي لغه العلم الذي علم فيها الحق سبحانه وتعالى رسوله القرآن الكريم والسنة النبويه وعلمه اخبار الأمم السابقه وكيفيه مواجهه الازمات والتحديات وانتشال العالم من براثن الوثنيه وعلمه اسرار الشرائع فالرسول لم يكن يعرف القراءه والكتابه فاعد الله المنهج الرباني الذي يلائم البشريه في مرحله النضوج واعد المعلم المسؤول عن تنفيذ المنهجيه العلميه والتربويه فالعملية تحتاج الي مهارات وخبرات لاداره الدوله والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف القراءه والكتابه (وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فكان أول ما أنزل الله من القرآن (اقرا باسم ربك)

فقد علم الحق رسوله كيف يقرأ الاشياء واللغه التي يخاطب بها العالم فأول ما علمه هو اعاده القراءه باسم الرب منذ أن انزل القرآن وهي لغه عالميه شامله تجاوزت حدود الجزيره العربيه والأجناس والأديان فهو رسول الله الي العالم أجمع وقد أخبرنا الله أنه انزل القرآن ليحكم بين الناس كلهم حتي ذلك الكافر وبالتالي فقد علمه الحق كيف يقرأ الاشياء بأن تكون باسم الله فهذه القراءه فيها ما يحقق المطلب الرباني ولهذا فقد شرع الرسول صلى الله

عليه وسلم منذو اللحظة الاولي لنزول الوحي بتفهم المراد الرباني العالمي ويرسي قواعد قراءته القرانيه مرحله بعد اخري فهذا هو المنطلق الذي انطلق منه في القراءه والمعارف

لتأسيس وبناء حضاره الاسلام حيث منح القران المعرفه العلميه التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم اول من تلقاها من الله والمعرفه للإنسان وليس المسلم وحده فقد علمه الله كما علم ادم الاسماء كلها فقال تعالي (وعلمك مالم تكن تعلم)وقد بلغ القران مساله العمق في تعليم الرسول اسرار الكون الذي فيه التحدي للعالم أن يأتي بمثل القران ولدرجه احراج الكافر في هذا الزمان وهو يكتشف كل يوم أن ما حملة الرسول صلى الله عليه وسلم في القران للعالم من اعجاز علمي تكتشف كل يوم وكلما حصل التقدم الإنساني وامتلاكه ادوات قادره علي قراءه ما تفحص عنه العلوم في الفلك وفي نفس الإنسان قد أخبر عنها القران قبل الف وأربعمائة عام ومن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو في الأصل امي فمن الذي علمه أنه الحق سبحانه وتعالى

وكذلك علمه الله كيف يبني دوله في امه لاتعرف الانظمه ولا الدول ولا المؤسسات ولا اي شي

وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بإنشاء دوله الاسلام تحت رعايه الله له وتعليمه كيف يبني الدوله وكيف يواجه التحديات والمخاطر المحتملة ويضع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم في التجارب التي منحت البشريه تجارب فيها النفع والارتقاء بمستوى الانسانيه

فالحق قد جعل الغايه من رساله الاسلام إلحاق الرحمه بالعالمين وجعل مهمه الدعوه الي الله واستنقاذ الناس من ا لافساد وسفك الدماء اشرف واعظمها بالكلمه الحسنه فعلم نبيه اسرار ومقاصد القيم والمبادئ وكيف يكون تطبيقها في واقع الحياه بما يودي الي تحقيق مهمه الاسلام في قياده العالم بالافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وسنه المواقف وهذا فضل عظيم من الله علي نبيه أي عطاء ونعمه من الله لهذه الامه يجب علينا أن نحمد الله عليها

ابتدأت النصوص بالنهي عن النجوي وهي مشتقة من التناجي وهو أن يخلوا إنسان باخر أو مجموعه من الناس سرا ومخاطبتهم بالخفاء وبعيدا عن أعين الناس فذكرت الايه أن أغلب هذه الاجتماعات لاختير فيها وهذا يعني أن ذلك فيه شر كبير ومكائد وموامرات بالخفاء وبعيدا عن أعين الناس ثم جاء الاستثناء بعدها بحصر حالات محدده يكون التناجي والاجتماع مطلوب بالأمر بالصدق والمعروف وإصلاح ذات البين وان من يخلص النيه بهذا العمل لله تعالي سوف يعطيه الله اجرا عظيما

بعد أن تناولت النصوص السابقة الأحداث والاحوال التي حدثت بسبب واقعه السرقة من طعمه ومحاولة جماعه من المسلمين (بني ظفر) إلقاء اللوم على اليهودي وهو بري وأنها كادت أن تعصف بالمؤسسة الدوله المسلمه وقيم الاسلام ومبادئه لولا فضل الله الذي عصم نبيه من الاستجابة لمطالب هولاء فأخبره الله أن مهمته معالجه الازمه من بدايتها ومنع تداعياتها بتطبيق منهج الله فقال تعالي (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما... الخ فهو مكلف أن يطبق منهج فلا يدافع عن الخائنين ولا تتأثر لابتنزاز المتامرين ثم جاء النص بأسلوب الحوار الفكري الرباني لتفريغ الازمه من حداثها بإنكار ما كان من هولاء الذين اجتمعوا بالخفاء ووضعوا الخطط والمكائد لتبرئ طعمه بأسلوب فيه يعلم الحق المومنون كيف يكون اداره الازمه خاصه مثل هذه الازمه الضخمه فدلنا الحق بطريقه تفريغ الازمه وتداعياتها كيف يكون مواجهه ازمه المارقين عن نظام الجماعه ومبادئها من مضمونها وهذا يتطلب معرفه صانعي الازمه والوعي بالمصالح المتعارضه لقوي الازمه ومعرفه المنافع التي تكتفي بها بعض قوي الازمه وإقناعهم أن استمرار المكاسب يقتضي عدم التحالف مع قوي الازمه ولما كان صناعي الازمه فريقين احدها كان حسن النيه فقد كان الباعث لاجتماعهم ومحاولتهم اخفاء جريمه طعمه والصاقها باليهودي تعود إلي خوفهم علي سمعه الاسلام فهم يعرفون اليهود وتربصهم بالإسلام وأما الفريق الثاني فقد كان خوفا من الفضيحة أن تلحق بالقبيله وفريق كان يريد ابتزاز الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال التآمر في استغلال الموقف واندفاع الكثير من المسلمين في محاوله اخفاء الحقيقه فأراد هولاء المنافقون ابتزاز الرسول صلى الله عليه وسلم بايقاعه في تصرف خاطئ من أجل أن يكون ذلك سلاحا يبتزون به ضعاف الإيمان الذين اشتركوا معهم بالجريمه كي يردوا عن الإسلام فقال تعالي (ولولا فضل الله عليك لهمت طائفه منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم ولن يضررك من شي... الخ فهذا هو الهم الذي هم به هولاء اردوا أن يكون تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أفراد دمرت قيمهم ولم يعودوا يعيرون للقيم النبيلة بل يعيشون لذاتهم ومصالحهم الفرائنيه وعندها يجدون من يستجيب لهم في تدمير الموسسه لحمايه أنفسهم وتحقيق مصالحهم

ولهذا نجد أن الحق وصف قبح اجتماعهم ثم جاء التلويح بالتهديد بالعقاب والجزء فذكر احاطته علما بأعمالهم (وكان الله بما يعملون محيطا) بتسجيل أعمالهم ثم جاء بالحوار الموكد قدره الله علي الجزء وانهم عاجزون عن الدفاع عن الخائنين يوم القيامه فلا يستطيع أحد أن يمنع عقابه أن ينفذ بحق المذنب ومعلوم أن الجزء يأتي مقترنا بالعلم والقدره لأن من لا يقدر علي المذنب لا يقدر علي ايقاع العذاب والعلم لأن من لا يعلم بأحوال المذنب وجريمته يكون الجزء بدون دليل وهذا ظلم والله لا يظلم أحد فكان ذكر العلم والقدره علي ايقاع الجزء لبيان عدله ووقوع الجزء لامحاله فكان هذا التهديد له أثره في نفوس ضعاف الإيمان وهذا مقدمه لتفتت مجموعه صناعه الا زمات الي مجموعات يخف شده تأثيرها ويمكن السيطرة عليها فكان التهديد لاعاده الفريق ذو النيه الحسنه الي مراجعه موقعه لاعاده تشكيل العقول وصياغه الأرواح والتصورات عن قيم الإسلام ومبادئه ولهذا نجد أنه يأتي تهدئه الازمه ومنع تفاقمها باتاحه الفرصه لهم بالتوبه حتي لا يكون الشعور بالذنب الي الياس من النجاه من العقاب نجد أن الحق يعيظهم الامل فهو يقول في موضع آخر (ياعبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لاتقنطوا من رحمه الله (

وهنا يقول لهم أن باب التوبه مفتوح لكل من يعود تائباً الي الله فسوف يجد الله قابلاً لتوبته فقال تعالي (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)

ولأن الازمه من طبعها أن تجذب نحوها أزمات فرعيه لأنها تتوجه نحو نقاط الضعف ولأن البعض كان يشعر أن الا لتزام القبلي يلحق به تبعيه بالمسؤولية عن ارتكاب الجريمة من أحد أفراد القبيله وهذه ازمه تعود إلي رواسب الفكر الجاهلي والبيئه الجاهليه وعصبيتها ولهذا نجد أن الحق يفتت هذه الازمه فقال تعالي (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه علي نفسه... الخ

ثم يقنعهم أن استمرار المكاسب يقتضي عدم التحالف مع قوي الازمه فقال تعالي (ومن يكسب خطيئه أو إثما ثم يرم به بريئا فقد اكتسب بهتانا وإثما مبينا)

ثم يأتي التنبيه الي حمايه الله ورعايته وانعامه لنبيه من الوقوع في الخطاء الذي كانت الطائفه الخبيثه من بين الذين اجتمعوا تهتم أن توقع النبي صلى الله عليه وسلم فيه فقد حماه الله وعصمه وانزل عليه الوحي الذي يكشف له حقيقه هولاء والسنة النبويه وعلمه كيف يتعامل مع الازمات واحتواء الضرر فقال تعالي (ولولا فضل الله عليك لهتم طائفه منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم ولن يضروك من شي وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يذكر بعدها (لاخير في كثير من نجوهم الا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولي ونصليه جهنم وساءت مصيرا أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)

وهو مايفهم من النصوص بربطها بما سبق أن النصوص تهدف إلي الاتي

الأمر الأول

ايجاد ثقافه فكريه للمومنين تتمكن من مواجهه اثار الازمات العميقه أعقاب الفتنة وماتبعتها من انقسام أو في مرحله الظهور حيث نري أن الأعداء من المنافقين واليهود بدوا يحاولون استغلال الازمات بعد ظهور الإسلام في المدينه فاردوا أضعاف وحده المسلمين

فالضمير العائد علي من تناجي لايمكن في هذا المقام أن يعود علي كل الناس الذين اجتمعوا وانما هو عائدا علي الطائفه الخبيثه التي ذكر الله تعالى أنها كان لها مقاصد خبيثه من التآمر وهو الابتزاز الذي يعطل قيم الإسلام من خلال صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحق في الحكم وانما الجمع لأن هنالك مرض وضعف في ثقافه البقيه اوقعهم في شر التآمر القبيح مع أناس لهم اهداف وسياسيات اردوا من خلال ذلك احداث خلل في الوعي و الاستقبال لدي ضعاف الإيمان وضعفا في القراءه والاستنتاج واحباطا في الموقف والمدرجات واجتثاتا الهمم و العزائم بهدف أن يعيش ضعاف الإيمان بثوبت أخري غير قيم ومبادئ الاسلام كما يفعل الاستعمار من صناعه أفق ضيقه تشكل ثقافه الأمم المسلمه اليوم ثقافه العصبية والمذهبية وفنويه وتحويل الكتاب والسنة من عالميته الكبرى الي سلاح فئوي حزبي أو قومي أو سياسي

فالموقف خطير لأن عالميه الاسلام لن تجد مكانا في ظل هذه الثقافات الا باعاده ترتيب أوضاعها وآثاره الاحساس وإجراء عمليات تربويه وتعليمه وتشريعه ودعويه عديده حتي يتها العقل والقلب من جديد لمدلول عالميه الاسلام (لتحكم بين الناس بما اراك الله فلا تكن للخائنين خصيما)

فجاء التعقيب علي جميع ماذكر بذكر النجوي وماتشمل عليه لأن في ذلك تعليما وتربيته وتشريعا إذ أن النجوي من الأحوال العارضة للمجتمعات لاسيما في وقت ظهور الإسلام أو في مرحله ما بعد الفتنة كما أوضحنا سابقا

فأراد الحق بهذا أن يزود المومنون بمناعه تحصنهم من العوده الي الفعل مره اخري وايضا يعطيهم قوه تمنع

وقوعهم في مصائد شبكه الاعداء فالأمر ناتج عن ضروره استدعت إليها المناسبه التي حدثت بها الفتنه فحدد لهم الحق اهميه أن تكون المحاورات والمناقشات جهريه لأن الصراحه افضل الاخلاق في هذه الموقف

فالمجتمع المسلم لابد أن يكون بينهم الاخوه وايضا الثقة بالقياده ولا بد أن يكون الجو الذي يعيشه المسلم خاليا من مظاهر الاختلاف فمن وجد في نفسه شئيا فعليه أن يرجع الي القياده وي طرح ما يخطر بباله وان يعرض المشكلات والخطط والبرامج لمناقشتها فالجميع يحمل هم الفكره ويعيش للقيم والمبادئ والثوابت الاسلاميه فالمجتمع المسلم لابد أن يكون نظيفا من كل البواعث التي تودي الي مايشق الصف المسلم أو الخروج عن القيم والمبادئ فهي فوق الذات وفوق المصالح فههدف المسلم هو الخير ولهذا يقول الحق (لا خير في كثير من نجواهم) ونفي الخير عن اغلب الاجتماعات السريه يعني أنه شر في كثير من تلك الاجتماعات يبعث علي الربيه فالله يقول في موضع آخر (إنما النجوي من الشيطان ليحزن الذين آمنوا)

وبالتالي فإن نفي الخير إثبات ضده الشر ومعلوم أن هنالك مدرستان مدرسه الخير وهم المومنون ومدرسه الشر وقائدها ابليس اللعين فالله يقول (فماذا بعد الحق الا الضلال) والإسلام حرم النجوي بين اثنين بحضور ثالث

الأمر الثاني

يضع الاسلام اجراءات وقائيه تمنع الابتزاز الذي يدمر القيم والمبادئ من خلال ازاله كل أسباب ودواعي الفتنه به النهي عن التناجي التي تشكل بيئه مناسبه للتأمر وشيوع الأهواء وتمكين الأعداء من نشر السموم وتمزيق وتدمير المؤسسه

فجاء النهي عن النجوي لمنع نشوب جيوب بمعزل عن الجماعه المسلمه فتتكون جماعات وأحزاب لها مخططات وأهداف وسياسيات وبرامج وتوجهات واتجاهات تركز جهودها للاختلاف داخل الصف المسلم وتكمن الخطورة أن العمل السري في نمو اي جماعه داخل كيان الامه أنها تفاجئ الدوله بقوه تدمر المؤسسه. والقيم من خلال تبني افكار وسياسيات تحارب اجتماع الامه وتخرج عن المبادئ العليا للدوله فالله يقول (ولولا فضل الله عليك لهمت طائفه منهم أن يضلوك... الخ

فدل هذا أن هنالك فرق تعمل تحت الارض سريه وبالخفاء لأجل أن تنحرف دوله الاسلام عن مبادئها وتحتاج منك الي اليقظه ومنع مثل تلك الطوائف من أن تجتمع علي الشر فلا بد من الوقوف لها بحزم

ونحن اليوم نعلم كيف صار حالنا عندما زرعت في امه الاسلام كيانات سياسيه باسم الديمقراطيه لها أهداف ومبادئ تتعارض مع قيم الإسلام لقد شاهدنا كيف أن الاستعمار حول امه الاسلام الي دوليات متناحره وأحزاب متقاتله ومذاهب وطوائف وأحزاب حولت الكتاب والسنة الي سلاح فئوي وحزبي تفسر النصوص لتطويع الشرع لرغبات الأحزاب فهذا من أنواع الشرور الذي أصاب الامه بمقتل فغالبا ما يكون الاجتماع شر ولافائده منه فالإيات جاءت تضع لنا ضوابط الاجتماع لمنع اقامه تكتلات وتجمعات التي ينتهي المطاف بها الي التمرد والعصيان

فالله يقول لنا في موضع آخر (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا)

الأمر الثالث

ياتي بالاستثناء (الا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس)

استثناء منقطع يحدد فيه الاجتماع الذي يجب أن تقوم عليها الامه أنه العمل الوعي الذي يدرك اتجاه العمل الذي كان الاجتماع لأجله فيحصر عمل الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني ودورها في خدمه مبادئ وقيم الاسلام وبما يودي الي الاجتماع والوحده بين أفراد المجتمع

فكان تحديد النجوي التي يجب التشجيع عليها علي سبيل الحصر

المسالة الاولى

(الا من أمر بصدقه)

أن يكون الغرض منه مساعده المحتاج بالصدقه وهذا يكون التناجي فيه الاجتماع سرا حرصا علي مشاعر هذا المحتاج كان يكون تكوين جمعية خيرية لمساعدته ذوي الاحتياجات والفقراء ولفظ الصدقه عام يدل علي تدخل المجتمع في وقت يستدعي تظافر الجهود للتعاون والتفاني في خدمه المجتمع بكل ما ينفذ

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (أن بكل تسبيحه صدقه وبكل تكبيره صدقه وكل تهليله صدقه وأمر بمعروف صدقه ونهي عن منكر صدقه وفي بضع أحدكم صدقه)

وبالتالي فإن هذا يدل أن المساله للتداعي والتناجي أبعد مما ذهب إليه السعدي رحمه الله بقوله (لعله يدخل فيه العبادات كالتسبيح والتحميد ونحوه أو حصرها عليه

فالأمر ليس كذلك بل إن النصوص تشير الي أن هنالك حاله فيها ما يستدعي تدخل الامه بأحياء العلاقات السلوكيه الموديه الي الموده والرحمه والمحبه والسلام

تدل ماهي الأوقات التي يكون فيها تدخل المسلم وقيامه بدوره في منع أزمات تصيب المجتمع المسلم متعلقه بتخفيف الالم عن الناس واقتحام الابواب المغلقه فالله يقول (فلا اقتحم العقبه وما ادراك ما العقبه فك رقبه او اطعام في يوم ذي مسغبه .. الخ

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (وفي بضع أحدكم صدقه)

فأراد تربيته المومنين والتناجي علي أوجه الخير

المسالة الثانيه

(أو معروف)

اعلم انه إذا أطلق المعروف في غير أن يقرب بالنهي عن المنكر فإنه يدخل فيه النهي عن المنكر وذلك لأن الأمر بترك المنهيات من المعروف لانه لا يتم فعل الخير الا بترك المنكر وعند الاقتراب فيفسر المعروف بفعل المأمور و المنكر بترك المنهيات ... كما ورد عن السعدي رحمه الله

المهم اخي القارئ فإن هذا يبين متي يكون حاجه الي انشاء جماعه العمل الإسلامي (الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني) لأن خيره الامه هي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالله يقول (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)

المسالة الثالثه

(أو إصلاح بين الناس)

فالإصلاح لا يكون إلا بين متخاصمين والخصام والتنازع وهو يوجب الشر فالله يقول (وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت أحدهما علي الآخرين فقاتلوا التي تبغي الخ

فالتدخل اذا هو لوجود ازمه فالمسلم لا يقف موقف المتفرج علي منازعات العالم الداميه وهم شهداء علي الناس

فلا بد أن يكون لك موقف إيجابي بمقتضى إيمانك والله يقول (والصلح خير)

والساعي بالصلح بين الناس افضل من المنشغل بالصلاه والصوم والساعي بالصلح فإن سعيه لا بد أن يصلحه الله إذا كان ساعيا بما فيه خير لأن الله قال إنه لا يصلح عمل المفسدين

الأمر الرابع

ياتي الاغراء علي انشا الجميعات الخيره عندما يصبح المجتمع المسلم بحاجه الي ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس بأن يخلص النيه فلا يبتغي بذلك إلا وجه الله بأن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاه الله أي ليس باعث الهوي لأن ذلك يعكس صفو العمل ويفسده اذا لم يتوفر الاخلاص فقال تعالي (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله) لأنه قد يكون عمل خير من حيث الشكل لكن النيه فاسده فيحرم الاجر ولهذا ذكر الاجر مشروط بالاخلاص فقال تعالي (فسوف نوتيها اجرا عظيما)

فأراد بهذا أن يطلب الناس مرضاه الله بقوه الايمان في كل ما يتوجهون إليه من إصلاح الجماعه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدقه فلا بركه في عمل مهما يكون صالحا بدون النيه الصادقه

ثم إن هذه الرخصه بالتناجي الذي يكون فيه الاجتماع سرا أو جهرا حاله توحى بحاجه المجتمع الي مواقف اخلاقيه وهذه تكون إما في حاله التمكين لامه الاسلام كما قال تعالي (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)

أو أن يكون في حاله الاختلاف الذي يعصف بالامه لأنه كلما حصل التقدم في الحضاره الماديه فإنه بذات القدر يحدث انحطاط في القيم الروحانيه فيصبح المجتمع في حاله تمزق بالانشغال بالماده وايضا ينظر إلي أهل القيم أنهم حمقاء واغبياء وهذا يوذي الي انتشار البدع وقساوه القلوب فيحدث فساد الامه والانحراف والأزمات الاخلاقيه فيكون هنالك حاجه الي احياء السنه النبويه وأحياء العلاقات السلوكيه الموديه الي الموده والرحمه والمحبه والسلام فيكون كل متبرع في جمع الكلمه وإصلاح ذات البين وتوحيد الصف وسد الثغرات وابطال مشاريع الشيطان أمر يستدعي النهوض بالعمل الواعي المتلائم مع تطور الإنسان والأزمات المصاحبه لذلك ولهذا يأتي الوعد بأن الله ينجح هذا العمل وأنه سوف يأتيه الاجر فجاء (سوف) لتأكيد وقوعه في المستقبل وأنه أجر عظيم اشاره الي انه عظيم وواسع بما لا يعلم مقدره الا الله تعالي

ثانيا

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولي ونصليه جهنم وساءت مصيرا)

الأمر الأول

تبين النصوص حكم من يخالف النبي صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به من عند الله تعالى من بعد ما اتضح له الدلائل القرانيه والبراهين النبويه بالمعجزات الموكده صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويسلك طريقا غير طريق المومنين بأنه مرتد وكافر ومصيره نار جهنم يشوي ويحرق فيها فقال تعالي (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ماتولي ونصليه جهنم وساءت مصيرا)

والمشاققة هي المخالفه المقصوده مشتقه من الشق لأن المخالف يختار لنفسه شقا وموقعا وصفا غير الشق و الجانب والصف الذي يقف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون فدل هذا علي أنه صار معاديا للرسول صلى الله عليه وسلم فيقارقه بالعدواه وان من يعادي الرسول صلى الله عليه وسلم يكون كافرا وقد نزلت الايه بمناسبة ما كان من طعمه بن بيرق الذي كان في صف المسلمين فالتحق بالمشركين فأخبرنا الله أنه صار من

المشركين وهذا فيه

المفهوم الاول

تبين النصوص ضروره وجوب السلطة السياسية لاقامه النظام السياسي للجماعه وأنه أمر جوهري من صميم مله الاسلام فدوله الاسلام دوله توحيد ذات أبعاد سياسية ولما كان العرب لايعرفون نظام الاماره وكانوا لايطيعون غير رؤساء قبائلهم فلما جاء الإسلام يأمرهم بالالتزام بالنظام الذي تقوم عليه الجماعه القران والسنة النبويه وطاعه القياده واحترام القانونين التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم انكرته نفوسهم ولذلك هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الي المدينة لأجل بناء الدوله وهناك بدء الرسول صلى الله عليه وسلم يبني الدوله ويرسي دعائمها ونظامها ورعاها بدء بتكوين الجماعه السياسية وانزل الله التشريعات التي يبني بها جماعه الاسلام والسنة النبويه التي تحكم المجتمع المسلم لنقل أحكام الإسلام العمليه ذات الصله بحقوق الله وحقوق الناس من دائره الالتزام النفسي الي دائره الالتزام القانوني وهذا يتطلب دوله ولهذا نجد أن الحق ذكر في النصوص السابقه التحذير من اجتماع الذي يكون فيه التآمر بوحده الامه ونظام الجماعه وبينت أن ذلك شر وخروج عن الاستقامه وعن مدرسه الخير الي مدرسه الشر فقال تعالي (لاخير في كثير من نجواهم) وذكرت قواعد وضوابط الاجتماع الذي شجع عليه الاسلام فالنصوص تعطينا صورته عن طبيعته الاسلام أنه فيه الشمول والاستيعاب لجميع متطلبات الدين والدوله فلا بد من وجود دوله وقياده يوجب طاعته وتدير حركه المجتمع و ان التعاون الإنساني بين الفرد و المجتمع في عقيدته الاسلام يجب أن يكون منسجما مع أهداف النظام الإسلامي ويحقق أهداف النظام ومصالحه وتغليب المصلحه العامه علي المصلح الشخصية أو الحزبيه الضيقه في أي شأن من شؤون الحياه وترتبط ذلك ب الدين فهو ضروره للدوله لتغذيتها بالشرعيه السياسية التي تجعل طاعه الناس لسلطتهم ناتجه عن اقتناع لا إكراه

وهذا التعاضد بين الدين والدوله في الإسلام بضروره الدوله للدين الإسلامي وضروره الدين للدوله أمر جوهري في الإسلام ولايمكن أن يفصل الدين عن الدوله فالتعاون بين الفرد والمجتمع في الإسلام أمر يتداخل فيه العلامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولايجوز الفصل بينهم بأي حال من الأحوال ولهذا يأتي الخطاب بالزجر لمن يشذ عن نظام الجماعه ومبادئها أو يخرج عن أمر القياده بالارتداد فقال تعالي (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين)

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن الإسلام ليس عقيدته تعمل عملها في النفوس فقط لا بل لابد له من مجتمع يحكمه لابد أن يعمل أثره في الحياه وينظم المجتمع المسلم ويعيد خلقه علي الصورة التي يرضاها الله تعالي

ولهذا جاءت الايه بصيغته التهديد والوعيد للمرتدين الذين يرفضون الطاعه لأحكام الشرع بان من يسلك طريقا غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم بالبدع وغيرها بما يخالف سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ينتهج لنفسه منهجا غير منهج الاسلام الذي يمنع معارضة النظام الإسلامي بأي وجه من الوجوه فلا يسمح بإنشاء تجمع يفرق الصف المسلم فالمسلمون ينتظمون في الصف المسلم ويحترمون وحده المسلمون الذي يقوم علي العمل بروح الفريق الواحد

ويتوجهون نحو هدف واحد وغايه واحده وطريقهم واحد هو طريق الاستقامه علي التوحيد بالعمل والدعوه وأصل الاستقامه كما قلنا في ثلاثه الكتاب والسنة ولزوم الجماعه

ولهذا يقول لنا الحق أن الذي يختار لنفسه شقا وموقعا وصفا غير الشق والجانب والصف الذي يقف الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون فيه يكون مرتد وكافر في أي أمر أو شأن كان سياسيا أو اقتصاديا واجتماعيا أو ثقافيا

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه التزام المسلم بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمون في أي مساله من مسائل الدين و الدوله

وان الذي يتخذ لنفسه منهجا للحياه في أي شأن من شؤون حياته غير منهج الاسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه أو يسلك طريق غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذا يسير في طريق الكفر مثلما فعل طعمه أنه يأخذ شق الكفر والهوي والاراء وي طرح شق الخير فلا يجوز القول بفصل الدين عن الدوله أو يتمرد عن نظام الجماعه ويرفض طاعه القياده

فيقول لنا الحق أن هذا مرتد عن الإسلام فقال تعالي (من بعد ما تبين له الهدى)

والهدى الورد في الايه أنه اتضح لهذا المرتد المذموم طريق الخير فإشار اليه انه لم تكن هدايه البيان قوه تمنعه عن فعله القبيح فاقيمت عليه الحججه بالعقوبه

والهدى لفظ له معاني متعدده فهو يطلق علي الانذار والتذكير والتعليم والدليل

فالابهام هنا مقصد من مقاصد البيان

فالحق يريد ازاحه كل عذر عن قيام هذا باختيار صف وطريق غير طريق الحق فيقول لك

١

أنه عرف صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات ولكنه شاقه عنادا وسلك طريقا غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم

وبالتالي فلا حجه له فقد وجب عليه العذاب ذلك أن الله يقول (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا) فقد حصل الا نذار

٢

يقول لك أن هذا قد اتضح الطريق الموصل الي الغايه المأمور أن يسلكها من خلال المنهج الرباني الكتاب والسنة الذي حمله الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه. ولكنه شق لنفسه طريقا غير طريق الحق الذي جاء به الرسول فقد شق الشرع ولهذا فقد أقيمت عليه الحججه

فالشهاده بقول لا اله الا الله تتطلب العلم والعمل وبالتالي لاينفع العلم بدون عمل ولاقيمه لعلم لا يودي الي العمل لأن هذا يشبه الفصل بين الروح عن الجسد فهو قد شاق الرسول صلى الله عليه وسلم

ف الله يقول لنا في موضع آخر (وقاتوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله)

اي لا يكتفي بكلمه لا اله الا الله وانما يكون الالتزام الكامل قال شيخ الإسلام لما سئل عن قتال التتار فقال كل طائفه ممتنعه عن التزام شرائع الإسلام الظاهره فإنه يجب قتالهم حتي يلتزموا بأمر الله وشرائعه وان كانوا مع ذلك ينطقون بالشهاده وملتزمون ببعض شرائعه كما فعل ابوبكر مع مانعي الزكاه فإن أي طائفه تتمنع عن أي أمر من أمور شريعه الله تكون مرتده وان كانت تصلي وتصوم وتحج

٣

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قام بتعليم هذا الشخص طريق الخير الموصل الي السعاده الحقيقيه بامثال نظام الجماعه لكن لم يكن لدي هذا المتعلم قبول كما قال تعالى عن قوم ثمود (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

ليبان ان انحراف هذا ليس لنقص في البيان من جهه الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم المرتد ولكن هذا المرتد ليس لديه استعداد للهدايه فالحق يقول لنبيه لاتبالي لأمره فالعناد دفعه الي اختيار الضلال بعد حصول هدايه البيان ولذلك حرم من الهدايه الخاصه لعدم اتباع المنهج فهو لم يرض به والله يقول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فجعل طاعه الرسول علامه علي محبه وهو سبحانه وتعالى يقول (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)

فهدد المرتد بالحرمان من محبه ولهذا فإن عدم اتباع الرسول يعني أن يكتب الله علي المعاند للرسول الضلال ويولييه وجهه الضالين ويلحقه بالكفار وبالعذاب الذي استحقوه

الأمر الثالث

تبين النصوص أن طريق الاستقامه يوجب لزوم الجماعه فقال تعالى (ويتبع غير سبيل المومنين)

فالمراد بهذا كما ذكر ابوشامه في كتاب الحوادث والبداع

(لزوم الحق وأتباعه وان كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثير لان الحق الذي كانت عليه الجماعه الاولي من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولانظر لكثرة أهل البدع)

ولهذا جاء ذكر أن هذا المرتد لم يلازم طريق المومنين

فقد سلك لنفسه طريق غير طريق المومنين الذين صدقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم واتبعوه فيما جاء به من عند الله فذكر أنه مرتد

فدل هذا أن ما اجتمعت عليه الامه المحمديه بالحوادث فيما علم اتفاقهم محرم مخالفتها فذكر السبيل مستعار الا عتقادات والافعال والعادات والسياسية والاقتصاد وفي جميع الأحوال التي يلازمها لاينبغي التحول عنها كما يلتزم قاصد المكان طريقا يبلغه الي مقصده (قل هذه سبيلي ادعو الي الله علي بصيره انا ومن اتبعني)

وفايده العطف لاتباع غير سبيل المومنين علي مشاقه الرسول لبيان ان سبيل الكفر ومنهاجهم غير طريق أهل الإيمان ومن سلك منهاجا غير منهاجهم فإن ذلك كفر لأن طريق الكفر غير طريق المومنين

وايضا فيه الحيظه لحفظ الجماعه الاسلاميه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان العرب كما أوضحنا لا يعرفون الاماره ولايقبلون بطاعه غير رؤساء قبائلهم ولهذا فقد حصلت الرده من بعض القبائل العربيه بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الخطيبه في ذلك اطعنا الرسول عندما كان فينا فأن ذلك عباده لله أماوقد مات فابوبكر ليس له علينا ذلك فكانوا ممن اتبع غير سبيل المومنين ولم يشاقوا الرسول ولهذا فإن النص يبين اهميه لزوم الجماعه

وان من يخرج عن الجماعه يكون بمنزله من شاق الرسول

لأن لزوم الجماعه تعني لزوم الحق فقد ورد عن عمرو بن ميمون قال صحبت معاذا باليمن فما فارقتة حتي واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفته الناس عبد الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعه فإن يد الله مع

الجماعه ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول سبيلي عليكم ولاه يوخرون الصلاه عن مواقيتها فصلوا الصلاه لمقياتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافله

قال قلت يا اصحاب النبي ما ادري ما تحدثونا قال وماذا قلت تامرني بالجماعه وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاه وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعه نافله

قال ياعمر بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعه قلت لا قال الجماعه متوافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب علي فخذي وقال ويحك أن جمهور الناس فارقوا الجماعه وان الجماعه متوافق طاعه الله عز وجل

وقال نعيم بن حماد اذا فسدت الجماعه فعليك بما كانت عليه الجماعه قبل أن تفسد وان كنت وحدك فأنت جماعه حينئذ ذكره البيهقي وغيره

يقول أبو عبدالله بن الحارث المحاسبي في كتابه رساله المسترشدين (وقد جعل بعض الناس السنه بدعه و المعروف منكرا لقله أهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ في النار وما عرفوا أن الشاذ من خالف الحق فإن كان الناس كلهم الا واحدا خالفوا الحق فهم الشاذون وذلك الواحد هو جماعه)

يستمر المحاسبي في مناقشه ذلك فيقول وقد شذ الناس في زمان الامام أحمد بن حنبل الا نفر يسيرا فكان ذلك نفر هم الجماعه وكان القضاء والمفتون والخليفه وأتباعه هم الشاذين وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعه ولما لم تتحمل عقول الناس ذلك قالوا للخليفه يا امير المومنين اتكون انت وقضائك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم علي الباطل وأحمد بن حنبل وحده علي الحق فلم يتسع علمه ذلك فاخذه بالسياط والعقوبه بعد الحبس الطويل ثم ظهر الحق وأهله وبطل ما كانوا يدعون)

ولعل الكاتب يشير الي مساله فتنه القول بخلق القرآن وموقف الامام أحمد من ذلك فكان ذكر ذلك للايضاح حتي لا يتصور البعض أن إجماع الناس علي الباطل موجب الطاعه

الأمر الرابع

ياتي سياق النصوص ببيان عقوبه من يشذ عن نظام الجماعه فقال تعالي (نوله ماتولي)

فهذه أول عقوبه وهي أن الله يتركه وما اختار لنفسه فيخذله الحق ولا يوفقه للخير كونه راي الحق وعلمه وتركه لكن لم يكن مستعدا لقبوله ذلك أن النفس عندما يرد لها الخبر فإن خامرها ميلا لهذا الخبر أقبلت عليه وان خامرها كراهيه له فإنها تشق لنفسها طريقا معوجا وهذا يعود إلي تأثير النزاع النفساني والثقه بالناقل للخبر وقد أخبرنا الله أن هذا لاعذر له فقد أمن بالرسول ابتداء فالثقه موجوده بالناقل ولكنه ترك اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل اتباع اهواه التي دفعته للوقوف في صف الكفار لانه تصور أنه سوف يجد فيهم قوه يستنصر بها ويستعين بهم لدفع المخاطر ولهذا فهو يركن الي ولايه عصبه العمل الشيطاني

فيقول الحق أنه سبحانه وتعالى يعرض عنه ويتركه وشأنه ولا يرعاه الله فالله يوليه لنفسه وقربنه فلا يحظي بولايه الله ورعايته وحفظه الذي يحظي به عباد الله الصالحين فهو تعالي يقول عن يوسف (وكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين)

اي بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء

فدل هذا أن الشاذ مخذول فالله يستدرج من يسلك طريق الكفر ويترك طريق المومنين كما قال تعالي (ونيسره للعسري)

وقال تعالي (ذري ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)

ولهذا فإن الذي يخالف نظام الالفه وما اجتمعت عليه الامه يكون مرتدا خارجا عن نظام الجماعه هده الله بالخلا ن لأنه شق صف الامه وهو لايجوز لأن اجتماع الامه توجب عليك الامتثال فالامه لاتجتمع علي ضلاله وهم شهداء علي الناس فهم عدول اخيار فالله يقول (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس) فوجب اتباع ما تجتمع عليه الامه فهي لاتجتمع علي ضلاله ولهذا يقول الله أن الذي يسلك طريقا غير طريق الرسول والمومنين فإنه يعاقب بالخذلان (نوله ماتولي) ثم ذكر الحق النهايه لهذا (ونصليه جهنم وساءت مصيرا)

الصلي هو الإحراق بجهنم وهي يعني الخلود في نار جهنم وذكر قبح المصير أنه مرجعا قبيحا فهذا هو الوعيد المترتب علي الشقاق ومخالفه المومنين لأنه خرج عن الهدى ولم يكن طرق الا الي النار يوم القيامة وفائدة ذكر الصلي هنا لبيان ان الخلود في نار جهنم هو للكافر أما المذنبون من أهل التوحيد فلا فالله يقول في موضع آخر (فانذرتكم نارا تظني لا يصلها الا الاشقي الذي كذب وتولي) فإشارت أن الصلي هو مصير المكذب المعرض عن منهج الله وهنا ذكر أن مشاق الرسول والخارج عن نظام الالفه والاجتماع وشق عليه تكلفه الحق وسعي للشقاق وهدم نظام الجماعه والاصطفاف بصفوف غير سبيل المومنين بأنه يتركه وماتولي فهو رافضا لطريق أهل الإيمان ولشرع الله فهذا يريد الشر ويسلك طريقا يوصل الي النار ويترك طريق المومنين والله يقول في موضع آخر (ويتجنبها الاشقي الذي يصلي النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) حيث نري أن الصلي عذابا المشركين الكفار فعندما يرد ذكر الصلي فعليك أن تفهم أن هذا يشير لعقاب الكفار وليس الموحدين الذين يرتكبون الذنوب التي يعاقبون عليها ويخرجون من النار لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسر الصلي بالحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس أصابهم النار بذنوبهم اوقال بخطاياهم فاماتهم الله اماته حتي إذا كانوا فحما اذان بالشفاعه فجي بهم ضبائر ضبائر فينبتون علي انهار الجنه ثم قيل لهم يا اهل الجنه افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبه في حميل السيل)

فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الصلي لاهل النار الذين هم أهلها وان الذين ليسوا من أهلها فإنهم تصيبهم بذنوبهم وان الله يعذبهم حتي يصيروا فحما وانهم يوتي بهم الي نهر الحياه فينبتون كما تنبت الحياه في حمل السيل

وهذا فيه اخبار من الله أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار وان حقيقه الصلي هو الصلي المطلق وهو المكث فيها والخلود علي وجه يصل العذاب إليهم دائما فما من دخل وخرج فانه نوع من الحريق ولكن ليس الصلي المطلق لا سيما أنه يموت والنار لم تأكله كله فإنه ينبت وقد ذكر في الحديث (أن النار لاتاكل مواضع السجود) كما ورد في صحيح البخاري ولهذا نجد أن الايه بعدها تذكر (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

فجعل الشرك أنه لا يغفر وماعده يغفر ولم يجزم بمغفرته بل علقه علي مشيئته سبحانه وتعالى فمن غفر له لم يعذب ومن لم يغفر له عذاب لكنه لا يخلد في النار وانما يخلد المشرك الذي ذكر أنه يصل ضلالا بعيدا

ثانيا

(أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)

انه بالوقوف علي مدلول هذه الايه الكريمه نجد انها فيها التنبيه والتحذير من أمر في غايه الخطوره لا يدركه الكثير من الناس إذ أنها كما يقول ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير استئناف ابتدائي جعل تمهيدا لما بعدها من وصف أحوال شرك من يشاقق الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبع غير سبيل المومنين فهي تعقيب للا به والمراد بهذا التحذير من اتباع سبيل غير المومنين باتباع سبيل وطريق الكفار لان ذلك شرك ورجوع الي الكفر

اي رجوع الي الجاهليه وعصبيتها والفوضى والعشوائية واكده بأن (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

الداله علي دفع اجمال المبالغه والمجاز والشرك من قبيل الافتراء والظلم فكان في التحذير من الافتراء في الايه الوارده في نفس السوره بقوله أما هذه الايه فهي موجه للمسلمين نبهوا فيها بأن الشرك من الضلال تحذيرا لهم من مشاقه الرسول واحوال المنافقين فإنها من جنس الضلال وأكد هنا الخبر بحرف (قد) احتياطا به لان الكلام موجه للمؤمنون وهم لا يشكون في تحقيق ذلك والبعد اريد به القوه في بلوغه الذي لا يرجي لصاحبه اعتداء فاستعير له البعيد لأن البعيد مكان يقضي الكائن فيه عن الرجوع الي حيث صدر

وهذا فيه الآتي

المبحث الاول

أن توجيه الكلام للمسلمين بالتنبيه بأن الشرك من الضلال للتحذير من مشاقه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أحوال المنافقين بأنه نوعا من أنواع الشرك وان الذي يعاند الرسول صلى الله عليه وسلم يلحق بالمشركين السذج الذين يعبدون الأصنام والتماثيل والأحجار التي لا تنفع ولا تضر بوصفه أحوال المشركين الذين يلحق بهم أناس يعترفون بأن الأرض لله والملك والسماء لله ويقولون لاله الا الله... ويصلون ويصومون ويحجون ومع ذلك يقول الحق لنا أنهم مشركون كما هو حال المسلمون اليوم الذين يتصورون أن الإسلام والتوحيد هو بمجرد النطق بـ الشهادتين ولهذا يقول الحق أن هذا وخطاء قاتل يقول لنا هناك شرك صريح كانكار الإنسان لله وعبادته لنفسه أو ماله أو عقله او نظام حكمه وهناك شرك ساذج كعباده الأصنام .. وهناك شرك يعترف فيه الإنسان بوجود وينكر أن يكون له ولد او اله مع الله ورغم ذلك تمضي تصرفاته فإذا هو مشرك في الحقيقة لانه يحب ويطيع البشر أكثر مما يحب أو يطيع الله ف الله تعالى يقول في موضع آخر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

ولهذا نجد أن الايه جاءت تعقيبا علي حكم من يخالف النبي صلى الله عليه وسلم ويعانده ومن يخالف سبيل المؤمنين في إطار تناول النصوص الحالات التي يشجع الاسلام فيها علي الاجتماع وهذا فيه تصحيح سوء الفهم لمذلول التوحيد وقعت فيه الأمم السابقيه وانحرفت عندما سلكت طريق انتهي بها المطاف الي الضلال فيقول الحق انتبهوا من أن تقعوا فيما وقعوا فيه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول لتتبعن سنن من قبلكم ولهذا فإنه بـ الوقوف علي الايه وربطها بما قبلها نجد الآتي

الأمر الأول

تبين لنا النصوص أن الحق أرسل الرسل لدعوه الناس الي معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وطاعته وعلمهم بكل أمر كما أمر رسله بأن يضعوا أمام الناس منهاجا سلوكيا فاذا قبلوا هذا التذكير فليتبعوه

فهذا هو المطلب الرباني من عبادته

ولهذا فإن المنهج فيه الطريق الذي يحقق المعرفه بالله ومحبهه وعبادته وتوحيده ليكون الانطلاق متجها نحو الهدف والغاية من الوجود الإنساني فهو سبحانه أمر بافراده بالعبا

ولهذا فإن هدف المنهج هو السمو الروحي للفرد والجماعه وهذا هو هدف اي نظام ولا يمكن تحقيقه الا اذا كان الفرد يحصل علي الروح المعنويه والتعاون والتشجيع والحمايه من المجتمع حوله و ينتظر المجتمع في الجانب المقابل أن يحصل من الفرد التعاون والتشجيع والحمايه ولهذا لما حوصرت الدعوه في مكه ومنعت من أن تنمو وتحقق أهدافها في الحياه هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الي المدينه لأجل اقامه الدوله لحمل الدعوه إذ لابد من وجود مجتمع يحكمه الاسلام فالحق قد جعل للخير اهلا مثلما جعل للشر اهلا

يتكاتف فيه أهل الخير علي تحقيق المشروع الرباني

وهذا يتطلب منهج فكري يوجه مسيره الحياه نحو المطلب الرباني

منهج يحدد الطريق الموصل الي الغايه من الوجود الإنساني علي الارض حيث أن أهل الباطل يتكاتفون ويتظاهرون ضد الحق وأهله

وولهذا يقول لك الحق أن معني الشهادتين لا اله الا الله محمد رسول الله ليس مجرد قول باللسان وأنه يقتضي أن يعلم الإنسان ويعمل بما علم فلا عبره بعمل لايسنده علم ولاقيمه لعلم لا يودي الي العمل فهذا بمنزله فصل الروح عن الجسد فاللازم أن بتكاتف أهل الحق فلا يقف المومن في صف الأعداء الذين يتظاهرون لمحاربه الإسلام فقال تعالي (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى)

بأن علم هذا الشخص لاقيمه له لأنه لم يعمل بعلمه فهو قد التحق بالمشركين لانه لم يسلك الطريق الذي نصبه الله لعباده والموصل إليه فلو كان مومن باليقين بمعني الشهادتين لما تموضع بالوقوف في صف الشركين لأن الله أمر بافراده بالعباده وأفراد رسله بالطاعه فلا يشرك به أحد من عباده فقال تعالي (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله)

لأن شهاده لا اله الا الله تعني أن تجعله طلبك وترضيه بجهدك كله ولا يكون في قلبك موضع الا معمور بحبه ولا يكون لك اراده الا متعلقه بمرضاته

ولا يشرك برسوله أحد في طاعته تجرد بالتوحيد وتجرد متابعه الرسول فقال تعالي (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى)

فالاول يحصل بها تحقيق معني لا اله الا الله والثاني يتحقق بها معني محمد رسول الله

هذا هو الهدى ودين الحق وهو معرفه الحق والعمل به وهو معرفه ما يجب طاعه الرسول فيه والاعتداء به في جميع احوالك

انه طريق واحد مستقيم لا اعوجاج فيه بل الطرق كلها مسدوده عن الخلق الا طريقه سبحانه وتعالى الذي بلغه علي السن الرسل وجعله موصلا لعباده الله فقال تعالي (وان هذا صراطا مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

والايه كما قال العلماء معطوفه علي قوله تعالي (قل تعالوا اتلوا عليكم ما حرم الله.. الخ

اي معطوفه علي ما تقدم مقدمتها من الأمر والنهي وحذر علي اتباع غير سبيلهم ومستقيما نصب علي الحال ومعناها مستويا فيما لا اعوجاج فيه باتباع طريقه الذي طرقه علي لسان نبيه وشرعه ونهايته الجنه وأنه تشعبت من هذا الطريق طرق فمن سلك الجاده كان له الاهتداء ومن خرج الي تلك الطرق فقد سلك طريقا يوصل الي النار فقال تعالي هنا (نصليه جهنم وساءت مصيرا)

وروي احمد والنسائي وابن دود عن ابن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال هذه سبيل الله وسبيلي ثم خط خطوط عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل الا وعليه الشيطان يدعو إليه

ولهذا أخبرنا الله أن مخالفه الرسول صلى الله عليه وسلم كفر وارتداد إلي الشرك

الأمر الثاني

ان محبه الله اصل دين الإسلام الذي يدر عليه إيمان العبد أو كفره وبها يكون كمال التوحيد وعدمه ف الله أرسل الرسل كما أوضحنا لتعريف الناس بربهم ومحبتهم وعبادته وتوحيده وطاعته وقد نصت آية المحبة

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

حيث ادعي قوم محبه الله فأنزل الله ايه المحبه اشاره الي أن المحبه

ثمرتها وفائدتها ودليلها وعلاماتها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

فثمرتها وعلامتها محبه المرسل لكم فإذا لم يحصل منكم المتابعه فمحبتكم لله غير حاصله

والله يقول لنا في موضع آخر (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذاله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل...الخ

وقال تعالي. (قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهادا في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فلا بد من ايثار حب الله ورسوله والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله هذا هو سبيل المومنين وهذا يعني توحيد المحبوب فلا ينبغي أن يوجد في قلبك حب أكثر من حب الله وحبك يكون لله ولاجله فحبه إنما يكون لله لأنها لغير الله تكون منقصه لمحبه الله مضعفه لها كما ذكر ابن القيم فقال إن علامه صدق هذه المحبه أن تكون كراهيته ض الاشياء الي محبوه وهو الكفر بحيث يكون بمنزله القاءه في النار أو اشد وهذا من أعظم الحب بأن يقدم محبه الله ورسوله علي محبه حياته ونفسه فإن الإنسان لايقدم محبه علي نفسه وحياته شيئاً فإذا قدم محبه الايمان بالله ونفسه بحيث إذا خير بين الكفر وبين القائه في النار لاختار أن يلقي في النار ولايكفر

ولهذا فإن طريق المومنين تقوم علي محبه الله ف الله سبحانه وتعالى يقول (والذين آمنوا اشد حبا لله) البقره

ويقول تعالي في سوره يوسف (قل هذه سبيلي ادعو الي الله علي بصيره انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

قال أبو جعفر يقول الله تعالي لنبيه قل يا محمد هذه الدعوه التي ادعو إليها والطريقه التي انا عليها من الدعوه الي التوحيد لله والإخلاص في عبادته وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي وحده لأ شريك له (علي بصيره) بذلك عن علم ويقين مني(انا) ويدعو علي بصيره أيضا (من اتبعني) وصدقني وأمن بي (سبحان الله وما أنا من المشركين)

تنزيه الله ونفي الشرك

قال في شرح المنازل

يريد أن تصل باستدلائك الي اعلي درجات العلم وهي البصيره التي تكون نسبه المعلوم فيها الي القلب كنسبه المرئي الي البصر وهذه الخصيصة التي اختص الله بها الصحابه عن سائر الامه وهي اعلي درجات العلماء

فقال تعالي (هذه سبيلي ادعو الي الله علي بصيره ومن اتبعني)

اي انا. اتباعي علي بصيره وقيل (ومن اتبعني) عطف علي المرفوع (ادعوا) اي أنا أدعو الي الله علي بصيره ومن اتبعني كذلك يدعو الي الله علي بصيره فدللت أن أن اتباعه هم أهل البصائر الداعون الي الله ومن ليس منهم

فليس من أتباعه علي الحقيقه والموافقة وان كان من أتباعه علي الانتساب للإسلام والدعوه

ولهذا أمر باتباع سبيل المومنين واعتبر أن مخالفه ذلك كفر فقال (ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولي)

المبحث الثاني

تأتي النصوص بوصف أحوال المشركين وساذجه عبادتهم من عباده الاصنام والاوثنان لبيان ان الذي يرفض الاحتكام لمنهج الله ويخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفض طاعه الرسول ويتخذ لنفسه منهجا للحياه غير منهج الله وسنه رسوله وجماعه المسلمين بأنه مشرك مثله مثل المشركين الذين جسدوا عقيدته الشرك الساذجه لا فرق بينهم وان كان مقرا بوجود الله وحدانيته لكون تصرفاته في الحقيقه فيكون في صفهم لا يختلف عنهم فقال تعالي واصفا ساذجه الشرك

(أن يدعون من دونه الا انا وان يدعون إلا شيطان مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا ضلنهم ولا منيهم ولا مرنهم فليبتكن اذان الانعام ولا مرنهم فليغررن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماواههم جهنم لا يجدون عنها محيصا)

فالحق يبين الآتي

الأمر الأول

تصف النصوص أحوال المشركين وساذجه عبادتهم من عباده الاصنام والاوثنان عطفًا علي ذكر ذم الذين يرفضون اتباع الرسول في جميع شؤون الحياه وسلوكوا طريقا غير طريق المومنين لبيان ان الشرك نوعان نوع شرك ساذج مثل هولاء الذين يعبدون اصناما لاتتفع ولاتضر واطلقوا عليها أسماء مومنه مع علمهم بعجزها وأنها لاتتفع ولاتضر وهم كانوا يؤمنون بالله أنه خالق السموات والأرض لكنهم انحدوا في تفكيرهم فصاروا الي عقيدته شرك ساذجه وان الشرك الثاني يكون مثل هولاء الذين يقرون بوحدونيه الله أنه لا اله معه وأنه لا ولد ولا صاحبه ولكنهم لا يتبعون الرسول لبيان أنهم مشركون جميعا لبيان ان المانع من اتباع الرسول يكون إما من الجهل كما هو في حال المشركون أو فساد القصد فالذي يرفض الاحتكام لمنهج الله ويخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفض طاعه الرسول ويسلك طريقا غير طريق المومنين بأنه في ضلال عندما اتخذ لنفسه منهجا للحياه غير منهج الله وسنه رسوله وجماعه الاسلام بأنه مشرك مثله مثل المشركين الجهلاء الذين عقيدته الشرك الساذجه لافرق بينهم وان كان يقر بوحدنيه الله لأن تصرفاته في الحقيقه فيها شرك ذلك لأن الذي يمنع من اتباع الرسول أحد أمرين إما أن يكون منشاه الجهل كما هو حال المشركين وعقيدتهم الساذجه والله قد أخبرنا أن الغلط من هولاء لم يكن من جهل فقال تعالي (من بعد ما تبين لهم الهدى) فيقول الله لك أنه قد يوجد من يصدق النبي وأنه مرسل من الله وان ما جاء به الحق لكنه لا يقبل اتباعه ويعود ذلك إلي فساد من جهة القصد من حب الدنيا ومتاعها والرياسه

ويترتب علي ذلك ان يرجو ويخاف الناس أكثر من خوف الله يحب ويطيع الناس أكثر مما يحب ويطيع الله خوفا علي المصالح الدنيويه ويتركون ما فيه الخير النافع يقول ابن القيم (أن تعلق القلب بغير الله واشتغاله به و الركون إليه عكوف منه علي التماثيل التي قامت بقلبه هو نظير العكوف علي تماثيل الأصنام ولهذا كان شرك عباده الاصنام بالعكوف بقلوبهم وهمهم وارتدتهم علي تماثيلهم فإذا كان في القلب تماثيل الاحزاب أو القبيله أو الأموال فإنه يكون عاكفا علي أصنام لاتختلف عن الاحجار والاصنام ولان أكثر الذين يتناجون في غير الأوجه التي ذكرتها الايه (لاخير في كثير من نجوهم)

يكون منشوه أنهم لم يندمجوا باحساسهم مع المومنين فهم باحساسهم وشعورهم في جانب غير الجانب الذي فيه احساس الرسول والمومنون هم اختاروا أن يجعلوا السلطان عليهم والولاء لغير جماعه المومنين وفلا احساس و المشاعر والولاء يجب أن تكون لله والرسول والمومنون وهذا قد خرج عن ولايه المومنين ونصرتهم الي ولايه

الشیطان لأن مولاتهم المشركون ومناصرتهم يعني أنهم صاروا تابعين لهم وأن صلوا وصاموا لأن ثمره العبادة الصحيحة كما يقول ابن عاشور هي ثمره الخلق الناتج عن الخضوع المطلق لسلطان الله عزو جل

ولهذا فإن الهلاك هو في السير في أي طريق بعيدا عن الطريق المستقيم لأن ذلك فيه ضلال وتيه عن الطريق الموصل الي الله فهو يسير في طريق الشرك وكلما أو غل بالاستمرار فيه كان ابتعاده الابتعاد الذي يستحيل عودته الي الطريق الحق لانه يتنازل عن عقله فمن يشرك بالله فهو يدعي أن لله شركاء في الخلق والأمر ويصل الحال به الي ما وصل إليه المشركون بعبادتهم ملا يتصور عبادته عاقل مدركا إدراكا خاليا من التأثير بالباطل ويخضع للشیطان ويعيش في اوهام التقرب الي ما لا يصح التقرب إليه فيدعو العاجز الذي لا يقدر علي نفع نفسه ويترك عبادة الله القاهر الذي لا يعجزه شي فكيف يدعو من لا يستطيع حمايه نفسه ولا يدفع عنها الضرر

الأمر الثاني

فوصف الله حال المشركون أنهم ساذجون في عبادتهم فهم يعبدون اصناما أطلقوا عليها أسماء الإناث مثل الات والعزه ومناه بقوله (أن يدعون الا إناثا وان يدعون إلا شيطانا مريدا) بيانا لقوله تعالى (فقد ضلوا ضلالا بعيدا)

فإذا كانت أسماءهم ناقصه مؤنثه دل ذلك علي نقص المسميات بتلك الاسماء فهي عاجزه لا تخلق ولا ترزق وعاجزه والعربي ينظر للمراه أنها عاجزه وضعيفه وقد حرموها من حقوق كثيره واستضعفوها فكيف تعبد احجار ترمز للا نثي عندما قالوا انها تجسيد للملائكة والتي يعتقدون أنها بنات الله فدل هذا علي خسه نفوس أهل الشرك دنائتها بشكل لا يتصور

فالقصر في قوله (أن يدعون الا إناثا وان يدعون إلا شيطان مريد ا)

قصر ادعائي لانه اعجب أحوال إشراكهم لأن اكبر آلهتهم يعتقدون أنها انثي اللات والعزه ومناه مع أنهم ينظرون للمراه باحتقار ومع ذلك تعلقت قلوبهم بالعكوف علي الأصنام فأصبح طريقهم معضله يصعب علي العاقل القبول بها .فأراد بهذا أن يبين لأولئك الذين يتناجون لأجل العصبية كما هو حال طائفة من قوم طعمه والمحاربين للرسول صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من يخالف سبيل المومنين بأنه سوف يوغل في الظلمات وسوف يقع عليه اللبس وينتهي به الحال الي مانهي إليه المشركون بعبادتهم الساذجه يقول الحق لا تتعجبون من استعباد الأصنام لهؤلاء رغم أنها تحمل أسماء مؤنثه هم يحتقرونها فالعصبية صنم وحب الدنيا صنم والشهوات اصناما تعمي صاحبها فمن لم يعكف قلبه علي الله وحده عكف علي أصنام متنوعه يقول ابن القيم أن تعلق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه علي التماثيل التي قامت بقلبه وهي نظير العكوف علي تماثيل الأصنام ولهذا كان شرك عبادة الاصنام بالعكوف عليها بقلوبهم وهمهم وارتدتهم علي تماثيلهم فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته بحيث يكون عاكفا عليها فهو نظير عكوف عباد الأصنام عليها ولهذا سماها الرسول صلى الله عليه وسلم عبدا لها ودعا عليه بالنعس والنكس فقال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتفس)فحب الدنيا والرياسه شي خفي قد لا يدركها الإنسان نفسه ولهذا أن الذي يخالف سبيل المومنين يتعلق قلبه باصنام متعدده ويعكف علي عبادته فلا تتعجب من حال المشركين وعقيدتهم الساذجه فهذا هو حال كل من يعكف قلبه علي الانشغال بغير الله فطريق الشرك واحد وهو طريق الشيطان الذي تعصب لجنسه فقال (انا خير منه) فدعوه العصبية التي جعلتكم تقفون مع طعمه ومخالفه الرسول هي نفس الدعوه التي اظهر فيها ابليس رفضه لقبول أمر الله فاساس قواعد الجاهليه هي الاعتزاز بالانساب وهذه هي دعوه الشيطان فقال تعالي (وان يدعون إلا شيطان مريدا) هنالك طريق المومنين الذين لهم أبواه شرعيه تبين لهم الطريق الموصل الي الله والدار الآخرة وهنالك طريق الذين لهم أبواه الإناء التي أطلقها ابليس رفضا الاعتراف بفضل ادم وتنفيذ أمر الله ولهذا يحذر الحق المومنون من مخالفه الرسول لأن المانع من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن ذلك يوعر عليك الطريق فأنت تسلك سبيل المجرمين اذا لم تتبع الرسول ولهذا فأنت بحاجة إلي معرفه سبيل المومنين وسبيل المجرمين اذا أن أغلب أسباب مخالفه الرسول تعود لي الجهل بأحد السبيلين سبيل

المومنين وسبيل المجرمين أو أحدهما كما ذكر ابن القيم فتدفع تلك الجهالة الي اللبس كما وقع في الامه في كثير من الأمور في العقائد والأعمال والاقوال هي من سبيل المجرمين وأعداء الرسل فيدخلها هذا الجاهل الذي لايعرف إنها من سبيل الكفار في سبيل المومنين كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهميه والروافض واشباههم ممن ابتدع بدعه ودعا إليها وكفر من خالفها

ثالثا

يقول الحق أن طريقه واحد ولهذا فإن الذي يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده قد اختار لنفسه طريقا ومنهجاً لحياته هو طريق الشرك بتركه منهج المومنين يكون منتسبا الي أبوه الشيطان وان الذي يتبع سبيل المومنين يكون منتسبا الي أبوه المنهج باعتبار التقسيم الأزلي منذ فجر الخلقه جعل الله للخير اهلا مثلما جعل للشرا اهلا فالحق يقول أنه بالإمكان تمييز الفريقين من خلال التتبع لمنشا العلل ومسببات التراكم حيث يظهر هذا التتبع تسلسل الانحدار المنهجي الفكري للرؤية والمتجه للمنطلقات المعركة مسيره الحياه

فإنه باستقراء اكتشاف المنايع الاساسيه التي ترجع إليها اصول المدرستين مدرسه الخير المشروع ومدرسه الشر المصنوع وجدنا أن البدايه تعود إلي وجود ادم علي الارض فهو يمثل مدرسه الخير

وان مدرسه الشر الي ذلك اليوم حيث عمل الشيطان علي توسع مشروع الافساد في الأرض

فمدرسه الاسلام مدرسه الخير والحق وهي مدرسه الانبياء والرسل ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم

وان مدرسه الشر هي مدرسه الشيطان الرجيم الذي رفض الاعتراف بفضل ادم الذي اختاره لخلافه الأرض وأن مؤسس هذه المدرسه الشيطان ولهذا فإن الذي يرفض منهج الله يعني أنه اختار منهج الشيطان وصار تابعا له فقال تعالي (وان يدعون إلا شيطان مريدا)

والشيطان لغه كل عات من الانس والجن والدواب وهو مشتق من شطن اي تباعد أو من شاط. اي احترق غضبا واشتات الرجل إذا احتد غيظا وسمي الشيطان بذلك لبعده عن الصلاح والخير وتمرده والمقصود به شيطان الجن وهو ابليس اللعين وأعوانه وسمي بذلك لأنه ابلس من رحمه الله اي يئس منها

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن للشيطان له أنصار وأعوان وتلاميذ ينتسبون إليه لهم منهج وسياسيات وبرامج وخبراء يصنعون المكائد و الدسائس يضعون المومرات لمحاربه الإسلام فالذي ينادي بتجاوز الاسلام وتطويعه وترويض أتباعه يكون من أنصار عصبه العمل الشيطاني التي حاربتها جميع الكتب السماوية

يكون داعيا الي الشر ولهذا نهي الحق عن التناجي الذي يكون الباعث له غير الخير المأمور به من الله والذي لا يكون علي طريق المومنين وهو توجيه لكم إبه المومنون يقول لكم الحق لاتطعبوا الادعياء والاكابر الذين تكبروا عن حسبهم بالدعوة لعصبيه أو حزبيه أو طائفية او مذهبيه وكل دعوه للاجتماع بما لايتفق والاحوال التي أمر الله (الا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس)

فإن الاستجابة منكم لما يخالف ذلك يعني مخالطه صحه اعتقادكم وسلامه اخلاقكم بمرض اخلاق هولاء وتدخلون في حركم باطل وهو أساس الفسوق والتمرد والعصيان واذا حصل ذلك اتخذكم الشيطان مطايا ضلال وجندا له في عصبه العمل الشيطاني يصلو بكم علي الناس وتصبحون فقد قال (لا تخذن من عبادك نصيبا

مفروضا)

ف الله قد خلق في الشيطان علما ضروريا أيقن بمقتضاه أن فيه قدره علي فتنه الناس بأن الله جعل في نظام البشر من يدخل في فتنه الشيطان وهم الذين يصدق عليهم ظنه فذلك هو النصيب المفروض اي المجعول بفرض الله وتقديره في أصل الجعله

المفهوم الثاني

يذكر الحق سبحانه وتعالى العباد بعدواه الشيطان مؤسس مدرسه الشر للإنسان بأنه كان بسبب رفضه السجود لا دم فقال (انا خير منه)

فقد رفض أمر الله ولهذا طرده الله من رحمته فقال تعالي (وان عليك اللعنه الي يوم الدين)

وهنا قال تعالي (لعنه الله)

فيقول الحق كيف يكون من العبد طاعه عدوه الذي أعلن العدواه لادم ونسله برفضه السجود لادم حسدا منه لنعمه الله الذي فضل به ادم من التسويه بيد الخالق والعقل والعلم

فكيف تتق بالعدو والحق حذرك (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)

فهو يريد اضلالكم وان تنحرفوا عن الحق لتكونوا مطايا وجنود تابعين له ينطق بالسنتكم واسترقاقا لعقوالكم ودخولا في عيونكم يريد اهلاكم ويسعي في ذلك بكل مايقدر عليه والذي هو في غايه البعد عن الله فقد لعنه الله وابعدته عن رحمته فهو ينظر انكم سبب أبعاده عن الله ولهذا فهو يريد أن يبعدكم عن رحمه الله مثلما أبعده الله عن رحمته فقال (قال اراءيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الي يوم القيامة لاحتكن ذريته الا قليلا)

وقد علم أنه لايقوي علي جميع عباد الله المخلصين فهؤلاء ليس له سلطان علي اغواهم واضلالهم وانما سلطانه علي من تولاه وأثر طاعته علي طاعه الله فقال تعالي في موضع آخر (لاغويناهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين)

فالنصيب المفروض له هم الذين صدق ظنه بهم فقال تعالي (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين)

وهذا هو النصيب المفروض الذي أقسم (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)

وليس معني قوله من عبادك إنكار الشيطان أنه عبدا لله يقول ابن عاشور أن ذلك يعود إلي جلافه الخطاب للتعبير عن خيانتته التفكير المتاصله حتي لايستحضر الفكر من المعاني المدلوله الا ما له منه ولايتفطن الي ما يلحق به من الغلظه ولا الي مايفوته من الأدب والمعاني الجميله فكل حظ كان للشيطان من تصرفات البشر في أعمالهم المعنويه كالعقائد والتفكير الشريبه ومن أعمالهم المعنويه كالافساد في الأرض بخدمه الشيطان بعباده الأصنام والعكوف عليها والمواعيد الكاذبه التي يعدهم الشيطان التي تزين في نفوسهم فيتخلون بتقدير غير الواقع واقعا منحرفا من الخيال ليستعين بذلك علي نشر الضلالات

المفهوم الثالث

يقول الحق كيف تتق بقياده ملعون مطرود من رحمه الله وعدو

ابعد عن كل خير والأصل أن العاقل يبتعد عن شرور أعدائه لا أن يسلم زمام أمره لهم حتي يسخروه في اهلاك نفسه باردته وهو يري الأمم من قبله كيف هلكت عندما اتبعت خطوات الشيطان والله قد حذر الإنسان فقال (الم) اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبه لا كثيرا افلم تكونوا تعقلون)

فسمي طاعه الشيطان عباده له لأنها انقياد وخضوع لوسوسه الشيطان واستجابة لايحاءته ونزعاته وتصديق لا مانيه مع أنه عدو ينبغي الحذر منه والتحرس من شروره فقد اضل الكثير أفلا يكون في ذلك عبره لاهل العقول السليمه

وقال تعالي (أن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

رابعا

يخبرنا الله أن عصبه العمل الشيطاني لها أهداف وسياسيات وبرامج وخبراء وأدوات واتباع وخطط بين الوسائل والخطط والبرامج التي يجذب أنصاره وأعوانه من بني البشر فيخبرنا الحق بالخطه الابليسيه التي أعلنها بموقف التكريم لادم لكيفيه نشر الضلالات

فقال تعالي (وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضنهم ولامنهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغررن خلق الله

(

فذكرت النصوص

الأمر الأول

اترسم الايه صورته فيها بيان أن الشيطان يستطيع أن يخترق واقعا ويديره بالاستقطاب القوي المؤثره في الحركه الشيطانيه الانحرافيه والعجيب أن الإنسان في حاله غوايه يعتقد ويترسخ في ثنايا فهمه وشعوره عند الانطلاق وا لاستعانة بغير الله أنه علي طريق السوء وان ما يفعله هو الصواب بعينه فيحمله الاعتقاد بالظن السي علي الحركه التي يتفاني فيها في خدمه الشيطان ومشروعه

ولهذا يحذر الله الإنسان من اتباع الشيطان يخبره الله أنه مخترق من كافه الوجوه ومحاط بالمومراه الشيطانيه من كل اتجاه ولهذا بذكر الله عباده بساعه طرد ابليس من رحمه فقال تعالي (لعنه الله)

ويلحق بذلك ذكر القسم الابليسي بالعطف علي طرده من رحمه الله فقال تعالي (وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)

بأن القسم الابليسي كان في ساعه تحدي الشيطان أمر السجود لادم فذكر الحق في موضع آخر قول ابليس (ثم لا تيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم)

فأراد الحق بهذا التحذير لك ايه المسلم فعليك اليقظه والاستعداد والانتباه فالموقف خطير فأنت مستهدف فعليك الاحساس بالمسؤولية في حركتك فأنت بحاجة كوابح ومنهج يضبط حركتك كي تتجنب الانزلاق الي مصيده الشيطان التي اعلن سوف ينبصها في كل مكان كي تقع في مصيدهه فانتم في مرمي نبله وموطي قدمه وماخذ يده

فانت بحاجة الي ضوابط فيها الوقايه من ذلك الخطر الذي يحرق بك من كل جانب

وهذا يكون في اتباع منهج الله الذي فيه حسن استخدام الوسائل في الحركة لتجنب افات الطريق كما أنه يرسم المسؤولية المعتبره لفن قياده فالحق لم يترك الإنسان يتخبط في طريق الانطلاق فصيبه ما أصاب الأمم ولهذا انزل المنهج الرباني الذي يرسم لك الخط الموصل الي الله ويضع لك العلامات والمعالم في طريق المومنين لتحذر الانحراف فهو بمثابة الكوابح والمنبه الذي يضبط الحركة ويمنع السقوط في الهاويه منهج تعرف به اين تضع قدمك في كل خطوه تخطوها فقد كشف الله لك في هذا المنهج أساليب الشيطان في الغوايه وأسلحتهم وجنوده الذين يستعين بهم في اضلال الناس

فالكتاب والسنة وسبيل المومنين هو الذي يقودك الي النجاه والسلامه ويمنع عنك السقوط في الهاويه فالله يقول (أن عبادي ليس لك عليهم سلطانا الا من اتبعك من الغاوين) و يقول (الا عبادك منهم المخلصين)لهذا فمن أجاب دعوه الشيطان وشاق الرسول واتبع غير سبيل المومنين فإنه يكون من نصيب الشيطان المعلوم وحظه المقسوم ولهذا فإن اخبار الله عن الشيطان وقيله (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)

ليعلم الذين شاقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في كل زمان أنهم من نصيب الشيطان وهم من صدق عليهم ظنه ليكن منك الحذر فالوقايه خير من العلاج

الأمر الثاني

يقول الحق احذروا من الاستجابه لداعي الشيطان وعليكم الاحتماء بولايه الله فلا تصدقوا امانى الشيطان فهو يمني البشرىه بالسلامة وهو يقودهم الي هاويه الجحيم فالله يقول في موضع آخر (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

فهو لا يقتصر علي مجرد الاضلال بل يريد أن تكون عاملا بخدمته ليقودك الي جهنم دون أن تدرك فتعمل بعمل أهل النار الموجه العقوبه وانت لاتعلم وتتصور انك علي الحق قال تعالي (قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وقال تعالي وكذلك زيننا لكل امه أعمالهم)

فالشيطان يستغل حاله القلوب المريضة وانطلاق البشرىه بغرائزها ورغباتها نحو الشهوات واللذات التي أن تحكمت بالإنسان فإنه يكون سريع التأثر بوسوس الشيطان فمن انطلق بهذه الغرائز فإن ذلك من دواعي الاستجابه للشيطان فهي غرائز في الإنسان إذا لم يتم ضبطها بالتحصن من وسوس الشيطان فإنه يجد منفذا لاثاره تلك الشهوات وتوجهها باغرائه ليكسر حواجز الوقايه نحو اللذه الحرام ولتكون الكوراث

ولما كان الهوي وحده لا يستقل بفعل السيئات كما ذكر شيخ الإسلام فقال إنه يتربط بالجهل والافصاحب الهوي اذا علم قطعا أن ذلك يضره ضررا راجحا انصرفت عنه بالطبع ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لامن مجرد النفس فإن الشيطان يزين لها السيئات وبأمر بها ويذكر لها ما بها من المحاسن)

والتزين يزيف الحقائق فيصور الحق باطلا ويصور الباطل حقا من قوه الجذب ليخدع العباد حيث أنه يغطي وجهها القبيح ويضخم ما فيها من

من محاسن موهومه حتي يقع المرء في شباهه ويصفي لوساوسه

وقد أشار الحق لذلك فقال تعالي (قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الأرض ولاغوينهم اجمعين)

وقد أخبرنا كيف أن إبليس زين لادم المعصيه بمكره وخديعته وأقسم ب الله كذبا أنه له ناصح امين يدل علي الخير (وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين

الأمر الثالث

يكشف لنا أساليب ووسائل الشيطان وسلاحه كي يوقع الإنسان في الضلال والانحراف مخبرا عن خطه إبليس الماكره ليحذر ها العباد ويتبصروا بعواقبها

ونجد أن الحق سبحانه وتعالى ذكر اجزاء الخطه الاستراتيجيه التي وضعها الشيطان لاضلال بني آدم فذكر (لا ضلنهم ولاغوينهم ولامرهن فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغرن خلق الله)

ابتداء بذكر الاغواء ثم ذكر الخطوه الثالثه في الخطه الاستراتيجيه التي وضعها الشيطان (ولامرهن فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغرن خلق الله)

اي حتي يعبدوا الأوثان ويحللوا ويحرموا ويشرعوا غير الذي شرعه الله لهم فقال (ولامرنهم) اي فيتبعوني ويخالفونك والتبتك القطع والمراد به في هذا الموضع قطع اذان البحيره التعريض بما كان من المشركين تشقق اذان الانعام وجعلها علامه علي البحيره والوصيله اعتقادا منهم أنها شريعته واريد بذلك أنه يدعوهم الي البحيره فيستجوبون له ويعملون بها طاعه له

ثم ذكر تغيير الشكل وتغير الفطره (ولامرنهم فليغرن خلق الله)

قيل هي الوشم علي الجلود والخصي ففي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه للذكور فالرسول صلي الله عليه وسلم نهى عن الوشم

في الوجه وفي وجه لعن الله من فعل ذلك وفي الصحيح ان ابن مسعود قال لعن الله الواشمات والمستوشمات و التامصات والمنصات للحسن المغيرات خلق الله ثم قال ألا لعن الله من لعنه رسول الله والله يقول في كتابه (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهاوا)

وذكر السدي والضحاك والنخعي والحسن وقول لابن عباس

أن المراد به تغيير دين الله الذي يوافق الفطره لقوله تعالي (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبدل لخلق الله)

المفهوم الاول

تبين النصوص ان تحقيق الهدف والغايه من الوجود الإنساني ولقيام المسلم بوظيفته في الوجود بما يحققه المطلب الرباني بنشر الخير والعدل في الأرض وال عمران فيها عليك ايجاد الارضيه التي تسمح بنمو الدعوه وتحقيق أهدافها بتهيئة المناخ المناسب القابل لتحقيق الهدف

ولهذا كان هجره الرسول الي المدينه لاقامه دوله التوحيد عندما وجد في مكه مانعا من انتشار الدعوه ونموها ف التوحيد ليس مجرد فكره تبقي في النفوس ولاتعمل عملها في الحياه فلا بد للإسلام من مجتمع يحكمه له أنصار وبعد الأنصار تقام دوله التوحيد

وان هذا وضع الخطه التي يكون بواسطتها التمكين من تحقيق الهدف

وهنا نجد أن الحق يشير الي قصه إبليس الذي ابتداء بطلب من الله أن يكون من المنظرين فعندما ضمن ذلك قال (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)

ثم بينت النصوص الخطه الاستراتيجيه التي وضعها الشيطان لاضلال اتباعه بما يحقق وظيفته في نشر الشر والا

افساد في الأرض ومخالفه المنهج وابطال المشروع الرباني

المفهوم الثاني

يقول لك الحق انك في معركه مع الشر ومؤسس مدرسه الشر وانت بحاجه الي الاعداد الجيد لخوض المعركه ومعرفه أحوال الناس وإعداد الخطه القادره علي تحقيق المشروع الرباني وسد الثغرات التي ينفذ منها الشيطان فأول أمر يجب عليك أن تكون في يقظه فلا تغفل فالعدو يتمني أن يجد فرصه ليبرمي سهامه لينفذ الي مركز اردتك وتفكيرك

فأخبرك الله بجذور عدواه الشيطان بأنها من لحظه تكريم ادم فمنع ذلك الحسد وكراهيه الإنسان وارداه ازاله الفضل الذي اختص به ادم فيقول لك الحق لاتثق به فهو لاخير فيه لانه ملعون

وان عليك سد الثغرات التي ينفذ منها هذا العدو الخطير ولهذا يكشف لك الحق وسائل الشيطان ونقط الضعف التي ينفذ منها الشيطان فذكر

الحق انه سبحانه وتعالى قد خلق في الإنسان غرائز نفسانيه ابتلاء واختبار لمعرفة صدق ايمانك وقوه اردته الإ نسان في طاعه ربه بقوه هذا الحب الغرائزي الذي يسيطر به علي نفسه وعقله فقد جعلك قابلا للخير وقابلا للشر اي اوجد ها لتكون قوه تحفز الي الخير أو الشر ثم ترك لك حريه الاختيار بما وهب لك من عقل يرشدك الي الخير ويبعدك عن الشر أن أحسنت استعماله فقد منحك شهوه اغراء وبالمقابل خشيه تحميك وبصيره تنحك قوه تدفع وقوه تردع من خلال المنهج الرباني الذي يوفر لك تلك القوه ولهذا يكشف لك الحق وسائل الشيطان وأساليبه واسلحته التي يستعملها وجنوده الذين نستعين بهم في اضلال الناس لأجل ان نحذرنا

فقال تعالي علي لسان ابليس (ولاغوينهم ولامرهن فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغرن خلق الله)

يقول لك الحق احذر أن يستغل الشيطان جوانب الضعف الناتج عن قابليه الغرائز للشر فهي سلاح فتك فذكر لنا الحق استغلال الشيطان لهوي النفس والخداع والتزين بأسلوب قراني قادر علي غرس قوه تدفع الي استعمال الغرائز في طاعه الله

المفهوم الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى اهميه استخدام الأساليب القادره علي توجيه السلاح بما يودي الي تصويبه الي الوصول إلي الهدف فيقول لنا عليكم أن تدركوا أن العدو له خطط وبرامج وخبراء يصنعون المكائد والدسائس و المومرات التي تحقق أهداف نشر الشر والافساد في الأرض وابطال المشروع الايماني ولهذا نجد أن الحق يعرض لنا خطوات الشيطان وأساليبه ووسائله وجنوده الذين يستعين بهم في اضلال الناس فقال تعالي (لاغوينهم ولا مرهن فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغرن خلق الله)

فذكر الخطوه الاولى الاغواء التي استغل فيها مافي الإنسان من غرائز قابله للشر وقابله للخير ولهذا فهو ينطلق من هذه النقطة ليغري الإنسان بعصيان ربه وتلبسه علي الإنسان كي يكون قادرا علي خداعه ليحول بين النفس وبين طريق الخير وأنه كلما ازداد تزيين الشيطان وخداعه ازادت الحيله النفسيه عمقا وخفاء فكلما أراد الإنسان العمل الصالح وقف امامه بحيله شيطانية يحول بينه وبين الهمه بوضع عائق يصوره له ليصده عن تزكيه نفسه وترك التوبه بالتسويف وغيرها من الحيل

ليقضي علي قوه الردع التي وضعها الله في النفس

وكذلك يزين له الشر حتي تختلط عليه الاشياء فيحصل الميل للشهوات حيث اننا نجد الكثير من المسلمين

يدركون خطر الشيطان وعدواته لبني آدم وضروره التحذير من شروره لكن واقفهم يبين أنهم واقعون في حيله نفسه شيطانيه ومدخل شيطاني يجعلهم يشعرون بالطمأنينة لماهم عليه وان مايفعلونه هو الصواب ومن امثال ذلك المغالاه في التدين أو الإفراط أو تقويه حساب جانب علي جانب أو تطبيق الاسلام بمعزل للجزئيات عن بعضها أو عن الكليات أو منفصل عن أساسها التوحيد كالاهتمام باحكام الاحوال الشخصيه التي جاء بها الاسلام وعدم قبول أن يكون الاسلام حاكما للعلاقات الاقتصادية فانتشرت الربا في المجتمع المسلم مع اعتقاد أنها غير محرمة شرعا لدي الكثيرون مع أنهم ملتزمون بالصلاه والصوم والحج والزكاة والأمانة وغيرها من الامور وهذا اغواء من الشيطان

المفهوم الرابع

تبين النصوص أن خطوره خطه الشيطان وسلاحه لأنها اعتمدت علي التدرج في الاغواء فذكر الحق الخطوه الثانيه بعد الاغواء (ولامرئهم فليبتكن اذان الانعام)

لفظ (ولامرئهم) بعد الاغواء

تدل أن الوسائل التي استعملها الشيطان أدت ثمرتها وحصل استجابة من الإنسان لدعوه الشيطان فالله يخبرنا خطوره اسلوب الشيطان للوسائل فهو يسلك اسلوب التدرج في الاغواء فلم يلقي بوساسه دفعه واحده ليضل بني ادم لأنه لو فعل ذلك ولما استجاب له الا القليل لأن خداعه ينكشف ولايمكن للمسلم أن يتخلي عن دينه ويترك الفرائض ويقع في المنكرات بعد أن كان متمسكا بطاعه ربه الا اذا كان ذلك بالتدرج فهو ينتقل من منكر الي منكر اكبر منه حتي ينسلخ عن الدين كليه ولهذا فإن علي المسلم من ذلك الاستفاده من هذا بالحذر من الوقوع في مصيده الشيطان والانتباه لخطوره أساليب ووسائل عصبه العمل الشيطاني فيكون علي يقظه فيحتاط من ذلك ومن جهه اخري فإن اللازم علي الداعيه التدرج في دعوته ومخاطبه الناس بما يفهمون فعليك ترتيب الأولويات فالداعيه يبدأ بعرض فكرته بما يحقق اقتناع الناس بشخصه وفكرته ثم يكون الانتقال الى بقيه الجوانب يقول ابن القيم أن العارف بالله يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الاجابه فالعارف بالله لا يامر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرن علي تركها ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم علي دنياهم فترك الدنيا فضيله وترك الذنوب فريضه فكيف يأمر بالفضيله من لم يقوم بالفريضه فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر انعامه والالاءه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله فإن القلوب مفطوره علي محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب ومن الاصرار عليها

فأنت في معركه مع الشر ولهذا نجد أن النصوص تستمر في بيان الخطه التي اعلنها الشيطان وتفصح عن خطورتها من خلال بيان التدرج في الخطوات فقال تعالي علي لسان ابليس (ولامرئهم فليبتكن اذان الانعام)

فدل هذا أن انتقال ابليس الي مرحله الأمر جاء بعد أن تهئيه أنصاره لذلك فهو رمي بسهام الاغواء بالتعصب و الكبر بعد ان اختار فريسته ممن صدق عليه ظنه ممن قابلا ومستعدا أن يلبس قناع التمرد والعصيان وينازع الله في رداء الجبريه كي يصيبهم بعدوي داءه لينهضوا بما يريد فهو أمام المتعصبين والمتكبرين وهو يستعين ببعضهم البعض علي من لم يطعيه حتي إذا انقاد له التابع كان التغيير لواقع هولاء فدل هذا أن الأمر جاء بعد استجابتهم لدعوته فقد أثمرت وسائل الاغواء برميهم مصيبه أنتجت الاستجابه فذكر تنفيذ امره بقطع اذان الانعام بعد أن كانت وسوسه في الصدور وهمسا في القول انتقلت الي المجاهره بالنداء ورفع الأيدي كناية عن إشعال الفتنة فصار له اتباع ياتمرون بأمره فأصبحوا جندا من جنوده فحدث استرقاق لعقولهم

المفهوم الخامس

يقول الحق عليكم أن تدركوا خطوره الموقف والأشكال المحيط بكم بالاعداد الجيد لمواجهه المخططات التي

يخطط لها الأعداء فتبين النصوص أن لديهم سياسات وأهداف وبرامج وخبراء يصنعون المكائد والدسائس و المومرات وانهم قد احكموا سياسيه البدائل السلبيه وزينوا للعقل الإنساني قضيه الغرائز محاولين حجب العقل و العاطفة عن سمو الهدف الشرعي من خلال تسييس الرغبات والغرائز والهباب الاحساس فهي سوف تعمل علي تغيير ماخلق الله في الإنسان من ملكات وقدرات وطاقات واضلالها عن الهدف الذي خلقت لأجلها فالخالق سبحانه قد كرم الإنسان بما أمده من الفطره التي تعرف ربها وبالعقل الذي يميز بين الخير والشر وحرية الاختيار والتسويه بيد الخالق والعلم فهذا هو الفضل الذي رفض ابليس الاعتراف به فقال في الموقف (انا خير منه)

ولهذا فقد اعد خطه لأجل ازاله هذا الفضل والشرف الذي تميز به الإنسان حسدا منه فعليك أن تعلم أن عقلك مستهدف من الشيطان وحربتك مستهدفه ولهذا اعد خطه بالغه الخطوره قادره علي هدم جذور هذا التفضيل الذي اختصك الله واول ما يستهدفه الشيطان هو إيجاد بدائل منحرفه تصرف إليها ارداه الإنسان باستغلال قابليه الغرائز للخير والشر لغرض تدنيس النفس البشريه ليكون اختيارها قبيحا ليكون الإنسان أسيرا لشهوته وواقعا في قبضه الشيطان

وايضا فإن الشيطان يستهدف العلم الذي يميز الإنسان فهو الحصن المنيع الذي ينزع عن الانسان قوه الشهوه بمعرفه الحلال والحرام فيقمع هوي النفس فتكف عن المعاصي ولذلك يزين لهم المروق عن الحق بالابتداع ومخالفه المنهج ويحطم الكمال بمعول النقص ويوجد الشقاق وهدم نظام الجماعه بالعصبيه وتوجيه الغرائز نحو الشهوات واللذائذ فيكون هدف الشقاق نيل شهوه أو حقا باطلا وتنتشر العدوات فيصبح كل واحد عرضه للشورور فيعم الفساد وبالتدريج يكون الانحراف الي العقائد السخيفه مثل قطع اذان الانعام وعندها يسقط عقل الإنسان ويصبح أقل شأنًا من البهيمة

ثم يذكر الحق أن المرقله الاخيره من مراحل الاغواء والتغيير السلبي الذي يهدف إلي ابطال المشروع الرباني فيقول الحق بلسان الشيطان

(ولامرئهم فليغرئ خلق الله)

فالمراد بهذا بيان بلوغ التغيير السلبي ذروته فهو يخبرك بهذه الخطه التي تستهدف النيل من روح الإنسان وفطرته ومن التسويه التي خلق عليها الإنسان والتي هي من خصائص التفضيل للإنسان كما يتضح من الآتي

١

أن الله قد خلق الانسان في احسن تقويم بالتسويه بيد الخالق وهذا من أسباب التفضيل الذي رفض ابليس الاعتراف بفضل ادم ولهذا فهو هدفا من أهداف الشيطان حيث يأمر الشيطان اتباعه بالوشم والخصي وغيرها من الأ مور التي تهدف إلي تغيير شكل الإنسان ولايقصد بهذا عمليه التجميل مثل وضع الأقراط علي الاذان أو قلم الا ظافر أو غيرها من الأمور التي تهدف إلي تحسين شكل الرجل ومظهره كما ذكر ابن عاشور رحمه الله فقال أما ما ورد في السنه من لعن الموصلات والوشمات فقال احسب تأويله أن الغرض منه النهي عن سمات العاهرات في ذلك العهد أو من سمات المشركات والا لما بلغ النهي الي حد اللعن وانما تغيير خلق إنما يكون محرما اذا كان فيه طاعه الشيطان بأن تجعل علامه لنحلته شيطانيه مثل الشعارات التي ترسم علي اجزاء من الجسد كشعار لجماعات الشر أو يكون ذلك اعتراض علي خلق الله بما يتضمن السخط من خلقه والقبح في حكمته أو اعتقادهم أن ما يصنعون بأيديهم افضل مما يصنع الله سبحانه وتعالى وعدم الرضا بقدره الذي قدره علي أحد خلقه وجمله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)

تذليل دل علي أن ما دعاهم إليه الشيطان من تبتيك اذان الانعام وتغير خلقه إنما دعاهم لما يبتغيه من الدلاله علي استشعارهم بشعاره والتدين بما يدعوههم إليه والافان الشيطان لاينفعه أن يقطع احد اذان الانعام

ان المعلوم أن الحق سبحانه وتعالى قد خلق كل شي لحكمه فهو تعالى يقول إنه اعطي لكل شي خلقه الذي يحقق الهدف من وجوده ثم هداهاوارشده الي الوظيفه التي خلق لأجلها (اعطي كل شي خلقه ثم هداي)

فالنصوص تبين لنا أن المظاهر التي كانت سائده في الجاهليه حيث وضعوا مخلوقات الله في غير ما خلقت لأجلها كجعل الكواكب والنجوم والكسوف والخسوف دلائل علي أحوال الناس فهذا شرك بالله

وكذلك فإن الإنسان مخلوق لعباده الله وكل جزء منه وكل ملكاته خلقت لغايه وهي عباده الله تعالى ولهذا فإن الا ضلال يكون بتغيب وظيفه هذه الملكات فتسخر لأغراض دنيويه

ويدخل في هذا طمس الفطره وحجبها عن ربها فهذا تغيير ولهذا فإن الأعراض عن التوحيد وعن دين الإسلام و الخضوع والاستسلام لله الذي هو دين الفطره والفطره هي خلق الله التي اودعها الحق في الإنسان لتعرف ربها لو تركت ولم تلوث لعرفت ربها ف الله يقول في موضع آخر (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا مبصرون) فهم أصابهم الطيف الذي يطيف بقلوبهم يتذكرون ما علموه قيل ذلك فيزول عنهم الطيف ويبصرون الحق الذي كان معلوما وكان الطيف يمنعهم من رويه الحق

أما الفريق الاخير فالله يقول (وإخوانهم يمدونهم في الغي فهم لايقصرون)

أن اخوان الشياطين في غيهم يقول شيخ الإسلام (ثم لايقصرون)

اي لاتقصر الشياطين عن المداد والامداد فيكون ولوج الانس في الغي فلا يبصرون مع ذلك الغي ماهو معلوم لهم مستقر في فطرتهم لكنهم ينسونه

ولهذا فإن الرسل إنما تأتي بتذكير الفطره لما هو معلوم لها وتقويتها وامدادها ونفي المغير للفطره فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكميلها لاتغيير الفطره وتحويلها فالكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعيه المنزله

وبالتالي فإن التغيير السلبي هو بأن يجعل النفس تنحرف عن الفطره فيوجه اشواق النفس لخالقها الي عباده الشيطان أن هي نست ربها ذلك أن تطلع النفس الي الذات العليا التي تظل تبحث عنها اذا لم تعرف ربها نتيجه ابتعاده عنه فإنه تلجأ الي معبود غيره ولهذا يقول الحق في موضع آخر (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)

فنسيان النفس سببه نسيان النفس لخالقها فهي حين ذلك تتخذ له معبود اثناء فتره البحث عن الذات العليا فتعبد الشيطان وتتخذه وليا يتولي شؤونها فيكون العقاب الإلهي لها بالاعراض والغفله وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين له قبل ذلك فقال تعالى في وصف من يشاقق الرسول (نوله ما تولي)

بأن ذلك الأعراض يقتضي تركهم لمصالح أنفسهم ولايذكرون أنفسهم ذكرا ينفعها ويصلحها فإنه لو ذكروا الله اذكروا أنفسهم ولهذا يقول تعالى هنا (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)

فالإنسان ولد علي الفطره التي تعرف ربها وتحبه وتوحده فإذا اعرض عن ذكر الله الذكر المشروع الذي كان في الفطره وجاءت به الشريعة الذي يتضمن معرفته ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته فنسوا الله من هذا الوجه فإنهم ينسون أنفسهم وماكان فيها من العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري عندها تتخذ لنفسه ربا تركن عليه وهو الشيطان وهذا يلحق بنفسه خساره في الدنيا والآخرة لانه يكون عبدا لعدوه فالله يقول في

موضع آخر (إنما سلطانه علي الذين يتولونه)

فهو يمنح للشيطان سلطان فيذلهم ويصبحون مطايا له يوجه طاقاتهم وقدرتهم لخدمته (الشيطان) فيخسرون الدنيا والآخرة وهي خساره واضحه لانك تكون تابعا للشيطان الذي يمني حزبه بالسلامه وهو يقودهم نحو الهاويه

خامسا

يعدهم ويمنهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا)

الأمر الأول

الآيات وردت عقب تناول قصه عدواه الشيطان للانسان وخططه التي أعلن عنها وأنه قائد مدرسه الشر ويتولي صناعه المومرات والخطط وتوجيه الإتياع الذين استحوذ عليهم بسلطانه لمن جعله وليا له فذكرت النصوص من هم أولياء الشيطان وذكرت أن الذي يتولي الشيطان ويمكنه من زمام امره فإنه يخسر خساره واضحه لابلس فيه

ولهذا تأتي النصوص مبينه هذه الخساره علي وجه التفصيل

١

اخبار عن واقع فعل الشيطان مع أوليائه وترسم مشهد قيادته لهم في الدنيا وكيف أنه يستهوي بني ادم بالوعود الكاذبه والأمني الباطله

٢

أن وعد الشيطان لأوليائه من قبيل الوعود الكاذبه والحيل الماكره التي تهدف إلي استدراج الإنسان كما يزين العدو لعدوه الكمائن للأضرار به

٣

ان نهايه الطريق لذلك هو الهلاك

أن من انقاد للشيطان وأعراض وصار من اتباع فإن مستقره الي جنهم لايجد منها ملخصا ولاملجا يفر منه

الأمر الأول

أالحق سبحانه وتعالى يريد منك أن تدرك أن لإبليس في عالم الإنسان في كل زمان حركه وملاحقه وتدخل مباشر بالسعي لايقاع الناس في شر ماوقع فيه ولهذا جاء اللفظ (يعدهم ويمنهم) بصيغه المضارع فهو يسعي لاغواءهم والسيطرة على عقولهم وقلوبهم فإذا وقعت في شباك مصيده الشيطان فإنك لن تتمكن من الخروج منها فهو لا يتوقف وهو يطور أساليبه ووسائله ويزود جنوده بالخبرات والمهارات اللازمة للقيام بوظيفه الافساد في الأرض فترسم النصوص مشهد لكيفيه استهواء الشيطان لأوليائه من بني واستدرجه الي مصيدته بالأمني الكاذبه و الحيل الماكره للسيطره علي مركز القرار لدي الفرد ولدي الجماعات فلا يقتصر علي الأفراد فقط فالشيطان يركز علي القوي الموثره في المجتمعات القادرين علي صناعه الازمات من أصحاب الفكر والعلماء والمشاهير والوجهاء باغوائهم والسيطرة علي عقولهم وقلوبهم فإذا حصل ذلك يبدأ بإسقاط النظام من داخله ليسخرهم لخدمته وبذلك تقع الخساره الواضحه

الأمر الثاني

يخبر الحق واقع فعل الشيطان مع أوليائه وكيف أنه ينمي في الإنسان القبول بقيادته وبالوساس والافكار الضاره التي يلقيها الشيطان يصبح الإنسان عاجزا عن التفكير بما يزين مايلقيه في النفس من أفكار وخواطر يفسد علي الإنسان مدراكه و إرادته ليكون منحرفا في تصوراته التي تشكل قوه دافعه للارده لارتكاب الجريمة

يقول لك الحق أن قوه الفاعليه للشيطان لاتكمن في قدرته ووسائله وانما يرجع الي جهل الناس وغفلتهم وتأثره باغرائه واغوائه لماذا

لانك اعنته علي نفسك ومكنته من بيت افكارك وارادتك فالحق ما أخبر به الرسول الهدي يحصل بمعرفته وتصوره واسباب الازمه تنشأ من سوء الفهم أو نقص العلم أو سوء القصد

والله قد هدي الناس هدايه عامه بما ارسل به رسله وبالفطره التي أن سلمت فهي تعرف ربها وتنجذب إليه حيث أن في الإنسان جاذبيه محبه الله التي أودعها الله في الفطره للإله الحق وهذه الجاذبيه هي التي تفعل فعلها في كل رابطه حب ينشئها الإنسان وتعكس عمليه بحثها عن محبوبها المفقود ولهذا فإن الشيطان يستهدف العلم الفطري والمحبه الفطريه ليشبع هذه الرغبه في البحث عن الذات العليا في الموجودات من المال والولد والزوجه باستعمال أساليب التزين والاغراء والاعواء والوعود الكاذبه لايقاع الإنسان في حباله

فيخبرنا الله أن تلك الوعود الكاذبه الذي يفسد قوه التصورات وعلم الإنسان فيصور المعدوم موجود والموجود معدوم والحق باطلا والباطل حقا فهذا هو المنهج الذي يحرك العالم الإنساني نحو عباده الشيطان ويزينه ويحسنه وهو يطور وسائله بتلميع الصوره لتناسب جرعات قبول العقل لها مع ترويض العقلاء والملتزمين تاره بالترغيب و الترهيب والخداع والتزييف والترويج والدعايه ليحصل التأثير والقبول والتأثير النفسي والعقلي والعاطفي لجذب النفوس نحو السفول فيستغل غريزه البحث عن الكمال في النفس لتوجيه نحو الكمال الزائف فتكون النفس منشغله بالدنيا فليس له هم إلا الدنيا فيتشغل قلبه بحب المخلوقات فيعرض عن طاعه ربه وتكون عبادته للخلق وحينها يتسلط عليه الشيطان قال تعالي (ومن يعيش عن ذكر ربه نقيض له شيطان فهو له قرين)

فيزين الشيطان اغراء حب المال بالبخل والجشع والتهاك علي الربح بكل الوسائل المستطاعه فقد يسرق عاشق المال ويقتل في سبيل اللذه ويكون أسيرا للمال يحرسه ويحول السعاده به الي شقاء في الدارين فالله يقول (الشيطان يعدكم الفقر) ويقول (إنما ذلكم الشيطان بخوف أوليائه) وينغمس فيما حرم الله لاشباع شراهه نفسه الاماره بالسوء فيكون عابدا لنفسه وهواه ويستخف بأمر الله فالله اخبرنا في موضع آخر كيف أن النفس الاماره بالسوء زينت لابن آدم الاقدام علي ارتكب اول جريمه قتل في التاريخ وحسنت فعلها فقال تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه)

فالنفس الاماره بالسوء قرينها الشيطان وصاحبها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويامرها بالسوء ويزينه لها في صوره تقبلها وتستحسنها ويمدها بأنواع الإمداد والباطل والأمني الكاذبه والشهوات المهلكه ويستعين بها عليها بهواها وارادتها

فهو يستغل النفس الاماره بالسوء واعجابها بالشر لتقبل وعوده الكاذبه

الأمر الثالث

يخبرنا الله بأسباب الخذلان وعاقبه ذلك بأنه الهلاك والضياع بالوثوق بالوعود الشيطانيه وعدم تزكيه النفس ب الميل الي الدنيا بأن ذلك ناتج عن حسه النفس ودنائتها بالميل بالحيدان الي الشهوات الحيوانيه لبيان ان فاعليه الشيطان ليس لقوته وقدرته وانما لغفلتنا وجهلنا فمن اثر الدنيا واتبع الشهوات يكون في مرمي الشيطان حتي

ولو كان من أهل العلم فالله يقول في موضع آخر (واتلوا عليهم نبأ الذين اتينهم علما فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه ولكنه اخذ الي الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)

فاساس انحرافه هو ميله الي الأرض واخلاده فيها فقد كان هدفا سهلا للشيطان فقال تعالي (فاتبعه) ولم يقل تبعه أنه أدركه ولحقه بتزين الدنيا وما فيها لأن من أحب الدنيا حتي وان كان من أهل العلم فلا بد أن يقول علي الله غير الحق ولا بد أن يبتدع تحت تأثير الوعود الشيطانية وهنا يخبرنا الله أنه يخدع الإنسان فقال تعالي (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وقال تعالي في موضع آخر اخبار عن الشيطان الرجيم وهو يتنصل عن وعوده (أن الله وعدكم وعد الحق وعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلومني ولوموا أنفسكم)

فأراد الحق أن تحذر من وعود الشيطان وان تقوم بتزكيه نفسك من الاوساخ فالنفس لها هوي غالب قاهر لا يصرفه مجرد الظن وانما يصرفه العلم الحازم باليقين بأن العذاب واقع لامحاله أما الذي لا يوقن بوقوع العذاب فلا يترك الهوي فالله يقول (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي)

فانت تجد نفسك تومن بالله واليوم الآخر ومع ذلك ترتكب المخالفات فاعلم أن هذا يعود إلي عدم الايمان باليقين انك سوف تعاقب فلو كنت مومنا أن العذاب سوف ينزل عليك بمجرد ارتكاب الجريمة لما فعلت ذلك ولهذا نجد أن الحق يذكر لنا عاقبه هولاء فقال تعالي (اولئك ماوئهم جهنم لا يجدون عنها محيصا)

بأن الذين ينقادون للشيطان فمستقرهم جهنم لا يجدون ملجاء يفرون

منه

سادسا

تأتي النصوص مبينه سبل المومنين وعاقبتهم وأعمالهم وتوفيقيه لهم فقال تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا)

ترسم النصوص صورته جميله لعاقبه المومنين وما فيها من السعاده الابديه بالجنه بلا انقطاع فهذا وعد من الله الذي لا يخلف وعده فوعده فيه الصدق المطلق وهذا مقابل ما ذكر من غرور وعد الشيطان فأراد الحق بهذا أن يغرس في النفوس الشوق الي الله والزهد عن الدنيا بالثقه بوعد الله وما اعده للمومنين بعد ما غرس في النفوس قوه الخوف من الله تعالي ورسم صورته مولمه لنار جهنم ليكون الاشفاق قوه ردع تمنعه من ارتكاب المعاصي فالذي يوقى شح نفسه فغلبت تقواه علي غرائزه وغلب عقله هواه فإنه من المفلحين فهو من الذين انجاهم الله فالاشفاق من العذاب فيه إيقاظ النفوس فيكون قوه تنقذهم من شر غرائزهم وشهواتهم

فذلك بشكل قوه توجيه الغرائز التوجيه الصحيح وفقا لما ارده الله فالغرائز ليست لاغراء الإنسان علي العصيان بل أوجدها الله كنعمة لتنفعه وتمنعه فما اوجد فيك الحق من شعور الخوف والحرص علي الحياه والأموال والاولاد و النساء الا لتحافظ علي حياتك وعلي اولادك بما يحقق حفظ النوع واستعمال قوه الغضب لدفع المكاره واول المكاره ان تشفق علي نفسك وأولادك وازواجك من العذاب في اليوم الآخر فيكون منك استخدم قوه الغضب بترك ما حرم الله وكذلك فإن ما اوجد الله فيك من قوه حب المال الا لتسعي في كسب ارزاقك في الدنيا والآخرة فتتنفع نفسك بالزهد عن الدنيا فلا تقدم علي الكسب الحرام وايضا تنفع المجتمع بخدمه الآخرين ومرعاه حقوقهم فتنهي نفسك عن الهوي لتثبت جدراتك بحب الله فهو قد جعل جنته لمن اطاعه و اتقاه

فالغرائز تكون دافعا للتقوي ومن دعائم الصبر وقوه التحمل وجهاد النفس وقمعها عن الحرام لتنال رضاء الله بالثقه

بوعده بحسن الجزء أن نجحت في الامتحان بأن أخضعت اردتك لاراده الله اختيارا فتحب لله وتغضب لله فلا تتأثر بالمغريات التي زينتها الشهوات فبوجود الشهوة توجد العفة وبوجود الغضب يوجد الحلم وبوجود الالم و الحرمان يوجد الصبر وبوجود الاغراء يوجد قوه الثبات والمقاومة وعلي قدر الاحتمال والجهد يكون الاجر هكذا انعم الله علي كل انسان بقوه تدفع الطاعه وقوه تردع النفس عن المعصيه اذا منحه شهوة تغريه وخشيه تحميه وبصيره تنجيه فهو يفقد حياته بقياده العقل السليم الكامل بالمنهج الرباني الذي يوصله الي مقصوده وبهذا يكون تزكيه النفس بالغذاء الروحاني الذي يكون فيها امانه الخواطر الشريره فتكون النفس منشغله بالله وذكره في كل أوقاتها

فيكون ذلك قوه تتحصن بها أمام هجوم الشيطان فتصده بالاطمئنان بوعد الله وهذه اعلي درجات السعاده وهو شعور النفس بالاطمئنان لمولاه الحق فتشعر بالرضا من الله فالله يقول (يايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضيه مرضيه)

القسم الثالث

(ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شي محيطا)

اولا

ابتدات الآيات بالخطاب الإلهي (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب ومن يعمل سوءً يجز به ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

وقد ورد بشأن المقصود بهم بالخطاب الإلهي (ليس بامانيكم) اراء

بين قائل إن المخاطب بهذا المومنين فقال الضحاك وقتاده وآخرون أن بعض المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل نبينا قبل نبيكم وكتابتنا قبل كتابكم ونحن أولي بالله منكم وقال المسلمون أن كتبنا جامع لجميع الكتب السماوية وهو ينسخها ونبينا خاتم الانبياء وهو للناس كافه فأنزل الله الايه (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب)

وقال مجاهد أن الخطاب للكفار من قريش وأهل الكتاب لانهم قالوا لانبعث ولانحاسب فقالوا (ومانحن بمبعوثين) ومن أمانيتهم (وقالوا نحن أكثر امولا واولادا ومانحن بمعذبين) وان اليهود قالت (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) لاعتقادهم أنهم لايعذبون العذاب الدائم

وبالوقوف علي هذا نجد أن الراجح هو أن الخطاب للمومنين لأن الايه مدنيه ويويد هذا القول خاصه أن ماورد بعدها الي قوله (ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن... الخ فدل هذا علي وجود تنازع في تفضيل الأديان لامجرد إنكار عقوبه بعد الموت اذ أن الايات تضمنت نفي أن يكون هنالك دينا احسن من هذا الدين وانكر علي من أثبت دينا احسن منه لأن الاستفهام إنكار نهى وذم لمن جعل دينا احسن من هذا الدين وايضا ماقبلها خطاب مع المومنين وجواب لهم

ولا يوتر في هذا مجئ النصوص بعدها بقوله تعالي (من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)

والأمانى هي احاديث النفس المجرده عن العمل المقترن بهاوهذا

يدل أن هنالك ادعاءات مجرده من الدليل بحيث لو عوراضت بمثلا لكانت من جنسها فالحكم عام في كل أمر

فكيف بامر الايمان والسعاده الابديه والله قد أخبر عن امانى أهل الكتاب (وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصارى تلك امانيتهم)

وعدهم من ليس ينتسب لكتاب ولارسول من باب أولي كما ذكر بعض العلماء وادخل في ذلك من ينتسب للإسلام بدون عمل ليقول لك أن مجرد الانتساب الي دين كان لايفيد اذا لم يأتي الإنسان ببهان الدعوي فالاعمال هي التي تصدق الدعوي أو تكذبها لأن طالب الخير لابد أن يكون عاملا به وهذا لابد له من الصدق والصواب والشكر و الخوف والرجاء ولهذا ذكر قوله (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب)

بعد أن بينت النصوص سبيل المومنين وسبيل المجرمين و منهم أولياء الله ومنهم أولياء الشيطان والطريق الموصول الي هدايه الله والطريق الموصول الي الهلكه فأظهر لهم حسن التوحيد وقبح الشرك ودعوته بذكر عاقبه المشركين القبيحه في نار جهنم ليحذر منها وبين لهم عاقبه أهل التوحيد بالجنه التي وعدها الله لاهل التوحيد

تأتي الآيات تعقيبا علي ذلك بقوله تعالي (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءه ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنه ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شي محيطا)

فبيين الحق الآتي

الموضوع الاول

يقول الحق أن بيان سبيل المومنين الموحدين وسبيل المجرمين بيانا تفصيلا وكشفهما وغايتهما وعاقبه كل فريق فإن ذكر السبيلين ليس للتباهي والتفاخر بالانتساب للإسلام دون العمل ففضل الدين وشرفه والنجاه الورد ذكرها بنقل صورته السعاده الابديه لعاقبه المومنين ليس غرضها اقامه العقيده علي الاماني والغرور فليس في ذلك النجاه وانما يكون بالعمل الواعي بالاهتداء بهدايه الاسلام ولهذا فعليك أن تعرف أن بيان سبيل المومنين وسبيل المجرمين علي وجه التفصيل بذكر أسباب خذلان المشركين وأسباب توفيق المومنين بأنه يعود إلي أن المومنين يراعاهم الله ويدفع عنهم العذاب وان المشركين يخذلهم الله لانهم يحتمون بولايه الشيطان فأراد الحق بهذا البيان

أن تعرف الفرق بين سبيل المومنين وسبيل المجرمين عملا وعملا لأن الاشياء تتبين باضدادها فتري حسن طريق المومنين التي فيها النجاه من خلال رويه قبح سبيل الكفار فيودي الي معرفه الصواب فيودي ذلك إلي محبه التوحيد والإيمان والاسلام لأن فيه طريق السلامه وان تنفر من طريق الشرك وأهله

ليكون ذلك قوه تحقق العقيده فاعليتها وقوتها في توجيه الطاقات وتحريكها بما يودي الي العمل وفق منهج الله وليس للتباهي والتفاخر بالانتساب للإسلام دون العمل فذكر العاقبه التي تجسيد معاني مشاعر الخوف من عقاب الله والرجاء في طاعته للوصول إلي السعاده الابديه

هو لتكون العقيده والتوحيد فاعليتها الايجابيه في الحياه فالمشكله التي توجه المسلمين ليس تعريفهم بعقيده يملكونها فالكل مقر بوجود الله ولكن المراد أن يشعروا بوجوده وأن هنالك حساب وعقاب ليكون ذلك محركا تسترد العقيده فاعليتها وقوتها في الحياه ف الله يقول لنا أن النجاه والسلامه والسعاده ليس بالاماني والغرور فتقول ديني افضل من دينكم ونبي افضل من نبيكم دون الاهتداء بهدايه القران والسنة ولا امانى أهل الكتاب ف الله عدل لا يحابي احد وليس انزال الأديان السماوية عموما لأجل التفاخر والتباهي دون العمل فلا تحصل الفائده منها وان انتسبت لها فقال تعالي (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءه ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

حيث ذكر أن الايه نزلت بشأن ما حدث بين المسلمين وبين اليهود حيث قال المسلمون ديننا افضل الأديان وهو جامع لكل الأديان السماوية ونبينا افضل الانبياء والمرسلين وقالت اليهود نحن ابناء الله واحبائه فأنزل الله الايه

مبيناً أن الغايه من الأديان السماوية عموماً لأجل العمل الايماني وطاعه الله واتباع رسوله ليكون التوحيد محركاً وموتراً في الحياه فتلك هي النتيجة المعبره عن دخوله منطقه المشاعر الداخليه للإنسان وليس التفاخر والتباهي

فالتوحيد لا بد أن يكون له فاعليه ايجابية

فالتوحيد يتصل بالحركه كما يتصل العقل باليقظه فايمنما وجدت اليقظه وجد تحريك تيارات افكار العقل وايمنما وجد التوحيد تغيير شكل المجتمع المسلم من سئ الي افضل

ولهذا يقول الحق أن الفرق بين شكل المجتمع المسلم الذي يحكمه التوحيد يكون بالنظر الي مجتمع مكه الوثني وأمه العرب قبل الاسلام ومقارنتها بالمجتمع المسلم في المدينه المنوره لتري كيف أن التوحيد احدث هذا التغيير

الأمر الثاني

يقول الحق أن ذكر الثواب والسعاده الابدائيه التي أعدها الله للمومنين بالجنه ونعيمها يراد من ذكرها أن يتحرر الإنسان من السكون لتكون امه الاسلام قادره علي تغيير ذاتها والخروج من الجمود والتخلف والعجز لتحويل معتقداتهم الي عمل مستمر فلا يكون الطمع بالجنه فكره منفصله عن العمل فلا بد أن تحدث هذه ارتجبيه تصل إلي أعماق النفس لتجد صفاءها لتكون قوه رداعه من ارتكاب المعاصي وقوه دافعه لطاعه الله وليس الاماني و الرغبات في الجنه دون العمل فالمساله ليست امانيه دون العمل فالاماني المجرده تعني أن فهم هذا لمدلول التوحيد وثواب الله بالجنه هو فهم خاطئ فاقد لإدراك حقيقه عقيدته التوحيد والغرض من الأديان يعني أن هذه النفوس الناتج عن تصوير النصوص لعواقب كلا من المومنين والكفار هي اهتزاز سطحي لم يصل تأثيره الي العمق الداخلي لمشاعر النفوس

ولهذا فإن مثل هذه الأحوال يحدث الغلط الذي وقعت فيه الأمم السابقيه التي نظرت للأديان أنها حلي وزخارف يتزينون بها أمام الآخرين فنظرت أن الانتساب للدين فضل وشرف وامتياز يتفاخرون به وافرغوا العقيدته من مضمونها فنتج عن ذلك العجز عن التفكير والعجز عن العمل وانفصال الفكره عن العمل فكان الانتساب للدين سبباً لاعدام الفاعليه وانتشار التخلف بمخالفه مبادئ وقيم الدين دون الاكتراث بما أخبر الله عباده من عقوبه مخالفه دينه نتيجته التصور الفاسد أن الانتساب للدين يمنع عنهم العقاب أو الانتساب للانبيا يمنحهم وساطه عند الله فلا يعذبون ولهذا يقول الله أنه عدل وانه لاوساطه ولامحاباه فدخل الجنه يكون لمن اجتناب نواهيه وامتثال طاعته وأنه لا يستطيع أحد أن يدفع عنهم العذاب ولا يتوسط أحد فالشفاعه إنما تكون باذانه سبحانه وتعالى (ولايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً)

ثانياً

(من يعمل سوءً يجز به ولايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً)

تذكر النصوص قاعده الجزء في موضع الحديث الذي يفهم منه أن هنالك تنازعا في تفضيل الأديان وهو أمر وقع فيه البعض بلبس في الفهم فيقول كما قلت اليهود لما نزلت الايه كما ورد عن سفيان عن الاعمش عن ابن الضحي بن مسروق أن أهل الكتاب لما نزلت الايه قالوا نحن وانتم سوء حتي نزلت (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي وهو مؤمن...الي قوله (ومن احسن ديناً... الخ

حيث أن المسلمين شق عليهم الأمر لما نزل (من يعمل سوءً يجز به) حتي بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن مصائب الدنيا من الجزء وبها يجزئ المومن اما الكافر فإنه يجزئ بالآخره فالحق لم يقل الدينين سوءً ولا نهو عن

تفضيل أحدهما لكن النصوص حسمت كما ذكر شيخ الإسلام ماله الفخر والغرور والخيلاء الذي يحصل من عصبية تفضيل احد الدينين لأن الإنسان إذا استشعر فضل نفسه او فضل دينه يدعو ذلك إلي الكبر والخيلاء والفخر فقيل للجميع (من يعمل سوء يجز به)

سوء كان دينه فاضلا أو مفضولا فإن النهي عن السئيات والجزء واقع لامحاله

فلما استشعر المومنون أنهم محزيون علي السئيات ولا يغني عنهم فضل دينهم وفسر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الجزء قد يكون في الدنيا بالمصائب بين لهم فساد دين الكفار من المشركين وأهل الكتاب بقوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي) بين أن العمل الصالح إنما يكون الثواب عليه مع الايمان (وهو مومن)

فأبين أن الكفار لا يدخلون الجنة بما عملوا من الحسنات بدون الايمان ثم بين فضل الدين الاسلامي (ومن احسن ديناً)

فأراد بهذا الآتي

الأمر الأول

أن الايه تبين لنا كيف انشئ الاسلام دوله الاسلام وكيف احدث القرآن التغيير الذي قاد به العالم

فالقران هو الماده التي كان تربيه المومنين الذين قادوا عمليه تغيير العالم فما هو السر وراء ذلك في حين أننا اليوم في تخلف وعجز

إذا اردت ان تعرف فعليك أن تقف مع رده فعل المسلمين عندما نزلت الايه

فقد ذكر أن الايه أثرت فيهم فكل واحد نظر أن الايه أنزلت عليه نظر لها بأنه فكره موحاه كانه وحيا نزل عليه فشق عليهم ذلك فقد ذكر أن ابوبكر وهو الصديق رضوان الله عليه يقول للرسول صلى الله عليه وسلم يارسول الله كيف الفلاح بعد هذه الايه فكل سوء عملناه جزينا عليه وفي روايه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت ا لايه قال لأبي بكر الا اقرايك ايه نزلت عليا قال بلي يارسول الله فاقرينيها فلا اعلم فلما قراها الرسول قال ابوبكر كاني وجدت انفصاما في ظهري فقال الرسول مالك يا ابوبكر قلت بابي انت وامي واينا لم يعمل سوء وانا لمجوزن بكل سوء عملناه

فهذا الخوف مصدره أن الايه كانت تحدث اهتزازات في اعماق النفوس فهم كانوا يسعون نحو هدف معين وهو الف لاح بالجنه ونعيمها فعندما تنزل الايه يفهمون المراد منهم ولهذا شق علي ابوبكر نزول الايه الكريمه فهم يتدبرون ا لآيات ينظرون أنهم هم المخاطبين بالخطاب

ولهذا نجد خوف ابوبكر علي مستقبله ولم يرتاح باله حتي جاء رد الرسول صلى الله عليه وسلم (غفر الله لك يا با بكر الست تمرض ... الخ

الأمر الثاني

يقول الحق احذروا من الفخر والكبر والخيلاء وان كان ذلك ناتجا عن شعور بفصل الدين وأنه علي الحق لأن ذلك من الأخلاق المذمومه التي ترجع كلها الي الكفر والمهانه والدناءه والخسه وهذا فيه الخذلان يقول ابن القيم أن عدم التوفيق يكون من سته أحوال انشغال الناس بالنعمه عن شكرها رغبتهم بالعلم وتركهم العمل المسارعه الي الدنيا وتأخير التوبه الاغترار بصحبه الصالحين وترك الافتداء بهم يري هروب الدنيا هاربه عنه وهو يبتغيها وإقبال الاخره وهو معرض

وان اصل ذلك عدم الرغبة والرهبه واصله ضعف النيه وضعف البصيره واصل ذلك مهانه النفس فيأخذ ما هو ادني فاصل الخير كله بتوفيق الله ..وشرف النفس ونبلها وكبرها وان اصل الشر هو النفس وخستها ودنائتها ولهذا أمر بتزكبه النفس فقال تعالي (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

ولهذا يقول الحق أن أمر تزكبه النفس والنجاه ليس بالاماني تحتاج أن تتحول هذه الرغبة الي فعل مشغوع بعمل تنفيذي وتصميم علي تطهير النفس لأن السيئه اذا كانت من النفس والسيئه خبيئه مذمومه والله يقول (الخبثيات للخبثيين)

والله يقول (مثل كلمه طيبه ...ومثل كلمه خبيئه) ويقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا فإن النفوس الخبيئه لاتصلح أن تدخل الجنه التي ليس فيها من الخبث شي

فقد أخبرنا الله أنه لا بد أن تتطهر النفس وتهذب حتي تكون صالحه كي تدخل الجنه لا بد من التنقيه وإخراج الشوائب منها ولهذا

يقول تعالي كيف تطمع في السعاده التامه مع مافي نفسك من الشر وانت تعلم أن الله تعالي يقول (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يراه)

وهنا يقول (من يعمل سوءً يجز به)

فالباء هنا للعرض لبيان انه لايجزء باكثر مما عمل بخلاف من يعمل الحسنات فإنه يعطي أكثر لتعرف أن سنه الله أن الجزء اثر طبيعي للعمل ولا يتخلف عن اتباع الانبياء وينزل بغيرهم كما يتوهم أصحاب الاماني والظنون ولهذا فإن علي الصادق أن يحاسب نفسه ويقمع هواها بالعمل بما هداه الله في كتابه وسنه رسوله ويجعل هذا المعيار الذي فيه سعادتك لا الركون الي أنه ينتسب الي كتاب افضل ورسول افضل فعليك أن تعلم أن الله عادل لا يظلم أحد وهو عندما قال (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

قد ذكر أن مغفرته للذنوب مقيده بمشيئه الله ان شاء غفر للمذنب فلم يعذب وان شاء لم يغفر له وبالتالي يعذب وان مشيئه الله لاتمنح لأحد أن يشفع لأحد الا بإذنه وبالتالي لاتجد احد يتولي حمايتك أو دفع العذاب عنك فقال تعالي (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)

الأمر الثالث

تأتي النصوص لمعالجه حاله الطمع بدخول الجنه والنجاه من النار بأنها ليست علي الاماني فيجب أن يكون الخوف علي قدر الذنوب ف الله عندما اخبرك أن الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به فإن هذا

فيه الدعوه الي رجاء مغفره الله لكن لا يستقيم الرجاء بلا عمل لأن هذا يعني أن يكون مفهوم الرجاء أن يكون المحسن والمسي سوء ولهذا قال تعالي (ليس بامانيكم ولا امانني أهل الكتاب)

والأمنية من التمني والغرور وهي من أسباب ازمه سوء الفهم حيث تصل المعلومه لكن مافي النفس من امنيه ترسم في النفس صوره مغايره لحقيقه مقاصد النصوص وتصوره خلافا للواقع ولهذا ذكر بعدها من يعمل سوء يجز به) والمراد التحذير فيه من ازمه الاماني في تصوير مفهوم الرجاء الذي أمر الله عباده أن يتحلوا به وان لا يأسوا من رحمه الله فقال تعالي (ياعبادي الذين أشرفوا علي أنفسهم لاتقنطوا من رحمه الله أن الله يغفر الذنوب جميعا)لأن الرجون ثلاثه رجل عمل حسنه وهو صادق في عملها مخلص يريد من الله قبولها وثوابها

وأما الثاني فهو رجل عمل سيئه ثم تاب فهو يرحوا قبول توبته وثوابها ويرجوا العفو والمغفره مع الاشفاق الا

يعاقبه الله

فيقول الحق أن هذان الرجلان هما صاحبا الرجاء الصادق

أما الثالث فهو الرجل الذي يتمادي في الذنوب وفيما لا يحبه لنفسه ولا يحب أن يلقي الله به ويرجو المغفرة من غير توبه وهو مع ذلك غير تائب منها ولا مقلع عنها وهو مع ذلك يرحوا

فيقول الحق ان هذا مغتر متعلق بالرجاء الكاذب والطمع الكاذب والأمانى الكاذبه والقيام علي ذلك يقطع مواد عظيمه من قلب العبد فيدوام اعراضه ويانس بجانب مكر الله ويامن تعجيل العقوبه وهذا هو المغتر المخدوع المستدرج ولهذا يقول إنه ينبغي أن يكون الخوف أكثر من الرجاء عند امثال هولاء فينبغي أن يكون الخوف علي قدر الاساءه فالخوف علي قدر الهرب فانت تطلب المعاش والرزق بالجنه فكيف تفتح باب المعاش بغير مفتاح التقوي وكيف توسع طريق الخطايا وترجوا أن تجد الرزق وكيف لك أن تأمن مكر الله فمن أراد الاخره فلا بد أن يسعى في طلبها بترك المعاصي وعمل الصالحات ولأن الرجاء الصادق إنما يكون علي قدر الطاعات فقال (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنه ولا يظلمون نقيرا)

يقول لك أن قوه الطمع في بلوغ الامل توجب الاجتهاد الي الطلب وشده الحذر من فوات المامول فعليك أن توزن بين الخوف والرجاء لتكون في يقظه فلا تغفل ولا تكسل فكن من أبناء الاخره ولا تكن من أبناء الدنيا لأن الابن يتبع امه كما ذكر ابن القيم

ولهذا نجد أن الايه الكريمه تبين أن علي المرء أن يلتزم الوسيطه لا إفراط ولا تفريط ولا مغالاه فعليك أن تعمل بقدر الاستطاعه فقال تعالي (ومن يعمل من الصالحات) ورد لفظ التيعيض لأن الإنسان لا يقدر أن يستوعب جميع اعمال الصالحات فإذا عمل بعضها استحق الاجر بشرط أن يكون مومن

الأمر الرابع

ذكرت النصوص المساواه بين الرجل والمرأة في التسابق علي اعمال الخير فأشار الي أن هولاء هم أهل المنزل الرفيعه وعلو مكانتهم فاستعمل اسم الاشاره (اولئك) البعيد بأنهم هم أهل الدرجات العاليه في الجنه التي أعدها الله للمومنين وأنهم لن ينقص من ثوابهم حتي مقدار النقره التي في النواه

فأراد بهذا بيان عدم إغفال دور المراه في بناء دوله الموحدين

ثالثا

ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شي محيطا

الأمر الاول

فيها نفي أن يكون دين احسن من هذا الدين وانكر علي من أثبت دينا احسن منه لأن الاستفهام إنكار وهو إنكار نهى وذم لمن جعل دينا احسن من دين الإسلام

تعقيبا علي ما كان من تنازع بين بعض المسلمين وأهل الكتاب في تفضيل الأديان وما ذكر بعده من قاعده الجزء و العمل الذي اشترط لقبول العمل أن يكون صالحا وفقا لمنهج الله وان يكون مومنا لازاله التوهم الذي قد يلحق به البعض فيتصور أن لأهل الكتاب أو غيرهم اجرا من الأعمال الصالحات وذكر أيضا مبدأ المساواة بين الجنسين الرجل والمرأة في الثواب لافرق بينهما طالما توفر شرط الايمان

ولهذا كان تأخير التعقيب لبيان ان اعتقاد تفضيل دين الإسلام أمر لابد منه وإن تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام علي سائر بني ادم أمر لا خلاف منه لكن لا يعني هذا التباهي والتفاخر بالانتساب للإسلام لانه افضل دين دون العمل فليس الغرض من تشريع الأديان التفاخر بفضل الدين والانتساب له من دون عمل ولهذا ذكر بعد مساله ذم التنازع بالتفضيل للأديان دون العمل قاعده الجزء والعمل الذي اشترط لقبول العمل أن يكون مومنا وذكر مبدأ المساواة بين الجنسين في الحركة والعمل

فأراد الحق بهذا ازاله ركام الجاهليه وعصبيتها فقد كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم هي بدايه مرحله التوحيد فذكر اهميه مشاركته المراه في اقامه دوله الموحدين في إطار التحذير من اتخاذ الدين وسيله للتفاخر والتباهي فهذا تشويه الغرض من تشريع الأديان السماوية عموما فالدين وسيله لنشر الخير فيه دواء ارسل الله به رسله لمعالجه امراض وافات البشريه فكان بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم لمدواه امراض وافات الجاهليه وعصبيتها فكان مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هو إيقاظ روح الإنسان في مجتمع جاهلي الناس موتي وهم أحياء وهم لا يدركون أنهم موتي فكانت مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هي معالجه الداء بالمنهج الرباني الذي فيه وصفه الدواء لاعاده الحياه للروح الانساني فكان لابد من آثاره الاحساس الذي فقد نتيجته الابتعاد عن طريق الله بعباده لأصنام ولهذا فقد كانت حميه الجاهليه تصطرع مع الروح القرانيه ولهذا كانت الايات القرانيه تتوالي بالنزول منجما فجاءت النصوص تحرم مشاعر التفاخر والتباهي دون العمل يقول الحق هذه ماساه فكريه مانعه من التطور والرقى فالتطور الذي بفضلك وبميزك عن الآخرين يتطلب حركه ترتفع بها بتزكيه النفس من اوساخ الجاهليه التي قتلت الاحساس بالمسؤولية يعني أن تتحرك فلا تكفي الرغبه بالحركه والتحرر من حاله السكون وانتم في سكون فقال تعالي (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب)

انتبهوا من استيلاء ركام الجاهليه علي أفكاركم فذكر اهميه تخليص الاخلاط بالتوبه والتوجه بالحركه بالشعور بالمسؤولية وانك سوف تحاسب فيه أيضا حميه تمنع الانهزام الفكري وأمر بالأعمال الصالحة وان الجميع مطلوب أن يساهم في اقامه دوله الاسلام التي يصبح كل فرد من أفراد المجتمع المسلم لبنه من صرح هذا البناء بما في ذلك النساء

لابد من توجيه الطاقات وتحريكها فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يبني الدوله التي سوف يحكمها القران لا دوله تحكم القران وتستخدمه في اغراضها من التفاخر والتباهي أو استبداد المراه أو أي فرد من أفراد المجتمع فقد لاحظنا كيف اصبح حالنا اليوم عندما ضاعت دوله الاسلام بعد صفيين نعم يوجد مسلمون لكن لفاعليه لهم اصبحنا أناس مشلولين رغم أننا اثنيين مليار اصبحنا غير قادرين علي تحويل المعتقدات الي عمل مثمر أو حقيقه واقعيه

اصبحنا نتحدث عن امجاد الاسلام وعصوره لكن لفاعليه لنا أننا نشبه ذلك الفاشل والباس والفقير الذي كان لا جداده ثروه طائله الذي يتحدث عن مجد أجداده ويتغني بها ولهذا يقول الحق (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب)

أن الحديث عن فضل الدين وشرفه دون العمل لاينفع فهل ينفذ افتخار الفاشل والباس والفقير بمجد اجداده وثروتهم هل هذا الحديث يشفي جوعه أو يحل مشكلاته وربما الحديث يسليه عن متاعه وربما يخدر الا مه موقتا... لكن مثل هذا الحديث لايشفي اوجاعه ولايعينيه علي مأساتها

ولهذا فالرغبه في التطور لابد أن تنتقل الي اراده التطور بأن تضعها في قالب تنفيذي بعمل يكتسب الصدق من الحركه بالتوجه نحو الهدف وان تعد العده لتكون قادرا علي تحقيق الحركه ذات الفاعليه الإيجابية واول خطوه أن تتخلص من الاخلاط الرديئة التي تعيق الحركه الايجابيه فذكرت النصوص قاعده العمل والجزاء لأجل ازاله اثار ركام الجاهليه ليحصل استقامه التصور واستقامة العمل ولهذا أشار إلي ابراهيم الخليل لما يحظي به من احترام ولبيان أن الاقتداء به هو الموصل الي النجاه والسلامه والسعاده لا التباهي والتفاخر بالانتساب الي ابراهيم كما

كان يفعل اليهود والمشركون

الامر الثاني

تبين النصوص افضليه الاسلام ولاخلاف علي ذلك لكن ليس الغرض منه التباهي والتفاخر بالانتساب للإسلام دون العمل ودون العلم ولهذا جاء النص مبينا أنه لا احسن منه ولا يعني هذا أن غيره مثله أو دونه فلا يجوز

أن يكون مثله ولا يمكن أن يقع التماثل بينهما فالإسلام هو دين الحق وغيره هو الباطل فضلا عن اختلاف المقاصد وان كانت صالحه فنحن نعلم أن المشركين كانوا يطوفون بين الصفاء والمره مثل ما يطوف المسلمون ولهذا كان تخرج البعض من الطوف بينهما فقال تعالي (أن الصفاء والمره من شعائر الله)

فعليك أن تطوف بقصد التوجه إلي الله فقصدك يختلف عن قصد المشركين

ولهذا فإن الحق هنا لا يناقش الافضليه بالتماثل فالإسلام هو دين الحق وهو أفضل ما شرع الله والنبى اكرم خلق الله وانما يبين لك أن شرف الانتساب لهذا الدين يتطلب منك العمل فهناك فرق بين العز والتعزز

فالعز إنما ينال بالخضوع والانقياد والعبودية منك لله تعالي فمتمهي الكمال الديني يتمثل في معني الإسلام أن تكون ايه الإنسان كلك لله وحده لا شريك له أن تبتغي نجاته ببيع نفسك والتضحية بها ومالك له سبحانه وتعالى ثم ينفذ من هذه النيه والارده العمل وتحقيق ذلك بمنهجين منهج روحاني وهو القرآن الذي يبين لك مراد الله ومنهج عقلي وهو الاداله في الكون لتعرف كيف تنال درجات الكمال والفضل للوصول إلي الله والقرب منه بخلاف من يتخذ لحياته دين غير الإسلام وأسلم وجهه لغيره من الانظمه أو من زعم أنه يعبد الله لا بإسلام الوجه بل يتكبر كاليهود أو يتفاخر كالمشركين أو يشرك كالنصاري أو لم يكن محسنا ويعمل السيئات دون الحسنات فهذا يكون علي الضلاله ولانجاه له وإن كان ممن ينتسب للإسلام

الأمر الثالث

أن الايه الكريمه فيها بيان مساله في غايه الاهميه متعلقه بالاختلاف في الآراء التي نشأت بين مذاهب المسلمين وطوائف فالنصوص تبين كيف يحسم الخلاف في مثل هذا التنازع لأن التماثل بالطرق والتنوع أمر حاصل لأنها تعبر عن دين واحد وهو الاسلام فكل واحد منهم يعتقد ما يعتقد الآخر والجميع يعبدون الله فالنزاع بالفروع ولا بد أن يكون أحدهما احسن عند الله من الآخر ولهذا قال العلماء أن المجتهد أن أصاب فله اجران وان أخطئ فله اجر واحد فلا نزاع في الأصول ولهذا واجب علي من يري رأي غيره فيه الصواب أن يأخذ به لكن البعض ممن يسلك طريقا من طرق السلام الاسلاميه يضره رؤيه غيره افضل منه فلا يقدر علي رؤيته ويرى أن ذلك يتعارض مع مصلحته ويرى أن الحق لا يكون إلا أن يسلك الآخرين طريقته ويحاول أن يغرس في نفوس اتباعه النفور من الطرق الأخرى ولهذا فإن الحق يقول لك عليك الإنتباه من ذلك وعليك أن تعلم أن طالب الخير وعامله لا يستغني عن (الصواب والصدق والرجاء والخوف والشكر)

فالحاجه لمعرفه الصواب

لأن الحق مراتب مثلما أن الباطل مراتب والحسنات والسيئات مراتب فأنت عندما تقف أمام الخيرين عليك أن تعرف خير الخيرين وتعرف مايجب ومايستحب وشروط كلا منهما وتعرف أصناف المخاطبين واعيانهم ليومر كل شخص بما يصلحه ولايومر بخير يوقعه في شر وهذا يتحقق بالاتباع والاستسلام لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الاثمه المهدين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من عاش منكم فسوف يري اختلاف كثيرا عليكم بكتاب الله وسنتي وسنه المهدين من بعدي عضو عليها بالنواجذ

أما الصدق

فيكون بعمل العمل لا تريد جزء ولا شكور الا من الله ولا تبطله بالمن والاذي أو الرياء والمراد بهذا الاخلاص ولهذا قيل أن أسلم الوجه لله هو الاخلاص فالمراد بهذا التوجه الخالص لله بالعمل وخص الوجه لانه اشرف أعضاء الجسد وبه يعرف صحه انقياد القلب من عدمه بما يضره عليه من البشاشه

واما الشكر

فيكون بعباده الله بمعرفه النعمه وعباده الله كانك تراه فلا تستكثر الطاعات فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول أفلا اكون عبدا شكورا

وأما الرجاء والخوف

فقد سبق الاشاره اليه سابقا

الأمر الرابع

تبين النصوص اهميه سلامه النيه والقصد بالعمل بأن يكون متوجها إلي الله فهو المعبود الحق والاستسلام لله ب الخضوع والانقياد لله في جميع شؤون الحياه تكون عابدا لله وهنا لابد أن تعلم أن الابيه وردت في إطار بيان كيف بني الرسول صلى الله عليه وسلم دوله الاسلام وأن هنالك البعض كان يجد مشقه في تقبل تعاليم الإسلام ويصعب عليهم مساله الطاعه فهم كانوا لا يعرفون الدول ولا الانظمه ولا يطيعون الا رؤساء قبائلهم ولهذا فإن الآيات القرآنية جاءت لتربيته المسلمين فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقيم دوله الاسلام التي يحكمها القران وهنا يبين انه لا يجوز استخدام أن تنقلب الدوله فتكون هي التي تحكم القران وتستخدمه في اغراضها وتتهم خصومها بالمروق واهدر دمهم

ولهذا فإن علي الجميع حكام ومحكومين الخضوع لمنهج الله فأنت ملك الله مثل السموات والارض التي خضعت لتدبير الله ونواميس الله تعالى (ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شي محيطا)

فمبادي الاسلام وقيم القران والسنة النبويه هي المنهج الذي فيه النجاه فالله يقول في موضع (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي)

فأنت ملزم بطاعه الله في جميع المجالات ومراقبا لله في كل عمل تعلمه

مثلما فعل ابراهيم (واتبع مله ابراهيم حنيفا)الذي تبرئ من أهله وقومه وأبيه فقال تعالي في موضع آخر (واذا قال ابراهيم لأبيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرنى فإنه سيهدين)

والخلة اعلي درجات المحبه فقال تعالي (واتخذ الله ابراهيم خليلا)

فقد اعطاه الامامه علي الناس بعد الاختبار فقد أمر أن يذبح ابنه وقد اطاع أمر الله فعندما أخرج من قلبه محبه ابنه جعله الله خليل الرحمن

فأنت بحاجه الي محبه الله فعليك التقرب من الله بطاعته سبحانه وتعالى فأنت المحتاج الي الله وإلا فإن الله له ملك مافي السموات والأرض والانسان لايساوي شي في هذا الكون فقال تعالي (ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شي محيطا)

فهو المستحق للعبادة والربوبيه والالوهيه وعليك أن تلجاء إليه في كل أمر فهو مطلع بأعمالك وكل شي يتحرك وفق تدبيره

فعليك أن تأخذ بالاسباب أثناء قيامك بالعمران علي الارض ولكن لاتنسي أن تربط الاسباب بالمسبب وهو الله لأن ا
لأسباب مترابطه فلا تنظر إلي سبب دون السبب الموثر فيه وجميع الاسباب تنتهي الي الله ولهذا إذا تعلق ب
السبب دون المسبب فإنك تفصل الموجد للأسباب الذي له السلطه المطلقه وهو محيط بكل شي

المقطع الثاني عشر

أن النصوص ترسم للمسلمين حجم المعركة مع الفكر الجاهلي والبيئة الجاهلية حيث نرى ان حميه الجاهليه كانت تصطرع مع الروح القرانيه التي هبت علي المدينة المنوره بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها وان مهمه النبي صلى الله عليه وسلم كانت شاقه وعمله في وسط هذه البيئه التي خلفت رواسب وجد فيها صعوبه في اعاده تنظيم المجتمع المسلم الذي كان البذر الاولي التي سوف تنطلق لإصلاح العالم فكانت مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم معجزه لانه بعث لإحياء الموتى الاحياء الذين لا يدركون أنهم موتى فالسوره ترسم لنا كيف أقام المسلمون اول دوله يحكمها القران وكيف كان روح القران حيا في النفوس وصنع المسلمون اول عالم انساني يتوزن فيه عنصر الروح وعنصر الجسد لقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بايقاظ الروح الإنساني وتنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والعقلية والنفسية من رواسب الفكر الجاهلي واعاد تنظيم المجتمع المسلم من داخله فابتدا بالاسره وبنائها علي العدل في التعامل وتقويه روابطها واحتواء الازمات التي تعصف بالاسره والحد من أثارها ومنع تداعياتها بوضع الحلول القادره علي احتواء الازمات لتدريب المسلم علي مواجهه الازمات والتحديات ومنع تحطيم البيوت من خلال منهج رباني يحفظ حقوق كل أفراد المجتمع وضمان ايجابيه الفاعليه في حركه الدين بما يضمن التوازن بين العقل والعاطفة ويحقق العدل من خلال ترسيخ الايمان وربط الجزئيات بالكليات وربطها باساسها الا اعتقادي مبينا طريقه اقامه الدين في الأذهان وطريقه عرضه وتطبيقه كما يتضح من الآتي

اولا

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتوتوتهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكوهن والمستضعفين من الولدن وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما)

الأمر الأول

أن أول مايلفت الإنتباه ابتداء النصوص بقوله تعالى (ويستفتونك)

فهم يطلبون الفتوي في مسائل النساء وأحوالهم مع أن النصوص في بدايه السوره قد تناولت الأحكام الشرعية المتعلقة في التعامل مع النساء والضعفاء من الأيتام والأطفال فكيف يسأل عن ذلك وما الداعي لذلك وهذا فيه مسائل

المسأله الاولى

عليك أن تعلم أن السؤال الوراده في آيات القرآن كقوله (ويسلونك عن الخمر... ويسلونك عن المحيض).

تعني أن السؤال لأمر لم يراد الحكم بشأنه فالسائل يريد معرفه الحكم الشرعي

أما الاستفتاء

فهو طلب السائل من المسؤول بيان الحكم الشرعي من المسؤول فالحكم موجود لكن السائل ليس لديه القدره علي استنباط الأحكام من النصوص ولهذا يلجاء الي السؤال مثل قوله تعالى (ولو ردوه الي الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

المسأله الثانيه

تبيين النصوص حرص الصحابه علي فهم الأحكام الشرعية المتعلقة باحوال النساء وأن هنالك اعتناء منهم وشعور بالحاجه الي زياده البيان في تلك الأحكام

فالآيات السابقه أوجبت مرعاه حقوق المراه وقررت لها حقوقا واوجبت المهر والنفقة وحقوق الأيتام والضعفاء

فما الذي يدافعهم الي طلب الفتوي

انه بالرجوع الي مفهوم الفتوي لغويا نجد أن الفتوي مشتقه من الفتى وهو الشاب القوي الحدث لأنها جواب عن حادثه أو احداث متعلقه بحكم أو تقويه لبيان مشكل وربما أن ذلك بشأن مفهوم حقيقه العدل الواجب في التعامل مع النساء ويدخل في ذلك العدل في الحب والا ستمتاع وماهو المأمور وبماذا تصالح المراه وماذا تفتدي نفسها وايضا في حق التورايث وأتصور أن الدافع لهذا هو لما ذكر الله دور المراه في بناء المجتمع المسلم والدوله الي جنب الرجل فقال تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي وهو مؤمن)

فقد أراد البعض معرفه مفهوم المساواة بين الرجل والمراه وهل ذلك فيه تعديل في حقوقها خاصة أنها وردت في إطار الحث علي التحول بامنيه التطور والرقى الي اراده التطور فأخبرهم أن اراده التطور تكون رغبه مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع ومدعمه

بإصرار متواصل ومقصود حتي يلقي الله وتصميم متطلع الي رجاء الوصول إلي الهدف المطلوب وهو إرضاء الله وقبول عمله

واخبرنا الله أن الرغبة في التطور لاتعني ارداه التطور مالم يضعها المومنون في قالب تنفيذي يكتسب الصدق في الحركة الدؤوبه التي تستهدف التطور باسم الوجه لله فالعبودية لله هي التي توصلك الي العز فقال تعالي (ومن احسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا)

فأحسن وافضل نظام في حياتك أن تتوجه بذلك الي تعالي من خلال إعداد العده الداله علي ارداه التطور والعمل الذي يستهدف الوصول إلي مرتبه الاحسان بأن تعبد الله كأنك تراه فالله يقول عن المنافقين (ولو اردوا الخروج لاعدوا له عده) وان تخضع اردتك لله طواعيه كما فعل ابراهيم الذي نفذ أمر الله بذبح ابنه

واكبر عده لارده هو صدق الاستعانه بأهل العلم كي تحقق القدره الفعلية علي تحقيق التطور فحب المحبوب يتطلب التوجه نحو المحبوب بمعرفه الطريق الموصل الي المحبوب وهم كانوا بحاجه المعرفه بالحلال والحرام لتنظيم حياتهم وفقا لمراد الله والله يقول (واسالوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

فالحق يبين اهميه المعلومه ولهذا يحث علي التعليم المستمر فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (وقل ربي زدني علما)

ولهذا يتوجهون الي الرسول صلى الله عليه وسلم بالسؤال اراده الاحاطه بالحكم من جميع جوانبه لأن من أسباب الإزمه أما لنقص المعلومه أو لسوء الفهم ولهذا فإن اللازم للخروج من الإزمه توفر المعلومه والاحاطه بها علما فالله يقول عن الكفار (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فالقران ذم من يتخذ القرار قبل أن يحيط علما بالمساله ويتمكن من الموضوع فاتخاذالقرارات قبل تبين حقيقه الحكم من صفات أهل الجهاله والحماقه فنقص المعلومه وعدم الاحاطه يودي الي اتخاذ قرارات خاطئة في قضيه مصيريه

الامر الثاني

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلي عليكم في الكتاب في يتامى النساء

أن الايه فيها اخبار عن واقع موجود في ذلك الوقت فقد ورد أن الاشكال هو في توريث النساء فذكر أن عتبه بن حصين قال للرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا انك تعطي الابنه النصف والاطفال وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك أمرت (قل الله يفتيكم فيهن)اي بين لكم حكمه في حقهن والافتاء تبين المبهم وتوضح المشكل

لانهم كانوا يبخسون المراه حقها ويظلمونها ويهضمون حقها فذكرت عائشه أن الرجل يكون عنده البيتيمه وهو وليها ووراثها فاشركته في مالها حتي العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يتزوجها رجلا فيشركه في مالها فيعضلها فنزلت الايه

وهذا فيه

المفهوم الاول

تبين النصوص الرواسب التي ورثها الكثيرون من البئيه الجاهليه وكيف أنها شكلت واقعا صعبا في أداء الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته في احياء الموتى الاحياء الذين لايدركون أنهم موتى وهذه هي مهمه كل داعيه ولهذا ترسم لنا النصوص واقع البعض وكيف كانت الثقافه الجاهليه تصطرع مع الايه القرانيه فركام الفكر الجاهلي اوقع البعض في اللبس وعدم ادراك أغراض الأحكام فكانوا بحاجه الي زياده البيان بإزاله اللبس الذي صنعتة ركام الجاهليه وقد أزال المنهج الرباني الذي حمله الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه اثار الجاهليه الاولى ولكن عليك أن تفهم أن هنالك جاهليه ثانيه نحن نعيش فصولها تحتاج الي ازاله فالله يقول (ولاتبرجن تبرج الجاهليه ا لاولي)

وقد كان بناء اول دوله يحكمها القران وبناء اول مجتمع إنساني في التاريخ كان روح القران يقوم بأحياء النفوس فقد أحدثت الايه القرانيه التغيير الذي صنع اول حضاره انسانيه في التاريخ لتكون هذه التجربه نموذجا يحتذى به للخروج من الحلقة المفرغه

التي طوعت الكثيرون علي القبول بمشروع الجاهليه الثانيه اليوم الناتجه عن الانهزام الفكري للمسلمين الذين ابتعدوا عن منهج الله ولهذا فإن هذه التجارب من أهم أدوات العلم التي تدلنا علي كيفية الخروج من رواسب الجاهليه وكيف أعاد النبي صلى الله عليه وسلم بناء المجتمع من داخله بمنهج الاسلام الذي فيه الوسيطيه والاعتدال الذي يحقق العدل دون إفراط ولاتفريط ولامغالاه

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن أول شرط لإنجاح مشروع الوسيطية والاعتدال الذي جاء به المنهج الإسلامي لابد من العمل الدؤوب علي تنقيهِه الا وعيه القليه والعقليه والنفسيه والذهنيه من ركام الفكر الجاهلي ومخلفات المراحل المسيسه لهذا الفكر بما يودي الي امكانيه اعاده ترتيب احوال الشعوب واوزاعها فالسوره تبين الأسس التي بني الرسول صلى الله عليه وسلم المجتمع المسلم والحضاره الاسلاميه بأنه كان من داخل المجتمع ولهذا نجد أن النصوص تبين الآتي

المساله الاولى

تبين النصوص أن تأثير الفكر الجاهلي يكون في غياب المعلومه أو وصولها لكن تفهم بشكل خاطئ فقال تعالى (ويستفتونك) لبيان اهميه المعلومه لتجنب الازمه و ان الأساس الذي تقوم عليه عقيدته الاسلام هي دعوه العقل البشري للحضور ولفت انتباه الي مايدور حوله فالأ سئله منهم تعود إلى إطلاق الفكر الإنساني لكن في حدود قدرته فالعقل هو مناط التكليف للقيام بالخلافه فمن فقد العقل فلا مسؤولية عليه وهو غير مكلف لكن العقل لايمكن الاعتماد عليه في مسائل التشريعات والقوانين لأن معيار العقل ناقص فهو ينظر إلي طبيعه الحكم من حيث الاستحسان والقبح للشيخ وهذا معيار غير مستقر فقد يكون شئيا مستحسن عند البعض وهو في نظر الآخرين قبيح وانت ايضا في معركه مع الشيطان ومبدأ تسييس الشر في العقل الإنساني حيث يستفيد الشيطان من الضعف الاصيلي الذي موجود في العنصر ا لإنساني ف الله يقول (وخلق الانسان ضعيفا) وقال (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا) وقال تعالى (وكان الإنسان أكثر شي جدلا)

وقد أخبرنا الله بقصه موسى والخضر بمناسبه ما ذكر أن موسى سئل اي الناس أكثر علما فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فاوحى إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك (ونعرف بقيه القصه وكيف أن موسى لم يفهم ما قام به الخضر من خرق السفينه وقتل الغلام واعاده الجدر لغيب المعلومه

ولهذا فإن عليك ايه المومن أن تحذر من الشعور باكمال المعرفه فاي أمر يغيب عليك أن تسأل ولأن العقل محدود ولاشان له في مسائل التشريعات تأتي النصوص مبينه أن الوحي الإلهي هو الذي فيه المنهج الذي فيه الكمال لأن علم الانسان مكتسب ومحدود بينما علم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الوحي وهو المصدر الوحي للاتصال بمصدر الوحي الذي يحدد ما تفعل وما لاتفعل في التشريع فقال تعالى (قل الله يفتيكم فيهن)

فالكتاب والسنة مصدر العلم الذي يحقق مراد الله لتنتصر علي وسوس الشيطان في معركه الحق والباطل ومن هذا المنطلق الواعي نجد أنفسنا أمام استراتيجيه واضحه المعالم تقشع سحب الضبابيه الفكرية وتبدد ركام الظلام الإعلامي المنتشر الناتج عن ثقافه الجاهليه فهذا الفهم لدور المنهج كما يقول العلامة ابوبكر العدني أنه يشبه المتدرع باللباس الواقى ضد المواد الكيمائية المنتشره في المحيط الموبوء ومن لم تكن تمتلك اللباس المعرفي الواقى فإنك تكون عرضه للاصابه بالداء المعدي

ولهذا تاني النصوص مبينه

المساله الثانيه

أن الجواب من الحق سبحانه وتعالى لنبه أنه سوف يتولي هو سبحانه وتعالى هذه الفتوي بنفسه فقال (قل الله يفتيكم فيهن) فيه أيضا معالجه الأمراض الناتجه عن الحاله النفسيه التي تعاني من رواسب الجاهليه بالنظر الي أن البنت لاتستحق أن ترث فهي والأطفال لا يحملون السلاح يعكس الرجال ولهذا تولي الفتوي من الله سبحانه وتعالى فيه تعظيم حق النساء ف الله تعالى هو الذي تولي بيان حق النساء فدل هذا علي اعتناء الله بحقوق النساء فلم يترك للنبي صلى الله عليه وسلم القيام بذلك

فأراد بهذا أن يغرس في النفوس الشعور بالمسؤولية عن تحقيق العدل في التعامل مع النساء

فأراد الحق بهذا أن يكون صورته في أذهان السامع عن اهميه حقوق المراه فأراد ازاله الشوائب وتنقيهِه الاوعيه القليه والعقليه والنفسيه من اثار الجاهليه التي كانت تهضم حق المراه والأطفال من خلال هذا الجواب الذي تولي الله تعالى ذلك بنفسه

لأن من أسباب الازمه رغم وصول المعلومه هو سوء الإدراك والتحليل أنه ينشاء من خلل فكري وغياب الرؤيه الكليه أو اختلاف ثقافات أو حاله نفسيه والحاله النفسيه تكون مانعا من التحليل بدقه لأنها تصور الوقائع بصوره مغايره للحقيقه لانه يكون واقعا تحت تأثير النفس فتكون النتائج غير منطقيه فيكون اتخاذ القرارات الخاطئة الناتجه عن تشويش الذهن متأثرا بالحاله النفسيه ولهذا تولي الله الا جابه لازاله الأسباب التي تمنع الفهم والإدراك لمدلولات النصوص

ثانيا

تستمر النصوص معالجه رواسب الجاهليه التي أدت إلي شعور المسلمين الي زياده البيان لحقوق المراه والضعاف فأشارت النصوص الايه الكريمه الورده في مقدمه السوره (وان خفتن الا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء.. الخ كما ورد عن عائشة أن الايه

يقصد بها تلك الابه فقال تعالي (ومايتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء اللاتي لاتوتوتهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكوهن)

وهذا فيه

الأمر الأول

غرس ثقافه القران في المجتمع المسلم بذكر أن مهمه القران الكريم والسنه النبويه هو أن يحكم القران الحياه

فالمراد بهذا عليكم أن تطبقوا ماجاء في القران والسنه النبويه فالقران لم ينزل لأجل التلاوه فقط وانما ليحكم الحياه وان هذا يتطلب منكم التدبر والتامل لما فيه من آيات أثناء تلاوته لفهم مقاصد النصوص لأن الخلل الفكري الذي يولد سوء الفهم والإدراك يكون ناتجا عن غياب الرؤيه الكليه للنصوص بتجزئيه النص أو ترك مايفسره ويبينه فالقران يفسر بعضه البعض فقراءه القران ينبغي أن يكون علي نحو يتكون لديهم رويه كليه لمقاصده وإدراك قيمه الدليل وهدف المحافظه علي اثره

ولهذا يقول الحق أنه قد بين لكم (في يتامي النساء)

اي في شانهن في القران في مقدمه السوره فقال (ومايتلي عليكم في الكتاب)

والواو عاطفه لكنها لاتفيد المغايره لانه ذكره لبيان ان الكتاب هو الطريق الموصل الي مراد الله فهو يدلك علي فتوي الله

فالنصوص تبين كيف كان التوحيد والقرآن مستمرا في بناء دوله الموحدين وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتنظيم المجتمع المسلم من داخله فكان التوحيد هو اخلاق القران الذي تحولت الي رجال يسيرون في الأرض

فالمسلمون لم يتوقفوا أمام العوائق عن المشي في طريق الوصول إلي الله

ولهذا حدث التغيير لان القران إحداث تغيير في النفس بتجاوز وضعها الذي كانت عليه في الجاهليه

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه تنقيه الاوعيه القليه والعقليه والنفسيه والذهنيه من مخلفات الفكر الجاهلي فقال تعالي (اللاتي لاتوتوتهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكوهن)

الأمر الأول

الحث علي احترام حق المراه ولهذا نجد أن الحق استخدم (اللاتي)

فيه رفع مكانه المراه فهي غالبا ما تستخدم في الارتفاع كما هو في حال ذكر نشوز المراه (واللاتي تخافون نشوزهن) بينما يستخدم في حاله الخفض (اللاتي) كما ذكر بشأن الياسات من المحيض والبنت التي لم تحيض بعد كما قال تعالي (والاتي يسمن من المحيض) والاتي لم يحضن)

فالله يقول إن الله أعطاهم حقوقهم لكن الجاهليه هي التي كرس ظلم حق المراه من خلال عادات فاسده أنزلت منزله الشريعه حيث كان الرجل في الجاهليه اذا كانت له يتيمه هو وليها ولها مال ويحل له أن يتزوجها فهو يكون في التعامل معها بين حالتين أما الرغبه أو النفره فإن حملت علي الرغبه اي ترغبون في نكاحها لجمالها ومالها فقد كانوا لايعطونها حقها في المهر الذي فرضه الله

وان حملت علي النفره اي ترغبون عنها لدمامتها وتعزلوهن رغبه منكم في مالها خشيه ان يكون لزوجها إرثا ويدخل في هذا عضل اليتيمه أن تتزوج اذا لم تحل له كي لايشاركه احد في مالها

الأمر الثاني

أن النصوص تهدف إلي غرس خلق العدل في النفوس فكان هذا الحوار الإلهي الذي يتوجه الي المخاطبين مبينا فساد أوضاع الجاهليه مستنكرا ماكان منهم بصوره تفرس النفور من عادات الجاهليه من هضم حقوق المراه والأطفال والضعفاء فقال تعالي (في يتامي النساء اللاتي لاتوتوتهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكوهن والمستضعفين من الوالدين)

فالآيات ترسم قبح ما كان من سلوك أهل الجاهليه فقد ورد عن علي بن طلحه عن ابن عباس أن المراد بالابه (في يتامي النساء)لانه كان

من عادات وتقاليد المجتمع الجاهلي أن المراه اذا توفي زوجها يلقي عليها أحد ورثه الميت اي أهل زوجها ثوبه فيكون له أن يتزوجها أو تفتدي بمالها التي ترثه من زوجها)

وكذلك فإنهم كانوا لا يورثون الاطفال ولا الإناث لانهم لا يشاركون القبيله في الحروب ولا يحملون السلاح

وهذا يعود برأي الي فساد تصور أهل الجاهليه نتيجة انعدام فكره الدوله والنظام الذي يضبط العلاقات فعدم وجود نظام قانوني واعتماد الناس علي عنصر القوه لأخذ الحقوق جعل الناس أشبه بنظام الغابه فالقوي يفترس الضعيف ولهذا تصور النصوص قبح

تلك الثقافه لأنها تقتل انسانيه الإنسان وتنشر الفوضى في الحياه والظلم ولهذا يقول لهم عليكم بالتحلي بخلق العدل فقال تعالي (وان تقوموا لليتامي بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما)

يعرفهم الحق بالخلق الفاضل وهو العدل في التعامل وان تكون الفاعليه ذات حركه ايجابيه فيقول لهم الحق واعظا (وان تقوموا لليتامي بالقسط)

اي عليكم أن تترجموا اخلاقكم التي يأمركم الله بها سلوكا معبرا عن مافي أنفسكم من الطاهره من خلال السلوك الذي يدل علي صدق الا خلاق فمن كانت أخلاقه حسنه لابد أن يكون سلوكه حسن ولهذا فعليكم التخلص من الانانيه فتكون حركتكم واسعه النطاق فلا يكون محصورا في القيام بأمر أنفسكم وأمر أفراد اسرتكم ابناءك وزوجتك واخوانك لا فانت مسؤول عن الاهتمام بأمر من فقد اباءه فعليك الا هتمام بأمره بتربيته ليكون عنصرا صالحا في الحياه مثلما تحرص علي تربيته ابناءك

انت ملزم بالاهتمام بأمواله وحقوقه وتحافظ عليها وتمنع أن تمتد إليها ايدي البغاه والظالمون وبما يحقق له العدل

٢

تأتي النصوص بالتعقيب الذي ترغب في خلق العدل وان تكون الفاعليه في الحركه ايجابيه من خلال الترغيب في العمل علي حفظ حقوق الضعفاء ورعايتهم فقال تعالي (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما)

فهذا الأسلوب فيه تهييج علي فعل الخيرات ليجعل السلوك منطلقا علي عمل الخير صادرا من اراده حره متجه نحو غايه معينه مقصوده وهي إرضاء الله فلا يكون ذلك لأجل السمعه

فالله يطمئن العامل أنه لن يضيع عمله في أي وجه من أوجه الخير فالله عليم به واجره سوف يحفظ ويجده أمامه يوم القيامه هكذا يبني الاسلام الخلق ويحوه الي سلوك

القسم الثاني

تناقش النصوص مساله نشوز الرجل بعد أن ذكرت السوره نشوز المراه وتضع الحلول لمواجهه الازمه التي تمعل خطرا علي الاسره وصيانتها من الانهيار ومن الآثار الجانبية التي قد تمتد الي المجتمع المسلم فقال تعالي

(وان امراه خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الأنفس الشح

فالنصوص تناقش ثلاثه احوال متعلقه بالرجل وتعامله مع زوجته حاله الاولى نفور الرجل عن زوجته وحاله اتفاقه معها وحاله الفراق بينهما وتضع النصوص الحلول للحفاظ علي الاسره واحتواء الازمات وطريقه التعامل مع الازمات في كل حاله بما يمنع تفاقمها والحد من آثارها وبما يضمن سلامه المجتمع من الفوضى كما يتضح من الآتي

اولا

حاله نفور الرجل عن زوجته

(وان امراه خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير

الموضوع الاول

أن الإيه فيها تربيته المراه وإعدادها وتزويدها بالمهارات والمعارف والخبرات اللازمه لصيانه بيتها من الانهيار ولهذا ابتدأت النصوص بـ الخطاب الإلهي الموجه للمراه (وان امراه خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا)

الأمر الأول

أن خشيت من زوجها النشوز أو الأعراض عليها أن تبادر إلي معالجه الموضوع وتقديم بعض التنازلات عن بعض حقوقها كالنفقة أو غيرها من الأشياء التي تبقى علي العلاقة الزوجيه حيث ذكر أن الإيه بمناسبه

أن بنت محمد بن مسلم كانت متزوجه رافع فكرهه أما لدمامتها أو لكبر سنها أو لسوء خلقها واراد أن يطلقها فقالت لاتطلقني وأقسم لي بذلك فأنزل الله الإيه

والنشوز يعني الزهد عن مضاجعتها وأصله من النشوز وهو المكان المرتفع من الأرض

والاعراض اشد من النشوز لأن النشوز قد يتكلم معها وهي تكلمه بكلام لكن يكلمها بالاستعلاء ويترفع عليها ويحتقرها

أما الأعراض فهو لا يكلمها ولا يعاشرها بالمعروف فذلك يدل علي جفاء المشاعر ولم يعد يطيق العيش معها

الأمر الثاني

يقول لها المولي سبحانه وتعالى عليك اكتشاف إشارات الانذار المبكره التي تهدد العلاقة الزوجيه وهذا إنما يكون من خلال ملاحظه أحوال زوجك وتعامله معك لتأخذ منها الإشارات التي قد تمثل امارات تمثل خطرا علي الاسره

فاستعمل لفظ (خافت) أي توقعت وهذا إنما يكون من خلال التقاط الإشارات التي تلاحظها من معاملته معها أثناء محادثتها ومونساتها فإن الواجب عليها ان تكون مهمته بملاحظه مشاعر زوجها لاتخاذ التدابير قبل تفاقم الأمور اذا توقعت أن هنالك خطرا

وقبل ذلك سماه (بعلاها)

والبعل لغه السيد وسمي بذلك الزوج لأن له القوامه فزوجها ابراهيم قالت (وبعلي شيخا)

فدل هذا علي التادب مع زوجها فهي قالت بعلي يعني سيدي فهو سيد المراه ولا بد أن يكون هذا الشعور ينعكس علي أداءها وتعاملها معه ولهذا نجد الاقلاب (من بعلاها) النون الساكنه مع الباء

بأن عليها أن تفهم أن الواجب عليها ان توفر لزوجها السعاده والراحه والمتعه التي تلبى رغباته ولهذا نجد أنه استعمل قبلها (وان امراه خافت) فيه اظهار التنوين مع الخاء وكلمه خافت حروفها من صفات الهمس من الخفاء فالمساله ليس مجرد توقع النشوز والاعراض فليس الجفاء والاعراض في كل وقت يعني أنه معبرا عن النشوز والاعراض

والمراد بهذا أن التقاط الامارات والإشارات يوجب عليها أن تبحث الأسباب في تغيير حال زوجها وتحليل الموقف والتأكد هل ذلك منه ناتج عن مشاغل ومشاكل الحياه التي تجعله في ضيق فليس المراد من سلوكه النشوز والاعراض وبالتالي فإن الواجب عليها ان توفر له الراحه النفسيه التي تزيل همومه ومشاكله

أما إذا اتضح لها أن اظهار الخشونه في القول أو الفعل وعدم اهتمامه والسكوت عن الحديث معها لاعلاقه له بمشاكل الحياه فإن هذه امارات علي وجود خطر محقق بالاسره وهنالك ازمه تتطلب منها الاستعداد باتخاذ إجراءات وقائية لمنع تفاقمها وهذا يكون بمعرفه أسباب الازمه والتخطيط المناسب لاحتواء الخلاف بتقديم التنازلات المناسبه التي تكون قادره علي منع تفكك الاسره

الأمر الثالث

تبيين النصوص اهميه اظهار الاهتمام بالزوجه وعدم تجاهلها لأن ذلك قاتل للمشاعر وهو يمس كرامتها وان علي الرجل إذا ظهر له أنه غير قادر علي القيام بحق زوجته خاصه اذا كان له زوجه صغيره والزوجه الأخرى طاعنه في السن ولا يبرتاح معها جنسيا فلا يجد معها متعه أو يكون غير قادر علي الانفاق علي كلاهما أن عليه يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده علي ماكانت عليه بأن تتنازل عن بعض مالها من النفقه أو المبيت عندها كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته سؤداء بنت زمعه التي كانت طاعنه بالسن وقد تنازلت عن يومها لعائشه وبقيت زوجه له

ويجب عليك الإنتباه أن هذه الواقعه في حياه الرسول صلى الله عليه وسلم لاتعني ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ناشزا أو معرضا عن أم المؤمنين سؤداء بنت زمعه حشا لله ولكن وضعه الله تعالى في هذا الموقف لتعليم الرجال اداب التعامل مع زوجاتهم وان عليهم عندما يجدون دواعي النشوز والاعراض المبادرة الي مصارحه الزوجه بالحوار والنقاش الإنساني فهو نوع من أنواع التدخل العملي السريع لمواجهه الازمه المحتمله قبل وقوعها بهدف علي حث الأزواج علي الحفاظ علي كيان الاسره وصيانتها وادرتها بأساليب ناجحه ف

لا يجوز استخدام أساليب تودي الي نقيض المقصود لأن النشوز والاعراض بحد ذاته يلحق الالام النفسي بالمراه وربما يكون باعنا لعدم لتقويه ماجبلت عليه النفس من طباع الشح بالتمسك بالحقوق التي لها لأنها تري أن كرمتها قد مسها نشوز الرجل واعراضه فيصعب عليها قبول الصلح بالتنازل عن بعض حقوقها أما المصارحه من الرجل فإنه يسهل عليها القبول بالصلح فهو من الأساليب المأمور به للرجال وهذا هو المراد علي ما اتصور من الواقعه والله اعلم ولهذا فإراي انه من خطأ البعض ادراج واقعه سوداء بنت زمعه في مقام ذكر نشوز الرجال وأعراضهم دون بيان الغرض من ذلك لأن القارئ يتوهم أن النشوز والاعراض أمر عادي ولايؤخذ عليه الرجل ولايلام عليه مستدلين بهذه الواقعه وان الله أمر بالصلح

فهذا قول غير سليم لما أوضحنا ولأن الله أمر الزوج بحسن التعامل مع المراه وأخذ عليه العهد أن يعاشرها بمعروف أو يسرحها بمعروف لكن الصلح هنا من مستلزمات الحفاظ علي الاسره ورابطه الزواج فهو لمعالجة حاله قائمه لايد من تدخل الزوجه عندما تلاحظ أن الخطر يهدد رابطه الزوجيه

الأمر الرابع

كما أن النصوص تبين إثم طلب المراه الطلاق عنادا وهي تحب زوجها ولهذا جاء النص بقوله (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) لدافع التوهم المانع لأن المراه اذا سالت زوجها الطلاق من غير سبب فحرم عليها الجنه

ولهذا ذكر أنه لا مانع من التصالح واصل يصلحا يتصالحا

الموضوع الثاني

تبين النصوص كيف يكون احتواء الضرر قبل وقوعه فقال تعالي (والصلح خير واحضرت الأنفس الشح)

المسأله الاولى

تأتي النصوص أنه في حاله تبين للزوجه أن خشونه التعامل معها من زوجها أو اعراضه أعارض وعلامات علي أنه يكرهها عندئذ وجب التسامح والتصالح فجاءت النصوص بقاعده عامه (والصلح خير)

هو افضل من التسريح والفراق لأن رابطه الزواج من أعظم الروابط وخصها بالحفظ كما ذكر المراغي

وقد ورد عن علي بن طلحه عن ابن عباس أن المراد بهذا التخير للزوج بين الاقامه أو الفراق فالصلح علي ترك بعض حقها للزوج وقبول الزوج ذلك فهو خير من المفارقه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته سؤداء بنت زمعه

المسأله الثانيه

أن الايه فيها حكم عام لأن العبره بعموم السبب لاختصاصه اي في حاله قيام المنازعات والخصومات يكون الصلح افضل وخير من استقصاء كلا منهما حقه لما فيه من الإصلاح وبقاء نظام الاليفه فخلق التسامح خير من الاستقصاء بشرط أن لا يحل حرما ولايحرم حلا

فهو أفضل من الخصومه والمنازعات فاللام للعهد وذهب بعض العلماء الي القول يجوز أنه لايرد به التفضيل بل بيان أنه خيرا مثلما أن الخصومات شر من الشرور وقد ذكر في تفسير البيان عن السيوطي في محاضره ألقاها بالقاهره فقال إن أردت أن تصير من الابدال فحول خلقك الي بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال فلو كانت من اخلاق الكبار لكانوا ابدالا فهم لا يهتمون بالرزق ولايشكون من خ القهم اذا مرضوا وياكلون الطعام مجتمعين وإذا خافوا حزنت عيونهم بالدموع واذا تخاصموا لم يتجاوزوا وقتا حتي يسارعوا الي التصالح

المسأله الثالثه

أن من أهم مايستفاد من هذا التفضيل بقوله تعالي (والصلح خير) هو أنه عليك عندما تقف أما خيارات أن تدرس تكلفه تنفيذ الهدف وبين التكلفه التي سوف تلحق بك إذا تمسكت بحقك كاملا فلايد من الموازنه بين المصالح والخسائر المتوقعه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى في الحديبيه أمر بالصلح مع المشركين علي الهجوم الذي كان المسلمون يستعدون لتنفيذه مبينا أن الكلفه في التنفيذ ستودي الي قتل مومنين يكتمون إيمانهم فقال تعالي (ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معره بغير علم)

فكان الصلح هو الأقل كلفه وادني مقصود للصحابه من اداء العمره التي تأخرت سنه فهذا التأخير مبني علي الموازنه بين المصالح و

ولهذا يقول الحق أن التصالح والتسامح بالتنازل عن بعض الحقوق مقابل بقاء العلاقة الزوجية افضل من التسريح والفرار لأن ذلك فيه تفتيت للازمه واحتواء آثارها فكان الترغيب بالصلح لأجل فتح منافذ لعوده المياه لمجريها فأمر بشريعه التسامح والتصالح ثم ذكرت (واحضرت الأنفس الشح) لبيان اهميه التسامح وان قدره علي الموازنه بين المصالح والمفاسد مهاره تنفاوت من شخص لآخر نظرا لتفاوت حضور شح النفس حيث وهي جبلت علي الشح وهو عدم رغبه الإنسان ببذل ماعليه من الحقوق وحرصه علي استقصاء الذي له فالنفوس مجبوله علي ذلك طبعاً ولهذا تعمي عن رؤيه المصالح والمفاسد المترتبه علي تنفيذ الهدف أو الصلح وقد شاهدنا كيف أن الصحابه رضوان الله عليهم في الحديبيه أصابهم الضيق من الصلح لدرجه انهم تلكو بالنحر وماحصل بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر من نقاش بشأن ذلك

ونحن نشاهد في حياتنا اليومية اننا عندما نتدخل للإصلاح بين طرفين متنازعين كيف أن كل واحد يتمسك بما له ولاينظر الي ماعليه ونجد جهدا في إقناعه بتقديم التنازلات ولهذا يقول لنا الحق سبحانه وتعالى عليكم قلع هذا الخلق واستبداله بالتسامح ببذل الحق و التسامح والاقتناع ببعض الحقوق افضل من التمسك بجميع الحقوق فانظر أن استمرار العلاقات مكاسب عظيمه لا بد لها من ثمن يدفع وان قمع الشح من النفس مكسب بحد ذاته لانه داء ملازم للنفس لايفارقها لأنها طبعت عليه ولاصلاح للنفس الا بالتزكية من هذا الداء فالله يقول لنا في موضع آخر (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ومفهوم الشرط أن الذي لا يوق شح نفسه أنه لم يفلح وهو كذلك وقيده بعض العلماء بالشح المودي الي منع الحقوق التي أمر الشرع باداءها اوبعضها

ولهذا يأمر الحق بمكافحه هذا الداء بخلق التسامح الذي يسهل عليه الصلح مع خصمه بخلاف الذي لم يجتهد بازاله الشح من نفسه فإنه يعسر عليه الصلح فهو يريد حقه كاملاً ويرفض أداء كامل ماعليه فجاءت الايه للترغيب بالصلح وان ذلك يحتاج الي قلع الشح من النفس واستبداله بخلق التسامح

الموضوع الثالث

تتوجه النصوص بالخطاب الإلهي للزواج بأن يحسنوا في معاشره النساء ويراقبوا الله في حقها فهي امانه عندهم فقال تعالى (وان تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)

فالنص يحث علي الاحسان والتقوي والاحسان بعباده الله هي الكمال فتعبد الله كأنك تراه فلن تكن تراه فإنه يراك

وأما الاحسان في التعامل مع الناس فيكون بالقيام بأداء حقوق الناس علي اكمل وجه علي درجه عليه من الاتقان

والأمر من أهم وسائل تنقيه النفس من الشح التي جبلت عليه لماذا ؟

لأن الاحسان في التعامل مع الناس لايتحقق الا بأن تعامل الناس بمثل ماتحب أن تعامل فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في معني الحديث أنه قال من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة... أنه تأتيه منيته وهو يومن بالله واليوم الآخر وقد اتى مال للناس بما يحب أن يوتي إليه كما ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لايومن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

فالاحسان في المعامله للناس يخرج الشح من النفس ويولد قوه تحمل مشقه ما تكره منهم لانك تحرص علي أن تعطي كل ذي حق حقه كاملاً وأحسن منه وبالتالي تحسن امساكهن بالمعروف وحسن المعاشره

ولأن التقوي :

تعني عنصر رقا به من داخل الإنسان وفي ضميره لاستشعار حقوق الزوجه وارغام النفس علي ادائه خوفاً من الله فيكون اجتناب مانهي الله عنه واجتناب البغي والعدوان فهي امانه عندك

والتقوي اذا أفردت شملت الاحسان وان اجتمعت فهي تكون متعلقه بترك مانهي الله والإحسان تكون بامتثال أمر الله

والمراد هنا توجيه الأزواج بالاقامه علي الزوجات وان كرهتموهن فعليك أن تنتظر لابنتك هل ترضي لها الفراق والتقوي أن تتقي كل مايودي الي الاذي والخصومه فإن الله لا يضيع اجر المحسنين وأنه سوف يحازي المخالف فتضمنت الايه وعد ووعيد والتقوي اذا أفردت شملت الاحسان وان اجتمعت فقال العلماء أن التقوي تكون متعلقه بترك مانهي الله عنه والإحسان تكون بامتثال أمر الله فناسب هذا مجئ التعقيب بالوعد والوعيد (وكان الله بما تعملون خبيراً) لأن من ضمن مفاهيم التقوي انها تكون متعلقه بحق الله وتشمل عبادته كأنك تراه والإحسان متعلقه بحق الناس والمراد بهذا هنا أن يكون الباعث في حسن التعامل مع الزوجه إرضاء الله وابتغاء ثوابه وخوفه و الشعور برقا به الله وليس الباعث في التعامل جمالها أو المتعه فقط فالنصوص تبين لنا أساس البناء الاجتماعي في الحضاره الاسلاميه

يربطها بعباده الله فالمسلم يعبد الله في كل حركة يتحركها فرجاء ثواب الله بدخول الجنة وخوف الله للنجاه من النار هما أساس بناء المجتمع المسلم فكان ذلك قوه تحريك فيها إشعاع الروح التي حركت الطاقات وزودتها بالهمه والعزيمه واليقظه ووجهتها الي الفهم وارده العمل فهذا الإشعاع هو الذي الضمان لسلامه المجتمع من التحلل عن صلابته وضمان فاعليته وهو أمر في غاية الاهميه لأن الاسره اللينه ا لاولي من لبنات المجتمع المسلم الذي يهدف من إنشائه اقامه دوله يحكمها القران فالمطلوب ايمان جماعي ومجتمعي لا مجرد ايمان فرد فقد شاهدنا كيف صار حال المسلمين عندما بعد عصر الخلفاء الراشدين وتحديدًا من عصر الأمويين فقد انتهت دوله الموحدين كما يصفها مالك بن نبي ويقى المسلم يتحلي بعقيده التوحيد لكن لافاعليه لها لأنها فقدت اشعاعها الإجتماعي فصار الايمان ايمان فرد متحلل عن صلاته بوسطه الاجتماعي ولهذا جاء الخطاب (وان تحسنوا وتتقوا)

لجماعه الأزواج وليس للفرد

ثم عقب بذكر (وكان الله بما تعملون خبيراً)

ولم يقل عليما لأن الخبير أخص من العليم لانه خبير ببواطن الأمور وظواهرها اي بكل ما تعملون ولفظ (بما تعملون) اسم موصول بمعني الذي تعملون والاسم الموصول يفيد العموم والجمله وقعت جواب شرط حث النفوس علي التقوي والإحسان

فإذا علمت أن الله خبير بكل ما تعمل فإن ذلك يوجب عليك أن تخافه لتنتهي عن كل ماينهي وان ترجوه فتحسن ولهذا كان تقديم المعمول (بما تعملون) علي (خبير) لبيان شدة التحذير من المخالفه وليس الغرض من ذلك القصر فهذا يعني الاشكال لانك لاخذت بهذا لقلت أنه خبير بما يعملون وغيره فلا

ولهذا فإن الغرض من تقديم المعمول كما ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وهو شدة التحذير من المخالفه كأنه قال لو لم يعلم شيئاً لكان عالماً بما تعملون وهذا فيه ان الامر يتطلب الحذر من المخالفه وتعظيم أمر الرابطة الزوجية بالنظر الي اعتناء الله بهذا الأمر

ثانياً

الحاله الثانيه

هو بقاء العلاقة الزوجيه والتزوج باخري فقال تعالى

(ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً)

الأمرالاول

أن الابيه الكريمه تبين كيف استقبل المسلمون الأمر الإلهي بإبقاء الزوجه وان يتجشموا مشقه الصبر علي ما يكرهون بالتعامل مع زوجاتهم اللاتي كان اقامتهن فقال تعالى (وان تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)

فقتل النصوص أنهم حرصوا علي تنفيذ أمر الله وجاهدوا أنفسهم لأجل اقامه العدل في التعامل مع زوجاتهم

ولهذا تأتي النصوص للتخفيف عنهم فيقول لهم (ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم)

١

ولن اداه نفى وتستطيعوا من قدره فيقول لنا الله انكم لن تقدروا علي التسويه بينهم ولو بذلتم كل جهدكم علي اقامه العدل فدل هذا أن هنالك أموراً فوق طاقه الإنسان وسعته فانسب هذا مجئ الابيه بعد قوله (وان تحسنوا وتتقوا)

الاختبار الذي وضعهم الله به بأنه يكون بقدر الاستطاعة لأن الله يقول في موضع آخر (فاتقوا الله ما استطعتم)

وهذا فيه ان علي الداعيه عند معرفه احوال المخاطبين فلا تطلب منهم ما لايقدرون عليه

فجاء النفي باداه لن التي تنصب الفعل المضارع للاستقبال (تستطيعوا) اي لن يكون في طاقتكم (أن تعدلوا) فعل مضارع أنه ليس في قدره الإنسان العدل بين النساء من جميع الوجوه

اشاره الي وجود تفاوت في المحبه والجماع أمرا لايمكن العدل فيه فالميل طبيعي لانه ليس تحت قدرتك فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يقيم العدل بين زوجاته ثم يقول (اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تخلف ولا املك)

الأمر الثاني

تأتي النصوص بالتحذير من أن يؤدي الميل بالمحبه التي في القلب الي السلوك المفضي الي التهاون بحقوق الزوجه الأخرى مثل عدم إعطاؤها حقها من النفقه أو سوء عشره أو عدم العدل بالمبيت فقال تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه)

فالحق ينهي عن الميل الذي يؤدي الي حرمان المراه حقها فتكون حياتها غير مستقره واستعمل الحق لفظ المعلقه للتعريف من ذلك السلوك وهذا فيه أن علي الداعيه اختيار الألفاظ القادره علي إيصال الفكره الي أعماق النفس فتولد النفور أو الجذب حسب الظرف فالمعلقه كلمه تنقال لمن كان غير مستقرا حاله فتقول معلق بين السماء والأرض لاهو طال الأرض ولا طال السماء والمراد النهي عن الميل الذي يؤدي الي القضاء علي استقرار الاسره

ولهذا يأتي التعقيب (وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيمًا)

فيها بيان أن علي الزوج العدل فيما يقدر عليه فلا يجوز أن يحرم المراه من حقوقها بحيث تكون لاهي مطلقه ولا متزوجه وهذا ظلم لأن المعلقه كالمسجونه

فهذا التقصير أمر يوجب العقاب ولهذا يحث علي اصلاح الخلل وتدركه باصلاح ما بينهم وبين زوجاتهم

والتوبه عن ذلك ومراقبه الله في المستقبل من هكذا سلوك ليغفر لك الله فهو يتجاوز لمن يتوب فدل هذا علي ترك التسويه بينهم في الحقوق والنفقه ذنب يوجب العقاب

ثالثا

الحاله الثالثه

في حاله الفراق

(وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما)

تبين النصوص أنه في حاله وصول الزوجين الي طريق مسدود بعد كل المحاولات وصار الفراق هو الحل سوء بالخلع أو الفسخ أو الطلاق فإن اللازم التعامل بأخلاق الاسلام بإعطاء المراه حريتها وهنا تأتي النصوص بلمسه عظيمه لجبر النفوس في هذه الظروف بتسليه الطرفين (يغني الله كلا من سعته)

يربط النفوس بالله في هذه المواقف وان تنظر الي فضل الله الواسع الذي هو أعظم وأكبر وأشمل من كل مافي الارض

وهذا الربط الذي يتوجه لكلاهما الرجل والمرأة يفتح الامل لديهما بالتعلق بالله بانه سبحانه وتعالى متكفل أن يعوض الزوج امراه تحقق رغباته وان يعوض الزوجه زوجها يسعددها ويكرمها افضل من حياتها السابقه ..وهو سبحانه قد ذكر في موضع آخر أن النكاح سببا للغني فقال تعالى (وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم(ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) وهنا جعل الطلاق جزء للغني (وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته)

فهذا تهيئه لبدء حياه جديده وعلاج للنفوس من اثار الصدمه إذ أن أحدهما قد يكون كارها الانفصال فيشك عليه الأمر وغالبا ما ينتج عن ذلك حاله نفسيه تجعل المراه تنظر إلي أن الرجال كلهم علي شاكله طليقها فتعكف عن الزواج ونفس الطريقه الرجل ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يعطي الامل للزوجه بأن يعوضها الله زوجها افضل من طليقها وان يعوض الرجل زوجه افضل من المراه التي طلقها مبينا أن الله حكيم في قدره الذي قدر فافعاله كلها تدور بين العدل والإحسان والحكمه والفضل

القسم الثالث

(ولله مافي السموات ومافي الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وان تكفروا فإن لله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله غنيا حميدا ولله مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكيفا أن يشاء يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله علي ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)

اولا

نجد أن النصوص بعد أن تناولت احكام تنظيم الاسره والعلاقه بين الزوجين في حالات بقاء العلاقه الزوجيه والطلاق تأتي بالتعقيب(ولله مافي السموات ومافي الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا)

تأخذ الإنسان في رحله متانيه لمشاهده ملك الله وحركه الكون من السموات والأرض ومافيهما من كواكب ونجوم وقمر وشمس وافلاك ومجرات والأرض ومافيها من بحار وانهار وجبال وسهول ووديان مبينه أنها ملك الله ايجادا وملكا وتصرفا وتدير جميع شؤونها

الأمر الأول

يستعرض الحق سبحانه وتعالى قدرته وسعه ملكه وبسط نفوذه سبحانه وسلطانه فهو له شمول الملكيه لله الملكيه المطلقه بعد قوله (أن يتفرقا يعني الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما)

فناسب أن يذكر عباده بمنته ورحمته والالاءه وإحسانه وانعامه لترغيب الرجل والمرأة بالفراق ليفزعوا اليه سبحانه وتعالى عند الحاجه و الفاقه والوحشه بفرق سكنه وزوجته ليطمئن الرجل والمرأه لوعده الله فيرضي كلاهما بالفراق وان الله سوف يحقق وعده بأن يعوض كل لامنهما خيرا من زوجه

فيقول لهم الحق أنظروا الي ملك الله فهو له جميع الأشياء وبالتالي فكيف تضيق لفراق زوجتك او زوجك بعد الانفصال اذا كان الله له جميع مافي السموات والأرض فهو قادر أن يرزق الرجل امرأه افضل من زوجته وقادر أن يرزق المرأه خيرا من زوجها

فعليك القبول بمنهج الله برضا وقناعه فالكون شاهد علي جمال وجلاله وعظمته وعطفه وانعامه وماتري من أسباب سخر بها الكون تعود الي الله ولهذا فعليك

الانطلاق في اي حركه أو فعل من التوحيد فأنت مخلوق كي تعرف الله وتحبه وتوحده وتعبد وحده لاشريك له وهذا الكون شاهد علي وحدنيه الله وربوبيته وأنه المستحق للعبوديه وحده لاشريك له

فقال تعالي (ولله مافي السموات ومافي الأرض

ذكر ذلك علي سبيل الاختصاص

فهو المالك والخالق والمتصرف والمدبر لجميع شؤون الكون فكل مافيها من الأعيان والمنافع فكله لله تعالي لايشركه فيها أحد ولايمكن لأحد أن يتصرف في شي الا بإذنه

وبالتالي فما دام الله هو الذي قرر الفراق لعدم التوافق فهو سبحانه سوف يعطيك خيرا منه فكل شيء ملكه ولايعجزه شي وكل شي ؛ الكون يشهد بوجوده ويشهد له

الأمر الثاني

يقول الحق انظر الي حركه الكون واسأل نفسك من المسؤول عن انضباط الكون في حركته بتلك الدقه وانسجامها بحيث لاتضطدم الشمس والقمر ولا تقترب الشمس من الأرض فتحرقها من المسؤول عن هذا النظام العجيب البديع المحكم الذي يمسخ السماء والأرض أن تزولا

فكل شيء في السماء والأرض محسوب بدقه ومقدر بعنايه فدليل العنايه هذا يوجب عليك أن تطيع الله بالالتزام بمنهجه كما اطاعت كل مافي السموات والأرض أمر الله ففي هذا المنهج عنايه من الله بك

فأنت خليفه الله في أرضه في الأرض فهذا التسخير الإلهي لمافي الأرض لخدمتك لأجل القيام بالخلافه بامتثال أمر الله واجتناب مانهي عنه

وعلي المستوي الاجتماعي تعني الخلافه الحكم بما أنزل الله فتخضع المعاملات لأمر الله ونهيه وعلي المستوي الكوني تعني قيام الصله بين الإنسان و الكون علي اساس وحده الهدف ووحده المصير فالإنسان عائد الي الله والكون عائد الي الله وكلاهما مصيرهما الفناء ولن يبقي الا الله الذي يرث الأرض ومن عليها ولما كان الكون لا ارداه له ولهذا فهو غير محاسب لانه مجبور أما الإنسان فهو لن ينجو من الحساب لانه حر مختار ولهذا يقول تعالي (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

يخبرنا الحق انه جعل الوحي سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم

فهو المنهج الذي يضبط حركه الإنسان ويمنع الخلل لأن الإنسان حر مختار والخلل يحدث منه أما الكون فهو لا ارده له ومسخر لاخلل فيه

ولهذا فإن الحق حين اسكن ادم وحواء الأرض حدثهما عن شرط الخلافه فقال تعالى في سوره البقره (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هادي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فإذا أردتم السعاده لابد أن تلتزم المنهج الذي يحقق الانسجام بين حركتك وحركه الكون في إطار وحده الهدف وهو عباده الله تعالى ووحده المصير

فقال تعالى هنا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

فالقضية قضيه كونه عامه ليس المسلمين وحدهم بل هو شريعه لجميع الأمم السابقه فجاء اللفظ فيه عموم جنس الكتاب ولا يقصد به اليهود والنصارى وحدهم بل كل الكتب السماوية

لأن الأصل أن كتب الله أنها دساتيره الي خلقه وهي في الأصل وصاياه لخلقه وأحكامه بشأن حياتهم ليكونوا علي بينه من أمرهم وجعلهم أمام مسؤولياتهم عما يفعلون بعد أن منحهم الحريه في الاختيار وهذه المسؤوليه فرع تلك الحريه ودليلها

فالإنسان والحياه والكون تخضع لسنن ونواميس وقوانين تنتظمه ولهذا فلا يمكن فهم الحياه وحركه الكون الا باستيعاب السنن و النواميس بهدايه الوحي للتعامل مع سنن الله واقداره في الحياه في كل الأحوال فالمعرفه إنما تحقق بالمنهج اي معرفه الوحي والاستدلال علي اطرها إنما تأتي من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب لتري قوانين سقوط الحضارات ونهضتها فقال تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

فادراك ذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الأرض والاضطلاع بالمهمه وهي مفتاح المعرفه لقصه الانسان علي الأرض منذ بدايه الخلق حتي يرث الأرض ومن عليها

الأمر الثالث

تبين النصوص أن كتب الله دساتيره الي خلقه يبعثها الي خلقه يحملها الرسل من البشر فهي القانون الإلهي الذي ينظم الرسول المجتمع من داخله بهذا الدستور الإلهي ونحن نعلم أن الدستور هو القانون الأساسي الذي يضع القواعد العامه للحياه الانسانيه التي تحقق لهم السعاده وهي وصايا الله لخلقهم وأحكامه بشأن حياتهم ورحمته وتكرمه أن تفضل بالحديث إليهم ولهذا قال تعالى (ولقد وصينا... الخ

وكلمه وصيه تلقي في نفس السامع مشاعر حب من اوصاه تحرك الرغبه لتنفيذ أمر الله رجاء القرب منه والخوف من معصيته

فذكر هنا مهمه الكتب السماوية في إطار لفت الإنتباه الي نظر حركه الكون تهدف إلي اهميه أن يحكم القران جميع جوانب الحياه فلا بد من دوله يحكمها القران ومبينا فلسفه الاسلام في عرض الأفكار والتطبيق العملي بأن اللازم إقامتها في الأذهان مرتبطه باساسها العقائدي وربط الجزئيات بالكليات فوجه الأنظار الي حركه الكون حتي لا يتصور البعض أن الإسلام هو باقاه احكام الاسره دون أن يربطوا ذلك بأصل الاسلام التوحيد الذي يعني أن اعاده تنظيم المجتمع يهدف إلي بناء مجتمع إنساني يحكمه القران في جميع شؤون الحياه مثلما تحكم السنن والنواميس الكون فنري الدقه في الانضباط ليكون القران هو الروح المهيم علي النظام الإسلامي حتي لا تختلط علي الناس السبل فتفرق بهم عن سبل الاسلام ولهذا ربط الأحكام بالتوحيد ليقول لك الحق أنه سبحانه وتعالى الذي أنزل هذا التشريع المنظم للمجتمع المسلم والاسره وما فيها من أحكام متعلقه بأحوال العلاقه الزوجيه والطلاق وما شرع من حقوق المراه هو تعالى الذي يملك الكون فهو المسيطر والمالك والمتصرف والمدير لحركه الكون وانضباطه بهذه الدقه التي تراها فاللازم عليك أن تخاف الله بتطبيق أوامر الله واجتناب نواهيه فأنت عبدا لله ومخلوف من مخلوقاته ولاتجد السعاده الا اذا خضعت لمنهج الله فتعرف الله به وتحبه وتوحده وتعبده وحده لاشريك له

ثانيا

تأتي النصوص بصيغه فيها شدة التحذير من مخالفه منهج الله وان الله قد حذر جميع البشر عبر الرسل منذ فجر البشريه حتي قيام الساعه من الخروج عن طاعه الله فقال تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وان تكفروا فإن لله مافي السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا)

الأمر الأول

يبين الحق أن امره لجميع البشر عبر الرسل الذين بعثهم ليبلغوا منهج الله للناس أنه أمرهم (أن اتقوا الله)

أي التزموا منهج الله في جميع شؤونكم واحذروا أن تعصوه أو تخالفوا امره وأنه ترك سبحانه وتعالى لكم الاختيار بين امتثال أمر الله أو المخالفة فقال تعالى (وان تكفروا فإن لله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله غنيا حميدا)

فإن تجحدوا وصيه الله إبه المومنون فاعلموا أن الله غنيا طاعه من يطيعه فلا تنفعه الطاعه ولا يضره عصيان من عصى

وانما الطاعه فيها منفعه لكم والعبودية شرف لكم ولهذا استخدام لفظ (اتقوا الله) أي اتخذوا وقايه بينكم وبين غضب الله وسخطه لان التقوي من الوقايه والمطلوب اتقاه هو الله تعالى فلم يقل اتقوا العذاب او النار وانما اتقوا الله والمراد به شدة الحذر من مخالفه الله في النصوص تبين قوانين الخلافه بأن من خرج عن طاعه الله فإنه يفقد الشرف وبالتالي فلا تغتروا بمظاهر القوه والسلطه فهي لن تنفعكم لا ن الله له جميع ماحوته السموات والأرض ولا يمتنع عنه شيء ولا يعجزه شيء فما لديكم من قوه او سلطه اذا خالفتكم تكون بلا شرف وهي مثل خيط العنكبوت أمام قوه الله فسنة الله أن من يخالف منهج الله أن يهلك المخالف وانظروا الي تاريخ الأمم السابقه لتروا كيف اهلك تلك الأمم عندما رفضت تطبيق منهج الله لتروا عاقبه المجرمين فمن نقض العهد سلب العز والتمكين كما فعل الله مع الأمم السابقه مثل اليهود والنصارى وقوم عاد وثمود وقوم نوح

الأمر الثاني

يقول الحق أنه عندما يأمر العباد بالإيمان به وخوفه وتوحيده وطاعته ومحبته وعبادته وامتنال أوامره واجتناب نواهيها فإن ذلك لمصلحة وسعاده الإنسان

فيقول الحق انتهوا أن تتصورا اني استمليكم بالدعوه الي الايمان بي وطاعتي اني محتاج الطاعه أو أن العصيان ينقص من ملكي فقال تعالى (وكان الله غنيا حميدا)

يقول لك الحق أنه الغني عن طاعه الطائعين فلا يزيد طاعتهم في ملكه شيء وأنه لا يضره عصيان العاصي فهو محمود بذاته سبحانه وتعالى

وبالتالي فإن أمرهم بالتقوي رحمه منه لا لحاجه لهم وانما هم المحتاجون لله

وهنا قد يقول قائل لماذا خلق الله تعالى هذه المخلوقات اذا لم يكن في حاجه لهم وقد أجاب عن هذا السؤال العارفين بالله بأنه خلقهم من اجل ثلاثه اشياء

الاول:

لما كانت قدرته أعظم من أن تدرك كان لا بد لها من مشاهدين

الثاني

ولما كانت نعمته أكثر من أن تحد كان لا بد لها من مستقبلين

الثالث

ولما كانت رحمته أو سع من أن تضيق كان لا بد لها من اثنين ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى يخبرنا تقديس ذاته عن استعلاء ذاته وحاجه عباده الله فقال (وكان الله غنيا حميدا) ويقول في موضع آخر (ياايها الناس انتم الفقراء الي الله والله هو الغني الحميد)

فإذا كان الغني الحميد يدعو الفقراء الي ما نذته فاي غرض لهذه الدعوه غير العطاء

فإن هذا المنهج هو عطاء من الله لتكتشف الرحمه الالهيه فهو يأمرك أن تنظر إلي الكون لتري جمال الله وجلاله وعظمته وعطفه وانعامه وحسنه عليك لتعرفه من مخلوقاته وتحيه وتوحده وتعبده فهذا عطاء من الله فأنت بحاجة إلي الله وان تسير علي الطريق المستقيم أكثر من حاجتك للأكل والشرب وهذا إنما يكون بامتثال منهج الله

بحاجه لتشكر الله علي عطاءه فأنت تتنفس من هواء هو ملك الله وتاكل من ارض الله وتعيش في أرضه فهو له كل شيء وحده لاشريك

له وبالتالي فإن عدم خوفك من الله والقيام بحقه عليك بطاعته ومعرفته ومحبته وعبادته وتوحيده يعرضك للهلاك

ثالثا

تأتي النصوص بصيغه تكرر (ولله مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكبلا)

فذكر ملكه السموات والأرض ومافيهما لبيان حفظه وعلمه وتدبيره فختتم ذلك بقوله (وكفي بالله وكبلا)

والمراد بهذا أن عليك أن تتوكل على الله في كل أمر فهو أكثر النصراء حضورا للمعتدين عليه فإذا أصابتك الوحشه لفراق الزوجه او غيره ممن تانس به فعليك أن تانس بالله

وان أحاطت بك المصائب فتوكل على الله مومنا أن ازمه الأمور بيده ومافيها من قضاءه وحده لاشريك له

رابعا

بينت النصوص الغايه من خلق الانسان وهي عبادته لله ومحبته ومعرفته وطاعته فهو تعالي يقول

(وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

اي ليعرفوني ويعبدوني فهذا هو القصد للوجود الإنساني بأن يصير الإنسان لله وحده وقد جعل الله لكل عضو من أعضاء ه هدفا وهو محبه الله وعبادته فالإنسان مخلوق مثل بقيه المخلوقات جاء رغما عنه وسوف يغادر الدنيا بدون رضاه ولهذا فليس له أن يقرر الغايه من حياته ولهذا أرسل الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يحقق الغايه من الوجود الإنساني على الأرض

(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

والإسلام هو الورايت لجميع الأديان السماوية فالله يقول في موضع آخر (أن الدين عند الله الاسلام)

فهو المنهج الرباني الذي ينسجم مع السنن والنواميس التي تحكم الكون والحياه لانه يتفق مع الفطره التي خلق الله الناس عليها فهو يقول في موضع (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبدل لخلق الله ذلك الدين القيم)

فهو الكفيل بتحقيق الغايه ومعرفه الله المعرفه الصحيحه وعباده الله على أحسن وجه فالله قد أودع الاسلام فطره الإنسان وخلق الا نسان على الاسلام ومن أجل الاسلام والخضوع والاستسلام لله تعالي مثلما خضع الكون كله فكل عضو وكل ملكه من ملكات الإنسان مفطوره على معرفه الله ومحبته وطاعته وعبادته ولن يجد الإنسان سعاده الا بالسير على الطريق المستقيم بالعباده والاستعانه بالله فذروه كمال الإنسان بالوصول بالله تعالي ولهذا فإن سعاده الإنسان والوصول لغاياته أن تظل نوافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال نور الله ولهذا فإن اول خطوه ووسيله لتحقيق الغايه هي العرفان الصحيح بالله والايامن بالاله الحق فهناك الهه شتي ولهذا تأتي النصوص توجه الأنظار الي مشاهده ملك الله لإقناع العقل بمشاهده حركه الكون وانضباطه فقال تعالي (ولله مافي السموات ومافي الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

فكان استعراض لقدرة الله وسعه ملكه وبسطه سلطانه ونفوذه على مافي السموات من ملائكه ونجوم وكواكب وافلاك ومجرات وشمس وقمر ومافي الأرض من أشياء فهي شاهده على أنه الإله القادر الذي لاشريك له فهو له دعوه الحق فهو الذي يجب عبادته والاستعانه به كما قال تعالي في موضع آخر (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي... الخ

فانتبهوا أن تخطوا في معرفته ولهذا انزل المنهج لتعرفوه فذكر بعدها (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

فهذا المنهج يدلكم على اسماء الله لتدعوه وتتوجهوا بعبادتكم إليه فهو طريق الهدايه الذي سار عليه السابقين من المومنين من ادم الي أن يرث الله الأرض ومن عليها

ثم إن العباده لاتقتصر على المعرفه بل لايد أن تكون مقرونه بالمحبه لله ولأن الإنسان في حياته ينظر إلي أن طلب حب اخر يتوجب أن يسبقه بالحب والعتاء ولهذا يلفت الله عبادته الي انعامه وإحسانه والالاءه ورحمته بهم بأن سخر لهم الكون فقال تعالي (وان تكفروا فإن لله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله غنيا حميدا)

فالكون شاهد على كماله المتفرد بالخلق والأمر وجلاله وعظمته وحسنه وإحسانه فهذا الكون تنجذب له القلوب بالنظر الي ابداع صنع الله وأحكامه فالله غني وانت محتاج الي الله وهو محمود بذاته فهذا التكرار للايه (ولله مافي السموات ومافي الأرض)

يهدف إلي عرض الكمال الإلهي للتنبية أن هذا الإله وحده هو الذي ينبغي أن يكون بغيه القلوب فتري في الكون جماله وجلاله وعظمته وعطفه وإحسانه الذي لا ينقطع فانهامه لاتعد ولاتحصى وهي تعطي للمومن والكافر ولايزال يشلمهم برعايته وعونه وعطفه علي الدوام ولهذا يقول عليكم التوكل عليه ودعاءه (ولله مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكيفا)

يقول لنا الحق سبحانه وتعالى عليكم التخلص من رواسب الجاهليه فينبغي أن يكون منبع اخلاقكم هو الاسلام لأن صانع الشئ هو الأقدر علي وضع النظام الأمثل لسيرك وعملك وصيانتك فهو تعالي قد خلق الانسان في احسن تقويم وجعله سيدا علي هذا الكون وهو الأقدر علي وضع قانون خلقه السليم

فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن الأخلاق الإسلامية التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا من ربه لها سنن مثل الكون فأنت اذا نظرت إلي الكون ومافيه من بناء من سماء أو ارض وبحار وانهار وجبال وسهول ووديان وأمطار وشموس واقمار وافلاك ومجرات وأشجار ونبات وليل ونهار نجد أنها محكومها بقوانين مضبوطة ويسير وفق سنن دقيقه فإذا كان الجانب المادي من هذا الكون محكوما بهذه القوانين والسنن الإلهيه فقال تعالي (ولله مافي السموات ومافي الأرض) فإن الجانب الغير مادي أيضا له وقوانين تحكمه وسنن تحكمه فقال تعالي (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

يقول لك الحق أن القوانين والسنن الاخلاقيه والدينيه التي ينبغي أن تحكم حياه الناس دقيقه هي الأخرى كل الدقه مثل القوانين التي تحكم الماده لأن الله هو الذي ضبطها واجراها أيضا

يقول للزوج الذي أمر بالفراق أن الله سوف يغنيه من سعته وكذلك الزوجه وعدها أنه سوف يغنيها بزواج افضل من زوجها من سعته لكن تحقيق هذا الوعد يحتاج الي الأسباب التي توصل الي هذه النتيجه وهو أن تكون راضيا باختيار الله فلا تشكو قدر الله الي الناس فهناك علاقته بين السنن الماديه والسنن الاخلاقيه ارتباطا وثيقا لايقبل التجزئة ف الله يقول في سوره الطلاق (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل علي الله فهو حسبه أن الله بالغ امره وقد جعل الله لكل شئ قدرا) ويقول تعالي في موضع (أن الله لا يغير ما يقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم)

ولهذا كان لابد من تغيير المجتمع المسلم من داخله قبل الانطلاق لتغيير شكل العالم واعاده خلقه وفقا لمراد الله والمنهج الاسلامي يمتاز بالشمول في علاقته الإنسان بربه بالاخلاص وعلاقته بيني جنسه وبالكون

فأراد الحق بهذا البيان بناء الامتثال وتطبيق منهج الله في الأرض أن يكون عباده لله بخلق الحب بالامتثال والاستقامة لتقويم النفس بـ التذكير الدائم بالمقصود من المنهج الرباني والربط الحي بين القلب البشري وبين الله ربط تسري فيه الاشعاعه المنيره الي القلب فلاتزين عليه الظلمات ليقطع عادات الجاهليه السئيه التي كانت سائده في البيئه العربيه قطعاً حاسماً من اول لحظه فمساله الشرك و حقوق المراه والضعفاء وتمرد العربي عن الخضوع للنظام والقانون كانت ورام خبيث يجب استئصاله من جذوره وبضربه حاسمه لانه لايستقيم ايمان مع شرك أو ظلم وكان لابد من مواجهه الحاسمه ولهذا بعد أن جاءت النصوص تحاور العقل بالاداله الكونيه والتوجيه المحي للقلب والا اتصال بالله في السر والعلن في الأخذ والعطاء

تأتي النصوص (أن يشاء يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله علي ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ترسم الآيات للمومنين كيف يكون تكوين الخلق الفاضل وغرسه في النفوس فعليك استخدام التنوع في الأساليب فلاتقتصر علي الترغيب بالثواب فقط بل هنالك أناس لاينفع معهم إلا الترهيب بالعقوبه

فلا تنفع الموعظه وحدها فأنت بحاجة إلي إخراجها من الغفله لأن النعمه احيانا تلبد الاحساس وحدها فالتربيه اللطيفه مطلوبه لكن ليس في كل الأحوال فاحيان تفسد الطفل بالدلال وكذلك الرفق بالنفس رفقا زائدا وان لاتحملها علي ماتكره أن النتيجة انها تتميع وتنحرف ولاتستقيم وهي تشقى صاحبها فلا تعطيه فرصه يتعود فيها ضبط شهواتها ورغباته ويصطدام بالواقع الذي لايعطي الإنسان ما يطلبه ولهذا نجد أن الحق بعد ذكر انعامه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان تأتي الايه بالتلويح بالتهديد بالفناء والهلاك للذين يرفضون اتباع منهج الله فقال تعالي (أن يشاء يذهبكم)

فالتهديد بالفناء والاستئصال والهلاك ان هم فعلوا فعل ابن ابيرق الذي رفض اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنال أمر الله في كتابه وان يأتي باخرين غيرهم لموزاره الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته

لأن محبه الله امارتها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فالاية مثل قوله تعالى (وأن تتولوا يستبدل الله قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم)

الأمر الثاني

التنبية علي اهمية التدرج باستخدام وسيله العقاب لتكوين الخلق الفاضل وبناء السلوك الحميد واستعمال الفاظ وخطاب قادر علي تحقيق الهدف

ولهذا نجد أن التهديد للعصاه بالفناء بالكليه وإيجاد قوم مومنون بدل عنهم يتقوه ويعرفون ويحبوه ويطيعوه وهو خطاب يشمل كل الناس (أيها الناس)

المومن والكافر فالمراد بهذا الانذار للكفار وتحذير المومنين من تجزئه منهج الله بالاقتصار علي احكام دون البقيه أو فصلها عن أساسها العقائدي وهو أن تبتغي بكل فعل أو قول أو حركه مرضات الله تعالى

وايضا فيه التذكير من الغفله والنسيان التي هي من طبيعه الانسان التي تجعل البعض يتخذ لنفسه أهدافا لحياته لاتخرج عن الشهوات و اللذائ والأمانى الكاذبه نتيجته سوء الفهم أو ضعف الهمه

ولهذا تأتي النصوص بالتلويح بقدره الله فهو لايعجزه شي (وكان الله علي ذلك قديرا)

يقول لهم أن عدم المؤخذة يعود إلي إمهال الله رحمه منه تعالى بكم بأن لا يؤخذ العصاه بالتعجيل بالدنيا ليكون منكم التوبه فتاخير العقوبه رحمه من الله لعلكم تتوبون وهذا يدل علي كمال قدرته وحلمه ورحمته وحكمته وإلا فهو سبحانه وتعالى لايعجزه شي فالقدره وصف بتمكن القادر علي الفعل فلا يعجزه وهي تشمل القوه فالقدره هنا ضد العجز وضد الضعف والتقديم المعمول لتأكيد قدرته

المبحث الثاني

تستمر النصوص في عرض الثواب والعقاب في إطار اعاده تنظيم المجتمع المسلم من داخله فقال تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)

وهناك معني متعدده تحملها الايه ذهب إليها العلماء وهي متعلقه بموضوع تربيته المومنين

المعني الأول

أن تكون الايه في إطار التوبيخ لأولئك الذين لم ينتفعوا بالانذار واساوا فهم إمهال الله لهم بعدم تعجيل العذاب فجاءت النصوص مبينه أن هذا يعود إلي ضعف الهمه وخسه النفس ودنائتها فقال تعالى

(من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)

أن البعض يريد بسعيه الدنيا وزخرفها ومتاعها وهذا يعود إلي خسه النفس ودنائتها التي تجعل لحياتها هدفا لا يخرج عن نطاق الشهوات والذائ والأمانى الكاذبه فتغلق منافذ استقبال انوار الله

فالنفس الخسيسه هي التي تحوم حول القذرات ولهذا فهي لاتقوي علي مشقه الطاعه خشيه الانهاك فهذه النفس تنحرف وتمنع صاحبها من ضبط شهواته ورغباته حتي تصطدام بالواقع في الدنيا والآخرة لأن الواقع الأراضي لايعطي الناس قط ما يشتهون فهم لايجدون السعاده فيها فهو لايجد لانعيم الدنيا ولا الاخره ولهذا لم يقل (نوتيه منها وماله في الاخره)

بل جاء خلاف ما يتوقع السامع فكأنه قال إنه لم ينل لا ثواب الدنيا ولا ثواب الاخره

فالمولي يقول إن الدنيا والاخره بيده وهو يعطي من يشاء مثلما قال تعالى (من كان يريد العاجله عجلنا له منها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن فأولئك كان سعيهم مشكورا)

الأمر الثاني

أن يكون الخطاب هنا في إطار التوبيخ أيضا وتحقيرا لشان الدنيا فهي سوف تفني وتزول ولاتستحق هذا الاهتمام وبنفس الوقت فيه

تسليه للمومنين الذين يعانون المتاعب في الدنيا فيقول الحق أن الذي يريد بعمله الدنيا فإن هذا مذموم وان الله يعطيه منها لكنه يحرم من ثواب الاخره حتي وإن كانت أعماله فيها خير فالمراد بهذا بيان ترتيب الثواب والجزاء علي النيه فالذي يظهر الايمان ويعمل الاعمال الخيره وهم يبطنون الكفر والرياء والسمعه والغنائم فالله عنده ثواب الدنيا والآخرة فمن طلب الشهرة والسمعه فإنه يجد ذلك في الدنيا ومصيره الي النار كما قال تعالى (من كان يريد الحياه الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون أولئك ليس لهم في الاخره ا لا النار وحبط ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون)

فقيل إن المراد بهذا قوله تعالى (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم)

وكل من نظر نظرتهم في أفعاله وأقواله وثقافته فلا يستقيم قلب مع حب الدنيا كما قال تعالى (من كان يريد حرث الاخره ن زاد له من حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الاخره من نصيب

تبيين النصوص كيف يكون استخدام الثواب كوسيلة اعاده بناء المجتمع المسلم وتربيته النشيء المستهدف لغرس فيهم الاخلاق الفاضلة وتأسيس الصفات الفاضله أن الواجب عليك استخدام المثوبه الماديه والمعنويه لتحقيق الغرض فأنت في الحياه العاديه ينبغي أن تستخدم الجوائز والهدايا لتحفيز المستهدف لجذبه الي الخلق الفاضل واحيانا تستخدم المثوبه المعنويه مثل أن تجعل له القياده علي زه لائه والثناء عليه ولهذا يقول الحق

(من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة)

تبيين النصوص أن المومن يطلب الثوابين الدنيا والآخرة فلا يقتصر طلبه علي الدنيا فقط فالعاقل يطلب ثواب الاخره حتي يحصل له أيضا ثوب الدنيا علي سبيل التبع كما قال تعالى (ربنا اتنا في الدنيا حسنه وفي الاخره حسنه)

فعليكم إن تطلبوهما معا فالجمع بينهما ميسور فالدين يهدي الي السعاده في الدراين والله يسمع اقوال العباد ومناجاتهم لتدعوه وبصيرا بجميع الأمور فعليكم إن ترضوا الله في الأقوال والأعمال وبذلك تزكي الأنفس وتقف عند حد الفضيله والتي تستقيم بها أمورهم في الدنيا ويسعدون في الاخره الابديه ونعيمها كما ذكر صاحب التفسير القرآني بالقران

المقطع الثالث عشر

ابتدأت النصوص بالخطاب المتوجه الي المومنين فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنياً وفقيراً ف الله أولي بهما فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا وان تلوو أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)

أولا

أن الأمر والنداء جاء في إطار التربية المنهجية للمومنين فدل تكرار النداء أن الأهداف لم تتحقق بعد أو أن هنالك انحرافاً طرأ علي الجماعة يستدعي الاهتمام أو أن هنالك خطأ في التطبيق تهدد مستقبل القيم والمباني والأهداف فلا يكتفي علي مجرد صياغة الأهداف فلا بد من صياغة الطريق الذي يودي الي تحقيق الأهداف ولهذا فإن الآيه تتناول تحديد الطريق الذي يودي الي تحقيق الأهداف في إطار مقاصد سورة النساء التي وردت بعد أن تناولت سورة الفاتحة القواعد الكليه لمجمل ما تناوله القرآن ثم عرضت النصوص في سورة البقره منهج عماره الأرض وتحديد مسووليه المسلم عليها ثم تناولت سورة ال عمران حث المومنين علي الثبات علي هذا المنهج القويم وهنا يعلمنا الحق سبحانه وتعالى أن أساس هذا المنهج قائم علي العدل والرحمة وحفظ حقوق الإنسان والضعفاء منهم الاجتماعيه والاقتصادية والمالية والسياسيه وان المستامن علي عماره الأرض أن يكون قادراً علي تحقيق العدل في الارض ولهذا نجد أن فإن مجئ النداء (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله... الخ يهدف إلي الآتي

المفهوم الاول

تنمية الاحساس بضروره التغيير في عقول ونفوس جماعه الايمان التي إنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينه المنوره والانتقال الي مرحله التغيير الفعلي ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد ذكر الأمر بالقسط في البيتامى والنساء في سياق الاستفتاء فيهن لأن حقهن من أعظم الحقوق لضعفهن وعدم قدرتهن علي الدفاع عن حقوقهن وهضم حقوقهن وحقوق الاطفال أمر معهود في الجاهليه فكانت هذه الفلسفه منبتهه من ظروف الناس وأحوالهم وتحدد وسائل العلاج ومراحله في صورته قواعد وقوانين مكتوبه تبرز مراد الله منهم أن يكون التعامل بالقسط وتحدد التزامات المسلم برفع الظلم عن المظلومين وتعالج مساله انتقال مسووليه الدفاع عن حقوق الإنسان و الضعفاء الي الجماعه المسلمه التي انتقلت إليها قياده العالم وانه لا بد من دوله يكون اجتماع الناس حولها وهو أمر لم يكن العرب يعرفونه من قبل فهم لم يكونوا يعرفون الانظمه ولا الدول وانما كانوا قبائل متمزقه ولما جاء الإسلام يجمعهم حول الفلسفه الجديده التي لم يكونوا يعرفونها

وبالتالي فلا بد من تربيته المومنين علي قواعد الاجتماع بأنه لا يكون إلا بالعدل وحفظ النظام الذي اجتمع حوله المومنون في دوله الموحدين بالمدينه المنوره و لاشك أنه أمر مثير لاجعاب اغلبيه الشعب المسلم المتطلع الي التطور والرقى الذي أخبرهم الله فيه أنهم امناء علي الناس وان القياده انتقلت إليهم علي العالم اجمع وهذا النمو والسمو للمجتمع المسلم هو هدف الإسلام فكان لا بد من الانتقال من الإعجاب الانفعالي الغير منظم الي الاعجاب المنظم لأن الاعجاب الغير منظم يتبخر ولا يولد الطاقه للدفع ولا قدره التحرك لانه يتجلي مع الانفعالات العابره ويتبخر عند الانطلاق ولا يدفع الطاقه الشعبيه ولا يحرك قدرات المجتمع في اتجاه التطور والاستقرار والاستمرار اذا لم توجد رؤيه واضحه تحدد دور كل واحد والمشاكل التي تنصب عليها كما تحدد الآمال والطموحات الممكنه وخطوات ومراحل التنفيذ والتنظيم الذي سوف يقوم بتحقيق ذلك ولهذا كان إيضاح رساله الإسلام قبل إنشاء التنظيم الذي سوف يقود العالم فلم يجمع الناس علي عصبيتهم المصلحيه

المفهوم الثاني

أن تحديد الأهداف والطريق التي توصل الي تحقيق الأهداف في مرحله الانتقال بضروره التغيير من مرحله الاحساس بضروره التغيير الي مرحله التغيير الفعلي أمر في غايه الاهميه حيث أن الشعوب تكون بحاجه الي برنامج عمل واضح وتفصيلي يفصل ويجسد عمليه التغيير الفعلي ويقودها حتي لاتفشل الجماعه أو تتعثر في طريق قيادتها للجماهير وتتحول أفكارها مجرد شعارات عاجزه عن إحداث التغيير ولهذا نجد أن النصوص تبين الآتي

الأمر الأول

ان المستامن علي الارض لا بد أن يكون علي قدر من العدل فالصفه الاولى لمن يحمل امانه القوامه والخلافه أن يكون مسؤولا عن اقامه العدل في الارض والأمر أن عليكم التحرك وفقاً لهذه القاعده

والخطاب موجه للمومنين باعتبارهم التنظيم الذي سوف يقوم بحمل امانه الخلافه علي الارض فهم ميزان العدل لشريعه الحق سبحانه وتعالى فإذا اضطراب هذا الميزان فقد عمت الفوضى وسيكون الاعتداء علي شريعه الله فجاء الخطاب موجها الي المومنين باعتبارهم التنظيم السياسي الذي يراه الإسلام فهم الذين يومنون بقضيه حمل الامانه ولولائهم للدين الجديد وقدرته علي احداث التطور والرقى و

الذين لديهم قدره علي الانضباط بتعاليمه الجديده واستعدادهم للدفاع عنه فهي الفئه الراغبه في حمايه الثوره والمستعده لدفع عجله تطورها الي الامام فهذا النداء لحثهم علي حراسه اهداف الثوره وطالما أن النداء موجه إليهم فإن هنالك خطرا محقق علي ثورتهم يطلب منهم الإنتباه وفهم الموضوع والمشاكل التي تعترض اهداف الفكره التي يؤمنون بها حتي لاتنخلع عنهم صفه الايمان

الأمر الثاني

ان التوجيه بالخطاب للمؤمنين فيه التأكيد علي اهميه الفلسفه الواضحه لاقامه الدوله فلا يمكن الاعتماد علي المقبول العام بغير فلسفه لنظام الحكم

وهنا يقول لهم الحق أن اهليتهم لقياده العالم يتطلب منهم إنشاء التنظيم السياسي الذي يعطي لافكارها صفه الاستمرار والتجديد ويزواد بالكودار القياديه علي مختلف المستويات ولهذا يخبرهم أنه يتوجب عليهم اقامه العدل في التعامل في كل مجالات الحياة

وبما يكفل تحقيق العدل بين الناس كافه ويضمن عدم العوده الي الجاهليه وعصبيتها

فأنت ملزم أن تعطي كل ذي حق حقه يتساوي في هذا المسلم وغير المسلم فقد ذكر أن الايه متعلقه بشأن ما حصل من قوم طعمه الذين تعصبوا معه وشهدوا زورا لأجل تبرئه طعمه وإلحاق الذنب باليهودي عن الجريمه فأخبرهم الله أن حمل امانه القوامه علي البشريه و السعاده تكون بالحكم والشهادة بين الناس بالقسط فمسؤوليه المسلم اقامه العدل الذي يمنع الظلم والجور ويتساوي في ذلك المومن و الكافر والغني والفقير القريب والبعيد فالجميع سواء أمام حكم الله تعالي

فأراد بهذا أن يغرس في النفوس أن تجعل قمه ايمانك القسط فمادامت قد بدأت الايمان والتصديق بأمر الله فعليك الوصول إلي قمه القسط كما ذكر الشعراوي ان معني هذا أن تجعل القسط سائدا في كل تصرفاتك

فلا تجعله أمر وحدثا يقع مره واحده وينتهي ولهذا لم يقل لك تعامل بالقسط مع اخوانك المومنين ولم يقل كونوا قائمين بالقسط بل جاء بصيغه مبالغه (كونوا قوامين بالقسط)

فلا تتصور أن العدل منك يكون في التعامل مع المومنين فقط بل مع كل الناس فلا تقول ان الكافر غير مستحق للعدل الذي يضمن حفظ حقوقه لا فالعدل حق لكل الناس ولهذا جاء الأمر بالقسط علي إطلاقه وبالتالي فان المطلوب منك الاستمرار والتجديد للسلوك العادل في كل أمر من امورك سواء كنت شاهدا أو حاكما فقد ذكر البعض أن الايه نزلت في الشهاده للتحذير من سلوك الذين وقفوا مع طعمه وقيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه اختصم إليه رجلان غني وفقير وكان ضلعه مع الفقير فري أن الفقير لا يظلم الغني فإبي الله إلا أن يقوم بالقسط

ولهذا فانه يفهم أن النصوص تتناول كفتي الميزان حيث أن ذلك يتوقف الشهود الذين يحضرون مجلس القضاء ويشهدون علي الوقائع ويدلون بشهادته فالميزان العدل لا يتوقف علي القاضي وحده ويشاركه في ذلك الشهود فهو يمسك بكفه والشهود بالكفه الثانيه ولهذا قال تعالي (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله)

فأنت ملزم بالعدل من موقعك الذي أنت فيه فالشاهد بمنزله حاكم ولهذا رفع قدر الشهاده لأنها بمنزله الحكم فالله يقول (واذا قلتم فاعدلوا)

فالمسلم مطالب بالعدل في القول مثلما هو مطالب بالعدل بالحكم

ثانيا

أن الأمر جاء في سياق القوامه علي البشريه وفي إطار تنظيم المجتمع المسلم من داخله حيث قرن اقامه الشهاده والحكم بالعدل و القسط بمكافحه الجريمه مبينا أن العقاب هو لمصلحه الجماعه أن ينال المجرم العقوبه والردع فلا يحدث المجرم نفسه بالافلات من العقاب في الدنيا ولهذا ذكر (بالقسط)

فهو مظهر من مظاهر العدل الابتدائي أما الأقساط فهو عدل ازاله جور كان قد وقع لقدره المجرم علي إتلاف الادله فيكون الاخير لاقامه العدل الذي أخطئ به من قام بالحكم الابتدائي فيكون رفع ذلك لجهه اعلي منها وهذا يكون في الاخره

ولهذا انزل الله العقوبات التي تنظم أحوال الناس في الدنيا بالقسط وهو أمر نسبي التحقيق فقد يفلت شخص من العقوبه في الدنيا لكن لن يفلت من عقاب الله ولهذا كان التعقيب (وكان الله بما تعملون خبيراً)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

تبين النصوص اهمية تنظيم العقاب لانه ليس هنالك قيمه للنظام اذا اقتصر دوره علي التحليل والتحريم فقط فقال تعالي (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله)

ولهذا فان المراد منك أن تدرك اهمية العقاب فهو لمصلحه الجماعه وهذا لا يتحقق الا بالردع والزجر والتأديب المخالف فهو يمنع الجريمة وفيه اصلاح حاله الفرد

ولاغني للبشر عن العقاب للمذنب صيانه للحقوق والعدل الذي ينسجم مع نظام الدفاع الذي تنازل عنه الأفراد للجماعه بما منح الجماعه من سلطان اقامه العدل فكل فرد من حقه أن يطالب بحمايته من الظلم الواقع عليه فإذا وقعت العقوبه فقد وقع مايطالب به فلو كنت المسروق منه فكيف سيكون حالك ولهذا فهي عقوبه دفاعيه لك لا عليك فقال تعالي (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وهذا فيه الآتي

١

(كونوا)

تشعر أن حمل امانه العدل أمر ثقيل لايقدر عليه إلا من وثق إيمانه بالله تعالي وظهر نفسه من نوزاع الضعف النفسانية الماديه والمعنوية فهنالك مايستدعي منك أن تنهض وتخرج من الشد والجذب الذي يمنعك من القيام بالأمر فقال تعالي (قوامين)

وهو القوام المبالغ في القيام بالشئ والالتيان به مستوفا تاما لاينقص منه فالله أمر باقامه الصلاه واقامه الشهاده واقامه الميزان بالقسط تأكيدا علي العنايه بهذه الأشياء

اي فلتجعلوا العنايه باقامه القسط علي وجهه بصفه ثابتة راسخه في نفوسكم فالقيام بالعدل مثل القيام بالصلاه

٢

أن ذلك يكون بالقسط (بالقسط)

القسط علي إطلاقه تعني أن تلتزم بالعدل فلا تنحرف عنه يميناً ولايساراً لايصرفك عنه صارف في جميع احوالكم في الأقوال والأعمال بمرعاه حق الله وحق الناس فحق الله عبادته ومحبتة ومعرفته وطاعته وتوحيده وشكره علي انعامه فلا تستعين بنعمه الله علي معصيته بل يجب الاستعانة بها في طاعته

وفي معامله الناس بما تحب أن يعملوك وعند الحكم أن تقيم العدل دون محاباه

٣

(شهداء لله)

تدل الآيات علي وجوب تعظيم الشهاده واداءها بالصدق فهي حق الله فاللازم مقابلتها بالتعظيم واداءها علي اكمال وجه ولو كانت علي الاحيه

والأمر أداءها حسبه لله تعالي لايراد من الناس جزء ولاشكورا

الأمر الثاني

تبين النصوص اهمية تهئيه وخلق المناخ المناسب لترجمه البرنامج الذي يقود عمليه التغيير الي واقع عملي

ولهذا يحدد لهم الحق معالم الطريق نحو تحقيق الأهداف فيقول لنا الحق أن هذا البرنامج هو القادر علي تطهير الطريق من عقبات الوصول إلي الأهداف فقال تعالي (شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والاقربين أن يكن غنيا او فقيرا فالله أولي بهما فلا تتبعوا)

فالايه فيها تأديب للمؤمنين ونهي أن يفعلوا ما فعله الذين عذروا قوم ابن ابيرق علي ماسرقوا وحاولوا الصاقها باليهودي لما شهدوا عند الرسول صلى الله عليه وسلم ضد اليهودي وشهدوا لصاحبهم بالصلاح فأنزل الله الايه مبينه الآتي

المفهوم الاول

عليك ان تتحرى الحق في كل شأن من شؤون الحياه وفي اي موقع كنت فيه حاكما أو شاهدا فلا يمكن الا عندما تصبح فلسفه الاسلام واقع عملي في الحياه لاشعارات مفرغه من مضمونها فقال تعالى (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والا قربين أن يكن غنيا او فقيرا فالله أولي بهما)

فعليك التزام العدل في كل أمر وان تشهد بالحق ولو علي نفسك أو الاحباب أو الأصدقاء دون ميل فانتم تقومون بها لله تعالي فعليكم القيام بها بالعدل ولو علي أنفسكم فلا يوثر فيكم العواطف والمشاعر علي تحريف الشهاده أو كتمانها

المفهوم الثاني

يقول الحق أن اللازم عليكم أن تعبتوا علي الحق وان تكون الشهاده لله فقط فلا تكذبوا وان اضر بكم قول الصدق أو اضر باحبابكم ك الوالدين والابناء

ويربط ذلك بتهئية المناخ للتطور والتقدم الذي يجعلهم اهلا لقياده العالم بأن يكون تحويل الحاله الطبيعيه بحب الصدق الي خلق بحيث تفوق وتتميز علي الآخرين فتكون اهلا للشهاده عليهم ولما كان الصدق حاله موجوده عند الاطفال وبالتالي فلا قيمه للصدق اذا لم يتحول الي خلق وهذا لا يكون إلا عند ابتعاد الإنسان عن الدوافع النفسانيه الباعته علي الكذب فالذي يدفع للكذب هو خوف الضرر الذي يهدد النفس أو الأقارب والأصدقاء ولهذا يقول الحق أن المطلوب منكم الصدق في هذه الموقف الصعبه فالقوامه التي تجعلكم اهلا للقياده تعني التمسك بالصدق والحق في كل الأوقات فالعدل والصدق الذي لا يتمسك به صاحبه ساعه الضرر لا يدخل ضمن اعداد الاخلاق الحقيقيه

فالذي يميزكم عن الآخرين هو القيام بالعدل والصدق في الأوقات التي يهدد فيها قول الحق ولو علي النفس والأقارب

الأمر الثالث

أن الحق سبحانه وتعالى يضع المومنون في مواجهة مع النفس الذات والأقارب في اقامه الحق وقول الحق

وهنا لا بد أن تسأل نفسك كيف يشهد الانسان علي نفسه

الجواب

ان المعلوم أن الشهاده هي اخبار بحق للغير عند الغير وكذلك فإن الإقرار بالحقوق للآخرين بما في نمتك تدرج ضمن الشهاده

والشهادة انواع منها الشهاده المستنده الي العلم الناتج عن حضور الواقعه محل الخلاف كما ذكر المولي سبحانه وتعالى (واذا تدينتم بدين الي أجل مسمي فاكتبوه واشهدو ذوي عدلين منكم)

وهناك شهادة تكون فيها اخبار مستند الي القرائن والاداله التي يستنبطها ذوي الخبره كما ورد في قصه يوسف (وشهد شاهد من اهله أن كان قميصه قد ... الخ

فذكر أنه إذا قطع قميص يوسف من الخلف فقد صدق يوسف في ادعائه أنها هي التي تحرشت به وان كان القميص مقطوع من الامام فتكون هي علي الحق

وعندما اتضح له أن قميص يوسف مقطوع من الخلف جزم بالحكم أن امراه العزيز كاذبه وان يوسف صادق

وهنا فأنت مطلوب منك أن تشهد بالحق ولو علي نفسك أو الاحباب أو الأصدقاء فعليكم أن تقوم بها علي وجهها دون زيادة أو نقصان حسبه لله وهذا فيه غرس الرقابه الالهيه في النفس بأن تتحرى الحق الذي يرضي الله وليس ما يرضيك انت فعليكم امتثال أمر الله من غير مراعاة ولا محاباه وليس من بر الوالدين والأمن صله الرحم الميل والانحراف بأن تساعد علي هضم حقوق الآخرين ولهذا يأمر بعدم الطمع في بر الغني أو التعاطف والاشفاق علي الفقير فاللازم التجرد مع الذات والتجرد من عواطف الأقارب أو القبيله أو الطبقات فمهتك هي العدل والثبات عليه

الأمر الرابع

الايه تشير الي أمر مهم فقال تعالي (أن يكن غنيا او فقيرا فالله أولي بهما)

وهو أن ساحه الحق يتساوي فيه الناس لافرق بين غني أو فقير ودون النظر إلي ماتلبس فيه من الظروف

والضمير في (وان يكن) ترجع إلي المشهود له والمحكوم لصالحه من المتنازعين فعليك التجرد فلا يكون الغني ولا الفقير محل تقدير الشاهد وقت الشهاده ولا محل نظر القاضي أو موضع عطفه لأن ذلك من دواعي الانحراف عن الحق فيقول الحق ليس من شأنكم ايه الشهود أو الحكام أن تدخلوا في حساباتكم تلك الأحوال التي عليها المتنازعين علي حساب الحق والعدل لأن الله هو أولي منكم بحال كلا منهما فهو سبحانه وتعالى مالكمهم وخالقهم قادر علي أن يغني الفقير ويفقر الغني أو يغنيهم جميعا أو يفقرهم

ثالثا

تبين النصوص اهميه ازاله البواعث النفسانية التي تدفع الي الكذب والاخلال بميزان العدل الذي يودي الي الضلال ف جاء التحذير من الأ هواء فقال تعالي

(فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا وان تلوو أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

الأمر الأول

التحذير من الأهواء لأن الشهاده المخالفه للحق أو الحكم بالجور فيه ترجيح الباطل علي حق فالمرجح هو هوي النفس وهو عمل القلب وهذا فيه إفساد في الأرض والضلال فالله يقول (يادواد انا جعلناك ...

ف جاء التحذير من الأهواء وهي العواطف والمشاعر التي يجدها القاضي أو الشاهد فيقول الحق أن اتباع هذه العواطف تفسد ميزان العدل

الأمر الثاني

يهدد الحق اولئك الذين ينحرفون بالشهاده أو الحكم بالجور باللي باللسان بعدم اقامه الشهاده علي وجهها أو إهدار الادله في الحكم فقال تعالي (وان تلووا)

وقد أخبرنا الله عن اليهود أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه باللي باللسان

أو الأعراض بكتمان الشهاده أو بنكول العدالة من قبل الحاكم ويأتي التعقيب (فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

بأنه سوف يحازي المحسن علي إحسانه والمسي علي إساءته وأنه لا يخفي عليه شي فاستعمل اسم الخبير لأن خبره تعني العلم بدقائق ا لأمر ظاهرها وباطنها للتحذير من المخالفه

القسم الثاني

بعد أن ذكرت النصوص أن المستامن علي الارض لابد أن يكون علي قدر من العدل يقول تعالي (يايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله و الكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا أن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا)

وهذا فيه الاتي

١

الدعوه للإيمان مبينا عناصر الايمان بالتصديق الكامل بالله ورسوله باتباع سنته وبالقران والكتب السماوية

٢

بيان اركان الايمان السنه وان الايمان لا يتجزء فلا يكون مومنا من كفر وجحد احد تلك الأركان مبينا عقوبه من يجحد ويكفر بالله و الوهيته وربوبيته واسماء ه وصفاته أو يفرق بين أحد من رسله أو كتبه فيؤمن ببعض ويكفر ببعض أو يرفض التصديق بالملائكه أو اليوم الآخر أو القضاء والقدر بأن هولاء قد انحرفوا وابتعدوا عن طريق الهدايه البعد الكبير الذي لا يرجي معه عوده من ذلك التيه

٣

تبين حال المذبذبين المتلاعبين بالدين بعد أن يؤمنوا يكفروا ثم يؤمنوا ثم يزدادوا كفرا بأنهم محرمون من المغفره ومن الهدايه والرشاد الي طريق الخير

ولهذا سوف نتناول تأويل النصوص والمفاهيم التي تحملها الآيات من خلال الوقوف علي هذه المباحث

المبحث الأول

منهم المقصودون بالنداء (يايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي أنزل

ذهب البعض للقول إن الخطاب موجها لأهل الكتاب فهم يومنون بالتوراه والإنجيل لكنهم مكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم جميعا فالنصارى مومنون ببعيسى وموسى ومكذبون بالقران بينما اليهود مومنون بالتوراه وموسى ومكذبون بالانجيل والقرآن وبعيسى والرسول صلى الله عليه وسلم وبالكتب السابقه وقال البعض أن الخطاب موجها للمسلمين فقال أصحاب الرأي الأول ما الحاجه الي دعوتهم للإيمان بالله ورسوله وبالقران والكتب السماوية السابقه وقد ساهم الله المومنون بالنداء

فقال تعالي (يايها الذين آمنوا آمنوا بالله... الخ

ولهذا قيل بيان الراجح من الأقوال لابد أن نفهم أن الأمر أما أن يكون موجها الي من لم يدخل في الشئ ولم يتصف بشئ منه فيكون الأمر مر له بالدخول فيه

وأما أن يكون موجها الي من دخل في الشئ وهذا يكون الأمر يهدف إلي الاتي

أولا

أن يكون النداء موجها لتصحيح ما وجد في المكلفين

من انحراف في المسار والطريق المودي الي تحقيق الأهداف وهذا يعني أن هنالك ازمه في قضيه مصيره تعود إلي أما نقص المعلومه أو سوء الفهم لها وعدم الاحاطه بها علما أو ان المعلومه وصلت ولكن فهمت بشكل خاطئ أو تم تشويه هذه المعلومه ولهذا جاءت النصوص مبينه كيفيه علاج هذه الازمات بالدعوه الي الاحاطه بالمساله من جميع جوانبها والتمكن منها مبينه منشأ سوء الإدراك وكيف يكون الخروج من الازمه ولهذا فإنه بالوقوف علي الاحتمالات بالمقصود بالخطاب نجد الآتي

الأمر الأول

أن يكون الخطاب موجها لأهل الكتاب

فإن هولاء قد دخلوا في الايمان وكانوا ينتظرون بعنه النبي الخاتم لكنهم رفضوا التحول والانتقال في قراءه مراد الله من التوراة والإنجيل الي القران لأن النبي الخاتم كان من امه العرب وليس منهم فقد رفضوا اعاده النظر في ثوابت قراتهم لمراد الله لتتنطوي ضمن التحديد الرباني في العالم بلغه القران فقال تعالي في موضع آخر (ولوامن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)

ولهذا يقول الحق لهم لقد توقف العمل الشرعي بالتوراه والإنجيل ويجب عليكم اذا أردتم أن تستمر صفه الايمان لازمه لكم إن تحولوا الي العمل وقراءه مراد الله وفقا لما جاء في القران ولهذا وصف من يرفض هذا التحول من اليهود والنصارى بالكفار المحرفين والمغضوب عليهم والضالين

فالمراد بهذا تصحيح مسار هولاء وان يحسنوا التعامل مع هذه التحولات في قراءه مراد الله بدعوتهم الي الايمان بالله الذي يقتضي الخضوع والتسليم لأمر الله فليس من حقهم الاعتراض علي اختيار الله للرسول صلى الله عليه وسلم النبي الخاتم من امه العرب فهذا انحراف في فهم العلاقه بين العبد وخالقه ومعبوده

يقول لهم اتركوا التمسك بثقافه احتكار قياده الأديان والزعيم انكم شعب الله المختار فهذا كفر مثل ما كفر الشيطان الرجيم الذي رفض القبول بأمر الله باختيار الله آدم خليفه في أرضه فهو لم يكفر بوجود الله وأنه المالك والخالق والمتصرف للكون ولكنه رفض القبول بأمر الله

فالدعوه للإيمان هنا هو لتصحيح المسار والطريق الذي انحرفوا فيه والنصوص تناقش منشأ سوء الإدراك لدي هولاء رغم وصول المعلومه إليهم سليمه بأن النبي الخاتم المذكور في كتبهم هو النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يعود إلي حاله النفسيه (الحسد)

فيقول لهم أن الإيمان يوجب عليكم تزكيه نفوسكم من هذا الداء الذي يفسد عليكم ايمانكم ولأن بني إسرائيل قسما من الاول هم العلماء منهم والذين كانوا عالمين بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأما القسم الثاني فهم الجهلاء الذين لم يفقهوا من الدين إلا الاماني كما قال تعالي (ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني)

فالحق يدعوهم الي ترك التقليد وثقافه الاماني واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولأن اليهود وخاصه العلماء منهم عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب حاولوا تشويهه العلامات والنعوت التي وردت في التوراة عن النبي صلى الله عليه وسلم لمنع ايمان الناس به فالمعلومه صحيحة ولكنها جاءت مخالفه لرغباتهم فقاموا بالتشويه وقالوا إن القرآن نزل منجما ولم ينزل وفقا لسنة الله في انزال الكتب السماوية دفعه واحده لأجل تغطيه الحقيقه عن العوام ولهذا نجد أن الحق يتوجه إليهم بالنداء بالإيمان بالقران الكريم فقال تعالي (والكتاب الذي نزل علي رسوله)

لأن القرآن نزل منجما حسب الأحداث استعمل لفظ نزل بينما استعمل في الدعوه للإيمان بالكتب السماوية انزل لانه نزل دفعه واحده لبيان عدم جواز الفصل بين التاريخ والديانات فالاديان السماويه كلها تعتبر التاريخ الإنساني جزء من الديانه ومفسرا لها فيقول لهم الحق أن جميع الكتب السماوية كلها تهدف إلي التصديق بوجود الخالق وتوحيده وطاعته وعبادته وان يحب المرء في الله ويبغض في الله فهذا كل ماجاء به الرسل جميعا وان الايمان بالتوراه والإنجيل توجب عليكم الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران وأنه لايجوز التفريق بين الرسل أو الايمان ببعض والكفر ببعض حيث ورد انه لما جاء عبدالله بن سلام وابن أخته سلامه وابن أخيه سلمه وأسد بن كعب وتعلبه بن قيس لمبايعه الرسول صلى الله عليه وسلم علي الاسلام وقالوا يارسول الله أنا نومن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراه ونكفر بماسواء ذلك فأنزل الله الايه مبينا أن الإيمان لايتجزء فالذي يومن بالله ويكفر ببعض الرسل أو الملائكه يكون كافرا فقال تعالي (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)

كما قال تعالي في موضع آخر (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا... الخ فلا يعتد بإيمان من فرق بين الله ورسله وكتبه... لان الايمان أما أن يتبع الصواب أو يبتعد عنه فيكون في جهل وعمي لأن سر الرساله هو أنه يدلك علي طريق الهدايه فإذا قبلت به حصلت علي الهدايه الخاصه بالتوفيق والرشاد ولهذا لم يكن يعطي الهدايه الخاصه من لم يقبل بها فإذا كفر ببعض الكتب أو الرسل لم يومن بشي منها إيمانا صحيحا مبينا علي فهم حقيقتها والنظر بحكمها ولهذا فإن هذا يكون في الضلال والانحراف والتيه

ولهذا يقول هنا (أن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفرهم لهم ولا ليهديهم سبيلا)

الأمر الثاني

أن الخطاب للمسلمين لتصحيح المسار بالإيمان فالنص فيه يايها الذين آمنوا.. اي آمنوا علي سبيل التقليد في الماضي آمنوا في المستقبل علي سبيل الاستدلال وان يكون إيمانهم بالاخلاص واليقين التام والانتقال من الإيمان الانفعالي الي الايمان باليقين الجازم فالإيمان المطلوب هو معرفه الله بالاداله العقلية ابتداء من خلال الأدله الكونيه ثم بالعلم والمعرفة والذي لاسبيل له إلا بالوحي الذي يحمله الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه فيكون الايمان بالله هو ذلك الايمان الذي يسكب في النفوس حقيقه الايمان بكلمه لا اله الا الله الذي تعني انفراده بخصائص الكبرياء الذي يكون فيه إعلان للاخوه الانسانيه والخروج من سجن الانانيه والخرافات والأوهام الي ساحه إيمان بالله وحده فلا تخاف أحد إلا الله بحيث تكون فكره الله هي محل تركيزك واهتمامك وكل البواعث والمشاعر والمقياس والميزان متبلوره حول هذه الفكره فأنت تعيش لله وتموت في الله وحده لاشريك له وهذا يتطلب اقتلاع جميع الجراثيم التي تقف أمام الخضوع التام لله تعالي عن علم ودرايه لتعيش في سعاده وجنه الايمان فالمراد بهذا التخلص من أفكار الجاهليه وعصبيتها

ثانيا

أن المراد بهذا النداء تكميل الكامل فالإيمان موجود والنداء هو الوصول إلي الكمال الايماني بالثبات علي الايمان والدوام عليه وان يزدودا فيه يقينا كما قال تعالي (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم.. الخ

فالمومن محتاج الي الايمان في كل لحظه أكثر من حاجته للطعام والشراب فالمومن يحتاج الي مزيد من الهدايه والثبات يريد أن يعلمه الله مايفعله من تفاصيل واحواله وما يتركه من تفاصيل الأمور كل يوم والي أن يلهمه الله أن يعمل ذلك فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريدا للعمل بما يعلمه الله وإلا كان علمه حجه عليه لا له

والعبد كما ذكر العلماء محتاج الي أن يجعله الله قادرا علي العمل بتلك الاراده الصالحه فالمجهول عندنا أكثر من الحق المعلوم أضعافا وما لاتزيد فعله تهاونا وتكسلا مثل ما تريده أو أكثر منه أو دونه ومالاتقدر عليه مما تريده وكذلك ما تعرفه فإنك لاتتهدي لتفاصيله ما يفوق الحصر وهذا فيه اننا بحاجة إلي الهدايه التامه فمن كملت له الاهتداء عليه أن يثبت حتي يأتيه الموت وهو علي الهدايه فالله يقول لنا في موضع آخر (يايها الذين آمنوا اتقوا الله ولاتموتن الا وانتم مسلمون) ولهذا فإن النص فيه بيان الآتي

المفهوم الاول

أن قوه الايمان الحقيقه بالله وأركان الايمان الستة تعني التحرر من كل سلطان سواه فهذا النداء نداء الخضوع وهو نداء العزه التي فيه

تكريم الإنسان بالاعتزاز بالله والاستسلام الذي تحرر من الضغوطات التي تحط من منزلتك بالإيمان ينبغي أن ينتقل من القول باللسان الي عباده الله في التعامل مع الناس فقوه الايمان بالغيب هي التي ترضي اشواق النفس وتقنع العقل فهي أقدر واجدر قوه توجب الخضوع والتسليم لله والوصول الي الكمال الذي يحقق الاطمئنان النفسي وهدايه الرشاد والتي لا تتحقق الا بالخضوع التام فعندما قال لاعراب امنا قال تعالي (قل لم تؤمنوا... الخ

وقال تعالي (لاتمنوا عليا اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان)

فليس المراد تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره كما قال تعالي (أهدنا الصراط المستقيم)

إي زدنا إيماننا وهذه الدعوه للإيمان وردت بعد أن تناولت النصوص الأمر بالعدل في الحكم والشهادة وان الله يسجل الأعمال واحاطته بها علما فالحق يقول ان الخضوع وعباده الله لا تتطلب من الإنسان اتاوه خضوع. لأن الله يقول في موضع آخر (ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون)

فلا تتطلب منكم الخضوع لله عصبية هوجاء ولا أحقاد عمياء فالله كما أخبركم لن يزيد ملكه بطاعه الطائعين ولن ينقص بمعصيته العصاه فليس الخضوع لله إعلاء لدكتاتوريه فرد اوسيطره حزب أو احتكار طبقه أو تغليب جنس أو امه اوتحكم قبيله أو اسره ليس الخضوع لله محاباه للخاضعين كطائفه ولاتحامل علي المنكرين فقال تعالي (أن يكن غنيا اوفقيرا فالله أولي بهما فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا وان تلوو أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

وقال تعالي في موضع آخر (ولايحرمنكم شأن قوم علي الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي)

فهو رب العالمين جميعا الكافر والمومن علي السواء رب كل الطبقات والأجناس والافراد فهذا هو الإيمان المطلوب منكم ،

المفهوم الثاني

يقول الحق لنا أن التقدم والتطور لايتحقق بمجرد اختيار فلسفه التقدم ثم تفريفها في انظمه وتشريعات وقيم ومبادئ لمساله القوامه و الخلافه ثم تصرف الي حال سبيلك عندئذ تصبح الفلسفه مجرد كلام ولهذا فعليكم إن تفهموا أن الانتقال الي التقدم الحقيقي المعبر عن الإيمان بالقيم والمبادئ التي حملتها شريعته الاسلام لايد أن تترجم الي أفعال معبره عن صدق الايمان وهذا يحتاج الي محرك للطاقت وقدره تحريك وهذا إنما يتحقق بالإيمان الحقيقي بالله الذي يفجر الطاقت ويصونها من أن تستهلك في زحام عادت واصنام الجاهليه وعصبيتها فيجب عليكم التخلص من العصبية والأفكار الجاهليه التي تقف عائقا أمام التحول للإيمان بالله يوجب عليك أن تتلزم بـ العدل والشهادة لله وحسبه لله ومحاربه الشر واقتلاع من النفوس وتركه وطاعه الرسول ومنهج الله وان كان مخالفا لرغباتك وترك العصبية فقال تعالي (والكتاب الذي أنزل من قبل)

لأن العربي كان يفرق بين قبيله واخري وبين الافخاذ فأراد بهذا اقتلاع العصبية والمذهبية ويزود المومنون بالخبرات والمهارات اللازمه للقيام بوظيفه الخلافه وقياده العالم فيقول لهم الحق عليكم قراءه التاريخ الإنساني بالاتصال بالعمليات الدينيه التي حدثت في تاريخ البشرية فتلك التجارب هي الجذور التاريخيه التي تستمدون منها التفسير لحرکه الحياه وطبيعه المهمه وهي الزاد الذي يمدكم بالخبرات والمهارات للقيام بالمهمه بالإيمان بالكتب السماويه الذي دعا الله المومنين إليه (والكتاب الذي أنزل من قبل)

فيها جنس الكتب تشمل جميع الكتب يكون دافعا لقراءه التاريخ الإنساني بالرباط الواعي بين الديانه كتنزيل شرعي وبين التاريخ كحياه ومجتمعات وانسان وتجربه يجب أن يفهم ويفسر من حيث المطلب الرباني في العباد فأنت عندما تنظر إلي امه من الأمم عليك أن تنظر إلي مواقعها من الديانه هل قبلت منهج الله واتبعت الرسول الذي أرسل إلي تلك الامه ام رفضت فننظر الي احوال أهل الإيمان ومعركتهم مع أهل الباطل وأسباب النجاح الذي كانت به عاقبه المومنين فناخذ بها وتنظر الي أسباب هلاك المكذبين فتتجنب ما وقعوا فيه

المبحث الثاني

تأتي النصوص مبينه أن الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر لايتجزء فمن جحد أحد هذه الأركان فإنه كافر وقد ضل سواء السبيل فهو ذاهب الي الضلال واليه الذي لايرجي معه عوده الي طريق الصواب فقال تعالي (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)

والكفر بالله يكون بإنكار وجود الله أو الشرك بالواهيته أو ربوبيته أو اسماءه أو صفاته أو حجود انعامه وآياته واومره فهو تعالي أمر بـ العدل وأمر باتباع الرسول ومنهجه ولهذا فإن الذي يرفض أمر الله أو يعمل العمل رياء اوطلب شهره وسمعه فلايد من الإخلاص والإيمان الذي يكون فيه عباده الله والاستعانة به واتباع منهجه وكلماته والإيمان بقضائه وقدره والتوكل عليه والإيمان بالرسول وعدم التفریق بينهم لأن ذلك طعن بالله فعلينا الايمان بجميع الرسل الذين ذكرهم الله في القران أنهم مرسلون من الله كما قال تعالي (رسلا قد

قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك)

فعلينا الايمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به وما أمرهم الله به وان نومن بالملائكة أنهم عباد الله المكرمون ونومن باليوم الآخر والحساب والعقاب والقضاء والقدر فالإيمان لا يتجزء وهو يمدنا بالطاقة والقوه والقدرة علي الثبات والمدوامه علي الإيمان فالحق يربط مبادئ وقيم الاسلام باساسها الاعتقادي التوحيد والإيمان وان الذي يرفض قيم ومبادئ العدل والمساواة والرحمه يكون كافرا ب الله ورسله واليوم الآخر والملائكة فجاءت النصوص في سياق الأمر بالقيام بأمر الله بالخلافه علي الارض بالقسط والشهادة لله وحسبه لبيان أساس قيام دوله الموحدين بأنها دوله يحكمها القرآن لا دوله تتخذ القرآن لاغراضها في قمع المعارضين أو أخذ منه جزء وترك بقية الأجزاء فالجزئيات مرتبطه بالكليات ومرتبطة باصلها الاعتقادي التوحيد فهو راس الايمان الذي ينبغي أن يتقرر في النفس والقلب قبل كل شي ومن ثم العمل والسلوك لانه مقياس كل شي بعده فلا يتصل عمل بدونه ولا يقبل شفاعه ولا يعطي مغفره

ولهذا فإن الأمر يتوجه بالتحذير من التفريط باي من اصول الايمان الستة فالحق يقول لك أن الإيمان الكامل بأركان الايمان الستة فيه حمايه لصاحب الفكره من مزالق التخاذل فهو يربطه بالتوحيد والإيمان الذي موافق لفظه ليكون القيام بالعدل خلق

يشدك إليه ايمانك كما يجذب المغناطيس الحديد لانه يتوافق ولفطره التي خلق الله الناس عليها فتتغلب علي الازمات فلا تقع في التيه فأنت تعرف الطريق الموصل الي الله والغايه من الوجود بعكس الكافر فإنه تفسد فطرته الفساد الذي يبتعد عن الحق ولا يرجع عودته

المبحث الثالث

(أن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا)

ذهب البعض للقول إن المراد بهم هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى والبعض قال إن المراد بهم المنافقون الذين أظهروا الايمان باللسان وقلوبهم كافره

وبالوقوف علي الابه الكريمه نجد انها ترسم قبيحه مذمومه لحال من يتذبذب في السير بالطريق للتحذير من هذا السلوك وهي تتناول حكم عام لكل من ابتعد عن تعاليم التوحيد وانغمس في التراخي والجهل والابه تتناول عده مواضع وتتوجه الي شرائح عديده كما يتضح من الآتي

الموضوع الاول

تناقش الابه موضوع فقدان عقيدة الايمان فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي عندما تفقد اشعاعها الاجتماعي عند غياب روح الاسلام عن جماعه الايمان بالوقوع تحت تأثير النظرة الجاهليه الي مبادئ وقيم الاسلام التي يجب بناء دوله الموحدين علي أساسها أنها لاعلاقه لها بمسألة الايمان مثل دعاه فصل الدين عن الدولة حيث أن هذه النظرة تجعل الايمان ايمان فرد متحلل من صلته بوسطه الاجتماعي وعندها يكون التيه والضلال وانعدام فاعليه الامه كما هو حال العالم الإسلامي ما بعد دوله الموحدين فأنت ترى اليوم العالم الإسلامي بصوره تكشف حاله العجز عن التفكير وعن العمل أو انفصال الفكره عن العمل ولهذا نجد أن الابه وردت بعد الدعوه الي الايمان بقوله (ياايها الذين آمنوا آمنوا... الخ

وذكرت قبلها مساله في غايه الاهميه متعلقه بدوله التوحيد الذي تعني أن يكون التوحيد هو المسئول عن تنظيم العلاقات الإنسانية في شتى المجالات بحيث يكون له تأثير في نفس الإنسان يودي الي تغيير شكل الحياه واقامه حضاره الموحدين علي قيم العدل والمساواة والشوري والحريه... وتحويل المعتقد الي عمل مثمر ومجتمع مسلم وحقيقة واقعه ويحصل التقدم الحضاري الذي يتغذي من روح الاسلا م فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنيا أوفقيرا فالله أولي بهما فلا تتبعوا الهوي... الخ

ثم ذكرت النصوص اهميه ربط العمل بالفكره حيث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدم الابه القرانيه كوسيله منطقيه تساق لغرض تعليمي في إنشاء اول دوله يحكمها القرآن بيني حضاره الاسلام ودولته علي أساس من التوازن بين العقل والروح معا من خلال العلم بالماده والعلم بخالق الماده مبينا أن الروح هي التي تتيح للانسانيه أن تنهض وتتقدم وأنه إذا ضاعت الروح سقطت الحضاره وانحطت حيث تنشأ حضاره لها صورته مشوهه من البناء الاصلي الذي يريده الحق لأن صاحبها يستسلم لجاذبيه الأرض الذي تشده نحوها ويكون الانحطاط في القيم والمبادئ الروحانيه فقال تعالي (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللا بعيدا)

ولهذا يذكر الحق لنا حال قوم من أهل الضلال البعيد يرسم لنا حالهم ابتداء بأنهم آمنوا لتصوير أن الإيمان هو شعاع الروح الذي يفترض أن يكون محركا لقوي العقل للخروج من حاله الفاعليه السلبيه الي الفاعليه الإيجابية التي تربط بين الفكره والعمل فما الذي حدث أنه تراجع إلي الوراء فظهرت حركته في صورته منفصله عن الإيمان (ان الذين آمنوا ثم كفروا)

ولفظ (ثم) للتراخي للدلالة على أن هناك قوة شد ماديه وقوه شد روحانيه تشده كلا الي نحوها فمن جهه رياح إشعاع نور الايمان تدفعه للتحرك نحو العمل الموافق للحق والقطره وهناك بنفس الوقت قوه جذب ماديه تشده نحو السفول تقهره حتي يخمد إشعاع العقل فيلهث نحو المصالح المادية ويفرط بالقيم والمبادئ ويفرط بالقيم والمبادئ التي تجسد قيم الحضاره التي تحقق المطلب الرباني في الأرض مثلما حصل من اليهود الذين آمنوا بموسي والتوراه ثم كفروا بعيسي والإنجيل لانهم اردوا من الإيمان كسب الامتيازات و المصالح الماديه فعندما حصل التعارض كفروا ومنهم من امن بعيسي والإنجيل مثل النصاري لكنهم كفروا بعد ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران ثم ازدادوا كفرا

المهم هنا أن الحق يحذر من الانحطاط والكفر بالقيم الروحانية التي غالبا تكون متزامنه مع التقدم المادي فالايه وماقبلها تناقش مساله ا لايان بقيم العدل والمساواة والحرية والشرعيه الدستورية في اقامه نظام الحكم الإسلامي علي الارض والتي تمثل فلسفه الاسلام في التقدم حيث ان البعض يكون مومنا بها ثم إذا وصل إلي مركز القرار تجده يتردد ويحاول استخدام الدوله لتحكم القران وتطويع الدين لخدمه مصالحه وأغراضه تبعاً للهوي وحب السلطه

وهو يظل في شد وجذب حتي يتوقف إشعاع الروح عن الهبوب عندها يخمد إشعاع العقل ويفقد قوه ايمانيه وهمته وتوحيده ويفقد تعطشه الي الفهم واردة العمل فقال تعالي (ثم ازدادوا كفرا)

عندها يتراجع عقله ويفقد الإدراك وتختل موازينه فيصبح يري أهل القيم والمبادئ الروحانيه أنهم حمقاء واغبياء لأن اثار عقله تتبدد وسط جو التخلف ولايستطيع أن يفهم قيمه الاداله ومقاديرها ولايقدر علي استخدام عقله ولايكون لديهم استعداد لفهم حقيقه الايمان ويفقدون العلم الروحاني فنحن نري اليوم كيف انهزم المسلمون فكريا أمام الحضاره الماديه نتيجته غياب روح التوحيد عن عمل وفكر المسلمون فإذا أردنا الخروج من هذه الازمه فعلينا أن نعود الي منابع التوحيد والثبات علي الإيمان تتحرك علي اساس التوازن بين اخلاق الضغط واخلاق التطلع

الأمر الثاني

النصوص وردت لتربيته المومنين فهي تكشف لنا صوره الصراع بين الحق والباطل في هذه الحياه

ويخبرنا الحق أن داعي الشر في الإنسان أكثر وأشد إلحاحاً وقوه في جذب النفس إليه من داعي الخير

فالنفس لها أهواء تعيق حركة التقدم والتهوض الي مافيه صالح الإنسان إذا لم ينتبه الإنسان لهذا الخطر الكامن في داخل الإنسان في رحله البحث عن السعاده اذا لم يقيم حارسا في عقله وقلبه وضميره واقتلاع جرائم الشر وبواعثه من النفس وتطهيرها من اوساخها فأنت بحاجة إلي التمييز بين الخير والشر والنفع والضرار لتقويه العزيمه والارده ليكون العمل الوعي الذي يحقق السعاده ولهذا قال تعالي (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والاقربين... الخ

فالأمر يحتاج الي منع تسلط أهواء النفس علي الإنسان لانه لو حصل تسليم زمام الإنسان لنوزاع النفس فإنه يفقد طاقته وقوته وهمته تدريجيا حتي ينتهي به الحال في الضلال

فعليك أن تقف مع نفسك وقفه حازمه من اول مره في وجه تلك الأهواء التي إن لم تقف امامه بقوه الايمان لصارت هذه الأهواء قوه تجرف بك في غمرات الضلال والكفر بحيث لا أمل لك بعد ذلك من الخروج منه

فالله قد بين لك سننه في خليفته التي يكون بها الهدايه فلا إفراط ولاتفريط ولهذا يحذرك من التردد والتقلب ويقول لك عليك بطريق الحق ولاتستوحش لقله السالكين لهذا الطريق واياك وطريق الباطل ولاتفتخر بكثرة الهالكين فكلما استوحشت في تفردك فالقران خير رفيق واحرص علي السير في طريق الصالحين ليكون قلبك اهلا لاستقبال نور الله ف الله سبحانه وتعالى جعل القلوب انيه في أرضه فإذا كانت انيه صالحه لاستقبال انوره ومستعده لقبول الايمان زدت هدايه وان كانت ملئيه بالقذورات والأهواء الفاسده فإن هذه القلوب تموت تدريجياً حتي تموت وتصبح ملئيه بالظلمات والخيالات الفاسده ف الله يقول لنا في موضع آخر (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

فالحق يقول لك احذر من التردد والتقلب فإن هذا يصاب بالظلمات التي تجعل قلبه مكانا غير صالحا لاستقبال انوار الله فهو سبحانه يمنع عنهم رحمته ورضوانه ومغفرته وإحسانه فقلوبهم قد عميت فهي ليست اهلا للمغفره والرحمه فقال تعالي (لم يكن الله ليغفر لهم)

(لم يكن) فعل مضارع منفي

(ليغفر لهم) اللام لام النفي ا والجحود وهو فيه تئيب لهم من المغفره فهم محرمون من المغفره ومن الهدايه فهم سوف يببقون علي كفرهم الي يوم القيامه (ولا يهديهم سبيلا)

لأن الذنوب تحجب عن العقل انوره ويعيش في العصيان لان التوبه غير صادقه منه فلو كان صادقا

لعمل الأعمال الصالحة الذي يزيل ما علق في النفس من تلك الآثام كما قال تعالى (أن الحسنات يذهبن السيئات)

الأمر الثالث

تكشف النصوص حال المنافقون وكل من يتردد فيقول الحق إذا شاهدت من يظهر منه هذا السلوك ويتكرر منه ذلك فاعلم أن هذا لم يكن الله ليوفقه الي طريق الصواب وان هذا لم يومن حقيقه ويحذرنا من الانخداع بهؤلاء ولهذا يكشف لنا أساليبهم التي يتبعونها في الحياه فهم لا يستقيمون علي حال فهم يتلوون حسب المصالح التي صارت عقيدته لهم فايما تكون المصلحه تجد هؤلاء فهم يتحركون وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم فهم يبيعون عقيدتهم للحفاظ على مصالحهم فيقول الحق أنظروا الي هذا النموذج لمقابله هؤلاء لدعوه الاسلام فهم يظهرون الايمان اذا كانت مصالحهم مترابطه بذلك فإذا وجدوا أن المومنون في ضعف وان لاهل الكفر صوله فسرعان ما يتركوا جماعه الايمان ويلتحقون بأهل الكفر فهذا الجري وراء المصالح يزداد شئيا فشيئا حتي يفقدون كل ذره ايمان ولهذا يقول الله (لم يكن الله ليغفر لهم)

اي لا يستر الله عليهم كفرهم وذنوبهم ولكنه يفضحهم ويتركهم وشأنهم فلا يرشدهم الي طريق الهدايه والسداد لانهم اختاروا طريق الضلال لانهم اتخذوا الشيطان وليا لهم واستحبوا العمي علي الهدى والله قد قال (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) وقال تعالى أيضا في موضع آخر (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

القسم الثالث

(بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المومنين ايبغون عندهم العزه فإن العزه لله جميعا

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن لكم فتح من الله قالوا الم تكن معكم وان يكون للكافرين نصيبا قالوا الم تستحون عليكم ومنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيامه ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذنبين بين ذلك لا الي هؤلاء ولا الي هؤلاء ومن يضل فلن تجد له سبيلا)

اولا

تضمنت الايه التحذير من النفاق وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما)

وهذا فيه

الأمر الأول

أن عليك أن اذا رايت من يتصف بسلوك المنافقين أن أن تصارحه وتحذره من فعله ذلك أن نهايته بشعه تنصحه أن يصلح نفسه فالأمر (بشر المنافقين)

للسلوة صلى الله عليه وسلم أن يندز هؤلاء بما يوقع في النفس اثر الموعظه وهو أمر عاما لكل من يتوجه إليه الخطاب من المسلمين بمصارحه المنافقين حتي يرتدعوا عن النفاق فهو سلوك قبيح

الأمر الثاني

استخدام لفظ البشاره (بشر المنافقين)

وهي تستعمل في الخير في الغالب لأنها من الخبر السار وهي تستعمل في الشر في مثل هذا الموضع لخدمه الهدف من المصارحه لهؤلاء فهي لأجل الآتي

١

انها علي سبيل التهكم والسخرية من النفاق والاستهزاء بهم كما تقول لمن يتمرد ابشر بالنهاية القبيحه لأن هؤلاء يتصورون أنهم اذكيا وان

الأخريين اغبياء فيرون أنفسهم قادرين علي أن يضحكوا عليهم ولهذا ناسب أن تكون المصارحه بأسلوب التهكم حتي لا يتصور أن فعله قد أوقع بالمسلمين ضرر فيتمادي في فعله فكان التهكم افضل وسيله كي يرتدعوا عن النفاق.

٢

إشاره الي شناعه مواقف المنافقون وشؤم مصيرهم وعاقبتهم فهم يبشرون بالعذاب الموجه فجهنم هي البشاره التي فيها العذاب المعد لهم وهو عذاب فظيع فقال تعالي (بأن لهم عذابا اليما) اي موجه وفضيع علي أعمالهم القبيحه

ثانيا

تبين النصوص أفعال المنافقون التي استحقوا معها هذا التهديد الذي يقول الحق لنبيه ولكل مومن بمصارحه المنافقين بأن تخبره فتقول له اجعل موضع بشارتك في العذاب الموجه وهنا تتناول النصوص بيان علامات المنافقون وأفعالهم وأسباب ذلك من خلال الآتي

الحاله الاولى

(الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزه فإن العزه لله جميعا)

الأمر الأول

تبين النصوص اهميه الولاء للمومنين والبراءه من الكفر وأهله ولهذا نجد أن النصوص تبين أن علامات هولاء المنافقون الذين بشرهم بالنار والعذاب الموجه لان قلوبهم متعلقه بحب الكفار ويتخذونهم اصدقاء وأحاب في حين يكرهون المومنين

والايه تتحدث عن المنافقين في المدينه المنوره الذين كان بينهم وبين اليهود موده ومحبه حيث كانوا يجتمعون للتناصر ضد المومنين فقال تعالي (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الي شيطانهم قالوا انا معكم .. الخ

الأمر الثاني

عليك أن تفهم أن هذا الأمر هو حال المنافقون في كل زمان فهم يحبون الكفار ويكرهون المومنون ومن المؤسف اني اكتب هذه السطور اشاهد مجزرة غزه ومذبحه مستشفى الشفاء منظر مولم في الوقت ذاته نري حال القاده العرب والمسلمون في اجتماع الرياض في حاله ضعف يتهافتون علي إرضاء امريكا التي تشجع اليهود علي هذه الجريمه

فتسمع خطابات المداينه للأعداء منهم علي حساب الدين لانهم ينظرون إلي امريكا وإسرائيل انهم أقوياء ولهذا يظهر لهم التودد ولا يابهون لمعاناه اهلنا في غزه فهم يحافظون علي مشاعر أهل الكفر فدل هذا علي بعد الصله بين الحكام وأهل الايمان كما قال تعالي (من دون المومنين) فلفظ (من دون) داله علي بعد الصله بين المنافقون والمومنون

ونحن في الوقت المعاصر نري كم هي المسافه بعبيده بين الرؤساء والملوك والأمراء وبين الشعوب فهم بعيدون عن آمال وطموحات المومنون والصله منقطعه تماما فلا يعبرون عن ارداه الشعوب المسلمة للأسف الشديد ولايبالون بمشاعر الشعوب فكل ما يهتمون به هو إرضاء أهل الكفر

فيقول الحق أن هذا السلوك لاينبغي أن يحصل من المومنين فكيف يتخذ المومن الكفار أولياء من دون المومنين فهذا موقف لايقبله المومن الحقيقي فالمومن كالبنيان في التماسك اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد

ولهذا يأتي الاستفهام الانكاري فقال تعالي (ايبتغون عندهم العزه)

١

تكشف وتفضح حقيقه الذين يتخذون الكفار أولياء من دون المومنين أنهم ينظرون إليهم أنهم أهل قوه ولهذا يسعون الي ارضاءهم

٢

ترسم النصوص صوره قبيحه لحال من يهادن الأعداء علي حساب الدين والمومنون باستفهام انكاري لبيان سوء ظنهم ب الله وضعف رابطه الايمان وانشغال هولاء بالجاه والمصالح الماديه فهم يبيعون عقيدتهم للحفاظ علي مصالحهم التي يتوهمون أن مصادرها بيد البشر فاصل العزه الشده فانت تقول اشتدت علي الظروف فالنصوص ترسم تعلق قلوبهم بالجاه والمصالح والمال والرياسه لضعف اليقين بنصر

الله لعباده المؤمنين وضعف البصيره لدي هولاء فهم ينظرون للأسباب دون النظر للمسبب الذي يقف وراء ذلك

٢

فالايه ترسم لنا هذه الصورة القبيحه لما يدور في أذهان المنافقين وقلوبهم للوصول إلي تكوين الرأي العام الفاضل من خلال تناول مقدمات النفاق وبواعثه علي سبيل التنفير من الأخلاق الرذيلة التي لاتشبه مجتمع المسلمين فيربي القرآن المؤمنين علي علي الولاء وصدق الانتماء وترسيخ مفاهيم الامه الربانيه الواحده فالمؤمنون اخوه ويجب علي كل واحد منهم الاهتمام بأمر إخوانهم في كل بقاع المعموره اينما كانوا لانهم اذا انشغلوا باخوانهم واهتموا بأمرهم لن يستطيع الأعداء تمزيق الامه فنحن نري كيف حالنا اليوم عندما تمزقت صله الايمان التي تربط المؤمنين ببعضهم البعض كيف أن الأعداء سيطروا علي مركز القرار في الامه وتحولت طوائف الشعوب المسلمه الي جماعات وأحزاب متناحرة تخدم مصالح الأعداء ولهذا يبين الحق لنا مقدمات النفاق لنحذر من ذلك فهو يقول لنا قوتكم تكمن بالا رتباط بالله والتناصر علي الحق والاهتمام بالمؤمنين اينما وجدوا فلو حصل لما تمكن منكم الأعداء ولن يتحطم كيان الامه ودولتها وسيبقى جانبكم مهايا ودعوتكم قائمه وشهادتكم علي الأمم حاضره ولهذا فإن عليكم الإنتباه من أن تتخذوا الأعداء أولياء انتهبوا من الاستعلاء بالجاه والسلطان والمال فهذا يولد فيكم الضعف والهون فجاء النص منكرا فعلهم فقال تعالي (ايبتغون عندهم العزه)

اي يطلبون من أهل الكفر القوه والمنعه

ليفرس في الأذهان خبيبه رجاء هولاء فياتي الجواب لجمله الاستفهام (فإن العزه لله جميعا)

جمله تعليل لبيان بطلان رأيهم وخبيبه رجائهم يقول لهم أن العزه كلها لله وحده لاشريك له وحصرها بيده (جميعا)

فهو تعالي يامر المؤمنين بالاستعلاء بالحق فالمومن يستمد قوته وعزته من الله فيقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن العزه والمنعه والقوه بيد الله وهو ينصر أولياءه وان تخللت بعض مواقف الامتحانات التي تريد فيها قله المؤمنين وضعفهم فإن الاستعلاء بالحق يمد المومن بقوه فلا يضعف ولا ينهار أمام العواصف

ولهذا فإن استعمال القرآن اسلوب الاستفهام والجواب يهدف إلي تكوين الرأي العام الفاضل بما ترسم النصوص من صورته في أذهان السامع عن الاستعلاء الذي يستمد منه المومن قوته وعزته وهو الله تعالي والاتصال به فكان هذا الأسلوب لتهييج النفوس علي طلب العزه من الله والإقبال علي عبودية الله والانتظام في صفوف المؤمنين الذين لهم النصر في الدنيا والآخرة فالله يقول (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقون لايعلمون)

وكما ورد في الحديث من انتسب الي تسعه آباء كفار يريد بهم عزا فهو عاشرهم في النار)

وهذا يفرس النفور من التفاخر والاعتزاز بأهل الكفر وان كانوا أجدادك بصله الدم فالإسلام لايمرك ان تتخلي عن الانتساب للوطن أو اسلا فك لكن ليس بهدف الاعتزاز بذلك علي سبيل طلب القوه والمنعه فانت حينذ تخرج من جماعه الايمان وتصنع من هولاء اصناما تعبد من دون صحيح انك غير قادر أن تلغي اتصال اسمك باسم ابيك وحدك ووطنك لكن انتبه أن يكون ذلك سببا تستمد منه القوه فنحن كثيرا ما نشاهد أشخاص كنا نعرفهم بأسماء معينه وفجأة نجد أنه يغير لقبه الي قبيله أو قريه أو وطن أو سلاله لأنه

أصبح لهذه القبيله أو السلاله أو القريه قوه وسلطه ومكانه وجاه فهذا واهم لن يجد العزه بل الذل والهون

وانما مصدر العزه هي من الله فعليك طلبها منه سبحانه وتعالى فقال تعالي (فإن العزه لله جميعا)

فيه ترغيب بمولاه المؤمنين ومعاده الكفار وان الذي ب يتخذ الكفار أولياء دون المؤمنين فهذا يسير في طريق النفاق فالإيمان يقتضي محبه المؤمنين في الله فهو اعز نبيه وعباده فقال تعالي (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين)

الأمر الرابع

أن الايه ورد فيها حصر مصادر العزه جميعها بيده سبحانه وتعالى فقال تعالي (فإن العزه لله جميعا)

وهذا فيه الآتي

المساله الاولى

انها جواب تعليل الاستفهام الانكاري فهي تكشف عن فساد تصور هولاء وانهم واقعون في سوء التقدير للحقائق فهم يتصورن أنهم سوف يجدون القوه والمنعه والقدره من البشر فاتخذوا الكفار أولياء علي حساب الدين والمؤمنون فيقول لهم الحق انتم تطلبون العزه ممن لا

يملكها ولن تجدوا العزة ابدا بالاستعلاء بالباطل وأهله وحتى لو كان لكم قوه وسلطه بالاستعانة باولياءكم من الكفار فهي قوه بلا شرف تجعلك ذليلا خاضعا للأشخاص والمال والرياسه عاجزا عن الانطلاق ثم إنها لاتصمد أمام قوه الله والأزمات التي تعصف بك فأنت لن تستطيع الإفلات من قوه الله ولن تجد من ينصرك

لكن الله يعطي المومنين قوه لايمتلكها احد أنها قوه الاتصال بمصدر العزه بالإيمان ب الله

فالايه تبين خيبه رجاء المنافقون ويطلان دعوتهم فذكرت الايه جمع العزه لله لبيان انه لاينال هذه العزه الا أولياءه سبحانه وتعالى الذين كتب لهم العزه والغلبه في الدنيا والآخرة فعليك الاعتماد علي الله

المساله الثانيه

أن لفظ (جميعا)

فيه تربيته المومنين وعلاج للنفوس من داء التعزز والعز الذي له أصل وفرع في النفس الإنسانية فجاء العلاج متوجها إلي اصل الداء الذي يعالجه يكون استئصال الورم الخبيث من جذوره اغصانه كلها فلا يبقى منه شي

فالله يقول لك ايه القارئ عليك الاياس من جميع المخلوقات أن يكونوا ينفعوا أو يضرروا أو يعطوا أو يمنعوا أو يحيوا أو يموتوا فالزم هذا في قلبك

فعليك ان تعلق علي نفسك باب الطمع وافتح لها باب الاياس من المخلوقات وان تنفرد لذلك اردتك كلها وتعزم علي أن تهب نفسك كلها لله وليس لك في الدنيا الاحاجه واحده هي اتباع مرضاه الله وان تستغني ب الله عن كل ما سواه وان تجعل نفسك أسيرا لطلب مرضاته فأنت مملوك لله فالاسير مملوك لايملك عليك أن ترجع إلي الله وحده بالنزول عند درجه العبودية لله وحده لاشريك له لتنال شرف العبودية ليعزك من بيده العزه فهو اعزك بطاعته واعزك بالخضوع له سبحانه وتعالى فشرfk بعبادته وعندها تنطلق في الحياه متحررا من كافة الضغوطات فهذه هي طريق الوصول إلي مصادر العزه الحقيقيه بالاتصال ب الله

(الحاله الثانيه من أحوال المنافقين)

تمضي سياق النصوص في بيان أفعال المنافقين وأحوالهم ومفاسد الأطماع وتعلق قلوبهم بالمخلوقات في قضاء الحوائج وطلب القوه و المنعه مبينا الضعف الفكري لدي هؤلاء لأن نفوسهم لم تتجرد لله ولم تتحرر من ضغط المصالح والشح ولم ترتفع علي المطامع لم تشعر بطلاقه العز والاع الاستعلاء التي يحسها القلب المملو ب الله وبالتوحيد الخالص أمام الأشخاص والأحداث والأموال والجاه وأصحاب السلطان فيقول تعالي (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)

والايه تتحدث عن ما حصل من المنافقين الذين كانوا يجلسون مع اليهود في مجالس يسئ فيها الي آيات الله بالكفر والاستهزاء فجاء الخطاب بطريق الالتفات الي المنافقين والجمله حال من فاعل (يتخذون)

فذكر المفسرون أن الايه الوراده في سوره الانعام(واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره...الخ نزلت بالنهي عن الجلوس في مجالس المشركين الذين يسخرون من الآيات القرآنية ويكفرون ب قيم الاسلام ومبادئه فالايه مكيه

ثم لما كان اليهود يفعلون ما يفعله المشركون ولهذا تأتي النصوص بالاستنكار من يجلس في مجلس يجحد بآيات الله ويستهزا بها ويسكت عن ذلك

فيقول الحق مخاطبا هؤلاء

الأمر الأول

كيف يكون منكم ذلك وقد سبق انزال الحكم الشرعي بخصوص هذا الأمر فقال تعالي (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم)

وان هنا مخففه اي أن الحكم واضح فاي مسلم يسمع اويعلم أن هذا المجلس مجلس كفر واستهزاء بآيات الله فلا يجلس في المجلس فعليه القيام وعدم السكوت ومغادره المكان اذا كان غير قادر علي علي مجابهه ومواجهه أهل الكفر

يقول الحق كيف يكون منكم التعاطي مع هكذا وضع وتسكتون

فهذا ليس منطق التسامح ولا الدهاء ولا من السياسه المسموح بها

انتبهوا من هذا السلوك فالأمر في غاية الخطوره فالجلوس معهم يعني القبول منكم بهذا الكفر واقرارهم علي كفرهم فالعفو والتسامح له حدود تقف عندها فالذي يفرط بالعفو والصفح والتغاضي في مثل هذه الأحوال يعني الديوته ويتنافي مع الغيره والحميه والعفه فاستخدم العفو والصفح في غير محله ويكون اول خطوه في الهزيمه الفكرية والوقوع تحت سيطره الأعداء من خلال سياسه الترويض الذي يفقد الحميه والغيره ويكون للأعداء الاستيلاء علي مراكز القيادة الفكرية في ديار الإسلام هكذا تسلل الغرب الي عقول المسلمين في الوقت المعاصر حتي اقنعهم الغرب أن التقدم الحقيقي أن نحمل اسماء مسلمه وعقول غريبه فصار المسلمون اليوم رموز للجهل وعنوانا التخلف نتيجته سيطره الغرب علي افكار المسلمين ووجدانهم عندما ابتعدنا عن القران فنحن نقرأ القران ونتباهي بماضي الامه لكن دون أن نرجع لهذا الماضي لقد ادي غياب روح الاسلام والجلوس في المجالس في مقاعد التلاميذ بينما الكفار يجلسون في مقاعد الاستاذ الي امتلئ الشخصية المسلمه بالخرفات وفقدان الغيره علي مبادئ وقيم الاسلام لدرجه انك تسمع من بعض أبناء المسلمين من يقول إن سر سقوط المسلمين عاندا الي الاسلام وأنه غير صالح لهذا الزمان وان فيه التخلف

ولهذا يقول الحق أن الذي يسمع الاساءه للدين وقيم الاسلام ومبادئه أن يدافع عنه ولايسكت عليك الاعتزاز بالانتساب لهذا الدين وأن تنهض فلا تقعد في مقاعد التلاميذ بل عليك أن تكون انت المعلم وهم التلاميذ

الأمر الثاني

يقول الحق عليك أن تقابل آيات الله بالتعظيم والاجلال وان عليك الاصغاء لآيات الله لتكون الآيات القرآنية هي مصدر حركتك في الحياه فهذا القران هو الذي يحقق التقدم وأنه لا مانع من التعامل مع الكفار في المعاملات التجارية وغيرها من العلاقات لكن في إطار الحفاظ علي القيم والمبادئ وان يحترم هؤلاء دينك وعقيدتك ومبادئك فلا تسمح أن يتدخلوا في نظام الحياه وسياده الامه ومبادئه انتبه أن يسيطر هؤلاء علي وجدك فلا تنبهر بما لديهم من علوم ماديه بما يجعلك تقبل اساءتهم لدينك وحضارتك فتقبل الاساءه لمبادئ الاسلام كان يقولوا لك أن التخلف الذي أنت فيه في الجانب المادي أنه يعود إلي الاسلام كما يفعل الغرب اليوم مع المسلمين عندما وقف المسلمون في أماكنهم وسبقتهم امم اخري لا يحملون عقيدته التوحيد حيث وجد الكثيرون هذا التقدم لاهل الكفر المادي ونظروا الي حال المسلمين وهم منغمسون في الجهل والتخلف فأصبح هؤلاء يتباهون بالحضاره الغريبه ويلهثون وراء التقدم الغربي وتقبلوا ما تنقله وسائل الغريبه أن الإسلام سبب تخلف العرب فأصبح الكثيرون يعبدون الانظمه المستبده ويعبدون التقدم المادي

والمسلمون يسمعون المقوله الظالمه ولايعرفون أن سر الانحطاط وتخلف المسلمون يعود بالدرجة الأولى الي ابتعادهم عن روح الاسلام ومنابعه ولهذا يحذر الله عباده من التهاون بالسكوت عن الاساءه لآيات الله والكفر بها وأن عليكم الخروج من الجمود والاستفاده من تجارب الأمم وحضارتها الماديه لكن مع الاعتزاز بدينك فلا تكون العلاقات وطلب الاستفاده من العلوم والتكنولوجيا الماديه بالاتصال بالامم الأخري سببا لقبول اساءه هؤلاء الكفار لدين الله وآياته لأن السكوت منكم يعني مشاركته هؤلاء بالاساءه

والله يغضبه هذه الاساءه لعقيدته التوحيد ولهذا يقول (انكم اذا مثلتم أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)

فانتم مسؤولون عن السمع والقلب والبصر أن لاتسمع الا ما يحب الله فالله يقول (أن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً)

فيجوز التعامل مع الكفار ومجالستهم طالما أنهم لايساون لدينك فقال تعالي (حتي يخوضوا في حديث غيره)

وان السكوت عن الاساءه لآيات الله والكفر بها تجعلكم مثلهم في الكفر اي انتم مجرمون مثلهم

الأمر الثالث

يأتي التعقيب بالتهديد (أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)

وهذا فيه

١

ابتداء بالمنافقين بالجمع مع الكفار في نار جهنم لبيان ان عدواه المنافقين اشد من عدواه الكفار ولهذا ابتداء بهم مثلما قال تعالي في موضع آخر (أن المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) و يغرس في النفوس إن الساكت أقبح من الكافر لأن الأصل أن هذا قد ذاق حلاوة الإيمان واللازم ان يغضب ويسخط اذا سمع الاساءه والكفر لآيات الله

٢

يقول الحق أنه مثلما اجتمعوا في الدنيا علي الكفر والمولاه فاللّٰه يجمعهم في نار جهنم والخلود فيها مثلما اتفقوا في الدنيا واجتمعوا علي عدواه المومنين وتوازروا علي محاربه الاسلام لأن الأرواح واحده اجتمعت علي القذراه في الدنيا كان جمعها في العذاب فقد ورد في الحديث (الأرواح جنود مجنده)

فبينغي أن تكون تحب لله وتغضب لله ولهذا فإن أرواح الكفار تتألف في الدنيا وهي تختلف عن أرواح المومنين وبالتالي فإن الله يجمع أرواح الكفار والمنافقين في مكان واحد وهو جهنم مثلما كانوا في الدنيا يقفون في صف واحد فقد ورد (كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون)

الحاله الثالثه

تذكر النصوص نهايه مولاه الكفار ومعاده المومنين وكيف يكون حال من ينظر إلي الأمور نظره مصالح فهو يمسك بالعصا من الوسط ويتلون بالوان مختلفه تدور مع المصلحه فقال تعالي

(الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين ف الله يحكم بينكم يوم القيامه ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا)

فالايه ترسم مزريه عن تفكير هولاء وقبح ماتكنه أنفسهم من مشاعر قبيحه مذمومه للمسلمين فهم يعبدون المصلحه لاقيم ولا مبادي لديهم

والمراد من هذا الاخبار الإلهي عن طبيعه تعامل هولاء بما ترسمه النصوص من صورته مزريه وما تكشف عما يفكرون فيه وأهدافهم هو التنفير من هذا السلوك ولهذا نجد أن النصوص تبين الآتي

الأمر الأول

تكشف النصوص عن حقيقه مشاعرهم في أعماق أنفسهم من المومنين الذين يظهرون لهم المودده فقال تعالي (الذين يتربصون بكم)

ان هولاء ينتظرون النهايه التي سوف تنتهي إليها الأمور في المعركه بين المومنين والكفار لتحديد موقفهم وفقا لما تاول إليها العواقب

والتريص من الانتظار اي حتي ينجلي الموقف فهم ينتظرون زوال دوله الاسلام وظهور الكفر ودولته فهي امنيه تسكن في أعماق أنفسهم فذكر التريص لبيان شده عدواه المنافقون للمومنين فهم ينتظرون ساعه زوال دوله الاسلام والساعه الذي يلحق بالمومنين الضرر وخطوره المنافقين ولهذا جاءت الايه بعد ذكر الله أنه يجمع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا

وايتداء بالمنافقين لانهم اشد عدواه بينما نجد في الجهاد نجد أن الله يبتدا بذكر الكفار فالله يقول في موضع آخر (يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين)

لأن جهاد الكفار يكون بالسلاح بينما جهاد المنافقين بالكلمه واللسان وهنا الآيات تتحدث عن الجهاد بالكلمه ولهذا ابتدا بذكر المنافقين

الأمر الثاني

يخبرنا الحق أن هولاء يقدسون المصالح ولهذا ينتظرون ما الذي تنتهي إليه المعركه بين الحق والباطل فهم يمسكون بالعصا من الوسط ويسعون ليكون لهم منزله عند الطرفين ولهذا فعندما يحصل النصر والظفر للمسلمين علي الكفار فقال تعالي (فإن لكم فتح من الله)

فإنهم يسارعون الي طلب نصيبهم من الغنيمه والمناصب فيقولون (الم نكن معكم)

اسلوب تودد منهم للمومنون قائلين الم نجاهد معكم ونغزو العدو معا فاعطونا نصيبنا من الغنائم والمناصب

وأنه إذا حصل النصر لاهل الكفر في جوله من الجولات فما الذي يحصل من هولاء لنتمعن فيما يخبرنا الله عن موقف هولاء الذين نراهم في حياتنا اليوميه كثيرا فيكشف لنا الحق سبحانه وتعالى عن موقف هولاء فقال تعالي (وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين)

فهم يقولون لاهل الكفر نريد حصتنا من هذا النصر (الم نستحوذ عليكم)

والاستحوذ تعني الاستيلاء كما قال تعالي في موضع (استحوذ عليهم الشيطان)

فهم يتصنعون للطرفين لأجل أن يحظوا بالنفوذ والمال والرياسة والجاه بعد النصر ويسارعون الي طلب الثمره ويقولون للكفار(ونمنعكم من المومنين)

لقد كنا عوانا لكم في المعركه فقد قمنا بدور في الحرب بنشر التخاذل في صف المومنون فحصل لكم الغلبه فالتصوص تبين إلقاء هولاء الكلام الذي يطلبون فيه المصالح فهم يقولون لقد شاركنا في الحرب معكم فهاتوا نصيبنا

الأمر الثالث

انه بالوقوف علي اسرار مدلولات التعبير عن ظفر ونصر المومنين بأنه فتح من الله بينما جاء التعبير عن ظفر ونصر الكفار بأنه نصيب ولم يعبر عنه بالفتح نجد الآتي

المساله الاولى

تبين لنا النصوص أن نظره هولاء قاصره لاتتجاوز الأطماع والطموحات الخسيسه من الرئاسه والمال والجاه والسلطان ولهذا فإن هولاء لديهم انحطاط من حيث القيم الروحانية ولهذا فإن هولاء ينفصح أمرهم في أي موقف يكون فيه ابتلاء المومنين عندما يتعرضون لهزيمه في جوله من الجولات مثل أحد فإن المنافقين يسارعون الي الاصطفا في جانب أهل الكفر ويعتبرون أن هذه الجوله نهايه المطاف ولهذا قال تعالي (نصيب) ولم يستخدم لفظ فتح في التعبير عن نصر هولاء لأن النصر لاهل الكفر لا يكون مستمرا وانما هو مؤقت لامتحان المومنين ولتمحيص وتميز الصفوف كما أخبرنا الله في سوره ال عمران عن ما حدث في أحد

ولهذا يقول لنا الحق (ف الله يحكم بينكم يوم القيامه)

لبيان ان جماعه الايمان تتعرض للابتلاء والامتحان وانه في هذا الموقف تنكشف لك الكثير من الحقائق وهنا يتفاجأ أهل الإيمان بموقف هولاء المنافقون في مثل هذه المواقف عندما يشاهدون المنافقين ينتقلون الي صف الكفار ويستخدمهم الكفار ادوات التنكيل ؛ المومنين فنحن نعلم تماما كيف يكون مؤلم علي المومن أن يري من كانوا يظهرن الموده لأهل الإيمان وانهم جزء أصيل من الصف المسلم قبل ذلك وعندما يتعرض المومنون لابتلاء ينقلب حال هولاء ويظهرون وجه قبيح وكان قناع كان يغطي هذه الوجوه القبيحه ولهذا يقول الحق عليكم الصبر علي الاذي من هولاء فانتم في امتحان وسوف يحكم الله بين المومنين وبين هولاء الخونه الذين يتسببون بالاذي لكم فلا تحزنوا إن لم يتحقق النصر لكم علي أهل الكفر في حياتكم ف الله يعلم بما في نفوسكم من غيظ علي المنافقين في مثل هذه المواقف يكون في شدته أكثر من الغيظ من أعمال أهل الكفر فعليكم بالصبر فانتم في سفر الي الله فإذا لم يتحقق الفتح ؛ النصر في حياتكم فسوف تشاهدون العدالة الالهيه من هولاء المنافقون يوم القيامه وعليكم أن تثقوا انه حتي لو حصل لكم الوفاء و الموت قبل أن تشاهدوا عقاب هولاء في الدنيا فإن الله تعالي تكفل بنصره أوليائه مهما طال حكم أهل الباطل فلا بد أن ينتصر الحق فسنة الله أنه لا يمكن أهل الكفر علي أهل الإسلام فقال تعالي (ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا)

فلا يه كما قال تعالي (وأما نرينك الذي نعدهم أو نتوفيك)

فالنصر والظفر للمومنين أمر لابد منه ولكن قد يكون في حياتكم أو بعد موتكم فالنصر للفكره ولهذا سمي الحق نصر المومنين فتح تعظيما لنصرهم فهو أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتي ينزل علي أوليائه أما ظفر الكفار فهو سريع الزوال

المساله الثانيه

يقول الحق انتبهوا من أن تودي الهزيمه العسكريه الي الهزيمه الفكرية فيبتسل أهل الكفر الي عقولكم فالعاقبه للمتقين في نهايه المطاف في الدنيا والآخرة ولهذا فعليكم الثقة بوعده أنه سوف يتحقق سوء في حياتكم أو بعد موتكم فإن كان موتكم قبل ان تشاهدوا الفتح فإن الله سوف يريكم النصر والنجاه من النار وسوف تشاهدون مصير المنافقون وهم يدخلون نار جهنم كما قال تعالي في سوره الحديد (يوم تري المومنين والمومنات يسعي نورهم بين أيديهم وبايمانهم بشاركم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلي ولكنكم فتنتم أنفسكم و تربصتم وارتبتم وغرتكم الا ماني حتي جاء أمر الله وغركم بالله الغرور)

فالبشاره التي تنتظركم فيها السعاده الابديه بينما ذكر الله في هذه السوره البشاره المشومه التي تنتظر المنافقون فقال تعالي (بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما)

يقول الحق لا تحزنوا من موقف المنافقين الذين اعتبروا أنفسهم اذكيا لانهم تصنعوا لاهل الكفر لحمايه أنفسهم منهم فهولاء الذين سارعوا للانسحاب من صف المومنون والتحقوا الي صف الكفار سوف يتوسلون لكم يوم القيامه أن تمهلوهم حتي يمشوا في نوركم

حينها لن يجدوا فائده لتوددهم لكم لانهم لم يستفيدوا من حياتهم في الدنيا فلن ينفعهم الصلاه والصيام وولائهم لاهل الكفر فقال تعالي (وتربصتم)

اشاره الي التربص بالمومنين المذكور في هذه الايه فيقول الحق اطمنوا فلا تتأثروا بتربص هؤلاء لكم فالله سوف ينصر دينه واوليائه في الدنيا والاخرة ولهذا يأتي الوعد بانتصار الحق فقال تعالي (ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا)

يقول الحق انه لن يجعل لاهل الكفر طريقا لاستئصال دوله الاسلام فلا بد أن تستمر فكره الايمان ويوجد من يحملها فالله لا يسلط عليهم الأعداء تسلط استئصال ولو نظرت في الحياه فسوف تري كيف أن الله حفظ جماعه الايمان من الاستئصال فنحن نشاهد اليوم كيف أن الصبر علي الابتلاء اتي ثماره في فلسطين التي سعي العالم الغربي للقضاء علي جماعه الايمان من خلال القتل والتشريد والتميع لحركه التحرر وتغيير مسارها حتي ظن العدو أنه لم يعد هناك من يقف في مواجهه الأعداء وفجاه يظهر الله حركات المقاومة الإسلامية تقف في وجه الظالم بإمكانيات متواضعه والعالم الإسلامي يقف مكتوفي الأيدي ولا يحرك ساكنا وهو يملك السلاح والعتاد والأموال ومع ذلك تظهر المقاومه قوه هزت الأعداء واجتمع العالم كله لاستئصالها لكن يااي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

الحاله الرابعه

توضح الآيات واقع المنافقون وتكشف عن حالهم وقدرتهم علي التلون بالوان متعدده وانهم يتقنون فنون التملق ويلبسون اقتنعه تنكريه تخدع الناظر لهم فيتصور أنهم اصدقاء وأحباب وهم في الحقيقة أعداء قلوبهم ملتهبيه بنيران العدواه والكراهية يمشون في الخفاء يترصدون للمومنين بكل طريق ليحولهم عن طريق الاستقامة فقال تعالي

(أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي يروآن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الي هؤلاء ولا الي هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

أنها تهدف إلي تربيته المومنين علي مواجهه الازمات والتحديات والحذر من النفاق وتبين ماهو سلاح المنافقين الذي يستهدفون به دوله لاسلام

جاء فيها اخبار من الله عن واقع المنافقين فقال تعالي

(أن المنافقين يخادعون الله)

والخداع يعني المكر الذي يهدف إلي ايقاع تلبيس امره علي الآخرين اي إيهام غيره بشي يظهره بمظهر جميل ينتزون به

والايه وردت بعد قوله تعالي (ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا)

ولهذا يقول الحق لنا أن للمنافقين أساليب ووسائل للإيقاع بالمومنين في معركه المومنين مع المنافقين تشكل خطراً اذا لم ينتبه المومنون لها لأن هذا العدو غير معروف فهم يلبسون قناع الحق ويريدون به الباطل يصنعون لكل قائم مائلا ولكل باب مفتاحا كي يصلوا الي أغراضهم الباطله

يظهرون الشجاعه وهم من الداخل جنبا يظهرون الصلاح وهم فاسدون يظهرون الايمان ويبطنون الكفر يظهرون الحرص علي مصالح دوله الاسلام في الظاهر وهم في الحقيقة يهدفون من ذلك أن ينقاد لهم الناس لأجل أن يهدموا بنيانها من الداخل خدمه لأعداء المومنون يصنعون التدبير التي تمثل مصيده لدوله الاسلام ليخدعوا بها المسلمين كي يوقعوهم في الهلكه خدمه لاهل الكفار

أنهم يرصدونكم بكل مرصاد ولديهم قدره علي اخفاء حقيقه أعمالهم القدره ولهم قدره علي كسب موده الآخرين من خلال التملق ودغدغه المشاعر التي تجعل لهم في كل قلب شفيع يمنع رؤيه قبائح أفعالهم فهم يتصنعون الاخلاق القادره علي النفوذ الي القلوب

فهذه هي بضعتهن فإذا ملتم عن أهوائهم فإنهم يسارعون الي تشيد اعمده من الخديعه يقومونكم عليها حتي توافقوهم فهذا هو سلاح المنافقين

يقول الحق أن هذا الفن في التلون بالوان مختلفه حسب ماتقضيه المصلحه من المنافقين وحسب المواقف تهدف إلي احكام السيطرة علي الأحداث ليكونوا قادرين علي احداث الخلل في دوله الاسلام وتحقيق مصالحهم والمخططات التي وضعها المنافقون مع الكفار لا

استنصال دوله الاسلام

الأمر الثاني

يقول الحق أن السلاح الذي يكون فيه مواجهه سلاح المكر والخداع الذي يستخدمه المنافقين إنما يكون بالإيمان وطالما انكم متمسكون بالإيمان فعليكم إن تظمنوا وتدركوا أن المعركه مع هولاء ليست مع المومنين وان محاولات هولاء خديعه الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون يظهرون الايمان وقلوبهم كافره هي معركه مع الله سبحانه وتعالى والله قد وعد عباده بأن لايجعل للكفار سلطه استنصال دوله الاسلام فقال تعالى (ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سيلا)

ولهذا فعليكم أن تدركوا أن سلاح الخداع الذي يستخدمه هولاء ليس موجها للمومنين بل هو موجها الي الخالق سبحانه وتعالى لأن معركه المومنين مع المنافقين هي معركه الله تعالى ولهذا فعليكم ايه المومنون الثقة بالله فلن يضركم كيدهم فقال تعالى (أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)

ولهذا فان الله يستدرجهم ويفسد تدبيرهم ويرد كيدهم في نحورهم فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولايحيق المكر السيء إلا بأهله)

الأمر الثالث

تربيه المومنين بما ترسم الايه من صوره فظيحه عن أفعالهم واساليبهم القبيحه فيشاهدونها علي سبيل البغض والكراهية والنفور حيث أن السامع لابد أن يشمئز ويحتقر تفكير وسلوك من يتصور أنه قادر أن يخدع الله

لأن المومن يدرك أن الله لا يخدع فهو يعلم الاسرار وما في الضمائر وان من يظن ذلك إنما هو جاهل ومريض في نفسه وعقله ومن ثم لا بد انك تنظر إلي هولاء نظره احتقار واستصغار لسانهم فلاتقع في مستنقع هولاء ومكائدهم التي يزينونها فلا يكون لاقوالهم اثر في نفسك حتي لايجدون مكانا في قلبك لما يروج له هولاء من بضاعة مثل لحن القول والمدح ليكون لهم موده في قلبك ليخدعوك

فتلك النظره بالاحتقار لهولاء وأفعالهم وما يتصنعون من التملق وإظهار الصلاح تولد النفور منهم

الأمر الرابع

يبين الحق اهميه تشخيص الداء للواقع الذي تعيش فيه فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قام بإعداد التنظيم السياسي الذي يعطي لا فكار دوله الاسلام فاعليه ايجابيه وتأثير في الحياه وان هذا يتطلب متابعه هذا التنظيم ومعرفه الواقع الذي نعيشه إذ أنه لابد أن يتسلل الي الصف المسلم المرضي الذين يشكلون خطراً يهدد التنظيم الذي سوف يحمل امانه الخلافه فالنفاق داء قبيح ومعدي أصحابه ضالون ومضلون يهونون علي الناس طرق السير معهم علي اهوائهم الفاسده ثم بعد أن ينقاد الناس لهم يجعلونها معوجه يصعب تجاوزها فيهلكون

فيقول الحق أن عليكم مراقبه أنفسكم فداء النفاق خطير فمن يصاب بهذا الداء يفقد صاحبه الاحساس فلا يجد الم ولايحس به فهذا الداء خفي فكيف لصاحبه أن يطلب الدواء وهو لايجد الالم ولايحس به فهو في سكر الضلاله فيعتقد أن الاقنعه التي يلبسها في أحواله المختلفه من الدهاء والذكاء

وهو في الحقيقة يخدع نفسه لأنه يسعى لما يعود عليه بالذل والهوان فهذا يدل علي نقص العقل لصاحبه والسخافه لأنه يري المعصيه حسنه ف الله يستدرجه ويتركه في غفلته وسخافته فلا ينزل عليهم القوراع التي توقظهم فلا تفتح عيونهم ويتركهم يمضون في طريق الهلاك فلا يرجعون الي الحق حتي يموتوا وهم في غفلتهم

ثانيا

أن النصوص فيها تعبير عن سنن الله الجاربه في تعامل عباده

معه سبحانه وتعالى فالذين يتعاملون مع أوامره ونواهيه ومع أولياءه ورسله بالخداع فإن نهايه هذا الطريق هو الهلاك والضلال والوبال فيرد كيدهم في نحورهم يعاملهم بنقيض فعلهم فهم يقصدون بالخداع السلامه والنجاه بإظهار الايمان وقلوبهم كافره لهذا يستدرجهم الله فلا يرجعون الي الحق ويفضحهم في الدنيا بان يفضحهم ويخدعهم في الصراط حيث أن الله في بدايه الامر يعيظهم نورا مثل المومنين ثم يطفى نورهم ويبقون في الظلمه وينادون المومنون انظروا نقتبس من نوركم فيكون الرد أن النور يلمس من الدنيا بالإيمان

فهذه سنه الله الجاربه لكل من يسلك طريقهم فعليكم الحذر

ثانيا

يقول الحق أن هولاء اغبياء وحمقاء فيتعاملون مع الله كما يتعاملون مع الناس فيتصورون أنهم قادرون علي تزييف حقيقته ماهم عليه من النفاق علي الله فأخبرنا أنهم يحلفون لله يوم القيامة أنهم كانوا مومنون مثلما يفعلون ذلك في الدنيا مع المومنون لبيان قبح النفاق لتحذير المومنين من ذلك السلوك القبيح

فاللازم عليك الاهتمام بتأديب نفسك في التعامل مع الله بأن تصدق في قولك وفعلك صدق من قد عرف أن الله مطلع علي دخيله امرك وسرك وعلايتك وماطوي عليه ضميرك فعليك تصحيح السرائر واستقامه الاراده وصدق النيه ومفاتشه الهمة ونقاء الضمير من كل ما يكره الله فاجعل أمر الله مهيمنا علي اعمال الجوراح وتفقد أحوال نفسك علي الدوام وابحث عن عقد ضميرها بعنايه منك وشفقه منك عليها مخافه تلفها فيكون حاد النظر إليها بعين نافذه البصر حتي تعرف افات اعمالك وفساد ضميرك فخذ بعنان هواها واكبحها بحكمه الخوف وعليك أن تعرض نفسك بميزان الحق لتعرف موقعك هل انت مومن أو منافق ولهذا يقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن من مظاهر النفاق هو (واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي يروان الناس ولايذكرون الله الا قليلا)

الأمر الأول

(واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي)

فالصلاه بالاصل إنها من وسائل تأديب النفس فيها تجسيد لمعاني المناجاه بين العبد وربيه التي فيها اقامه حق الله بالتعظيم والاجلال به الشعور برقا به الله باظهار الخضوع والاستسلام والخشوع لله فهي تجمع بين حب مناجاه الله وخوفه خوف من قد عرف سطوته وشده نقمته واليم عذابه ومثلته وآثاره ووقائعه بمن خالف امره وعصاه فهي تجمع بين المناجاه والمراقبه بأن تضع قلبك بين يدي الله فتعبده علي السرور به سبحانه وعلي التعظيم له علي الشكر والخوف منه سبحانه وتعالى تستحضر مقام الوقوف بين يدي الله ولهذا يذم الحق سبحانه وتعالى المنافقين لانهم عندما يقومون الي الصلاه التي تعبر عن امتثال العبد لحق الله بأن هولاء

١

لا يقومون إليها بحراره الشوق الي لقاء الله والوقوف بين يده والاتصال به سبحانه وتعالى

٢

ان هولاء قيام هولاء هو خوف الناس فهي صلاه من ذمهم الله فقال تعالي (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون .. الخ والذي يفهم منه أن هذه ليست هي صلاه المومنون (قد أفلح المومنون الذين هم)

(والذين هم علي صلاتهم يحافظون)

٣

أن هولاء يتخلفون عن بقيه الصلوات اذا كانوا وحدهم في غياب الناس فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اثقل الصلوات علي المنافقين صلاه العشاء وصلاته الفجر) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (من احسن الصلاه حين يراه الناس واساءها حين يخلو فتلك استهانه استهان بها ربه)

فمصدر أعمالهم هي رثا الناس التي يقصدون بها أن يراهم الناس فهم يعظمون الناس ويحترمونها ولهذا يتثاقلون في أداءها

الأمر الثاني

يقول لنا الحق أن هولاء لايتعاملون مع الله بالجديه فهم إذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي اي بالتثاقل لان قلوبهم لم تستحضر مقام الوقوف بين يدي الله فلم تسكب الصلاه في نفوسهم الغذاء الروحاني الذي يولد طاقه الشوق الي لقاء الله فلو كان قلبه متصلا ب الله لما احس بمشقه القيام بل يجد اللذه بالوقوف بين يدي الله ويجد الراحة لكن هذا الرغبه له للوقوف بين يدي الله فقلوبهم فارغه من الإيمان

فلا فائده من صلاتهم لأن وصول الأعمال الي الله إنما تكون بقطع القلب المسافه التي بين القلب وربّه فقد روي أن الله سبحانه وتعالى قال ل إبراهيم أتدري لما اتخذتك خليلا قال لا يارب قال لطول قيامك بين يدي فقال العلماء إنما كان قيامه بالقلب وليس بالصلاه وهذا يوافق قوله تعالى (انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أعبد الله كأنك تراه)

وقال حارثه (كأنّي أنظر الي عرش ربي بارزا)

فرد القلب الي الي المراقبه أن يكون ذلك بمراقبه النظر مع تذكر العلم قال تعالى (أنه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)

وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى (ولا يذكرون الله الا قليلا)

فهم لا يقصدون بصلاتهم التقرب من الله ولا يخوفون الله فحركتهم تنظر إلي الناس لا يتذكرون رقا به الله عليهم فهم متعلقون بالناس ولا ينظرون الي مراد الله قلوبهم خاليه من حب الله وخشيته كما ورد في الحديث (تلك هي صلاه المنافقين يجلس يراقب الشمس حتي إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها)

وذكرت بلفظ (قليلا)

لأن الذي لا يقبله الله يكون قليلا وان كثر وان الذي يقبله الله يكون كثيرا والمراد بهذا توهين العلاقه بالمنافقين وكراهيه أفعالهم وإصلاح أحوالهم والحذر من الفتور في ذكر الله

وايضا فيه أنهم لا ينتفعون بالقوراع عند الشده حيث أنهم يذكرون الله وقت الشده لكنهم بمجرد أن ينقذهم الله من الشده يعودون لما كانوا عليه كما قال تعالى (واذا مس دعاء ربه منبيا إليه ثم إذا خوله نعمه منه نسي ما كانوا يدعوا إليه من قبل)

ثالثا

يكشف لنا الحق الحياه التي يحياها من خلا قلبه من ذكر الله الذكر الكامل لترسم صورته اضرار خلو القلب من ذكر الله فقال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلي هولاء ولا الي هولاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)

وهذا فيه :-

الأمر الأول

أن حياته مضطربه لاتقوم علي مبدأ ولا يستقر علي حال عاجز عن اتخاذ القرارات الحاسمة في مواقف مصيريه لانهم حائرون مترددون غير قادرين علي حسم موقفهم فلا هم آمنوا مع المومنين وانتظموا في صفوفهم ولا هم كفروا مع الكفار فانتظموا في صفوفهم لا يملكون الشجاعه علي المواجهه لانهم جنباء مروغون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المنافق كمثل الشاه العائره بين الغنميتين مره الي هذه ومره الي هذه لاتدري ايهما تتبع)

فلا هم مومنين خلص ولا مشركين مصارحين

الأمر الثاني

استعمل الحق سبحانه وتعالى كلمه (مذبذبين بين ذلك)

اي بين الكفر والإيمان بعد أن ذكرت النصوص قبلها (ولا يذكرون الله الا قليلا) وذكر بعد ها (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)

ولهذا فانه للربط بين ما قبلها بما بعدها سوف نتناول معني (مذبذبين) فهي ترسم صورته في الأذهان قبيحه عن اهتزاز نفسيه هولاء واشخاصهم ساعه المواقف المصيريه بأنه حائر مضطرب وغير مستقر مثل المعلق بحبل فالذبذبه والاضطراب والتردد هو موقفه والذبذبه مشتقه من الذب وهو الدفع والطرد وسمي الذباب بهذا الاسم لانه يطرد ثم يعود ثم يطرد ثم يعود... فكذاك المنافق يكون منبوذ من كلا الجانبين ويطرد ولكنه يعود لقدرته

فالنص يرسم خساسه هذه النفس وقدرتها من جهة فهي غير مستعده للطهاره لأنها تحوم حول القذورات ومن جهة ترسم اضطراب

قلوبهم وعدم ثباتها وهذا يفسر لنا الارتباط بما قبلها وما بعدها

ولهذا قال قبلها (ولا يذكرون الله الا قليلا)

فالاصل أن ذكر الله يكون فيه جلاء القلوب من الاوساخ وأنه يحصل به الاستقرار والاطمئنان فالله يقول في موضع آخر (الابذكر الله تطنن القلوب)

فلماذا لم يستقر قلب هذا المذبذب الجواب أن الذكر الذي يحصل به جلاء القلوب هو الذي يكون فيه استحضار الصفات الالهيه وهذا يتطلب الاستعداد والقبول والرغبة في هدايه البيان فإذا حصل هذا فإن سمعه يكون قادرا على سماع الآيات بعد أن كان يعاني من ثقل السمع ويبصر بعد أن كان يعاني من العشوه وضعف البصر وينقاد بعد المعانده أما إذا لم يقبل فإن الحواس الباطنه التي تفحت للمومن تنغلق عند هذا فهو يسمع بالحواس الظاهره وهي ثقيله السمع فيزداد ثقلا ويبصر بحاسه البصر لا حاسه البصيره ولهذا لا يفقه شيئا كما قال تعالى في موضع آخر (ومنهم من يستمع إليك حتي إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا)

فهذا يزداد عمي في عمي أما الأول فإنه يرزق بنور مصباح الهدي نور اليقظه في الاسماع والابصار والافنده والله يقول في موضع آخر (وعلي الله قصد السبيل)

فمن كان مستعدا للهدايه وفق الي الهدايه الخاصه فهم يقطعون الطريق الموصل الي الله والدار الآخرة من الدنيا فشهدوا ماوراء ذلك فكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامه فيه كأنما القيامه كشفت لهم عن الوعود التي وعد الله بها الاخيار والاشرار فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتي كأنهم يرون ما لايري الناس ويسمعون ما لا يسمعون

أما الذي يستغرق أوقاته بالدنيا وملذاتها فهو يعيش في ذبذبت الأهواء والشهوات والرغبات ووساوس الشيطان فيكون ذلك سببا لانغلاق باب الرحمه وصار بدله النقمه ولهذا يقول لك الحق أنه جعل سنن للوصول إلي الفلاح وكذلك جعل للوصول إلي الهلاك والضلال أسبابا فمن سلك طريق الضلال عاقبه الله بالاستدراج في الضلال بحيث لا توجد قوه ترشده الي طريق الصواب فالغويه عقوبه له

والمراد بهذا أن تحاسب نفسك عن كل صغيره وكبيره أمرت به أو نهي الله عنه عليك أن تعرف موقعك من هذه الأحوال لتحذير الوقوع في عقاب الله بالغويه فعليك أن تصلح نفسك قبل فوات الاوان

القسم الرابع من هذا المقطع

(يايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المومنين اتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار إلا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المومنين وسوف يوتي الله المومنين اجرا عظيما

اولا

أن الآيات وردت بالخطاب الإلهي الموجه للمومنين بعد أن بين لهم الحق سبحانه وتعالى الواقع الذي يحيط بهم وما بداخل الصف من فنه منافقه بأسلوب يثير الاشمزاز والاحتقار للمنافقين في نفوس المومنين لترديه المومنين ليكون علي حذر من سلوك المنافقين لما فيه من أضرار جسيمة علي النفس وعلي الجماعه فالقران ينشئ مجتمع مسلم طاهر قادر علي الاضطلاع بالمهمه ولهذا نجد النصوص تبين الآتي

الأمر الأول

التحذير من مساله مولاة الكفار فالايه توجي أن المسلمون كانوا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا علي علاقات بالمشركين نتيجته صله القرابه والدم وكذلك الأنصار لديهم ارتباطات مع اليهود بعلاقات قديمه وكانوا يجدون صعوبه في قطع هذه العلاقه ولهذا نجد أن القرآن يغرس فيهم كراهيه مولاة الأعداء ويرسم لهم صورته قبيحه مذمومه لمثل ذلك السلوك يأمرهم بقطع علاقات المولاة مع الكفار علي حساب الدين فعقيدته الايمان هي الوشيجه الوحيده التي يترابط بها المومنون مع بعضهم البعض وان التفريط بهذه الوشيجه بدايه الضلال والانحراف والتهيه عن الطريق المستقيم

ولهذا يأتي التعقيب بأسلوب الاستفهام الانكاري (اتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)

تحذير من الوقوع في سخط الله أنهم سلكوا طريق المنافقين بمولاة الكفار علي حساب الدين

ولفظ اتريدون لايد أن تودي الي ارتجاف قلوب المومنين خوفا من التعرض لغضب الله وسخطه ونقمته وعذابه فكان اسلوب الحوار الذي فيه التهديد من أن يعرضوا أنفسهم لسخط الله بأفعالهم لبيان اسلوب اهميه غرس الاقتناع في نفوس المخاطبين بالافكار التي تريد خلق المجتمع علي الصورة التي يريدها الله تعالى

واهميه اقامه الحججه بانذار الناس بالبيان الواضح

الأمر الثاني

عليك أن تعلم أن الله قد أقام الحججه في فطره الإنسان فهو يعرف ربه وانما التحذير هنا من المعاصي بقوله (اتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)

هو من كمال عدل الله تعالى أنه لا يعذب قبل اقامه الحججه بالانذار وهذا يكون بما يحمله الرسل من هدايه البيان فمن لم يقبل بها عوقب بالاضلال أما من قبل بها خصه الله بهدايه الرشاد والتوفيق والسادد فناسب هذا التحذير من المعاصي أن يرد بعد ذكر أن من يضل الله محروم من الهدايه الخاصه وأنه لا يجد من يرشده الي طريق الصواب فالله يقول أنه جعل للهدايه الخاصه أسباب من أخذ بها وفقه الله ومن لم يأخذ بها عاقبه الله بالاضلال ولهذا قال تعالى (اتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)

انكم اذا رفضتم أن تقطعوا علاقاتكم بالكفار فقد جعلتم لله عليكم حججه واضحه علي عقوبتكم بالاضلال المحروم من الهدايه لانه قد حذركم واخبركم بما فيها من المفاسد

ثانيا

تستمر النصوص في توجيه النفوس والعقول والضمان المسلمه الي قضيه حصر الولاة بالإيمان وقطع العلاقات مع الكفار فترسم الآيات مصير المنافقين في اليوم الآخر فقال تعالى (أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)

تتضمن أمران

الاول

ترسم اليه الكريمه نهايه من يرفض قطع علاقته بالكفار علي حساب الدين بأن هولاء مكان إقامتهم يوم القيامه في الدرك الاسفل من النار اي من العذاب فهم في اشر الحالات من العقاب فهم تحت سائر الكفار

والدرك كما ورد عن أبي هريرة هي بيوت لها ابواب تطبق عليهم موقد من تحتهم ومن فوقهم وقال ابن مسعود توابيت من نار تطبق عليهم اي مغلفه مغلقه لايهدون الي فتحها

فدل هذا أنهم اشد أهل النار عذابا فالله ذكر في موضع آخر فقال (ويوم تقوم الساعه ادخلوا ال فرعون اشد العذاب)

وقال بشأن المائده (فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه أحد من العالمين) وهنا قال عن المنافقين (في الدرك الاسفل من النار)

فاشد أهل النار عذابا كما ذكر الشنقيطي هم المنافقون وال فرعون ومن يكفر من أصحاب المائده

وهذا لأن المنافقين كفر واستهزوا بآيات الله وزادوا علي أهل الكفر الخديعه للمومنين دون أن يشعروا بهم أما الكفار فهم معروفون للمومنين

ولأنهم تناقلوا عن القيام بواجب الايمان لأن اثقال الماده والأرض أثقلت كاهلهم فهبطوا الي الأرض فالله يقول في موضع آخر (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم ردنااه أسفل سافلين)

فالذي يذوق حلاوه الايمان ثم يتركه فإنه يترك التكريم الذي عرفه بذكر الله ولم ينتفع به فهو يستحق هذا العقاب

الثاني

تبين النصوص خيبه رجاء هولاء فهم اردوا الاستعلاء بالعلاقات مع الكفار ليحصلوا علي القوه والمنعه والقدرة والجاه والسلطان والعزه ولهذا عوقبوا بما فيه الذل والهون وانهم لا يجدون من يدفع عنهم العذاب ولا من ينصرهم يوم القيامه فأراد الحق بهذا تطهير النفوس من مشاعر الاستعلاء بالباطل وبقوه الكفار فيقول لهم انكم لن تجدوها

ثالثا

يأتي بعد هذا الاستثناء من ذلك المصير فقال تعالى

(الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وخلصوا دينهم لله فأولئك مع المومنين وسوف يوتي الله المومنين اجرا عظيما)

الأمر الأول

تبيين النصوص أن النجاه والسلامه من النار والعذاب بيد العباد فباب التوبه مازال مفتوحا بالعوده والايامن والرجوع الي الله نادمين علي ماكان منهم من مولاه الكفار

٢

أن يصلحوا ما أفسدوا بالاجتهاد بالأعمال الصالحة التي تغسل ادران النفاق بأن يلتزموا الصدق والخشوع

٣

الاعتصام بالله ومنهجه والتمسك بكتابه

٤

الاخلاص في جميع أمورهم بأن يتوجه بذلك لله تعالى كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)

الأمر الثاني

ورد ذكر الاعتصام بحبل الله ومنهجه وإخلاص العمل لله تعالى مع أن التوبه والإصلاح تشمل هذا المعني كما ذكر الله في موضع آخر (الذين تابوا واصلحوا)

فما الداعي لذكر الاعتصام بمنهج الله والإخلاص هنا ..

الجواب أن هذا لحاجه المقام للتخلص من موانع الدفع الي المستقبل كون النفاق قد تمكن من نفوس البعض فلا يزيل ماكانوا فيه إلا بالا عتصام بمنهج الله وتصفية القلوب من الرياء بحيث يكون كل عمل لله تعالى وحده لا شريك له

ثالثا

تأتي النصوص مبينه أن ماسبق هي الموهلات للالتحاق بصف المومنين فقال تعالى (فأولئك مع المومنين)

فموهل العضويه أن يكون للعضو اراده حره تريد أن تشترك بها في وضع الاراده تحت اراده الله سبحانه وتعالى وهذا لا يكون إلا إذا كان متحررا من التصورات الفاسده التي تربط العمل بالمصالح متحررا من الانطواء والانكماش في الذات متحررا من الشعارات الكاذبه ولهذا يشترك التائبون الذي يعملون الأعمال الصالحة ويتمسكون بكتاب الله ويخلصون في الأعمال كلها بالتوجه بها الي الله في تجسيد جماعه الايمان والتعبير عنها باراده الايمان التي تسعى إلي تغيير شكل الحياه بما يحقق اراده الله من العباد

فالحق يدعوههم الي ادراك طبيعه عمل الجماعه المومنه بالتوجه الي الله والدار الآخرة وهذا لن يكون إلا بالتخلص من عوامل الجذب الي ماضي الجاهليه وعصبيتها والعلاقات الموده التي كانت بينهم وبين أهل الجاهليه لأن الانضمام الي صف المومنين يتطلب مؤهلات خاصه في مرحله الانتقال الي مرحله التطور التي تتطلب موهلات خاصه فالتحول الي مرحله الدوله تتطلب الإنتباه من مخاطر ماينتأب الامزجه من أفكار حب التسلسل الي مراكز القيادة لجلب المصالح ولهذا نجد أن النفاق لم يكون موجودا في العهد المكي وانما بدأ بالظهور مع نشاه الدوله بالمدينه المنوره

ولهذا يقول الحق أن هذا هو الطريق لتنال العضويه الكامله التي تنظم فيها الي صفوف المومنين في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامه فقال تعالى (وسوف يوتي الله المومنين اجرا عظيما)

ولم يقل (وسوف يوتيهم اجرا عظيما)

لبيان أنهم إذا تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وخلصوا دينهم لله فهؤلاء يصبحون جزء أصيل كامل العضويه في صفوف المومنين ؛ الدنيا والآخرة وايضا اتى بحكم عام حتي لايتوهم البعض أن الحكم اختص بأمر خاص فأراد أن تفهم أن التائب من المنافقين مع المومنين وله ثواب مثل ثوابهم وذكر لفظ (اجرا عظيما)

لبيان ان الجنه ونعيمها درجات في الجنه مثلما أن النار منازل كما جاء الوعيد للمنافقين أنهم في الدرك الاسفل من النار وهنا يأتي وعد

اللَّهُ أَنْ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٍ

القسم الخامس

يَأْتِي اخْتِتامَ هَذَا المَقْطَعِ بقوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)

وهذا بعد ذكر العقاب والمصير الذي ينتظر المنافقين والأجر العظيم الذي ينتظر المومنين تأتي النصوص بالترغيب للناس بالإيمان فجاء الخطاب فيه بيان الآتي

١

(ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم)

(ما) استفهاميه مصدرية للنفي في إطار التعقيب علي ذكر العقاب والثواب يقول لهم الحق سبحانه وتعالى أن الله لا منفعه ولا مصلحه له في تعذيب الناس أن هم شكروا الله علي انعامه وامنوا

يقول لهم أن عليكم أن تفهموا أن الله لا يعذبكم كما يفعل الملوك عندكم عندما يعذبون المخالفون لاوامرهم لأجل التشفي فهذا ليس من صفات الرب وهو محال في حق الله تعالى

وانما التعذيب امر تقتضيه عقيدته الجزء علي كفركم وجحودكم ولهذا فمتي وجد منكم الشكر والايمن انتفي التعذيب

٢

يقول الحق أن التهديد والوعيد وتقريب صورته العذاب في اليوم الآخر للانها ان أجل أن تعودوا الي الشكر والايمن يندركم ويقيم عليكم الحجة ولهذا استعمل لفظ (بعذابكم)

فالباء سببيه متعلقه بيفعل لتفهم إنما يقع عليك العذاب بافعالك فمن آمن وشكر فلا يعذب فالعذاب إنما يكون لمن لم يشكر ولم يؤمن فليس العذاب لمصلحه ولا لمنفعه تعود إلي الله سبحانه وتعالى بل لاستدعاء المكلف والمقصود منها حمل المكلف علي الإيمان والتوبه وا لأعمال الصالحه والاحتراز من العذاب

٣

تقديم الشكر علي الإيمان (أن شكرتم وامنتم)

هذا من بلاغه القران الكريم فهو سبحانه وتعالى يبين أن انعامه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان موجود في الإنسان وفي محيطه فهذا الأمر من أسباب العرفان ب الله الذي يدلك علي وجود الله وجماله وجلاله وعظمته وعطفه وإحسانه وحاجتك له سبحانه وتعالى فلو حصل التفكير في ذلك حصل لك رويه عظمته سبحانه وتعالى عندها تشكر الله شكر مجملا ويحصل الاقتناع الذي يقود الي الإيمان فيحصل الشكر المفصل بعد المجمل فهو مقدمه للإيمان باليقين لأن الشكر هو الخضوع بالقلب وبالتالي استخدم انعام الله في طاعته فقال تعالى بعدها (وكان الله شاكرا عليما)

فهو المعطي الانعام للعباد ولا يطلب منك امر ثقيل فواجب النعم لايساوي شئيا مع عطاء الله ومع ذلك فإن الله تعالى يقول لك انه شاكرا عليما يعطي المخلصين لأجله جزيل الثواب في الدراين فمن ترك شئيا لله أعطاه الله خيرا منه ومع هذا فهو تعالى يعلم النوايا والمقاصد بالأعمال

المقطع الرابع عشر

تتناول آيات هذا المقطع مواضيع مرتبطة بمسأله الشكر والايمن الذي دعا الله إليه الناس في المقطع السابق فقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)

حيث نجد أنها ترسم للمجتمع المسلم الطريق الموصل الي عطاء الله وثوابه والنجاه من العذاب تبين لهم طريق الخير الذي فيه النجاه وطريق الشر الذي يكون فيه الهلاك والضياع..وتبين لهم كيف يكون اصلاح الحالات الاخلاقيه فابتدأت النصوص بذكر كره الله الجهر بالسوء من القول والكلام القبيح وجعل الرخصه لذلك لأحوال محده وأناس محددين وبضوابط متعلقه بأحوال ظلم الناس ثم يوجه الناس الي عمل الخير والترغيب بالعفو عن الانتقام ثم تتناول النصوص معالجه الانحراف في تصور حقيقه الايمان والكفر بالرسول والرسالات ثم تبين سوء الاداب لمن يشترط المعجزات للإيمان كما هو حال بني إسرائيل الذي سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء يلمسوه بأيديهم مبينا جذور هذه الأخلاق القبيحه فيهم انها ليست جديده والعقاب الذي طالهم وأوصاف الراسخون في العلم والايمن الذين يؤمنون دون شروط وان الرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل ومهمته هو الانذار والتيسير فإذا لم يؤمنوا فليس مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم إجبارهم

علي الإيمان وتسليه النبي صلى الله عليه وسلم بأن أن الله يشهد بصدق نبوته والملائكه ثم بين عقوبه الكفار لينتهي المقطع بذكر عالميه رساله الاسلام

القسم الاول

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما أن تبدوا خيرا او تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا)

اولا

ابتدأت الايه الكريمه بجمله خبريه مفادها أن الله تعالى يبغض ويمقت الجهر بالكلام الفاحش القبيح وهذا يشمل جميع الأقوال التي تسوء وتحزن كالشتم والسب والكلام البذي ونحو ذلك من الأقوال التي تظهر عيوب الآخرين وتكشف المستور بعد أن تناولت النصوص قبلها الدعوه الي الشكر والايمن فقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)وهذا فيه الآتي

الامر الاول

أن الأمر متعلق بمسأله تكميل فعل المأمور به في الايه الكريمه قبلها بقوله (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)

فالنهي هنا لأن في الجهر بالسوء ما يخل بالشكر والايمن المأمور به العبد في الايه قبلها فهو يضعفه أو ينقصه لماذا ؟

لان الله تعالى قد انعم علي هذا الإنسان بنعمه الكلام

وشكر الله يكون في استعماله في ما يحب الله ويرضاه فلا يستخدمه فيما يسخط الله ويغضبه

ولهذا نجد أن الحق استعمل صيغه عدم محبته للجهر بالسوء من القول وعدم محبته للشئ كناية عن سخطه لانه

من موانع وقواطع فعل المأمور به وهو الشكر وبالتالي فإن سلب محبه الله عنه يعني أن فعله يودي ضعف المأمور به وهو الشكر وبالتالي تعريض نفسك لعقاب الله

والايه وردت بعد أن ذكرت النصوص أحوال المنافقين من إظهار الايمان واخفاء الكفر للتحذير من سلوكهم كما قال تعالي (ولاتكونوا كالذين أتوا الكتاب فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم .. الخ

وهنا جاء بحكم النهي بالجهر بالسوء من القول وابداء الخير واخفاءه لتأديب المومنون حتي لا يستدلوا بذكور عيوب المنافقين علي استحباب الجهر بالسوء من القول اذا كان حقا علي الاطلاق فأخبرهم الله أن من كمال الأمر بترك سلوك المنافقين الابتعاد عن إظهار المستور من عيوب الناس وأقوالهم المكونه لأن ذلك من أسباب انتشار البغض والكرهية بين أفراد المجتمع وربما تودي الي هضم الحقوق وسفك الدماء ونشائه مجتمع منعدم الثقة فيما بينه وبين حيث يشاع بين الناس فكره النظر إلي الآخرين بسوء نيه وتنتشر الضغائن وتمزق اوصار الاخوه بما فيها من تأثير علي النفوس حيث يصبح المجتمع في حاله عدواه مستمره والريبه والشك ولهذا خص بالنهي الجهر بالسوء فلا يعني هذا أن القول السيئ بالخفاء مباح كالتيميمه والغيبه فهذا أيضا منبوز لكن المسلم اذا راي منكرا في سلوك أخيه فعليه أن يبذل النصيحه له في الخفاء وبعيدها عن الناس لأن أن يفضحه علي الملاء. فهذا لا يحقق غرض النصيحه المأمور بها

الأمر الثاني

أن النهي عن الجهر بالقول السوء هنا كما قلنا مرتبط بالدعوه الي الشكر والايمان حيث النهي هنا بترك الجهر بالكلام القبيح فيه الافضاء الي ما يحبه الله وهو القول الحسن الذي يكون فيه حفظ قوه الايمان وبقائه فالترك لما نهى بسلب حبه ورضاه عن الجهر بالقول القبيح كما يقول تعالي في أكثر من موضع (والله لا يحب الفساد) (أنه لا يحب الكافرين) (أنه لا يحب الظالمين) (أن الله لا يحب الخائنين)

يعني أن الترك من باب الحميه عما يشوش قوه الايمان ويخرجها عن الاعتدال فالمطيع الذي لا يعصي الله بتنفيذ أمر الله بترك المعاصي يحافظ علي قوه الايمان من الضعف فربط النهي بما سبق من باب الحميه للحفاظ علي قوه الايمان لأن الفاحشه داء قاتل للمجتمعات كونها تبدأ بكلمه لا يلقى لها الإنسان بال وهي اذا وجدت بينه قابله لها يتردد صداها في كيان المجتمع اذا وجدت مرعي خصب بالبئيه التي تستقبلها وتفسح لها المجال أن تعمل فإنها تتودي الي التأثير علي المتلقي والسامع وتتولد وتتكاثر بفعل العدواني اذا لم تردع خاصه أن طابع الناس التقليد وبالذات الأطفال الذين يسمعون آباءهم يتلفظون بالالفاظ البذائيه أو الإتياع الذين يسمعون رؤؤساهم مثل المشايخ وأصحاب الواجهات فإن هولاء ينظر إليهم أنهم قدوه وبالتالي تكون قدوه سيئه فهي تترك في النفوس أثرا قبيحا لدي السامع وأقل ضررا لذلك أنه يضعف في النفس استقباحه لما تحمله الكلمه السيئه واستساغته لها نتيجة تكرار تردها الي سمعه ولهذا حرص الإسلام علي تنظيف المجتمع المسلم من هذا الداء الخطير بكل المستويات للحفاظ علي الإيمان الاجتماعي وبناء العلاقات علي الحياء والنقه المتبادله وإحسان الظن ببعضنا البعض فإذا شاهدت خطأ من أخيك فالتمس له العذر أو انصح في الخفاء

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الجهر بالسوء أشد ضررا الاسرار بالسوء لأن ضرره وفساده يفسوا بين الناس ويعم سائر الطبقات الاجتماعيه وايضا فإن ذكر النهي عن الجهر بالسوء بما ترده بلسانك من القبايح جاء بمناسبه بيان أحوال المنافقين في هذا الشأن كما أوضحنا سابقا في (الأمر الأول من هذا) فالنص يهدف إلي حفظ اللسان وان تصونها بالجهر مثلما تفعل بالسر وأكثر فاختزن اللسان من وسائل الوقايه من الهلاك فلسان المومن كما ورد عن علي ابن ط الب رضي الله عنه تابع لاعتقاد المومن لايقول الا ما يعتقد

اي أن يكون ذاكرة لله شاكرًا له سبحانه وتعالى علي الدوام فلا ينشغل بالقبيل والقال بينما المنافق قلبه من وراء لسانه يقول ما ينال به غايته الخبيثة كما فعل راس المنافقين في حادثه الافك فقد أراد نشر الرذيلة في المجتمع المسلم ليهدم كيانه ولهذا ركز الاسلام علي تربيته المومنين علي نشر الخير ف جاء الأمر بتأديب المومنين بأن عليهم اذا اردوا التكلم بكلام أن ينظروا الي ما سوف يتحدثون به ويتدبرونه في نفوسهم فإن كان خيرا ابداءه وان كان شرا وأراه وصمت فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت)

ذلك أن المنافق يتكلم بكل ما اتى علي لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه ولا يدري ابعاد مايقول وآثاره وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لايستقيم ايمان عبد حتي يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتي يستقيم لسانه)

وبالتالي فإن الحق سبحانه وتعالى يأمرك أن تلقاه وانت سليم اللسان من أعراض المومنين ومن الكلام الفاحش فهو يهبط بك ف الله يقول في موضع آخر (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ثانيا

واستثناء من ذلك بأن رخص للمظلوم أن ينتصر لنفسه من الظالم فقال تعالي (الا من ظلم) بأن له أن يدفع عن نفسه الظلم بأن يرد علي من يسبه بالمثل أو يشتكي بمن ظلمه أو يحكي الظلم الذي واقع به لمن يترجي وقوفه معه واسترداد حقوقه فيجوز له أن يشهر بالظالم بحدود ما وقع عليه من ظلم

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

أن عليك أن تفهم أن الحق سبحانه وتعالى لا يحب لعباده أن يسكتوا عن الظلم ولا أن يخضعوا للظالم بل يجب لهم العزه والاباء و الايه الكريمه رسمت متي يكون للمومنين استخدام الكلمه كسلاح مأمور بها وهي أمر يحبه الله تعالي ومتي تكون حقا للمظلوم مع أن الله يحب العفو فقال تعالي (أن تبدوا خيرا او تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا)

وبالتالي فإن الايه تتناول حكم الاقتصاص من الظالم ومقاومته في الأحوال المختلفه المتعلقة بشخص الظالم فمره ترغب بمقاومته ومره ترغب بالعفو وليس كما حاول الكثيرون قصر الآيات علي حاله الظلم الناشئ عن حاله العلاقات بين عامه الناس بعضهم البعض فقط فقالوا إن الايه جاء فيها الرخصه لمن ظلم أن ينتصر لنفسه من الظالم بأن يرد علي من سبه أو اعتدي عليه بالمثل... الخ

وهذا القول صحيح من هذه الزوايه ولكن المعني أعم ويشمل مواجهه الظالمون باختلاف قدراتهم كما

أن الايه وردت بمناسبة تناول بيان أحوال المنافقون وتربصهم بدوله الاسلام بأنهم لا يحافظون علي نظام الالفه واجتماع فهم يسعون للشقاق وهدم نظام الجماعه باراده نيل حقا باطلا وشهوه وقتنيه فذكر الحق أن فعلهم ذلك يودي الي الشقاء الابدي ف جاء التحذير للمومنين من استغلال المنافقون ائقال نظام الالفه والاجتماع وائقال أداء حقوق الجماعه ومشقه تكاليف الحق من بذل الصدقات للفقراء جهرا أو خفاء وغيرها من الأمور وطاعه ولي الأمر وقمع الأهواء والاراء المعارضه للقياده يقول الحق أن التقدم لا يحصل الا بوجود قياده تقود التقدم وتدفع تياره قياده في جوهرها جهد سياسي منضبط ومنظم تنطلق من عقيدته التوحيد توكب سرعه التطور وتحافظ علي ثوابت الامه وعقيدهتها وهو ما يتطلب وحده الصف فلا يجوز الخروج عن نظام الجماعه لمخالفه الحاكم رايبك ف الرأي منك يكون مصدر الفرقة والشقاق ويصبح المجتمع محاط بالعدوات ويصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضه للشرور والسوء وتفسد حال المعيشه كما نري من صراع الأحزاب السلطه والمعارضة حيث تنشغل المعارضة

بعبوب السلطه لغرض شق الصف كما هو حال المنافقون المتربصون بدوله الايمان ..ولهذا ينهي عن مثل هذه المعارضه فالله قد شنع السنه الباطل المحاربه بالكلمه الخبيثه موقوفهم فقال تعالي في حق المنافقين (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينه لتغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا)

واعتبر الحق أن كلمه الباطل توقع العبد في شر أعماله (أن العبد ليتكلم بالكلمه من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم)

فالتكتل الفئوي والسياسي والتمسك بالرأي الذي يشق وحده الامه يبغضه الله فما يقوله هؤلاء كلمه خبيثه كما قال تعالي (ومثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق الارض ومالها من قرار)

أما في حاله وجود سلطان جائر فإن مقاومته واجب علي المومنين فلا يقبلوا بظلمه فالكلمه سلاح فعال في مثل هذه الحاله لإثبات الحق ودرء الباطل فأفضل الجهاد كلمه حق في وجه سلطان جائر والله يقول (ومثل كلمه طيبه كشجره طيبه أصلها ثابت.. الخ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اذكروا الفاسد بما فيه كي يحذر الناس)

فالله لا يحب اظهار القبائح الا في حق من عظم ضرره وكثر شره

ولهذا يأتي التعقيب (وكان الله سميعا عليما)

فعليك مراقبه الله لايفوته شي من قول ولا يعزب عن علمه البواعث التي أدت إليه فالله لا يخفي عليه شي فلا تستغلوا الرخصه لمواجهه الظالم ومقاومته لأغراض شخصية والسعي الي كسب الامتيازات والمصالح أو حب الرئاسة

الأمر الثاني

أن الايه أيضا تتناول مقاومه الظلم وازاله ماوقع عليه من ظلم بأن يجهر بالشكوي شارحا ماوقع به من ظلم للحاكم اوغيره ممن يترجي أن يساعده في ازاله الظلم فلا حرج عليه والرخصه هنا لاجتماع مفاستاتان مفسده الجهر بالسوء من القول ومفسده الظلم الذي يتعرض له وهو مدعاه التمادي وهو يكون مقدمه لهلاك الأمم فكان الجهر بالسوء اخف الضررين فكان إجارتها للضروره والتي تقدر بقدرها فلايجوز للمظلوم التجاوز في النصفه من الظالم فالله يقول في موضع آخر (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم)

وقال تعالي (ولمن انتصر بعد ظلمه .. الخ

وأجازه الحق للمظلوم بالانتصار من الظالم مراعاة للنفس وما فيها من بواعث حيث ذكر أن الصحابة كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا كان منهم العفو ولهذا جاء الإسلام بتنميه هذه المشاعر الطيبة فالعفو لا يكون إلا عند المقدره وايضا فإن الخالق سبحانه وتعالى يقدر البواعث التي في النفس ولهذا قال في موضع آخر (وجزه سيئه سيئه مثلها فمن عفا واصلح فاجره علي الله أنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل إنما السبيل علي الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر فإن ذلك لمن عزم الأمور)

فالحق يأمر المومنين بمقاومه الظلم طالما أنهم قادرين علي ذلك والافضل العفو وان يكون ذلك بقدر ما وقع عليك من ظلم فلا تتجاوز الي الاعتداء فعليك مراقبه الله فهو يسمع الأقوال ويعلم الأعمال ولكن إذا لم يكن في مقدروه رد الظلم فعليه بالصبر وهذا يحتاج الي العزيمه

ثالثا

أن مساله اقامه العدل في الارض ورفع الظلم عن المظلومين هو جوهر الخلافه علي الارض والتي يقتضي القيام بها ازاله ازاله الجهل والظلم ولهذا فان الامر بالشكر والايمن يعني اقامه العدل وكل مسلم مطلوب منه رفع معاناه والألم التي يعاني منها البشر دون استثناء فكيف للمسلم أن يقبل بالظلم وفي مقدوره دفعه ولهذا قال تعالى (الا من ظلم) فاجاز له أن يجهر بمظلمته واللازم علي المسلمين نصرته في هذا الموقف لانه موقف خير ف الله سبحانه وتعالى قد اوضح متي يكون التناجي فيه خير فقال (لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقه... الخ

ومساله رفع الظلم عن المظلومين من أهم ما يجب عليك أن تلي النداء لها فهي من اوجه الخير ف الله يقول في موضع آخر (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ولهذا يقول الحق (أن تبدوا خيرا او تخفوه)

اي أن الوقوف في وجه الظالم باحواله بالجهر اذا كان ممكن أو بالخفاء هو من اوجه الخير المأمور بها حسب الأحوال التي تتطلب منك استخدام الأسلوب الانفع في رفع الظلم عن المظلومين فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايسلمه ومن كان في حاجه أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربه يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)

فظلم المسلم حرام واللازم نصرته فقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لايسلمه) تعني أن المسلم لايتترك أخيه مع من يوذيه ولافيما يوذيه بل ينصره ويدفع عنه وهذا أخص من ترك الظلم وهو يكون احيانا واجبا وحيانا مستحب باختلاف أحواله فقد ورد عن أبي هريره (بحسب أمر من الشر أن يحقر أخاه المسلم)

ولهذا قرن بين النهي عن الجهر بالسوء من القول وبين جواز ذلك عن وجود الظلم

لأن الستر من أسباب الاجتماع وحسن التعايش والالفه في المجتمع فإذا رأيت أخيك في شي قبيح فلا تظهره علي الناس لكن إذا كان فعله قد ادي الي ضرر بغيره فلا بد من الوقوف بوجه المنكر ونصره المظلوم فلا بد أن تحسن استعمال الستر في محله فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (انصر أخاك ظالما أو مظلوم فقالوا يارسول الله هذا نصر المظلوم فكيف نصره ظالما فقال تأخذ فوق يده)

فكفي عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكن بالقول وعبر بالفوقيه اشاره الي الأخذ بالاستعلاء والقوه والنصر عند العرب الاعانه فاللازم منعه من الظلم والرسول صلي الله عليه وسلم يقول اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)

قال ابن الجوزي الظلم يشمل علي أمرين الأول أخذ مال الغير بدون وجه حق

والثاني مبارزه الله بالمخالفة لانه لايقع غالب الا علي ضعيف الذي لايقدر علي الانتصار من الظالم ولهذا جاء التعقيب (وكان الله سميعا عليما)

فهو يسمع الأقوال ويعلم النوايا لتحذير المخاطبين من اساءه استخدام مظلمه المظلوم لأهداف سياسية ونحوه مثل ارداه تمزيق كيان الامه أو نشر الفوضى فجاء بعدها بقوله (أن تبدوا خيرا او تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

يدعوا الحق سبحانه وتعالى المخاطبين الي الفاعليه

الإيجابية في الحركة والابتعاد عن السلبيه في كل أحوالهم وأنه لا يكتفي بترك المنهيات بل اللازم عمل الخيرات فهذا هو المأمور به فهو فيه الحياه المطلوبة للعبد فقال تعالي (أن تبدوا خيرا أو تخفوه)

تشمل كل خير قولي وفعلي ظاهرا وباطن من واجب ومستحب فأنت ايه المومن مأمور بإيصال الخير لكل الناس فأراد بهذا تربيته النفس علي فعل الخيرات وبعد ذلك تأتي النصوص مبينه اهميه ان ترتفع عن الرغبه في الانتقام (أو تعفوا عن سوء)

فإن الله يجازي العباد علي الأعمال فمن عفا الله عنه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بكر (ما من عبد ظلم مظلمه فعفا عنها إلا اعزه الله بها ونصره)

وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يدني من المومن فيضع عليه كتفه ويستره فيقول تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب حتي قرره بذنوبه وراي في نفسه أنه هلك فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك يوم القيامه فيعطي كتاب حسناته وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علي ربهم الا لعنه الله علي الظالمين)

الأمر الثاني

تبين النصوص أن مواضع الخير مع كثرتها محصوره في أمرين هما الصدق مع الخالق فقال تعالي (وكان الله سميعا عليما)

والخلق مع الخلق ولهذا فإن اصلاح الحالات الاخلاقيه تكون من خلال اخلاق الخير وترك الشر وقد أخبرنا الله عن ترك الشر (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) أما اخلاق الخير فلها صورتان الاولي إيصال الخير والنفع للناس بتقديم العون والمساعده للآخرين باي طريق كان من المؤسسه بالمال والعلم والجاه

والصوره الثانيه أن يرفع عنه الظلم بالظاهر وبالخفاء وان يدفع الضرر عنه

(أو تعفوا عن سوء)

ولهذا فإن العفو عن المذنب إنما يهدف إلي إيصال الخير له مع أنه يستحق العقوبه فكان العفو بمثابة إيصال الخير إليه

ولهذا أجاز الحق سبحانه وتعالى الجهر بالسوء لمن ظلم عقوبه للظالم وتحقيق العدل بقدره دون تجاوز في رد الظلم وفي نفس الوقت يحث علي العفو لكن بشرط أن تكون قادرا علي الاقتصاص من الظالم فقال تعالي (وكان الله عفوا قديرا)

فالذي لايقدر علي الانتصار من الظالم كان يكون هذا الظالم له نفوذ تمنع أخذ المظلوم حقه فإن سكوت المظلوم وعفوه لايسمي عفوا ولهذا قرن الحق بين العفو والقدره فالحق لايمرنا بترك مقاومه الشر وعدم معاقبه الاشرار في كل الأحوال وانما يرشدنا الي العفو في حال أن يكون هذا العفو انفع للمذنب في صلاحه وتوبته فلم يأمرنا به العفو الاعمي بل نتبع موضع الخير الحقيقي هل هو في العفو ام في العقاب ثم نحكم بما يوافق المقام ولهذا جاء ذكر العفو في مقام الحث علي الخير الذي يلزم المومنون بالانتصار للمظلوم من الظالم باعتبار أن انزال العقاب علي الظالم من أوجه الخير فيه صلاح المجتمع والمذنب ومن وقع عليه الظلم وان العفو يكون أيضا أمر مرغوب به إذا كان سوف يوذي الي اصلاح المذنب وهذا العفو في حاله وجود القدره علي تنفيذ العقوبه من الظالم فقال تعالي (وكان الله عفوا قديرا)

فالله يعفوا عن المذنبين مع قدرته علي الانتقام فعليكم التخلق بخلق الله

يحث الحق سبحانه وتعالى عباده علي الفاعليه الإيجابية بالقيام بالخير ات فقال تعالى (أن تبدوا خيرا او تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا)

ولهذا نجد أن الابه وردت في إطار اعاده تشكيل العقول وبناء التصور الإسلامي في أذهان الجماعه الاسلاميه التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة واعاده صياغه وجدان الجماعه بغرس هذا التصور في ضمير الجماعه ووجدانها واعاده ترتيب أوضاعها وخلقها علي صورته التي يريدنا الله تعالى وإخراجها من السلبيه القاتله التي كانت تعيش فيها فقد التقطها الاسلام من برائين التخلف والجهل ليرتقي بها إلي قمه مستويات التطور والراقي الذي يجعلها اهلا لقياده العالم بتغيير أنماط الحياه والتحول من السلبيه القاتله للحركه والجمود الي الفاعليه الإيجابية من خلال استخدام القران في اعاده ترتيب أحوالهم وتشكيل العقول والقلوب ليكون التغيير الإيجابي في سلوك المجتمع المسلم ليكون قادرا علي التفاعل الإيجابي في علاقاته و تعامله مع الآخرين من حوله سواء كانوا أفرادا أو حكام أو محكومين باستعمال ملكات العدل والإحسان في محلها بهدف نشر الخير بحيث تكون حركته لها فاعليه ايجابية تعمل علي تحويل المعتقدات الي حقيقه واقعيه في الحياه بالتوجه نحو هدف عمل الخيرات ولهذا نجد أن النصوص تتناول الآتي

١

ترسم للمومنين المنهج الرباني الذي يكون الارتقاء بالجماعه بأن ذلك يكون بالحرص علي فعل ما يحب الله ويرضاه فلفظ (لايحب الله الجهر بالسوء من القول)

لا بد أنه يحدث اهتزاز النفوس وتقشعر الجلود من المخالفه لمراد الله خاصه وأنها جاءت بمناسبه بيان خطوره السلبيه القاتله وأنها اكبر ما يهدد الأمم والافراد التي ذكر أنها سبب العذاب للفرد والجماعه لأن الفرد يهبط من الآفاق الانسانيه العليا الي صورته من المعيشه الغرائزيه فهو يعيش ليأكل ويتزوج ليجنب مثل الحيوانات فقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وامنتم...الخ

فيخبرهم الله أن الخلاص يكمن بالاتصال بالله وذكره علي الدوام والوسيلة لذلك معرفه ما يحب الله وما يكره من خلال الوحي المنزل علي رسله

٢

أن الآيات تهدف إلي تخليص ضمير الجماعه الاسلاميه وعقلها من اسر وضغوطات رواسب الفكر الجاهلي والبيئه التي التقطها الاسلام منها حيث أن الجماعه نشأت في بيئه سلبيه الفاعليه أصابت الطاقه البشريه بالشلل العقلي للإنسان لضيق أفق العقليه الجاهليه وعصبيتها التي تفرق بين قبيله واخري وبين الافخاذ فتحصر الارتباط في نطاق الولاء للقبيله واهتماماته لايتجاوزها والشلل النفسي الناجم عن حصر الارده في الغرائز

ونظرا لأن العربي كان محكوم بتلك الظروف

فالبينه التي نشاء يسودها الرغبه في الانتقام من كل من يسئ إليه ايان كانت هذه الاساءه ولهذا نجد أن الاشعار و المعلقات الشعريه كانت تحكي واقع هولاء حيث أنهم كانوا لايتحرجون من الكلام البذي وعلي نحو يستحي عاقل أن يسمع مثل ذلك القول من الوصف البذي لعلاقه أحدهم مع امراته لم يكن يري في الهجاء عيبا فكل واحد منهما يهجوا الآخر بأبشع الأقوال الفظيحه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يدعوا هولاء الي وزن الكلام يخبرهم أن عليهم أن يعرفوا أنفسهم أنهم قدوه فيامرهم بالكف عن تلك العادات القبيحه

وكذلك كانوا يتباهون بالانتقام ولايكتفي العربي بالانتقام الذي يرد له مظلمته برد العدوان بمثله بل يتباهي بـ

التنكيل بعدواه أن تمكن منه بما يفوق ماوقع عليه أضعاف مضاعفه ولايتورعون عن ارتكاب الظلم بل يدعون إليه
فالشاعر الجاهلي يقول ومن لم يذود عن حوضه بسلاحه يهدم....ومن لم يظلم الناس يظلم فهم لايعرفون الدول
ولا النظام ولا احترام القانون ولا يخضعون الا لرؤساء قبائلهم فجاء الاسلام يرتقي بهم من الجاهليه البغيضه

٣

ولما كانت العادات والتقاليد الموروثة لا تتغير بسهولة ويصعب الخروج منها والتغيير يبدأ بحاله فرديه سرعان ما
تصطدام بذهنيه الجماعه والتغيير للعاده يتطلب اجيال متعاقبه احيانا فكان لابد من تشريعات تحدد مافيهما من
سلبيات وتطرح البدائل بأسلوب قادر علي تقويه هذه البدائل علي إحداث التغيير ولهذا نجد أن الحق سبحانه
وتعالى يستخدم الترهيب بالتحذير من العذاب لمن يجحد نعمه الله والتي منها نعمه الكلام فلا يحب الله أن
تخوض في الكلام البذي والقبيح وايضا يحفزهم بترك هذه العادات من خلال بيان أنه يجازي الشاكر بالشكر فقال
تعالى (وكان الله شاكرًا عليما)

يقول لهم انكم القدوه الصالحه للانسانيه كلها ولهذا عليكم أن تحافظوا علي أن تكونوا قدوه صالحه فلا ينبغي أن
يسمع الآخرون منكم ألفاظا قبيحه مذمومه فابتعدوا عن الهجاء الذي اعتادتتم عليه في بيئه الجاهليه وعليكم وزن
الكلام قبل قوله

فقال تعالى (لايحب الله الجهر بالسوء من القول)

ليغرس في نفوسهم الطموح بالوصول الي حب الله ونيل رضاه

٢

يقول لهم أنهم دفعه الانسانيه نحو الأمام فكيف يدفعون غيرهم اذا فقدوا هم مقومات القدوه الصالحه فلا بد من
وزن الكلام قبل الحديث به

ولهذا فإن عليكم الانتظام في صفوف الجماعه والتزام القوانين التي تحكم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم فلا
تتهرب من الأعباء التي تقتضيها مساله الاجتماع فأنت عليك أن تشارك في الخلاص للامه والخروج من برائين
التخلف ولهذا نجد أن النصوص تهدف إلي غرس الاقتناع بالمشروع الذي جاء به الإسلام ليكون هدفا تتصل به الا
رداه اختياريًا وارتباطها بالمجتمع المسلم أفراد وحكاما ارتباطا عضويا فلم تفرض عليهم بالقوه فجاءت النصوص
مبينه اهميه استخدام ملكات العدل في محله فهو الاساس الذي تقوم عليه الدوله ليكون هذا هدفا يسعون إليه
تمهيدا لتحويل هذه الارداه من ارداه الفرد الي اراده للجماعه كلها ليكون خضوع الجميع للدستور وللسلطه طالما
أقامت العدل فهذه الأهداف مرتبطه بارادتها ومعبره عنها تري فيها مصلحتها فقال تعالى (الا من ظلم)

فالحاكم مكلف وعليه يقع رد المظالم وإنصاف المظلوم ولهذا يكون للمظلوم الجهر بشكواه للحاكم لانصافه فلم
يسمح له بالانتقام بأن يأخذ حقه بيده كما كان الحال بالجاهليه بل يشكو مظلمته للحاكم وايضا أوجب الطاعه
للحاكم طالما أقام فيهم حكم الله فيهم وهو العدل فإذا خالف هذا المبدأ فإنه يكون مقاومته بقول الحق بوجهه ف
اللازم أن تكون اراده الشعب والحاكم منسجمه وهي تحقيق العدل وازاله الظلم عن المظلومين فمسؤوليه المسلم
هي رفع المعاناه عن المظلومين بغض النظر عن اديانهم ولهذا تخضع لاراده القياده السياسيه لأنها تعبر عن اردتهم
باقامه منهج الله ونشر الخير

٤

تبين النصوص أن فاعليه المسلم الإيجابية تكمن في إيصال الخير والنفع للناس كلهم ولهذا فحركه المسلم تهدف
لتحطيم السدود أمام دين الله لأجل الحفاظ علي حيويه هذا الدين وتحقيق أهدافه ولهذا تأتي النصوص مبينه أن

عليك العفو عن الضرر الذي لحق بك من الآخرين عند المقدره اذا كان في محله الذي يهدف إلي إيصال الخير للناس فإن هذا مأمور به وهو يفضي الي الخيرات مثلما أن المنهيات شرور وتفضي الي الشرور فكان النهي عنها وبالتالي فعليكم الموازنه بين ذلك بالنظر هل الانتقام من المذنب يحقق الغرض منه في القضاء على الشر ونشر الخير ولهذا يكون النظر إلي أحوال العفو هل يحقق الخير والصلاح ام أنه يودي الي زياده الشر في حياه المذنب

فكون حريصا علي اختيار ما يودي الي الخير فلا يفوتك هذا الخير لأن فواته يعني انتشار الشر وانت مأمور بفعل الخير ولهذا يقول لك الحق أن الخير بيده ويدخل في اسماءه وصفاته فقال تعالي (وكان الله عفوا قديرا) أما الشر فلا يدخل لا في اسماءه ولا صفاته ولا في أفعاله وانما هو متعلق بمفعولاته كما ذكر ابن القيم رحمه الله عليه فعليك أن تتخلق بأخلاق الله فهو يتجاوز عن عباده ويعفو عنهم مع قدرته علي معاقبتهم

ثالثا

ولما كانت الايه السابقه قد تضمنت اهميه بيان دور المسلم ورسمت حركته في الحياه أنها ذات فاعليه ايجابيه وان حمل أعباء الانسانيه يقوم علي اساس التوجه بالخير للبشرية كلها ابتغاء مرضاة الله ففي ذلك الحفاظ علي طاقه العقل البشري الذي كرم الله به الإنسان والحفاظ علي طاقه النفس من الاصابه بالشلل نتيجته ضيق الأفق للعقل وقتل العزائم اذا عاش الإنسان لنفسه أو أسرته وقبيلته فقط ولهذا فإن هذا الشلل يعود إلي فساد العلم وفساد القصد ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يعطينا نموذجين في إطار تناول قاعده الشكر لله والإيمان به الاول هم النموذج الذي تلتمس جذور النزعه السلبيه التي كونت شخصيته فحصل لها انخلاعا عن جماعه الايمان رغم أنهم كانوا يحملون المشروع الرباني لفترات طويله فقال تعالي (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)

والنموذج الثاني هو الذي تلتمس جذور النزعه الايجابيه في تكوين الشخصية المومنه حين تتعرف علي مدي إيمانه وكيف أن هذه العقيدته ايجابيه في تدعيم الشخصيه من اول الطريق في حركتها الايجابيه التي تهدف إلي إيصال الخير والنفع للبشرية كلها

فقال تعالي (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يوتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيفا)

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تتحدث عن الآتي

المبحث الأول

أن هنالك مدرستان مدرسه الخير وهي التي ينتمي إليها المومنون وهي مدرسه متصله بموكب المومنون الممتده من ادم الي نوح والمومنون به وصالح وشعيب وإبراهيم ويعقوب وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسي ..وعيسي وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالتسلل بينهم يقوم علي أبواه المنهج بالعمل وفق مراد الله وهؤلاء يطلق عليهم المومنون فهم ينتسبون الي مدرسه الايمان (الخير) لأنها تنطلق من مراد الله

وان المدرسه الثانيه فهي مدرسه الشر وأنصارها كل من رفض القبول بالالتحاق بجماعه المومنين ورفض أتباع الرسل والأنبياء ورفضت المنهج الذي يحقق مراد الله علي الارض فهؤلاء ينتسبون الي مدرسه الشر وموسسها الشيطان الذي رفض القبول بأمر الله تكبرا والانونيه فقال أنا خير منه ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الأمر الأول

ابتدأت الايه بالاشاره الي أن اليهود والنصارى كفروا ب الله ورسله لأنهم رفضوا الالتحاق بجماعه المومنين فهم برغم أنهم آمنوا بموسي والتوراه اي اليهود لكنهم كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران وكذلك كفروا بعيسي والإنجيل وكذلك فإن السامره وهي فرقه من اليهود لايومنون بنبي بعد يوشع خليفه لموسي والنصارى آمنوا بعيسي والإنجيل وكفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران

فيقول لنا الحق أن هولاء قد كفروا ب الله وبجميع الرسل فقال تعالي (أن الذين يكفرون ب الله ورسله)

لأنهم رفضوا الالتحاق بجماعه المومنين ومنهج الاسلام الذي فيه تحقيق مراد الله فسامهم كفارا والكفر نوعان الحاد بالكفر ب الله ورسله وكتبه وقسم يزعم الايمان ب الله وبعض الرسل دون بعض ويقولون إن ذلك هو الطريق المستقيم وسبيل النجاه فيقول لنا أن هولاء غير مومنين وهم الكافرون حقا لماذا ؟

١

لأن هولاء لديهم نزعه ابليسسه فقد جمعوا بين فساد الاعتقاد وفساد الارداه فمن جهه فهم رفضوا الإزعان لأمر الله الذي أمرهم به في التوراه و الانجيل باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يتحولوا في قراءه مراد الله الي القران الكريم لكنهم اردوا استمرار العمل بالتوراه والإنجيل التي تم تعطيل العمل بهما بمجي الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمهم أن هذا الأمر لم يعود مشروع وبالتالي فهم يعارضون ارداه الله واختياره

وبالتالي فإن جذور هذا الفساد فيهم تعود إلي الحسد لأن الرسول الخاتم لم يكن من بني إسرائيل

دفعهم الي رفض اختيار الله وهذا يشبه فعل ابليس فهو لم يكفر ب الله ولكنه اعترض علي أمر الله بتفضيل ادم حسدا وبالتالي فإن هذا هو منهج ابليس وكل من سلك طريقه فهو من أتباعه

٢

أن ايمان مثل هولاء لايعتد به لأنه لم يقصد بعمله والأخذ بالكتاب التوراه و الانجيل والايمان بموسي وعيسي وجه الله وانما غرضه هو الهوي والعصبيه للجنس فايما انه اذا يهدف للحصول علي غرض دنيوي فقال تعالي (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله)

ومعني هذا أنه لم يتحقق شرط الايمان الناتج عن العلم بالاستسلام والخضوع الكلي لارداه الله اختياريا ولذلك قال تعالي (ويريدون) لبيان فساد اردتهم فهم يريدون تطويع مراد الله لرغباتهم وما يشتهون ولذلك أخبرنا بقولهم (ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض)

فهذا القول معبر عن كفر هولاء وعدم التزامهم بأمر الله فقد كان إيمانهم الفاسد ناتج عن ارداه العلو في الأرض و المصالح وهي الهه خلقتها الأهواء ولهذا كانت حركتهم سلبيه ضيقه الأفق فظنوا أنهم بهذا الرفض لمراد الله سلكوا طريقا حسنا فقال تعالي (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا)

٣

يقول الحق أن كفر هولاء محقق لامحاله فقال تعالي (اولئك هم الكافرون حقا)

وبالتالي لاعبره في تشدق ايمان هولاء ب الله وبموسي وبالتوراه وبعيسي والإنجيل لماذا لأن هولاء جحود نعمه

الكتاب الذي بين أيديهم فلو كانوا مومنين وشاكرين لله علي نعمة العلم لامنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم لكونه رسول الله وهم يعلمون بذلك فالإيمان بموسي وعيسي يوجب الايمان بنظره وبمن هو أوضح دليلا واقوي برهانا أو نظروا حق النظر في نبوته فهو معلوم لهم لكنهم اعراضوا عنه واقبلوا علي حطام الدنيا وحب الرئاسة و السلطان فقد كفروا به بعد علمهم ولهذا فقد اعد الله لهم و جهز العذاب المهين فالجزء من جنس العمل لانهم كفروا بالرسول استكبارا فقال تعالي (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)

ولم يقل (واعتدنا لهم) فجاء بالاظهار في موضع الاضمار لبيان عليه الحكم بأن وصف الكفر بوحده الرسل سببا في إعداد وتجهيز العذاب الذي فيه الالهانه لهم

الأمر الثاني

أن النصوص تحذر المسلمين من غلبه الهوي فيقول الحق أن العصبية تعود جذورها الي مدرسه الشر الكفر وقائدها ابليس فالإيمان لا يحصل بزعم المرء أنه مومن وانما يحصل بحصول شرائطه وهي الايمان بجميع الرسل وعدم التفريق بين احد منهم وهذا من تمام الايمان بالله فعقيدته الايمان لاتتجزأ فمن يقول امنت بالله ولا أمن بأحد رسله لا يكون مومنا بل هو كافر لماذا لأنه لا يهتدي الي ما يحب الله ولا ما يجب أن يشكر ولا يعرف كيف يعبد الله فجميع الرسل ارسلهم الله يحملون المنهج الرباني الذي بيان مراد الله من العباد ولهذا فإن المنهج الذي يحقق مراد في اخر الزمان هو الاسلام ف الله يقول (أن الدين عند الله الاسلام) وقال تعالي (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)

ولهذا قال تعالي (اولئك هم الكافرون حقا)

حتي لا يتوهم البعض أن مثل هؤلاء متوسطون بين الايمان والكفر فجاء الوصف لهم أنهم كاملون في الكفر حقا وانهم مصدر للكفر ونموذجا للكفر الحقيقي

المبحث الثاني

يقول الحق أنه لاسبيل الي النجاه والسلامه والسعاده الا بالإيمان بالله وجميع رسله دون استثناء فقال تعالي (و الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يوتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا)

وهذا فيه السلامه من فساد اله العلم والعمل بمعرفه مراد الله بما حمله الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه و التوجه بالعمل الي الله بالاستسلام والخضوع التام لمراد الله بالإيمان واليقين بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا من ربه بتخليص النفس من افه الأهواء والشهوات والرغبات لتكون اردتك خاضعه لله فلا عصبية هوجاء فأنت تريد الثواب من الله فقال تعالي (ولم يفوقوا بين احد منهم)

يقصد انهم لم يفرقوا بين احد من الرسل والأنبياء اشاره الي خلو النفس من العصبية فأشار إليهم بعلو المكانه (اولئك) أنهم سوف يجدون الثواب والنعيم في الاخره واستخدام الاجره تعبيرا عن الثواب للتحفيز علي الطاعات فكانه استاجرهم علي عمل يعملونه ثم أعطاهم واستخدام كلمه (سوف) ليغرس في النفس الشعور بأنه سوف يجد الثواب لامحاله

ولم يقل المومنون حقا كما قال بشأن الكفار حتي لا يتصور البعض أن الإيمان وحده بدون العمل الصالح يجعله مستحق الاجر وهذا ينسجم مع وصف الله كمال المومنين في موضع آخر حيث قال تعالي (إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وحلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ... الخ

ويأتي التعقيب بصيغه المبالغة برحمته وعطفه (وكان الله غفورا رحيمًا)

يفغر الذنوب ويضاعف اجر الحسنات الي عشره اضعاف والي سبعمائه ضعف وأكثر لمن يشاء كما أخبرنا في سورة البقره

القسم الثاني من المقطع الرابع عشر

(يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره فاخذتهم الصاعقه بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وءاتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما)

اولا

تصور الآيات موقف اهل الكتاب من دعوته الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالالتحاق بجماعه المومنين والمشاركة الإيجابية في حمل المشروع الرباني وتحمل تبعات مسؤولية الانتماء الي الأديان السماوية بوصفهم أهل كتاب وكان يفترض بهم أن يكونوا اول من يتوجه إلى الانتظام في الصف المسلم لكنهم وقفوا محاربين لدعوته الاسلام وهو ما حزن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره فاخذتهم الصاعقه بظلمهم)

المبحث الأول

فالآيات ترسم لنا صوره عن مقابله أهل الكتاب لدعوته الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام بأنهم وقفوا موقف العداة ضد الإسلام وكان منهم التعنت للرسول صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المفسرون أن اليهود وعلماءهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوب كما نزلت التوراه علي موسى مكتوبه

وذكر آخرون أنهم سألوه أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبه الي كل واحد منهم باسمه ووصفه تأمر بتصديقه مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء)

وبالوقوف علي هذا نجد

الأمر الأول

أن السؤال منهم كان علي سبيل التعنت والعداة والكفر والاحاد مثلما سالت قريش الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله تعالي في موضع آخر (وقالوا لن نؤمن لك حتي تفجر لنا من الأرض ينبوعا)

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يتولي الاجابه عن نبيه صلى الله عليه وسلم ويكشف حقيقة هولاء بشرح الظروف التاريخية التي تفضح اليهود ليكشف خبث اليهود بنقل صوره معبره عن المواقف التاريخيه لماضي اليهود البغيض في مواجهه الحق فطبعهم التعنت و العناد فأخبرنا الله أن موقفهم هذا ليس غريبا عنهم وليس جديدا عنهم فقال تعالي (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره فاخذتهم الصاعقه بظلمهم)

فيقول الحق للنبي صلى الله عليه وسلم لاتحزن من موقفهم معك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حزينا من جحودهم من موقفهم لانه كان يري أن انتساب هولاء لاهل الاديان أمرا يجعلهم اول من يبادر إلي التصديق برسالة الإسلام فلم يكن يتوقع منهم الكفر والعداة لإسلام وايضا فإن هولاء كانوا يستغلون ما حظوا به من سمعه لمحاربه الاسلام

ولهذا تولي الله الرد علي اليهود لتسليه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له ليس غريبا عن هولاء مثل هذا الموقف ويحدثه عن موقفهم مع نبيهم موسى عليه السلام الذي جاء لينقذهم وتخليصهم من استعباد الفراعنه فقد طلبوا منه أن يروا الله جهره اي عيانا فهم ثم ذكر احراقهم بالصاعقه فهم لا يؤمنون إلا تحت القهر والضغط لغلظه الطبع فلا يؤمنون الا بالمحسوسات فذكر الماضي التاريخي لهؤلاء وأفعالهم القبيحه من عباده العجل رغم أن موسى جاءهم بالحجج والبراهين والمعجزات الواضحه وما انعم الله عليهم من التوبه علي أفعالهم النكراء وأخذ العهود والمواثيق عليهم تحت القهر والضغط فأشار الي العهد المأخوذ بأخذ تعاليم التوراه بقوه التلقي والتنفيذ و الجبل فوق رؤوسهم ولكنهم نقضوا العهود وقتلوا الانبياء امثال يحيى واقترأهم علي مريم بقرية الزنا وتبجحهم بمزاعم قتل عيسى عليه السلام وأخذهم الربا والسحت فأراد بهذا بيان الاتي

المساله الاولى

ايضاح الارتباط بينهم وبين المشاكل التي تعيق قبولهم بالإيمان فالحق يقول إن هؤلاء لم يتجهوا الي اراده البناء الايماني في كل مراحل تاريخهم الطويل فلم يتفعلوا مع المشروع الرباني حتي مع نبهم الذي جاء لانقذهم فلا تحولوا عليهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم و المسلمون كانوا يطمعون في إيمانهم لانهم ينتسبون الي الأديان فيقول لهم الحق لاتطمعوا في ذلك ولاتتفاجوا بمواقف هؤلاء لأن البناء يحتاج الي تعاون وتضامن بين سواعد بناءه والسواعد التي تزود هؤلاء بالاراء لاتتعاون من أجل البناء في وضح النهار فلا تنظروا أن ماضي هؤلاء مع المشروع الرباني أنه يشكل سببا لدفعهم للإيمان فيقول الحق أنظروا الي تاريخ اليهود ومواقفهم مع الرسل والأنبياء و الرسالات لتعرفوا حقيقتهم والمتوقع منهم هو الكفر والجحود فلا تتفاجوا بكفرهم فهم إنما يعملون في الظلام في مجال التخريب و النسف والتدمير

ولهذا فليس غريبا عليهم هذه الاعتراضات الفاسده بل سبق لهم من المقدمات القبيحه ما هو أعظم مما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم مع الرسول (موسي) الذي يزعمون أنهم آمنوا به فقد سأله رؤيه الله جهره عيانا وبمجرد غيابه عنهم اتخذوا العجل من بعد ما شاهدوا الآيات التسع من اليد والعصا و فلق البحر ... و نجاتهم من الهلاك الذي هلك به عدوهم فرعون ومن امتناعهم عن قبول احكام التوراه حتي الطور فوق رؤوسهم ومع ذلك لم يؤمنوا وانما قبلوا به علي وجه الاضطرار

المساله الثانيه

ولهذا فان الامل معقود علي المسلمين بتنميه دراستهم والاستفادة من التجارب للإسراع في بناء دوله الايمان وتفادي الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من الأخطاء الكارثيه التي شكلت عائقا أمام التحول والتطور والرقى فاللازم عليك أن تستفيد من تاريخ حركه العمل الايماني وتربط ذلك بالنظر الي المستقبل لتكون لديك الوضوح الفكري فيما تطرح بوضوح و المقرون بتحمل تبعات مسؤوليه الانتماء وهذا الوضوح ليكون ذلك قيذا ينبع من شعورك بالمسؤوليه ليفرض عليك وزن كل كلمه فأنت تدرك أنها لاتذهب مع الرياح فأنت مسؤول عن كل كلمه تصدر منك وسوف تحاسب عليها فأنت ايه المومن عنصر مهم في بناء دوله الموحدين وهي بحاجه الي الآراء المستنيره وا لأفكار البناءه وليس الآراء التي تعيق تقدم المشروع الرباني في الحياه كما تعود اليهود من المهارات والتعننت والاستئله التي يقصدون منها التملص من المسؤوليه وتبعات الإيمان وانما المراد منك أن تطرح اسئله الاسترشاد التي تؤدي الي انتاج افكار ورؤي منتجها ولها فاعليه ايجابيه بدلا عن الأفكار الغير منتجه والسائده في المجتمعات ذات صفه الجمود الغير قابله للتطوير مثل حاله اليهود الذين كانوا متأثرين بمرحله الاستعباد التي عاشوها في مصر فهم كانوا محكمون بجمود العقول التي تحكمهم لاينفذون الأوامر الا تحت الضغط و القهر لانهم اعتادوا علي سلوك الاستعباد ولهذا فقد شكل ذلك عائقا من التطور والرقى فقد تعودوا علي أساليب خاصه في العمل فهم لا يتحركون الا بالسوط والقهر وبدونه لايشعرون بالقدره علي التغيير ويهربون من حل المشاكل من خلال التعننت فلا يرغبون بتصحيح مسار الحركه والتحول الي المرحله التاليه ولهذا سرعان ما يجدون أنفسهم في موقع الثوره المضاده بكل مخاطره هذه المواقف حيث أنهم تخلوا عن دورهم في حمل المشروع الرباني وبدل الالتحاق بصقوف المومنين اصطفوا في صف الكفار والمشركيين رغم أنهم كانوا قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يتوعدون المشركون بالقتل عند بعثه النبي الخاتم فلماذا

تغيير حالهم ؟

لأن الرسول الخاتم جاء من امه العرب ولهذا وجدوا أنفسهم موصوفون بأنهم عناصر مرحله منتهيه وشعروا أن حديثهم عن الأديان لم يعد له معني فدورهم انتهى فأخبرنا الله أنهم كفار لانهم يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله فهم يريدون استمرار دورهم بأنهم محل اختيار الله للرسل منهم فنظروا الي المشروع الايماني نظره شخصيه فلم ينظروا أن تغيير الأشخاص الذين يحملون منهج الله أمر يعود لمشيئه الله والايات تبين فساد التصور لدي هؤلاء لحقيقه الوحي بأنه منزل من الله فقال تعالي (يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) فقد نسبوا انزال الوحي والكتب السماويه للرسول فلم يقولوا أن ينزل الله علينا لبيان تعلق هؤلاء بفكره الأشخاص فلم يرتبطوا ب الله ولهذا يأمر الله المومنون بالإيمان بجميع الرسل وأن عليك الانتظام في صف المومنون و لانعلق إيماننا بالأشخاص الذين سوف يحملون المشروع الرباني (المجددون) اذ لارسول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وانما بيعت الله مجدودن وان عليك أن تفهم أن تغيير الأ شخاص أمر مألوف ويتم باستمرار فتغيير قياده في مرحله لايعني انتهاء دورك وانما يعني الانتقال الي مرحله تاليه فتعاقب المراحل لا يؤثر فيها تعاقب الأشخاص ولاتوجد فواصل بين المراحل المتتابعه وانما هو مثل عمليه تغيير المناخ في فصول السنه و عليك الاستفادة من التجارب لتغيير الظروف التي أنتجت سلبيات المرحله السابقه من خلال المراجعه المنهجيه وإيجاد الضمانات التي تزيل العوائق للحركه لضمان استمرار الثوره في مسيرتها المنتظمه وعدم تكرار الأخطاء والسلبيات التي وقع فيها السابقون قدر الإمكان فالإسلام فكر انساني صدر للعالم كله التقط الناس من الظلمات فكانت فلسفه الاسلام ودولته الإشعاع الحضاري للفكر الإنساني

الأمر الثاني

تناقش الايه اهميه الايمان بالامور الغيبه بالاستعداد للوصول الي اليقين الذي لاشك فيه وتبين مخاطره اشترط المعجزات للإيمان فإن مثل هذا السلوك يشبه سلوك اليهود وهو مايجب الحذر منه فمن يشترط المعجزه لا يوفق للإيمان وانما يعاقب بالضلال لأن ذلك فيه سوء اداب في التعامل مع الله فصاحب هذا الاشرط يريد أن يضع الله في اختبار والعياذ بالله ولايصدر هذا القول الا من امره ذو نفس

خسيسه فاقد للحياء فناسب هذا مجي الايه في إطار النهي عن الجهر بالسوء من القول حيث يفهم من سؤال هولاء أنها من قبيل الجهر بالسوء ولهذا يقول الله تعالى (فقد سألوا موسي اكبر من ذلك)

هو جواب شرط اي أن استكثرت ماسالوه واستعظمت سؤالهم واستعظام الرسول صلى الله عليه وسلم لسؤالهم أنه لم يكن سؤال استرشاد وايضا لأن معجزاته معروفه لهم وهي معجزه البلاغه القرانيه والاستعظام كيف لهؤلاء مع أنهم أهل كتاب أن يصدر عنهم هذا التنعت القبيح فأخبر الله

أنهم سألوا موسي شئيا أكبر وأعظم لبيان أن التنعت طبع جبلوا عليه وهذا السؤال من أسلافهم ومع ذلك نسب لهم لأنهم كانوا علي مذهبهم بسؤالهم ومشاركين لهم في التنعت (فقالوا) يعني أسلافهم (ارنا الله جهره) وهذا لا يكون إلا من كان طبعه التبجح فهو لا يصدر عن المومن الصادق وهو سؤال ممن ليس لديه استعداد للإيمان والسؤال من النخبه سألوا أن يروا الله عيانا والله لا يري لا مكان لموسي أن يراه عندما سأل ذلك ولهذا قال الله له (انك لن ترني) واخبرنا الله أن موسي لما أفاق قال (تبت اليك وانا اول المومنين) والفرق بين سؤال موسي وبين سؤالهم أن موسي لم يشترط لرؤيه الله أن يومن ولهذا قال تبت اليك وأما سؤال هولاء فقد كان اشتراط منهم للإيمان أن يروا الله جهره

ولهذا يقول تعالى (فاخذتهم الصاعقه بظلمهم)

احرقتهم النار التي جاءت من السماء لأن الصاعقه تأتي من أعلي ثم تنتشر لتحرق من تقع عليهم فأخبرنا الله أن هذا العذاب هو (بظلمهم)

الباء سببيه اي بسبب ظلمهم والظلم عدوان عظيم فدل هذا أن اشترط المعجزات للإيمان ذنب عظيم لأن ذلك يعني طلب وضع الله في اختبار فقال تعالى (فاخذتهم الصاعقه بظلمهم)

فالفاء تدل علي الترتيب والتعقيب فهي أخذتهم في الحال بسبب ظلمهم فهم لم يطلبوا الرؤيه علي سبيل التعظيم ولا حملهم علي ذلك شدة الاشتياق كما طلب موسي عندما قال (ارني انظر اليك)

وانما قال هولاء ماقالوا نتيجته سوء الاداب

المبحث الثاني

تستمر النصوص في ذكر منكر اليهود فقال تعالى

(ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البيئات ففعلونا عن ذلك وءاتينا موسي سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

الموضوع الاول

فإن أول مايشد الإنتباه أن النص جاء باداه العطف ثم وهي تفيد الترتيب مع التراخي ونحن نعلم أن واقعه عباده العجل قبل واقعه طلب السبعين رجلا من موسي رؤية الله عيانا بل إن اختيارهم كان لمنجاه الله طلبا للعفوا علي ماكان منهم من عباده العجل وهنا قد يقول قائل كيف يكون عطف واقعه عباده العجل علي قولهم (ارنا الله جهره فاخذتهم الصاعقه بظلمهم) باداه العطف ثم مع هذا التقديم و التأخير ؟

الجواب

أن (ثم) هنا للترتيب الذكري باعتبار أن ماسبق مقدمه لبيان تعنت اليهود باستلهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء كشرط ليومنون فقد اتخذوا من هذا السؤال مبررا لعدم تصديق الرسول وتكذيبه حيث نسبوا ذلك إلي أن الله أمرهم أن لا يومنونوا لرسول حتي يأتيهم بمعجزه ماديه وجعلهم الفارق بين الحق والباطل نزول القران دفعه واحده ولهذا نجد ذكر سوالهم (ارنا الله جهره) كمقدمه لجاهلهم بحقيقه الدين فيقول الحق لاتغفروا بجلباب الدين الذي يلبسه هولاء فهم ليس لهم من هذا اللباس الا رسومه الظاهره ولهذا يفصح الحق اليهود فيتولي الاجابه عن نبيه فتبين النصوص لنا أن هولاء قد جمعوا مجموع الجهل في المسائل والقضايا فنظروا إليها انها تحكي واقعا في الحقيقه لا واقع له فانتهزوا افتتاحان الناس بهم وعماهم عن حقيقه الدين فاتخذوهم علماء وهم جهلاء يتخبطون في بحار الظلمات ولا معرفه لهم للاتي

الأمر الأول

أن هولاء اردوا رؤية الله عيانا فقالوا لموسي (لن نومن لك حتي نري الله جهره) كما ذكر في سوره البقره وهنا قال (ارنا الله جهره فاخذتهم الصاعقه بظلمهم)

فالسؤال يدل أنهم جهلا ب الله فقد ظنوا أن الله جسم محدود تدركه الأبصار وهذا دليل أنهم جهلاء والا ما اقترحوا علي موسي هذا الا قتراح فهو لاتدركه الأبصار لا بالبصر ولا بالبصيره فهمما بلغت هم أنظار وأصحاب الفكر لن تدركه وإن علت وبعدت فإنه لاتدركه الأبصار ولاتحيط به علما ولايناله الغوص في أغوار العلم وان تعمقت في الغوص فلا تنال حقيقه الذات المقدسه فالذات الالهيه ممتنع عن العقول ادركا

فالله مهما مدحته بقولك لن تبلغ كمال مدحه ومهما عد العادون انعامه فلا يمكن احصاءها

فكمال صفاته سبحانه وتعالى تعني تقديسه عن مشابهات الصفات والحوادث فكل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع إليه كما نجد في قدرتنا وعلما مثلا فإن لكل طور لايتبعده أما صفات الله لأحد يحدها فقدره الله وعلمه لأحد لشموله وكذلك في باقي الصفات الكماليه و الصفات من النعت يقال لما يتغير فصفات البشر لها نعوت لحياتنا مثلا لها أطوار من طفوله وصبا وشخوخه ما فيها من ضعف وقوه وتوسط وقدرتنا كذلك وعلما له ادوار نقص وكمال ووضوح وغموض أما صفات الله فهي منزعه من هذه النعوت واشباهها فلانعت فهي ازاليه ابداه لاتعد بالاوقات لوجودها ولانهايه لها فالله هو الأول بلا بدايه والآخر بلا نهايه وهو الظاهر والباطن فلا تضرب لصفاته الاجال ولهذا فإن اساس الدين معرفه الله اي معرفه وجوده وكمال هذه المعرفه وجوب التصديق بوجوده سبحانه وتعالى ولايكمل التصديق الا بالتوحيد ولايكمل التوحيد الا بالاخلاص الذي يكون فيه تصفيه النفس من الشوائب كالرياء وغيرها في السر والعلن والإخلاص لا يكون كاملا حتي يكون معه نفي نفي الصفات الظاهره في التعينات المشهوده عنه في المشخصات فلا شبهه ولامثيل له سبحانه وتعالى اي نفي الصفات عنه بشهاده كل صفة أنها غير الموصوف وشهاده كل موصوف أنها غير الصفه ولهذا يقول لنا الحق أن هولاء لم يعرفوا الله بكمال صفاته سبحانه وتعالى وقداميته بدليل أنهم وصفوا الله بالماديات فقرونه بالعجل اي الصفات المنفيه للتوحيد نتيجته الجهل ب التشخيص الجسماني فأشاروا الي الله أنه تجسد بالعجل وهو جماد فهو منكر عظيم فهم اردوا أن يحدوا الله ورغم الحجج والبراهين والمعجزات الداله علي قدره الله ومع ذلك لم يتادبوا وتصوروا أن الله يدرك بالابصار

الأمر الثاني

أن أساس هذا الجهل هو عباده العجل فهي عقيدته متمكنه في نفوسهم فهم لا يرجعون الي حقيقه من الدين ولايهتدون بدليل من كتاب فهو مولعون بما تخترعه اهوأثم ولايعتمدون علي ركن الحق لتأثير الحياه التي عاشوها في مصر علي تفكيرهم فهم مولعون بالبدع نتجه الغرور الذي اوردهم موارد الهلاك فاهوائهم أفسدت معتقداتهم فتمكن الشيطان منهم وأصبحت صدورهم عش لوسوسه فكبرت عقيدته العجل في جحورهم كما يتربي الطفل في حجر والديه

ولهذا جعلوا الفارق بين الحق والباطل هو نزول القران دفعه واحده وهذه دعوي باطله لانه لا يوجد في كتبهم أن الرسول الذي يأتيهم بكتاب لابد أن يكون جملة او أنه إذا نزل مفرقا لا يكون ملزما عليهم الايمان به فنزول القران منجما لحكمه واعتناء بالرسول صلى الله عليه وسلم فالله يقول (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جمله واحده كذلك لنثبت به فؤداك ورتلناه ترتيلا ولا يوتونك بمثل الا جنثا بالحق واحسن تفسيرا)

الأمر الثالث

أن كفر هولاء وعدم التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران ليس لعدم وجود المعجزه الماديه بل هولاء طبعهم التعتت بدليل أنهم عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم المعجزات والحجج الباهره الواضحه التي جاء بها موسي من ربه من العصا واليد واهلاك فرعون وجميع جنوده فما أن جاوز البحر ومازالت أقدامهم بها اثار مياه البحر حتي شاهدوا قوم يعكفون علي أصنام لهم حتي قالوا لموسي اجعل لنا الهه كما لهم الهه وكذلك بمجرد غياب موسي عنهم عبدوا العجل

وبرغم عظم جريمه ويستحقون العذاب لأن كفرهم بعد أن شاهدوا قدرته وعظيم سلطانه بما أراههم من الآيات الباخره إلا أن سعه رحمه الله ومغفرته وتام نعمته التي لا يحصي انعامه العادوان فهذا العفو من كرم الله تعالي لانهم أمروا بالتوبه بأن يقتل كل واحد الآخر ف التوبه من انعام الله كما أخبرنا عن ادم (فتلقي ادم من ربه كلمات فتاب عليه) ولم يبين هنا التوبه المأمور بها لكنه ذكرها في سوره البقره فقال تعالي (فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم)

الموضوع الثاني

يأتي التعقيب الإلهي (وءاتينا موسي سلطنا مبينا)

اشاره الي انه سبحانه وتعالى اعطي موسي الحجه الواضحه عليهم بما أنزل من شريعته التوراه التي فيها تفصيلا لكل شي

وايضا فيها أنه نصر رسوله موسي علي هولاء الذين تعنتوا باسئلتهم وفضحهم عندما حاولوا التستر علي المجرم الذي قتل ورفضوا أن يشهدوا ضده رغم التعنت منهم في الاسئله بقصد الهروب من ذبح البقره حتي لاينفضح القاتل وفي هذا اشاره الي أنه بهذه الايات التي تفضح اليهود فيها الحجه الواضحه عليهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم فاسئلتهم الرسول صلى الله عليه وسلم تعنت مثل ما فعلوا مع موسي عندما أمرهم أن يذبحوا بقره ولهذا ذكر بعدها (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

فالنصوص تناقش بالاتي

الأمر الأول

تبين النصوص اهميه الاستعداد بالاعتناع اذا وصل اليك شي مقنع فلا تكون متعصبا لرأي فلا بد أن تكون مستعدا لتغيير رأيك فالبناء يحتاج الي اراده التطور والرقي وهي تختلف عن النقد والشتيم فذلك أمر سهل فيمكن لمخرب أن يهدم ماابناه الف مهندس من بناء لكن من الصعب المشاركة في تحمل تكاليف البناء بأن تلتف حول فكره وقاعده تتحرك في إطارها حيث أن التحولات في حياه البشر عن ما اعتادوا عليه تكون مساله شاقه ولا بد أن تتجانس الجماعه مع القيادة من البدايه بالاستعداد بقوه التلقي والتنفيذ للأفكار بالتوجه نحو الهدف فيقول الحق إذا كان حال هولاء مع نبيهم هو التلكوء وعدم الاستجابة وحالهم مع المنهج الرباني كتابهم أنهم تلقوه بالفتور وعدم الاستجابة من البدايه فكيف تأمل من هولاء استئناف مسيره العمل الايماني بالتجانس مع القيادة الجديده التي اختارها الله لحمل رايه الهدياه في اخر الزمان (المسلمين بقياده الرسول صلى الله عليه وسلم)

اذا كانوا من البدايه لم يتجانسوا مع نبيهم موسي عليه السلام وهو منهم فهم لم يسالوه عن الأسس والمنطلقات التي تدفعهم للانطلاق نحو الهدف ولم يسترشدوا عن مقومات الانطلاق ولم يبحثوا عن أسباب معوقات الانطلاق ليطرحوا الاسئله بل كانوا ادوات اعاقه المشروع الرباني ورفضوا التطور والرقي وفضلوا اختيار حياه الذل والهون التي كانوا يعيشونها في مصر

فكيف تتوقع منهم أن يلتحقوا بجماعه المومنين والأخذ بمنهج القران الكريم إذا كان حالهم أنهم لم يأخذوا التوراه بالجديه والقبول الا بعد أن رفع الجبل فوق رؤوسهم فقد تقاعسوا عن تنفيذ الأوامر حتي رفع الله الجبل فوق رؤوسهم بعد أن ظهر منهم الآباء عما جاءهم به موسي من ربه فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم وهم ينظرون فقال تعالي (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) فرفع الجبل مصحوبا بالميثاق لأ ن الله أمرهم أن يأخذوه بالقوه في التلقي والتنفيذ فاخذوه خشيه ان يسقط عليهم كما قال تعالي (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوه)

فيقول الحق أن الخلل ليس في نزول القران منجما وانما الخلل يعود إلي نفوس هولاء فموقفهم من موسي والتوراه هو نفس موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن فهم إنما آمنوا بموسي والتوراه ايمان المضطر خشيه ان يسقط الجبل فوق رؤوسهم لعدم استعداد هولاء للقبول بأمر الله

الأمر الثاني

يقول الحق ان مساله الايمان ليست مساله شعارات ترفع ولا مساله تلقين فالمسألة متعلقه بواقع نعيشه ونشارك في صنعته بتحويل المعتقد الي واقع حياه فالعلميه معناها الاستفاده من العلم فلا تتمسك بالعادات وماعندك بالتقليد وتظن انك صاحب الحقيقه لأن هذا مخالف للعلم والمعرفة التي ينبغي أن تتطابق المعرفه مع واقع الحياه فهولاء برغم الحجج والبراهين التي جاءهم بها موسي ورغم رفع شعار الانتماء للدين عبدوا العجل وبرغم أن التوراه جاءت فيها تفصيلا لكل شي فقد شق عليهم ترك ما الفوه في مصر فاختاروا الذي هو ادني وهنا يذكر لنا الحق سبحانه وتعالى كيف كان تعامل اليهود مع أمر الله تعالي فقال تعالي (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

المساله الاولى

أمروا بدخول بيت المقدس سجدا اي علي هئيه خافض الأعناق انكسار اعظمه الله وقال لهم ذلك علي لسان نبيه يوشع عليه السلام للتعبير علي شكر الله تعالي فما الذي كان منهم لقد خالفوا أمر الله ودخلوا زحفا علي اساتهم

وكذلك أمروا أن يقول حطه اي اللهم حط عنا ذنوبنا مما تركنا من الجهاد ونكوننا عنه فبدلوا قولاً اخر فقالوا حطه اي شعير للدلاله علي طبيعه هولاء من التحريف وعدم امتثال أمر الله

المساله الثانيه

تستمر النصوص بايضاح فساد هولاء واستحلال المحرم والخداع والتحيل علي رب العالمين بأفعالهم فذكر أنهم أمروا بالتوقف عن

اصطياد يوم السبت لكنهم قابلوا ذلك بالعدوان فقابلوا أمر الله بالاستهزاء

المسأله الثالثه

كما أن تكرر (وقلنا لهم)

لبيان ماهم عليه من جفاء الطباع وقسوه القلوب وبلاده المشاعر فاستعمال هذا اللفظ انهم لاينهضون بتكاليف المنهج الا بالقهر ولهذا عقب بقوله (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

اي موكدا وموثقا فكان هذا التعقيب مناسباً لما ترسم الآيات من مشاهد الغلظه في الطباع وقسوه القلوب وانهم لايعملون ما أمرهم الله و لاينتھون عما يهون عنه لبيان ان اليهود أهل مكر وخديعه وايضا تبين الفرق بين المسلمين وبين اليهود حيث فالمسلمون عندما أمرهم الله بقوله (يايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) امتثلوا و نفذوا أمر الله

ثالثا

(فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله وكان الله عزيزا حكيما وان من أهل الكتاب ا لا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامه يكون عليهم شهيدا)

المبحث الأول

(فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

الآيات وردت بعد تناول القران عطاء الله علي بني اسرائيل وانحرفهم فأخبرنا الله أن هذا الانحراف جاء ثمرا من ثمرات سوء أعمالهم وفساد نياتهم وغلبه طباعهم وهي ناتجه عن الاستعباد لفترات طويلة في مصر فالعبد لاينفذ الأمر الا بالقهر والسوط وردت الآيات بعد قوله تعالي (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

اي المؤكده بالالتزام بمنهجه وكلماته والتي منها الايمان بالنبي الخاتم عند حلول موعد بعثته ..لكنهم نقضوا العهد ولهذا قال تعالي (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

فأشار الي إلي كفر اليهود في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم بان طباعهم هي نفس طباع اليهود في زمن موسي عليه السلام فهم أهل مكر وخديعه لايلتزمون بما يؤمرون لايعظمون أمر الله فهم حقيقه لا يؤمنون ب الله كما قال تعالي في الآيات السابقه (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) لأن الايمان بالله يتطلب الخضوع والتسليم والخشوع لأمر الله فحق الله التعظيم لأمره ولهذا ذكر الله قبائح أفعالهم لافحام اليهود من خلال استعراض تاريخهم القبيح للرد علي اسئلتهم التي سالوها الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول لنا الله أن هؤلاء يريدون من اسئلتهم اللجاج والعدا والتناول والسفه فأخبرنا الله أنهم سالوا موسي اكبر مما سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم فهم لم يقدروا الله حق قدره وان اسئلتهم لم تكن بهدف معرفه طريق الاستقامه بل اراده السير في طريق الانحراف لما كان منهم من عباده العجل بعد قيام الحجه واذيتهم موسي وان هذا يعود إلي خسه نفوسهم نتيجته الاستعباد في مصر فهم لايستجيبون الا بالقهر والضغط فذكر الله واقعه رفع الطور فوق رؤوسهم وقوله لهم أن يدخلوا بيت المقدس أو اريحاء سجدا شكرا لله علي انعامه وإحسانه وعطاءه لهم فخالفوا الأمر وذكر اعتداءهم علي ما نهوا عنه بشأن الصيد يوم السبت لكنهم خالفوا والأوامر

لكونهم مشدودن للماضي غير مستفيدين من دروسه لايقبلون باتحاد الكلمه لحركه العمل الايماني فهم دعاه تفريق كما قال تعالي قبل هذا (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) ولهذا ذكر لنا الحق امره (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)

والقول هنا من الله بالنسبه لأمره بدخول بيت المقدس كان علي لسان نبيه يوشع عليه السلام وهي بعد موت موسي عليه السلام وكذلك فإن الواقعه الثانيه كانت بعد وفاه موسي

ولم يذكر النتيجه التي هي أنهم انقسموا بين ممتثل لأمر الله وبين مخالف لأمر الله وانما اكتفي بذكر الاشاره الي الفريق المخالف لبيان ان اليهود في كل زمان هم أهل مكر وخديعه وان اليهود الذين في زمن نزول الآيات امتداد لاسلافهم الذين انحرفوا وخالفوا أمر الله ولم يحترموا الرسل والأنبياء الذين ارسلهم الله إليهم لاموسي ولايوشع ولاغيره نتيجته الحنين للماضي البغيض لحياه الذل والهون في

مصر فاختيارهم هو الاختيار القبيح والادني لبيان خسه نفوس هولاء لانهم يضعون مصالحهم الشخصية فوق مراد الله ولهذا فقد رفض هولاء الالتحاق بجماعه المومنين ومنهج الاسلام خوفا علي امتيازتهم التي نظروا انها سوف تذوب وتنصهر داخل هذا التجمع الكبير الذي يحدد الأهداف ويلزم العمل من أجل تحقيقها

برغم أن جميع الرسل الذين ارسلهم الله إليهم من موسي ومن جاء بعده أخذوا عليهم ميثاق الكتاب (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) والتي تعني الايمان بالنبي الخاتم عند حلول موعد بعثته وان يومنوا به وينصروه وهو الميثاق الغليظ المأخوذ عليهم بواسطه جميع الرسل وا لانبياء ولهذا ذكر الحق سبحانه تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا)

الأمر الأول

التصريح بكفرهم واستحقاقهم اللعن والطرده لمقابله هولاء انعام الله وعطاءه والتي من ضمنها نعمه العلم وإرسال الرسل والانبياء اليهم ب الكتب السماوية التي عرفتهم بالنبي الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم وأخذ منهم العهد علي الإيمان به ونصرتة فكان منهم مقابله ذلك ب المواقف السلبيه بنقض العهد ونبد الكتاب وراء ظهورهم بالكبر والاشتراط علي سبيل التعجيز في المطالبه بالمستحيل كما هي عادتهم بمقابله النعم بالمواقف السلبيه علي الدوام مما أوجب لعنهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى ولهذا قال تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم)

ولهذا فإن الحوار مع هولاء لاجدوي لها لأن طبعهم الانغلاق في الرأي ولافائده من المناقشه والمناظره مع هولاء فليس لديهم استعداد للفهم لانهم متعصبون ولارغبه لديهم في البحث عن الحقيقه ولاقدره لديهم علي الاعتراف بالحقيقه حتي يصنع من عبره الماضي معابر للمستقبل ولهذا فإن النص يحذرنا من هذا السلوك لانه قاتل لقوه العلم وقوه الارده

الأمر الثاني

يقول الحق أنه بسبب نقض العهد من هولاء عندما رفضوا التحول في قراءه مراد الله الي الاسلام فإن هذا منهم اعتراضا علي مشيئه الله واختياره للنبي الخاتم من امه العرب وبالتالي فهو خروجا عن صفه الايمان وعدم تقدير الله حق قدره وما يوجب عليه العلم منهم من الا ستسلام لعزته سبحانه وتعالى والقبول باختياره فهو لايسال عما يفعل وهم يسألون وبالتالي فإن أعراضهم ورفضهم الانتقال الي القران الكريم في قراءه مراد الله دليل علي فساد اعتقادهم بالتوحيد وفساد إيمانهم بالتوراه فهم خالفوا التوراه ولم يتمسكوا بما فيها ولهذا كفروا بالآيات التي في التوراه عن نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واوصافه فكان انقطاع صلتهم بحركه العمل الابماني فقد سعوا الي اخفاء حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (وكفرهم بآيات الله) لأن الكفر هو التغطيه فهم خالفوا ميثاق الكتاب (لتبينه للناس) بكتمان ماجاء فيه مثلما خالفوا ميثاق الكتاب الذي أمروا به عند دخول بيت المقدس بمجرد غياب القهر والضغط عنهم نتيجه النزاع النفسانيه الاجراميه لدي هولاء فهم لايتورعون عن ارتكاب جرائم القتل بدون مبرر اذا شعروا أنهم سوف يفلتون من العقاب من الناس فلا يخافون الله تعالي بل يخافون الناس ويعطينا الله لفساد قوه الغضب لديهم مثلا فقال تعالي (وقتلهم الانبياء بغير حق)

فالانبياء معصومون من الخطاء فلايمكن أن يرتكبوا من الأخطاء مايوجب عقوبه القتل وانما قوله تعالي (بغير حق)

لبيان فساد قوه الغضب لديهم والتوزاع الاجراميه فهم قد تجروا علي قتل الانبياء ومعارضتهم وايداهم بشتي الوسائل دون خوف من الله ووصل بهم الحال الي قتل الانبياء كما فعلوا بنبي الله يحيي عليه السلام ومن يفعل هذه الأفعال القبيحه لايستغرب منه اذبه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبهم أن ينزل عليهم ما هو مستحيل علي سبيل الاستهزاء والتعجيز وكذلك فإن علينا اليوم نحن المسلمون الا نستغرب مانشاهد من جرائم الاحتلال الإسرائيلي البشعه من قتل الاطفال الرضع والنساء والمرضي في غزه والمستشفيات ومدارس الا نروا للنازحين وجرائم يندى لها الجبين فمن تجرء علي قتل الانبياء لايستغرب منه أن يقتل الاطفال الرضع والنساء والمرضي

الأمر الثالث

يقول الحق من كان هذا هو سلوكه ومن نبذ كتابه وراء ظهره وقتل انبياءه فلا تستغرب منه التكذيب برساله الإسلام لانهم فقدوا عظيمه الايمان وفقدوا فاتحه الاحسان ومرضاه الرحمن وقوه ابعاد الشيطان وطرده ولهذا قال تعالي عنهم (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا)

فالمقوله منهم (قلوبنا غلف) هي التي كانوا يجيبون بها علي دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم للإيمان وهذا القول فيه استهزاء بما يدعوههم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وتبجح بالتكذيب بعدم الاصغاء فهم يقولون قلوبنا لاتقبل الموعظه ولاتصل إليها لانها مغلفه من كل قول

فهولاء لايرغبون ولايريدون الهدايه فلا يخافون الله ولايصل نور القران لقلوبهم لعدم استعدادهم لقبول الهدايه فمنافذ الهدايه مغلقة لا يصل إليها الانوار لانقطاعهم عن حبل الدين فقد تزعزت قوه الايمان بخمولها والعمي الذي أصابهم نتيجته الحسد فقد اختاروا الضلال علي

الهدى ونقضوا عهد الله فطبع الله علي اسماعهم وابصارهم فلما زغوا ازاغ الله قلوبهم عقوبه لهم علي رده فعلهم من دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم للإيمان ودفعتهم لما تحقق لهم وعرفوا صدقه صلي الله عليه وسلم فقال تعالي (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

بل للاضراب الابطالي لبيان ان الاصل أن القلوب كلها صالحه لاستقبال نور الله وهدايته وان اضلال هولاء عقوبه لهم بسبب كفرهم شكل غطاء يمنع نفوذ نور الهدايه الي قلوبهم بسبب عائد لهم فلو علم الله أن تلك القلوب التي حكم عليها بالضللال والشقاء فيها خيرا لافهمها وهداها ولكنها لاتصلح لنعمته ولاتليق بها كرامته وقد أزاح الله الشبهات عنها بالحجج والبراهين الواضحه ومكناها من سبل الهدايه لكنهم فضلوا طريق الضلال بسبب الحسد الذي ضيق عليهم المخرج واصابهم العمي عن قراءه التوراه وصار مصدره الأهواء والأوهام الغير معلومه فلا عن بينه يعتقدون ولا الي غايه صالحه ينزعون لانهم عصوا الرحمن بنقض الميثاق فصارت اسماعهم ثقيله واقبل عليهم الشيطان يصطادهم فقد ناموا نوم الطبع الذي قام صابده بضرب عصاه في الأرض ضربا شديدا عندما يكون الطبع في حجره ثم يضرب بصوت يكررها فتنام الطبع علي ذلك فيصل إليها الصياد فيربطها في عرقوبها بحبل. يجرها فيخرجها فكذلك كان الحسد سببا لصابه اسماعها بالثقل فلم تفقه القران فوقعت في مصيده الشيطان فخذل هولاء وتركوا الايمان لانهم وقعوا في مصيده الشيطان فلما زغوا ازاغ الله قلوبهم.. فهو تعالي لا يضل من هداه حتي يبين لهم مايتقوه ولهذا فإن اختيار هولاء الضلال علي الهدى ولما نقضوا عهد الله انهارات دعائم الايمان وصاروا مطايا للشيطان وتركهم الله لأنفسهم الاماره بالسوء وشيطانهم ولهذا أخبرنا الله أنهم لا يؤمنون إلا القليل منهم امثال عبدالله بن سلام

المبحث الثاني

تستمر النصوص ببيان حقيقه اليهود وتاريخهم الطويل الحافل بالقبايح وحجودهم الآيات ووقاحتهم في تعاملهم مع الرسل بالسب و الشتم والسعي بكل ما أتوا من قوه لهدم الخير بأوصاف تدل علي التغيير السلبي من حال تسر الي حال تكره فقد كان استنقاذهم من فرعون علي يد موسي وذلك فيه تغيير إيجابي لاحوالهم لكن تبدلت أحوالهم وفضلوا اختيار الذي هو ادني وتركوا منهج الله فاختلط عليهم الأمر وصار انتسابهم للدين هدفا لجلب المصالح فكانت مسيرتهم في طريق جلب المكروه فقد انطمست معالم طريق الهديه أمامهم في رحلتهم فهم تائهون جاهلون مفتنون في الشر ولهذا ذكر الله بعد بيان أنهم لا يؤمنون الا قليلا (وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما)

لقد كفروا بعيسي عليه السلام فانكروا قدره الله في خلق عيسي بدون اب ولهذا افتروا علي مريم فريه عظيمه عندما نسبوا إليها الزنا عندما جاءتهم بعيسي بعدما أظهر الله انها عفيفه بالمعجزات الداله علي عفتها عندما كلمهم عيسي وهو في المهدي فلم يتورعوا عن قذفها به البهتان والبهتان اشد انواع الكذب الذي يتعجب منه

فيقول الحق لاتستغرب منهم الكفر والوقاحه بمقابله نعمه الاسلام فتاريخ هولاء ملئ بما يفوق التصور من القبايح التي صدرت منهم فهم يزرعون الفجور بأفعالهم وسقوا قبايحهم بالغرور لأن أنفسهم سكنت إلي القبايح واغرتوا بامهال الله فكان ذلك باعثا علي مدوامه القبيح منهم وزيادة فيه فانظر الي تجهم في تكذيب عيسي عليه السلام واذيتهم له فقد سعوا بكل ما أتوا من قوه للتكيد به وتامروا علي قتله مع الوثنيين فذكرت الروايات أنهم ذهبوا الي ملك دمشق الذي يعبد الكواكب وقالوا له أن هنالك رجلا يضل اتباعك يقصدون عيسي ونخشي أن يفتنهم عن عبادته الكواكب فاقتله فأرسل الملك الي نائبه في بيت المقدس أن يقتل عيسي وقد شاركوه في العملية ومنهم من قال إنهم ذهبوا لقتله وعند وضعوا جاسوسا ينقل لهم اخبار عيسي فذهب هذا الجوسوس وابلغهم بوجود عيسي ودخلوا عليه ليقتلوه فانقذه الله وقتلوا الجاسوس صاحبهم فقد جعله الله شبيها لعيسي فقال تعالي (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله)

فهم قد تبجحوا بقتل عيسي وذكروا في قولهم إنه رسول الله للاشارة الي تبجح هولاء أنهم تمكنوا من قتل رسول الله عيسي عليه السلام م اغترارا منهم بامهال الله وأنه لم يعاقبهم ولجهلهم فهم لم يقتلوه ولم يصلبوه كما أخبرنا الله وانما قتلوا الشبهيه له فقال تعالي (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم)

ثم ذكر الحق أن الخلاف ساد بينهم فقالوا اذا كان هذا صاحبنا فأين عيسي وإذا كان هذا عيسي فأين صاحبنا فدل هذا أنهم كانوا في حيره وشك ومريه لايعملون حقيقه ما فعلوا وكذلك فإن النصاري صدقوهم فيما أخبرهم به اليهود فكانوا في إفراط وتفريط ومغلايه فقال تعالي (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا)

فهم عندما قالوا ما قالوا لم يكون متقين بل شاكين متوهمين وهم لم يقتلوه في الحقيقه ولم يصلبوه فالله انجاه ولهذا قال تعالي (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما)

لن نخوض في مساله كيف رفعه الله بالروح والجسد ام بالروح بعد أن توفي بعد أن عاش بعد تلك المرحله فهذا في علم الله فما يهنا هو أن الله أنقذه من فجور اليهود هذا هو المهم في هذا المقام للاتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يطمئن عباده ونبيه بهذه القصة أنه يحمي عباده من مكائد اليهود فهو سبحانه وتعالى قد حمى نبيه عيسى عليه السلام من فجور اليهود ومؤمرتهم القبيحة وأنه تعالى رفعه إليه ليكون في قربه سبحانه وتعالى وفي رعايته و ذكر اسمان من اسماء الله فقال تعالى (وكان الله عزيزا حكيمًا)

اي منيع (عزيزًا) الجناب لايرم جنباه ولايضام من لاذ إليه سبحانه وتعالى (حكيمًا) اي حكيمًا في كل ما يقدره وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم فمن كان معه الله لايقهر فعليك أن تطمئن فالله لايقهر ولايغلب

فالعاقيه للمتقين ولهذا يخبرنا الله أن عاقبه هولاء الندم والهلاك فقال تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا)

والضمير في قوله (قبل موته)

أما أن يعود علي عيسى عليه السلام فيكون المعني أنه عند نزول عيسى عند اقتراب الساعه سوف يومن كل كتابي بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب وبالتالي بطلان دعوي اليهود والنصارى أنهم قتلوا عيسى أو صلبوه وسوف يسلمون كلهم ويتبعون الاسلام كما قال تعالى (وأنت تعلم الساعه) لانه سوف ينزل لقتل الدجال ويامر باتباع شريعته الاسلام وأنه سوف يشهد عليهم يوم القيامة بما كان منهم من جحود وفجور

وأما أن يكون الضمير عائدا علي الكتابي فيكون المعني أن كل كتابي عند حضور الموت يعاين حقيقه الامر فيؤمن أن عيسى لم يقتل. ولم يصلب ولكن إيمانهم لاينفع لانه اضطراري فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد وان عليهم أن لايستمرروا في هذا الحال فهي طريق الندامه وسوف يشاهدون ثمره ما زرعوها من الفجور عند موتهم فعليهم أن لايفتروا بامهال الله فكيف حالهم في ساحة الحشر وعيسى يشهد عليهم وأفعالهم القبيحه

الأمر الثاني

أن النصوص تبين للمومنين اهميه دراسته تاريخ العدو ليكون الرد الحاسم علي شبهات العدو يقول السعدي فلايد من اختيار احسن طريقه لافحام الخصم وهذا يتطلب امتلاك المعلومات لترد علي ماثير من شبهات بأن تبين له حاله الخبيثه وأفعاله الشنيعه ماهو من اقبح ماصدر منه ليعلم كل واحد أن هذا الاعتراض من هذا الشخص يراد بها باطل وان له مقدمات من ماضيه القبيح فلايد أن يقابل اعتراضه بما هو اقوي مما يثيره لدحض حجته ليكفي ذلك شرهم وتنقمع اباطلهم فدللت النصوص علي اهميه الإعلام واهميه الدليل التاريخي للرد علي الأعداء والربط بين التاريخ والديانات واستدعاء التراث للرد علي العدو من جهة ومن جهة اخري للحذر من السلوك الذي سلكه الفاسدون حتي لاتقع فيما وقعوا فيه من الهلاك فالحياه محكومها بقوانين مضبوطه وأسباب ومسببات توصل النتائج ولايد لك أن تعرف هذه السنن حتي تكون قادرا علي تفسير الحياه وأحداثها في نطاق الخير والشر فلا يمكن القفز علي هذه السنن للوصول إلي النتائج

رابعا

أن النصوص وردت في إطار التربيه المنهجيه للمومنين ليحذروا أن يسلكوا طريق الضلال فجاء السياق في نطاق غرس اخلاق الخير فابتدأت النصوص بالتحذير من فضول الكلام مبينه أن للفضول ااصوال متحركه في القلب تظهر علي اللسان والبصر والسمع والفؤاد و اللباس فذكر الحق التحذير من فضول اللسان مبينا أنها تخرج الي الفريه والبدعه وفضول السمع يخرج الي السهو والغفله وفضول البصر يخرج الي الغفله والحيره وفضول الغذاء يخرج الي الشراه والحرص وفضول اللباس يخرج الي الخيلاءولهذا ناسب ترتيب هذا المقطع بعد الأمر بالتوبه وشروطها الاربعه أن يقول لنا أن ذلك يعود إلي القلب الذي هو مثل البيت وله سته ابواب ينبغي إغلاقها ولاتفتح وهي اللسان والعينين والسمع واليدين والرجلين وابتداء ببيان فرض اللسان بأن لاتقول الا الخير بالصدق في الرضا والغضب ولهذا نجد أنه ينهي عن الجهر بالسوء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (من ضمن لي ما بين لحيته وفخذه ضمينا علي الله الجنه) وقال لمعاذ (وهل يكب الناس في النار إلا علي حصائد أسنتهم)

قال الحافظ ابن وهب في كتابه جامع العلوم والحكم صفحه ٢٤١ المراد بحصائد الالسنه جزاء الكلام المحرم وعقوباته فإن الإنسان يزرع بقوله أما حسنات وأما سئيات ويوم القيامة يحصد مايزرع فمن زرع خير من الأقوال حصد الكرامه ومن زرع شرا من الأقوال حصد الندامه وهنالك قول لابن مسعود (انذركم فضول كلامكم حسب امرء من كلام مايبليغ به حاجته فإن الرجل يسأل عن فضول كلامه كما يسأل عن فضول ماله) وذكر البعض أنه حديث عن الرسول والراجح أنه قول لابن مسعود المهم هنا أن ابن مسعود جعل الفضول من الكلا م الزائد منه عن قدر الحاجه ذنبا يستحق العقوبه ولذا حذر منه

ولأنه قد يقول قائل كيف نسكت ونحن نعلم أن الساكت عن الحق شيطان اخرس فقد رد علي ذلك ابو القاسم القشيري فقال السكوت في وقته صفة محموده من صفات الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال وهذا يتفق مع قوله تعالى (الا من ظلم)

فاللسان نعمه عظيمه من نعم الله تعالى وهو علي صغر حجمه شأنه خطير وأثره عجيب وعلي المسلم أن يصونه ويحترس منه من الخوض في الباطل والمرء والجدل والخصام وان يحفظه من الفحش ف الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن من أسباب لعن اليهود هو قولهم في مريم البهتان الزور

وايضا يتولي الله الجواب علي سؤال اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم لبيان ان هولاء عديمي الحياء فهم لا يستحون من الله وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا لم تستحي فاصنع ما شئت) فيقول الحق أن اسئله هولاء تعود لانعدم الحياء منهم ولهذا ذكر قولهم (ارنا الله جهره)

للاشارة الي تطلع هولاء الي ما حجب وستر وهذا من فضول النظر فالله لا يري فلاتدراكه الأبصار ولهذا يذم الحق هولاء

مع ان القائلين أسلافهم لبيان أنهم لا يخلون ولا يخافون مما يعاب ويذم مثل أسلافهم فغياب الانكسار الذي يعتري الإنسان من خوف كل ما يعاب به ويذم ليكون انقباض للنفس وصيانتها عما يعيبها ويمنعها من التقصير في حق كل ذي حق حقه سوء كان صاحب الحق هو الخالق أو المخلوق...منعدم عند هولاء

وهذا ناتج عن الاستعباد لفترات طويله في مصر لذلك لا يخلون من التبحر لأن فطرتهم تلوئت بالذل والمهانه والدناءه والخسه ولهذا لا يذعنون الا بالههر..فالفطره مغروس فيها الحياء ولا تقبل أن تتحدث بالبذي من الأقوال اذا كانت سليمه فادم عليه السلام وحواء عندما انكشفت عورتها قال تعالى أنهما استحياء فقال تعالى (وظفقا يخصفا عليهما من ورق الجنة)

وكشف العوره كانت عند مخالفه المنهج الذي هو الستر للإنسان فالله يقول (يا بني ادم قد أنزلنا عليك لباسا يوراي سوتكم ولباس التقوي ذلك خير)

ولهذا فان قله الحياء من أهل الكتاب أمر غير مستغرب فتاريخهم ملئ برفض القبول بمنهج الله الذي يستترهم من الفضيحه ولهذا يصيرون عرضه لبنديقه الشيطان لا يجدون ما يستترهم عنه فالله يقول في موضع آخر (أنه يراكم وقييله من حيث لاترونهم)

فالمنهج يوفرك الملابس التي تحميك من رصاص الشيطان كما يقول العسكري عندما تطلب منه تصويب الرصاص باتجاه شخص في المترس فيقول هذا هدف مستور رغم أنه يراه لانه قد وضع ستائر تمنع وصول الرصاص الي جسده فكذلك المنهج

ولهذا فان غياب المنهج يعني أن هذا الشخص روحه لاتليس ما يستترها فلاتستغرب منهم قله الحياء والوقاحه و اللجاج في الجدل ولهذا نجد أن الحق ينقل صورته كامله عن مواقف هولاء فأول ما فقدوا فيه الحياء ثم خيانه الامانه ونقض العهد فقال تعالى (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه الامقيتا ممقتا فإذا لم تلقه الامقيتا ممقتا نزعته منه الامانه فاذا نزعته منه الامانه لم تلقه الا خائنا مخونا فإذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعته منه الرحمه فإذا نزعته منه الرحمه لم تلقه الا رحيما ملعنا فاذا لم تلقه الا رحيما ملعنا نزعته منه ربه الاسلام)

وهذا ترتيب دقيق في وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لاطورها وكيف تسلم كل مرحله خبيثه الي اخري اشد نكرا فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه ولم يتهيب علي عمله حسابا ولم يخشي في سلوكه لومه لائم مد يد الاذي للناس وطغي علي كل ما يقع في سلطانه ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبا يعطف عليه بل إنه يغرس الضغائن في القلوب وينمها

فمن تجري علي الله وعلي الناس لا يردنه عن الآثام حياء فإذا صار الشخص بهذا المشابه لم يوتمن علي شي قط اذا كيف يوتمن علي حقوق الناس من لا يخلج باكل أموال الناس بالباطل او علي أعراضهم من لا يستحي من فضحها فإذا فقد الإنسان حياءه وأمانته فإنه يصبح وحشا كاسرا يكون معربدا يجري وراء شهوته ويدوس في سبيلها اذكي العواطف فهو يفتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقه وينظر الي الالم المنكوبين فلا يهتز فؤاده بشفقته فهو ينخلع من ربه الاسلام

فقال تعالى

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما)

وهذا فيه

الأمر الأول

النصوص كما أوضحنا معطوفه علي ما قبلها بحرف العطف

(الفاء) والباء في الكلمه (فبظلم) سببيه ومعني ذلك اي بسبب ظلم عظيم صدر من اليهود اشاره الي ماسبق ذكره من نقض العهد وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وكافه أفعالهم القبيحه التي أفصحت عنها الآيات القرآنية في هذه السوره وغيرها يخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنه عاقبهم علي ما ارتكبوا من المعاصي بالكفر والظلم ومناصبه العداة لدين الله والمومنين ومنع الناس من الإيمان والتعامل بالربا والا معان في هضم حقوق الناس بالرشاوي وغيرها عقوبتين الاولي في الدنيا بان حرم عليهم اطعمه كانت حلال وهي من الاطعمه الطيبه كما قال تعالى في موضع آخر (وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورها أو الحوايا الا ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون)

فدلت الياه الكريمه أنهم استحقوا ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم واختلافهم علي الرسول وعصيان أوامر الله والعقوبه الثانيه في الاخره (واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) بأن هيا وجهز للمصرين علي الكفر من اليهود عذابا اليما سيدوقونه مثلما ذاقوا في الدنيا عقوبه تحريم الاطعمه

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

أن النصوص فيها تعريف المسلمين باليهود وخسه نفوسهم ليكن منهم الحذر في التعامل معهم وان ينطلقوا من هذه القواعد فلا تتخدع بهم فهم يلبسون اقتعه أهل العلم والإيمان وهم بعيدون عن ذلك كل البعد وهذا التعريف بهم ليس مقصورا علي الجماعه الاسلاميه الاولي في زمن الرساله بل هو درس لكل المسلمون في كل زمن فنظرا لاهميه الموضوع ذكرهم الله في كتابه الكريم الذي هو منهج حياه للمسلمين وهو الماده التي قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتربيته المومنين به فذكرهم فيه يدل أن المعركه مع اليهود والمسلمين سوف تستمر إلي قيام الساعه ونحن بحاجة إلي معرفه هولاء وطريقه تفكيرهم وخبث أساليبهم ووسائلهم في محاربه الاسلام في جميع المجا لات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحن نشاهد اليوم كيف صار حال المسلمين عندما ابتعدوا عن منهج الله الذي حذرهم من التعامل مع اليهود وواضح لهم حيل اليهود وخبثهم فهم أعداء الخير والإنسانية لاصديق لهم ولايمكن اقامه جسور صداقه معهم وقد شاهدنا كيف أنهم أفسدوا الحياه السياسيه في العالم اليوم لقد مزقوا المجتمعات الي طوائف متناحره وأحزاب متقاتله فدمروا الأرض ب الحروب والاسلحه الفتاكه وهم يدعون القيم الإنسانية يذبحون الاطفال الرضع في فلسطين ففي لحظات كتابه هذه الأسطر نشاهد قيامهم بقتل اطفال غزه والمرضي والنساء في المستشفيات تحت شعار الانسانيه ومزاعم الاخلاق التي تزعمها امريكا الصهيونية وأوريا الغرييه

نشاهد كيف أن الحكام العرب الذين أصبحوا جزء من هذا اللوبي الصهيوني اليوم بلا ذره غيره يشاهدون المذبحة بحق اهلنا في غزه ولا يتحرك لهم ساكن يسمعون استغاثه اهلنا في غزه يطلبون منهم النجده ليس للقتال معهم وهو حق أنهم يطلبون ادخال قطرات الماء ليشرربوا بعدما إسرائيل قامت باستهداف الآبار وخزانات المياه ولكن لحياه لمن تنادي لأن القرار أصبح مرهون برغبه اليهود فقد خرج نتيهاو في وقت اجتماع سبعة وخمسون دوله عربييه وإسلامية في الرياض يقول علي قاده العرب والمسلمين أن يصمتوا

لقد أفسدوا الحياه الثقافيه فصارت ارض الحرمين الشريفين تشيد المراقص وتستدعي المثليين اليها للرقص في وقت يذبح اهلنا في غزه كل ذلك لإرضاء اليهود ومشروع التطبيع تحت مسمي الاتفاق الابراهيمي اضافه الي وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود في العالم كله ووصل آثارها الي أبناء الإسلام لماذا لأننا لم نأخذ بأمر الله الذي أمرنا بمقاطعة الثقافة اليهودية في قوله (لاتقولوا رعنا... الخ

وكذلك في الاقتصاد لقد أصبح العالم اليوم كله يتعامل في الربا والرشاوي وهكذا في شتي المجالات يطول شرحها عندما ابتعدنا عن منهج الله ولم نحذر من التعامل مع اليهود فوصلنا الي ما وصلنا إليه من الضعف والهون

الأمر الثاني

ابتدأت النصوص بذكر أنه سبحانه وتعالى عاقب اليهود بالحرمان من الطيبات الحلال فما حرم عليهم من الاطعمه عقوبه لهم وجهز للكافرين منهم نار جهنم فقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم... الخ

حيث استخدام الباء في كلمه (فبظلم) وهي سببيه اي بسبب القبائح التي ارتكبتها هولاء كان التحريم عقوبه لهم..... فالحق يريد أن يقول لنا أنه جعل للهدايه والسعاده أسباب للوصول إلي كمال نعمه الهدايه والتوفيق والسعاده في الدنيا والاخرة وهي من فضل الله

وإحسانه وتوابعها فهي من صفات العطاء وكذلك فإن للضلال والشقاء أسباب فهي من صفات المنع وتوابعها وبالتالي فعليك أن تحذر أسباب الشقاء والضلال التي تجلب لك عاقبه الهلاك والضياع

ولهذا نجد أن الحق يأتي بحرف العطف الفاء في بدايه الكلمه (فبظلم) فهي معطوفه علي ما قبلها من القبائح التي تناولتها الايات والتي ترسم لنا أفعال وأقوال اليهود القبيحه

ثم يربط بها حرف الباء للإشارة الي أن تلك الأفعال والأقوال هي أسباب العقاب الذي عوقب به اليهود اضافة الي العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة فأجمل أعمال القلب واللسان والجوراح بلفظ (فبظلم) اشارة الي ماسبق من الكفر والجحود واقتراهم وقولهم المنكر علي مريم وعيسي وغيرها ومناصبه العداة للحق لبيان أنهم ظلموا أنفسهم ولم ينتفعوا بنعمه العلم والايامن فبدل الثناء علي الله بحمده علي ما انعم عليهم من انزال الكتب والأنبياء فيهم ما الذي حدث استعملوا هذا اللسان في التناول علي الذات الالهيه فقالوا ارنا الله جهره وتحريف الكتب السماوية وقلوبهم لم تشكر الله بالإنباء ولهذا قالوا (قلوبنا غلف) وجوراحهم امتدت لقتل الانبياء بدل أن يشكروا الله باستخدامها في طاعه الله ولهذا قال تعالي (بل طبع الله عليها بكفرهم)

أن كسبهم غطي علي قلوبهم وحال بينهم وبين الايمان فهم اتبعوا اهوائهم وحرصوا علي الملذات والمصالح الشخصية الدنيوية فلم يعرفوا أنفسهم بضعفها وجهلها وحاجتها لربها في كل وقت ولم يقدروا الله حق قدره حتي تكون تلك المعرفة قوه دافعه بالنظر الي ما عند الله من النعم ولما كان الله سبحانه وتعالى يحب اعمال البر ويجازي بالهدايه ويغض الفجور ويجازي بالضلال والشقاء فقد جهز لهم العذاب الموجه في جهنم فالطريق الذي سلكوه نهايته الهلاك ويودي إليها

الأمر الثالث

تبين النصوص أن سبب فساد اليهود يعود إلي حسه نفوسهم فهي فارغه من ارداه الحق ولا تطلبه لأنها خسيسه وتشبت بالدنيا ونظرتهم مقصوره علي ما فيها من ملذات فهذه النفوس خبيثه وهي تحوم حول القذرات والخبائث ولا تقدر نعمه الله ولهذا ذكر تحريم الاطعمه الطبيه عقوبه وتاديب لهم وهي لم تكن محرمة عليهم فهو تعالي يقول في سوره طه أنه أمر اليهود بالاكل من الطيبات وعدم استعمال النعم في معصيه الله فقال تعالي (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوي واني لغفار لمن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدي)

فقد أمرهم بشكر الله علي ما أسدي إليهم من نعم وأمرهم أن لا يستعملوها في معصيه وعدم بطر النعم وحذرهم أن فعلوا ذلك فقد حل عليهم غضبه وعذابه وان من يحل عليه غضب الله فهو الخاسر

فلم ينظروا الي عواقب الأمور ولم يطلبوا كمال أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح فانفسهم خبيثه فخالفوا أمر الله ولهذا فقدوا القوه فلم يرضوا باختيار الله لهم فاختاروا الذي هو ادني كما أوضحنا في سوره البقره ولم ينظروا للأمور والأشياء من مبادئها وغاياتها ولهذا عاقبهم الله في الدنيا بالذل والمهانة فقال تعالي (اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذله... الخ

فاللّهُ يقول إن حسه نفوسهم ودنائتها وراء هذا العقاب

المبحث الثاني

أن الايه فيها أنه سبحانه وتعالى إنما حرم عليهم اطعمه طبيه كانت حلال وغير محرمة عليهم قبل ذلك وأن هذا تاديب لهم وهذا فيه

الأمر الأول

اشاره الي إسراف هولاء بمسأله فضول الطعام بما يزيد عن قدر الحاجه فكان ذلك الفضول مدخلا للشيطان الي قلوبهم فهم لم يحصون أنفسهم من مداخل الشيطان واطماعهم وتمسكهم بالسفليات دون تغذيه الروح بالقيم فقد تركوا قلوبهم مفتوحه لدخول الشيطان فهذا المنفذ الذي نفذ منه الشيطان فادي ذلك إلي خراب قلوبهم وارحمهم بالانشغال بالملذات فهي وان كانت مباحه إلا أن الإفراط فيها علي حساب القيم الروحانية أدت إلي حب الباطل وأهله واحتياهم علي أوامر الله فذكر الحق أن ذلك ادي الي الغفله فلا يذكرون الله فهم لا يخافون عقاب الله وان خافوه ولهذا تعاملوا بالربا والرشاوي فاستحقوا العذاب

الأمر الثاني

أن هولاء أصيبوا بالفغله وهذا الداء الخبيث افه خطيره تخفي علي العبد ما هو فيه من نعم انعم الله بها عليه فيصاب العبد بالملل من

النعمة ويطلب الانتقال الي غيرها حيث يري أن هذا الانتقال فيه الخير له مما كان فيه

والله لايسلبها عن عبده رحمه منه حتي يري من عبده السخط والتذمر والشكوي عندها يسلبها عنه

وعندما ينتقل الي ماطلب يجد التفاوت بين النعمة التي كان فيها وبين ماطلب وعندها يتمني أن يعود إلي ماكان فيه

ولهذا فإن علي العبد أن يتجنب مثل ذلك السلوك وان يحمد الله علي الدوام وهذا يؤدي الي توفيق الله بارشادك الي مشاهدته نعمه الله التي أنت فيها فلا تخفي عليك ويوفقك الي القيام بواجب شكر الله علي نعمته وهذا لايعني قطع الطموحات في تحسين مستوي المعيشة للمسلم ولكن عليك الحذر من أن يدفعك الملل الي السخط والتذمر من ما انعم الله عليك أو التقصير عن القيام بواجبها من الشكر لأن ذلك

فيه عدم رضا وعدم القبول باختيار الله وانما عليك استخاره الله فيما تطلب الانتقال إليه فالله سوف يوافقك الي مافيه الخير فلا تكون اخلاق المسلم مثل اليهود الذين قالوا لموسي (ن نصبر علي طعام واحد.....قال اتسبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير...الخ

فكان فساد اختيارهم ناتجا عن حب الدنيا ومتاعها وعقابهم الله علي قولهم ذلك علي وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها

خامسا

يقول لك الحق انتبه أن تكون عدوا لنعمه الله لاتشكره عليها لأن ذلك يفقد الاحساس بالنعمة ويولد فيك طاقه سلبيه تجعلك تسعي إلي ا لاجتهاد بدفع النعمة بكل ما اوتيت من قوه فهذا من أسباب التعاسة والشقاء وخسه النفس ودنائها فعليك تزكيه نفسك حتي لاتكون عدو لنعمه الله

فالاصل أن النعم تجعلك تراي جمال الله وجلاله وعظمته وعطفه وإحسانه عليك فيولد في قلبك قوه حب التقرب الي الله وقطع المسافه بين القلب وربّه وتعرف الله حق معرفته فتكون تلك أسباب كمال النفس بالعلم النافع والعمل الصالح وحب الله يعني طاعه الله وامتنال امره والقبول باختياره وبالتالي فتكون مقبلا علي الحق علي مدبر عنه ولهذا ذكر الحق سبحانه وتعالى فساد قوه الحب فيهم فقال تعالي

(وبصدهم عن سبيل الله)

فالحق يبين لنا أن اليهود أعداء الحق وأهله في كل زمان فهم يحاربون الحق ويمنعون الناس من السير في طريق الحق فلم ينتفعوا ب العلم والايمان نتيجته الكبر والغضب والحسد وأتباع الأهواء التي افسدتهم

وان ذلك ادّي الي التحايل علي أمر الله لهم بعدم التعامل بالربا والرشاوي واحترام حقوق الناس فقال تعالي (وأخذهم الربا وقد نهو عنه واكلهم أموال الناس بالباطل)

تشير النصوص الي عدم مقابله هولاء لأمر الله بالتعظيم خوفا من الله فبرغم أن الله نهاهم عن ذلك إلا أنهم تعاملوا بالربا لاعن جهل بل عن معرفة حرمه هذا التعامل وهذا يدل أنهم لايستحون أن يراهم الله فيما يغضبه فهم لايقرون الله وان وقروه فليس توقيير حب وإجلال كما ذكر الله (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم)

وانما توفير مخافه شره وهذا التوفير لايعد توفيرا اذا لم يرتبط بالحب والاجلال الناتج عن الشعور بالافتقار الي الله ومعرفته عظمه الله وكمال اسماءه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى وأشار الحق أن تعامل هولاء مع الناس بالجور وعدم الاحسان الي الناس في التعامل فذكر الحق أنهم لايتورعون عن أكل أموال الناس بالباطل بدون وجه حق فذكر أنه تعالي جهز لهولاء الكافرون من اليهود نار جهنم التي فيها العذاب الموجه فقال تعالي (واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما)

ولهذا نجد أن الحق يأتي بهذا الاستثناء بصيغه الاستدراك الذي يذكر فيه البعض الآخر هم أهل العلم الراسخ والايمان من امه اليهود فقال تعالي

(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما انزل من قبلك المقيمين الصلاه والموتون الزكاه المومنون بالله و اليوم الآخر اولئك سنوتهم اجرا عظيما)

فقد وصف الحق أن العلم الراسخ هو طريق المعرفة الصحيحه وهو كالايمان لانه يفتح القلب لنور الهدايه فتمره العلم النافع الايمان ب اليقين فهو يقود للإيمان لانه يكون ايمان فالله يقول (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

فهذا هو العلم النافع الذي يقود الي العمل الصالح الذي فيه كمال النفوس بعكس العلم السطحي الذي يولد الغفله ويؤدي الي الخروج عن

دائرته الايمان لانه يريد تطويع العلم لمصالحه الشخصيه فنظرته لاتخرج عن نطاق الشهوات واللذات والاماني الكاذبه والشهوات والرغبات

ولهذا يقول لنا الحق أن هذا العلم الراسخ كان سببا لثبات قيمه العلم بادر ك الغايات والأهداف فلم يضطربوا أمام الشبهات فهؤلاء لم يسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم المعجزات كما سال الفريق الثاني عندما سألوه أن ينزل عليهم كتابا من السماء بل آمنوا بالقران المصدق لما في التوراه

ولهذا فقد انضموا في صفوف المومنين والتحقوا بجماعه المومنين فقال تعالى (والمقيمين الصلاه والموتون الزكاه)

واستخدم الباء لاقامه الصلاه لبيان مبالغه في القيام بحق الله بالتعظيم والاجلال لأمره خوفا وحباً وإجلال وتعظيم وكذلك تعاملهم مع الناس بالاحسان فقد أحسنوا استخدام ملكات العدل والإحسان لا يريدون من أحد جزاء ولاشكور وانما يبتغون رضاء الله والوصول الي نعمه والسعاده الابديه فكان في ذلك شوق للقاء الي وانعامه واشفاق وخوف من عذابه فقال تعالى (المومنون ب الله واليوم الآخر)

فهم يدركون عواقب الأمر فالغايات تدرك بمبادئها وعواقبها فيأتي وعد الله يبشرهم بالأجر العظيم الذي لامثيل له في الاخره فأشار إليهم وبتحقيق وعد الله (اولئك سنوتهم اجرا عظيما)

القسم الثالث

(انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده واوحينا الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان وعاتينا دواد زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفي ب الله شهيدا)

اولا

ابتدأت الآيات بتقرير صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحه رسالته صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده واوحينا الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان وعاتينا دواد زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا)

والايات وردت في إطار الحديث عن أهل الكتاب من اليهود

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

المبحث الأول

(تبيين النصوص سنه الله في انزل الوحي علي رسله لتبليغ الناس بما يحب الله ويرضاه وما يكرهه ويبغض

ولهذا ابتدأت النصوص (انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده)

فهي بمثابة اجابه علي اسئله طرحت من المخاطبين أو أنها متوقعه أن المخاطبين سوف يسألونها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده واوحينا الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان وعاتينا دواد زبورا....الخ

ف الله سبحانه وتعالى يقول (انا) أنه تعالي أوحى القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم وتشير بوضوح أن ارساله رحمه للعالمين فالنصوص تهدف من استعمال صيغه الجمع (انا) أن تغرس في النفوس أن القرآن الكريم فيض من الله تعالي علي عباده فهو يحقق انسجام حركه الإنسان مع الكون ومع بعضهم البعض ولهذا فهو يحتاج الي صفات كثيره متازره من العلم والقدره والحكمه والحق فهذا الوحي علي الرسول صلى الله عليه وسلم رحمه من الله بخلقه الانس والجن اجمعين

وايضا في الجمع العظيم للوحي (القران) كونه اعلام من الله تعالي للناس عبر نبيه بمنهج الله الذي يحتاجونه لمعرفة الله ومحبه وعبادته وتوحيده

فالوحي هو الوسيلة الوحيدة لبيان مراد ومطلب الله من عباده فاخبر الله نبيه أنه أوحى إليه وانزل عليه القرآن مثلما أوحى للرسل قبله فالأمر ليس مثار استغراب وليس بدعه جديده أن يوحي اليه ف الله قد أرسل قبله عدد كبير من الرسل والأنبياء

وهذا فيه الرد علي أن استغراب هولاء لامبرر له سوي العناد والجهل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم من جنس هولاء الرسل فدعوته ودعوتهم واحدهم فالمصدر واحد وغاياتهم واحده وهي تبليغ أمر الله ونواهيه الي الناس وا لأشياء إنما تدرك بغاياتها وأهدافها ومصدرها فالانبياء وحدهم الذين يملكون حق الحديث عن الله فهم وحدهم

الذين يستطيعون أن يقولوا لنا آخر ما يمكن قوله عن أمور الغيب ومراد الله فمنبع علم الانبياء هو الوحي ومصدر علم غيرهم هو العقل والعقل البشري وسيله اكتشاف الحياه البشريه وهو عاجز عن إدراك ذاته وبالتالي فالانبياء وحدهم هم الذين يملكون الحديث عن الله فهم المصدر الموثوق به في هذا المجال وان اصل اختيار الرسل هو الاصطفاء وسر اختيارهم هو علم الله بحقيقتهم فالله يقول في موضع آخر (الله اعلم حيث يجعل رسالته) ولهذا فهم المصدر الوحيد الذي يحق له الحديث عن الله ولهذا قرن النبي صلى الله عليه وسلم بالانبياء فهم معروفون فلم يقرنه بالمجهولين ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين فيقول لهم الحق عليكم أن تتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمنوا فهو ليس من الملوك الذين يسعون الي نهب الأموال الخاصه بالشعوب فهو مرسل من الله مثل بقيه الانبياء لا يريد منكم اجرا علي هذا الخير فهو رسول أتاه الله الرساله رحمه منه وزوده بالاداله فما عليكم إلا أن تنفتحوا علي هذه الرساله بعقولكم وافكاركم فالله شاهد علي صدق نبوته وهو لا يلزم أن تلتزموا بها قسرا

الأمر الثاني

بيان بشريه الرسول صلي الله عليه وسلم مثل بقيه الرسل لازاحه الشبهات التي آثارها اليهود الذين سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم اسئله تعجيزيه لتمويه القضييه من رساله يجب أن يسمع لها ويطاع الي اتهامات لشخص الرسول قاصدين أن تحمل تلك الشبهات في النفوس الضعيفه الربيه والاضطراب وعدم التصديق فطلبوا انزال كتابا من السماء...ولهذا جاءت هذه الآيات بعد أن ذكرت النصوص أحوال اليهود وماهم عليه من الظلمات وانحراف وسعيهم بما أوتوا من قوه لصد الناس عن منهج الله ومحاوله قتل الانبياء مثل عيسي ليبيان ان هذا تأصيل الفساد فيهم فيقول إن نفوس هولاء مالت عن الحق فماضي هولاء وحاضرهم واضح ويربط ذلك بالمعني (يسالك أهل الكتاب)

فهم قد أنكروا نزول الوحي علي اي بشر من بعد موسي فقالوا (مانزل الله علي بشر من شي)

فيقول الحق أن هذا القول هو سلوك جميع الناس مع الرسل فهم لم يستوعبوا انزال الوحي علي بشر فذكر نوح للاشاره الي اول جحود للناس وخروجهم عن منهج الله بعد ادم فالله يقول (كان الناس امه واحده فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...الخ

فيقول الله أن الانبياء جميعهم بشر فالنبي لا يخرج عن بشريته فهو يظل محكوما بانسانيته وادميته من الاكل و الشرب والحزن والمتاعب والمعاناة حتي الموت

وذكر ابراهيم وأبناءه... الخ ليبيان ان سنه الله هي ارسال الرسل وانزل الكتاب الذي فيه الدستور لحياتهم لتكون حركتهم وفق مراد الله والدعوه الي التوحيد فالله يقول (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى إليهم) وقال تعالي (وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحى أنه لا اله إلا انا فاعبدون)

ولهذا يحتج الله عليهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل فشانه في حقيقه الارسال واصل الوحي منزل عليه كشأن سائر مشاهير الانبياء في ذلك فما الغريب أن يرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم من امه العرب

المبحث الثاني

تبين النصوص انه لافرق بين الرسل فهم أرسلوا جميعا للدعوه الي التوحيد ومعرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته سبحانه وتعالى وكلهم أرسلوا للتبشير والانذار واقامه الحجه علي الناس فهم موكب واحد برساله واحده فذكر الله أنهم بشر يوحى إليهم فقال تعالي (انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده واوحينا الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان وءاتينا دواد زبوراً)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

ابتداء بذكر (كما اوحينا الي نوح والنبين من بعده)

ولم يذكر ادم عليه السلام وهو نبي ولم يذكر لانه لم يكن هنالك انحراف في حياه الناس ولأن الأبناء يتأثرون بالا باء ويقلدونهم فلم يكن هنالك حاجه الي انزال كتاب الي اولاد ادم وانما كان ينقل لهم ادم مراد الله مباشره وانما طراً للانحراف في زمن نوح عليه السلام ولهذا يذكر الله هولاء بما كان عاقبه المكذبين بنوح فهو اب البشريه الثاني وجميع الانبياء جاوا من بعد نوح لبيان حاجه البشريه لبعثه الانبياء والرسالات لإخراج الناس من الظلمات لأن الله لم يوكل لادم نقل الرساله الي أبنائه من بعده ثم ذكر ابراهيم عليه السلام بحكم الشبهه بينه وبين نوح في مواجهه الشرك ثم ذكر الرسل من ذريه ابراهيم لشرفهم وفضلهم وانهم جميعاً أرسلوا حاملين منهج فيه حياه لأرواح ولهذا خص بالذكر (واتينا دواد زبوراً)

حيث ذكر أن الزبور كتاب مواعظ وتساييح ذكر الله فذكر هذا لبيان ان الوحي منهج كان ينزل لمعالجه الأمراض التي تطرا علي البشريه

الأمر الثاني

ذكر الرسل دون الترتيب الزمني ولا المكاني لارسال هولاء الرسل فأراد بهذا الثناء عليهم وذكر وشرح أحوالهم وهذا فيه الرد علي منهج التفريق بين الرسل الذي نادي به اليهود كما أخبرنا الله (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً)

فيقول الحق عليكم أن تومنوا بجميع الرسل إيماناً لا تفرقوا بين احد منهم فانتهم ملزمون بمحبتهم جميعاً والا قتداء بهم فالهدف من ذكر وشرح أحوالهم أن يكونوا قدوه حسنه فاللازم الثناء عليهم جميعاً ولهذا قدم ذكر عيسي عليه السلام علي بعده لأن الواو هنا للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره في الايه لا يوجب تقديمه في الخلق والارسال وانما تقديمه في الذكر للرد علي اليهود لغلوهم في الطعن فيه وقولهم البهتان علي امه البتول مريم الطاهره

فناسب هذا أن تذكر الايه في مقام اثبات نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ودحض مزاعم اليهود فيقول لهم الحق أن ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وأن وحي الله إليه ليس غريباً فهو مثلما أوحى الله الي الانبياء من قبله ولو كان إيمانهم بالرسل السابقه صحيحه لما كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثالث

أن ذكر وحي الله للرسول صلى الله عليه وسلم أنه

مثلما أوحى لغيره من الرسل فيه دعوه الي الايمان به والتصديق بالقران والوحي له ألوانا وله معاني متعدده ولهذا سوف نبين ذلك من خلال الآتي

١

معاني الوحي واستخدم هذا اللفظ

*

يستخدم لفظ الوحي في الأيماء والاشارة كما قال تعالى (فاوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا)

*

يستخدم في الإلهام كما قال تعالى بشأن مريم

(واوحينا الي ام موسى أن ارضعيه)

والالهام وجدان تستغيه النفس وتشتاق إليه فتطلبه فهو يأتي شبه وجدان الجوع والعطش والحزن والسرور

*

ما يكون غريزه في النفس كما قال تعالى بشأن النحل (واوحى ريك الي النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا)

*

وهو يعني الإعلام في الخفاء بأن يعلم انسان آخر بأمر يخصه به دون غيره كما قال تعالى (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض)

٢

أما وحي الله المقصود هنا أنه يوحى الي انبياءه عرفان يجده الشخص في نفسه مع اليقين يأتي به الرسول البشري من ربه الي الناس ف الله يقول إنه لم ينزل علي أحد كتابا من السماء كما سال هؤلاء من الرسول صلى الله عليه وسلم علي سبيل العناد والتعننت لأن الوحي ضربا من الاعلام الخفي السريع وليس هو بالأمر المشاهد الحسي

والملائكة هم الذين يحملون الوحي من الله الي انبياءه ورسله والمصطفى من الرسل يعده الله مصنوع منه تعالى ليكون قادرا علي تلقي الوحي ولهذا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتصبب عرقا ويرتجف فوداه عندما ابتداء عهده مع الوحي فدخل علي خديجه قائلا زملوني زملوني

فالوحي له صله كصلصه الجرس كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هذا الصوت بمثابة اعلان أن هذا الوقت يأتي الوحي وهنا يكون الرسول مستعدا لاستقبال الوحي ولهذا لما انقطع الوحي وجد الرسول صلى الله عليه وسلم شوقا لاستقبال الوحي فقال تعالى (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)

ف الله يقول (ما كان لبشر أن يكلمه الله الاوحيا أو من وراء حجاب الخ

ثانيا

أن النصوص تتناول الرد علي شبهات اليهود الذين تعجبوا من نزول القران منجما مفرقا واعترضوا علي كيفية انزاله لانه سنه التوزيع علي الحوادث والتقسيم علي الأزمان ومنشا الاعتراض أمر مخالفا لسنة الله فيما أنزل علي الانبياء من الكتب قبله التي كانت تنزل دفعه واحده فقالوا لماذا لم ينزل كما أنزلت التوراه علي موسى في الألواح مره واحده قالوا ما باله تنزل منه الايه تلو الايه وفي ازمته متطاوله فقالوا أليس سنه الله واحده في انزال الكتب واحده الا يكون مجيئه هكذا مفرقا دليلا علي أن محمد يصطنعه ثم يقول هذا من عند الله تعالى فقد قالوا في القران ماهو اكثر من شناعه هذا وغالطوا حسهم وعقولهم وكابروا وجدانهم وماتشهد به فطرتهم وكنموا مافي

كتبهم من الامارات والنعوت الموكده صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فالايات تهدف إلي بيان المفاهيم ا
لاتيه

المفهوم الاول

يقول الحق سبحانه وتعالى أن الوحي وسيله الاتصال بالبشر لابلغهم أمر الله تعالى فهي الايات التي يتواصل بها
الي الغايات والمقاصد وجميع الانبياء حملوا فكره التوحيد ولاخلاف بينهم في هذا الجانب وانما الاختلاف في
آيات ووسائل وأساليب تحقيق هذا الهدف فقال تعالى في موضع آخر (ولكل جعلنا شرعه ومنهاجا)

ولهذا نجد أن الايات ذكرت أن مساله الوحي منه تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم مثلما أوحى تعالى لجميع
الرسل قبله واختتمت بذكر إعطاء دواد عليه السلام الزبور لبيان انه تعالى لما بعث الرسل بالرسالات علم أحوال
العباد ومايطرا علي مراحل الوجود الإنساني من التقلب والتطور وأثار الصراع مع أهل الباطل

ولهذا جعل مساله التوحيد للرؤي والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنه الماتي علي شروط تتسم بالثبات فعدد الا
نبياء للأمم وعدد وسائل تليغهم بل وعدد حتي معجزاتهم بما يتناسب مع أحوال اهل ذلك الزمان وطريقه
تفكيرهم وحدود وعيهم المعرفيه لتقوم الحججه عليهم فالله يقول (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)

فالكتب السماويه وان كانت حاويه في مجموعها علي معني واحد وهو التوحيد لكنها عدت الأساليب ونوعت
الوسائل في إقناع العقل البشري واقامه الحججه وآثاره كوامن فطرته كما ذكر العلامة ابوبكر العدني

ولهذا اختتمت الايه بقوله (واتينا دواد زبوراً)

لبيان انه تعالى انزل علي دواد الزبور وهو كتابا يركز علي التسبيح والتمجيد فهو جاء يصدق التوراه ويكملها
كوسيله لتهديب بني إسرائيل لأن قلوبهم صارت قاسيه فكان الزبور لترقيق هذه القلوب فقد قال تعالى في سوره ا
لانبياء (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)

لأن الناس بعد النصر الذي تحقق علي يد دواد بمقتل جالوت تسلل الي قلوب البعض العلو والزهو والله يقول (تلك
الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولافساد والعاقبه للمتقين) فكان إعطاء دواد الزبور لترقيق
القلوب ومنع العلو والزهو والافساد في الارض

المفهوم الثاني

يقول الحق أن القواعد الأساسية أن كل كتب الله يصدق بعضها البعض ولاتختلف في أصل اوقاعده من قواعد
التوحيد

ولهذا ذكر بعدها الاشاره الي العدد الكثير من الرسل والأنبياء سؤاء الذين قص عليك منهم اخبارهم أو الذين لم
يقصص عليك اخبارهم فقال تعالى (ورسلا قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك)

لبيان كثره اعداداهم فمنهم من ذكرهم في القرآن ومنهم من لم يذكرهم فقد ذكر ان مجموع الرسل

مائة واربعه وعشرون ألف ومنهم من قال إنهم ثمانيه الف منهم اربعة الف لبني إسرائيل واربعه الف لسائر البشريه

فيقول الحق منهم من سميناهم لك وعرفناك أحوالهم ومنهم من لم نعرفك بهم لكن لاتفاوت بينك وبينهم في
حقيقه الإيحاء وأصل الرساله بما يسالك هولاء الكفره مما لم يعطي أحد من الرسل

المفهوم الثالث

يقول الحق أنه لم يذكر قصص بقيه الانبياء لأن القصد من القصص هو العبرة والعظة والذكرى والتثبيت والا
حتجاج علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ولتكون هذه القصص نماذج للاقتداء بها

قال تعالي في موضع آخر (لقد كان في قصصهم عبره لأولي الألباب) وقال تعالي (وكلا نقص عليك من أنباء
الرسول ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظه وذكرى للمومنين)

فالهدف من الحديث عن تاريخ النبوات علي اقوامهم ليس لغرض التسليه التي تكون في الأساطير والحكايات و
الرؤيات الخياليه التي يتداولها الناس لا فليس هذا الهدف ف الله يعطينا قصص حقيقيه واقعيه لتكون دليلا
ناخذه العبر والدروس لتعيش هذا الواقع بفصوله فهذا مورث يجب أن نحسن قراءته في إطار القراءه الشرعيه
لدليل الحدث التاريخي لمعالجة الأمراض لأن مفهوم تحديث الوسائل يحتاج الي زياده بحث واعتناء ليدفع بـ
الواقع المتجمد الي حركه فاعله فدليل الحدث من هذه الوسائل التي تمكن الاسلام من القيام بدوره في معالجه الأ
حداث ومواجهه الازمات والتحديات

حيث أن هذه النماذج تبين للمسلمين عواقب الأمور فالمسلمون كانوا في ضعف مستضعفون مضطهدون ليس لديه
قوه تحميهم وايضا كانوا بحاجه الي الخبرات والتجارب الحياتية التي تمكنهم من مواجهه التحديات فكانت
القصص للعظة والعبره فالمنهج له شقين قسم نظري يعلم الناس خالقهم واسماءه وصفاته وأفعاله والطريق
الموصول الي الله وهنالك قضايا عمليه تحتاج الي اراداه لتنفيذ أمر الله ويجدون مشقه فكانت هذه القصص فيها
القوه الدافعه العمليه لتأخذ منها القدوه الحسنه فهي الجانب التطبيقي للجانب النظري فيقول الحق أنظروا كيف
كان حال الرسل ومن كانوا معهم فعليكم إن تستفيدوا من نوح عليه السلام كيف إنه صبر وقد دعا قومه تسعمائة
وخمسين عاما ولم يستجيب له أحد أنظروا كيف أنه قام بتنويع الوسائل فتاره كان يدعوهم نهارا وتارا ليلا
ودعاهم سرا وجهرا في كل مكان فلم يصاب بالياس

أنظروا الي ابراهيم عليه السلام كيف إنه اهتدي لمعرفه ربه وكيف وجه قومه وصبر وهم يلقوه في النار أنظروا
كيف اخرج ابراهيم كل حب من قلبه ولم يبق الا حب ربه فنفذ أمر الله بذبح ابنه وهكذا كان تسلل الرسل فهذه
المعرفه هي سر ومفتاح الخلافة والاضطلاع بالمهمه من ادم حتي يرث الله الأرض ومن عليها

فإذا كانت القصص لتثبت الناس فكذلك فإن نزول القرآن منجما ومفرقا حسب الأحوال هو لحكمه وهي تثبيت
المومنين فقال تعالي (وقرانا فرقناه لتقراه علي الناس علي مكث ونزلناه تنزيلا)

وقال تعالي أيضا (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبتت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)

المفهوم الرابع

أن نزول القرآن منجما ومفرقا حسب الأحوال ومقسما علي الأزمان والحوادث لأن بعثه الرسول صلى الله عليه
وسلم هي اخر الرسالات ولانبي بعده

فكانت بعثته هي الحد الفاصل بين عهدين عهد طفوله البشريه وعهد بلوغه أشده اي مرحله النضوج واستكماله
خصائصه التي ميزه الله بها علي كثير

من خلقه لانه لانبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولهذا قال تعالي (وكلم الله موسى تكليما)

بمعني أن الله خص موسى بالكلام شئيا فشيئا بالتدرج دون غيره

فلم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في بقيه الانبياء والمرسلين عليهم السلام فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراه دفعه واحده أن تنكروا علي الله أن ينزل القران منجما

فالرسل السابقين كانوا يرسلون الي أقوام محددين ولهذا لمعالجه امراض اقوامهم أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أرسل للناس كافه فذكر الحكمة من ارسال الرسل فقال تعالي (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)

اي قطع اعتذار الناس بالجهل عندما يحاسبهم الله كما قال تعالي (ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)

فهم يبشرون لمن اطاع واتبع رضوان الله بالجنته ونعيمها وينذرون من خالف امره وعصاه وكذب رسله بالعذاب ولفظ (رسلا) منصوب علي المدح أو بالاظهار أو علي الحال المؤثته لما بعدها او علي البداليه من رسلا الاولي أن وظيفه جميع الرسل والأنبياء هي التبشير بما يسر وهو الجنته والانذار لما يخوف به وهو العقاب وهذا بمقتضي رحمه الله أن لايعذب الناس حتي يبعث رسلا ومن كمال عزته الا يعاقب احد حتي يقيم عليه الحجه وان لايجيب المتعنتين الي مطلوبه وحكيما في جميع أفعاله فهو يضع كل شي في موضعه يعلم بأحوال الناس ولهذا نزل القرآن الكريم الذي فيه العلاج لافات العالم في هذا الزمان وهو مصدقا لما سبق من الكتب السماوية التي جميعها لاختلفت في قواعدها فكلا منها تصدق بعضها البعض و انما تتاتي ارسال الرسل والكتب لأن عديدا منها لم يسلم من التحريف والتدخل البشري

كما أن هنالك انحراف بفعل الإنسان في عقيدته التوحيد فإذا نظرنا الي المزامير الورده في العهد القديم نجد انها بعيدة عن عقيدته التوحيد فهي تشبه لحد كبير عقيدته الوثنيه فالقران وحده الذي سلم من التدخل البشري فالله يقول في موضع آخر (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فالله أنزله بعلمه متلبسا بالحق وهو المعجزه وعين المنهج

وهو نزل للعالم أجمع ولهذا جاء بلغه يخاطب العالم كله في مرحله النضوج البشري والرسول صلى الله عليه وسلم يقول بعثت انا والساعه كلها تين ولهذا فإن اللازم أن يكون الإنسان قادرا علي استيعاب التحول الذي حدث في تاريخ البشريه سوء أهل الكتاب أو غيرهم بتجديد قراءتهم لمراد وفقا لهذا التحول والمتغيرات بالعوده الي الأساسيات التي جاء بها القرآن الكريم فهي من أهم المهمات فهي مصدقه لما في الكتب السماوية باختلاف الكتب في طريقه نزولها والمعجزات والمغايره في بعض التشريعات والأحكام يعود إلي التفاوت في طبقات الأمم والا حوال والافات التي كانت محصوره في أمم محدده أما رساله القران فهي للناس كافه

ولهذا فإن اللازم اعاده دراسته أحوال الانبياء ومواقف الناس من الديانه للاستفاده منها للخروج من حاله التشردم والعدواه والاختلاف الناتجه عن التعصب الي ربح الاخلاق والاعتزاز ب الله وهو حكيم فيما يشرع لان أساس الاختلاف حتي فيما بين الطوائف الاسلاميه اليوم يعود إلي امتزاج العلوم بالراء والطباع والتراكم التاريخي لهذه المفردات علي امتداد الأجيال ولهذا نجد أن الحق ذكر هذه الآيات بعد أن تناول بالذكر الأحوال القبيحه التي تفصح عن طريقه تفكير اليهود وسلوكهم من قتل الانبياء ومعارضتهم وايداهم بشتي الوسائل مبينا أن تلك التراكمات شكلت ثغره اختراق الشيطان لبيت أفكارهم ومحل وجدانهم فأصبحوا محاربين لدعوه الاسلام واخبرنا الله أن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون هم الذين كانت قراءتهم لمراد الله صحيحه لأنها انطلقت من ثوابت اصول الديانه بقراءه مراد الله وقصص الرسل وكل من سبق أن سعي في خدمه دين الله فالمصدر الرسالات واحد والغايه واحده وهو إرضاء الله فإن للتحول فقه بالنظر الي القواسم المشتركة الاساسيه فهذا ما انطلق منه هولاء ف التحقوا بالصف المسلم فقال تعالي أنهم صدقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه

بينما ذكر أن المكذبين وقعوا فريسه للشيطان الذي ينطلق من قاعده فرق تسد فهذه دعوته ووسيلته في اتخذ

اتباعا له فهو يستهدف الملحدون عموما أما في صف حركه العمل الايماني فإنه يدخل من باب التفرقه والاختلاف وما يترتب علي ذلك رفض القبول بالحق استحسانا لما عند الكفار وما يترتب علي ذلك من الاستكبار والشرك ويسقط عن الإنسان الوعي ويقع في الخلط وانقطاع الأعمال الصالحة عن سلوك هذا الإنسان فيصبحوا مطايا للشيطان وأعاون له كما أخبرنا الله عن اليهود بأنهم يرفضون الحق ويمنعون الناس عن اتباعه وفي هذا اشاره الي استخدمهم كاه الاسلحه الإعلام والتشهير واستخدام سلاح المال لتطويع الناس فذكر الربا والسحت لأجل إرهاب الناس واشغالهم بلقمه العيش ونهب ممتلكات الشعوب بالباطل لتجويع الناس ونحن نشاهد في الوقت المعاصر كيف أن الدول العظمي تنهب ثروات المستعمرات للمستضعفين ثم تستخدم هذه الأموال للضغط علي الشعوب وهدم القيم والمبادئ ولهذا فإن رفض هؤلاء الالتحاق بصفوف المومنين يعود إلي تأثير النوزاع النفسانيه الحسد وكراهيه الحق لوقوعهم تحت سيطرة الشيطان لأن الحق غير واضح بينما ذكر الراسخون في العلم فهم قد تعاملوا بحسن الادب بالتعامل مع النصوص بالتوجه بالبحث والتأمل الي مراد الله ولهذا سارعوا الي الالتحاق بصفوف المومنين فقد خافوا من العذاب ولم ينظروا الي الدنيا ومتاعها والرياسه والجاه والسلطان والعزه بل نظروا الي الاخره وما فيها من نعيم فهم يعتزون بالله بينما الآخرون لجأوا الي الاستعاض عن الأعمال الصالحة بـ الجدل والمحاججه والتعننت بالاسئله التعجيزيه ولهذا يقول الله لنبيه (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه و الملائكه يشهدون وكفي بالله شهيدا)

فلا تحزن من كفر هؤلاء وتكذيبهم لدعوتك فالله يشهد بصدق نبوتك وان القرآن منزل من عنده وأنه انزل القرآن بعلمه بما أودع فيه مما عجزت عنه البشر فهو المعجزه الداله علي صدقك وشهاده الله تكفي فهو سبحانه وتعالى يقول (قل اي شي اكبر شهاده قل الله شهيدا بيني وبينكم واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)

وقال تعالى (سنربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

فالله عالم الغيب وهو الشهيد الاول في كل قضيه فالمخلوق لايعلم الغيب فشهاده الله في أفعاله الواضحه المحسوسه من خلق الانسان وابداع صنعه في الكون توكد أفعاله النظرية الوحي حتي قيام الساعه

ثالثا

كما أنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد أنها تناقش عده مواضيع

الموضوع الاول

(حاجه الناس لبعثه الرسل والرسالات)

أن الإنسان في هذه الحياه لايستطيع أن يصل إلي الهدف من وجوده علي الارض الا بالوحي ولهذا يقول الله انظر الي هذا الموكب من الرسل والأنبياء تجد أن هدفهم واحد وهو هدايه الناس الي الحق فإذا كان الله هو الحق فإن هدف رسالات الرسل ودعاوي الانبياء هو الدعوه الي الله

فالإيمان بالرسول مرتبط بالإيمان بالله إذ لايمكن تجزئة اصول الايمان كان تقول أومن بالله والرسول صلى الله عليه وسلم ولا أومن ببقية الرسل فالله قد جعل الايمان به قضيه واحده وكلا واحد لايتجزء فالإيمان بالله تعني الايمان به وبرسوله وكتبه وملائكته وقضائه وقدره وجنته وناره... الخ

وهي من الأمور الغيبية التي يعجز العقل عن إدراكها فلا يمكن تكليف العقل بالبحث في عالم الغيب فهو علم فوق إدراك العقل البشري أثناء رحلته علي الارض ولهذا سمي علم الغيب بهذا الاسم لانه غاب عن إدراك العقل البشري

وغايه جهد العقل البشري أن يفهم ويعرف لكن هذه القوه تتنازعها الغرائز النفسانية من الحب والبغض

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى جعل العقل هو مناط التكليف فلم يكلف المجنون وجاء بالمنهج الذي يضبط الغرائز ويوجهها لتوجيهه السليم حتي لا تسيطر علي العقل فقد شاهدنا كيف أن غياب المنهج في أغلب الأحوال ادي الي استلام الغرائز قياده الإنسان أنها أدت إلي الحروب وسفك الدماء وظهرت العصبية والقومية والاستبداد ولهذا نجد أن القرآن يحترم العقل الإنساني ويخاطبه بحوار منطقي يطلب حضوره واكتشاف آيات الله بالتدبر و التفكير لأجل إيقاظ العقل وتوجيهه وتعريفه بمنهج الكمال والرفي الذي يحقق التكريم للإنسان ولن يوجد هذا إلا إذا تحققت خصائص الإنسانية التي تتفرد بها في مستوها الرفيع ولهذا يسخر من الذين حجروا علي عقولهم وقيدهم تفكيرهم ومن صارت عقولهم اسيره اهوائهم

ولهذا فانه لا بد من إصلاح الغرائز حتي لا ينحرف العقل وحتى لا يكون تابعا للشهوات فليس المعرفة العقلية أو الفهم بمفردها هي الغاية من وجود الإنسان ثمه آفاق وراء آفاق الفهم والمعرفة تعلق علي مجرد الفهم المجرد أو المعرفة العقلية أنها قوه الحب وقوه البغض بحيث تكون وفق منهج الله

ومن هنا فإن كمال النفس هو المنهج الرباني الذي يحقق الكمال العقلي فالعقل وحده عاجز عن التمييز بين النفع و الضار بدون المنهج الرباني

فالعقل تقوم قوته علي الاستحسان بالنظر الي النافع والاستقباح بالنظر الي الشئ القبيح وهذا المعيار غير دقيق حيث أن هنالك تفاوت بين الناس في ذلك فهنالك من يري أمرا حسنا وهو في نظر آخرين قبيح فمثلا في افريقيا ينظر بعض القبائل أن شق شفايف المراه من مظاهر الجمال في ننظر إليه نحن أنه قبيح

وهذا لأن البيئه والعادات والتقاليد الموروثة لها دور في توجيه العقل البشري الي النظر لها بالاستحسان أو القبح وهذا يعود إلي انحراف قوه الحب والغضب وايضا فإن دور العقل هو المعرفة للنصوص والفهم لمدلولاتها التي تحملها النصوص لا الحكم بصحة الحكم أو بطلانه طالما أنه من الله تعالى فالعقل ليس الها وهو ناقص لايعرف النافع أو الضار ولهذا انزل الله المنهج الرباني الذي فيه كمال الإنسان ويبدله علي ما يحب الله ويرضاه وما يبغض الله ويكره

وبالتالي فليس للعقل أن يضع المنهج الرباني في قفص الاتهام ليحكم عليه إن لم يجد ما يثبت براءته لما لم يتفق واستحسان العقل فهذا الأمر ليس متعلق بالعقل فطالما أنه أمر الله فاللازم التنفيذ لأمر الله لأن الوحي خارج نطاق العقل

والمنهج فيه كمال القوي العقلية الايمانيه فالخطاب المتوجه للعقل هو لتصحيح مساره لتكون ثمره ذلك الاقتناع الوصول إلي الايمان فالعقل وحده بانوراه المحدده لا يصلح لغير الحياه علي الارض وتقدمه في مجال يتصل بحكمه الله تعالى مثل أوامره ونواهيه وقضاه وقدره وجنته وناره لا يودي الي نتيجته نهائيه وانما يصلح العقل لا ستكشاف الطريق أو يصلح لتصويب الاتجاه في البداية فالعقل يبحث ويسأل ولا يتوقف عن الاسئله ولهذا فإن س لامة قوه الحب هو الذي من شأنه الطاعه والاستسلام وزيف هذه القوي يولد انحراف العقل ولهذا فإن الحب هو الذي يودي الي اختيار العبد أن تذوب اردته في مشئيه الله ويتحرك وفق ارده الله يسكن في الله ويحب في الله ويكره في الله فيصير الله هو السبب وراء كل ما يفعل العبد أو يدع فيكون عبدا لله يري شرفه العظيم بهذا الخضوع والتسليم والخشوع لأمر الله فيكون الحب هو الذي يتحكم في نبضات القلوب واحلام العقول وحركه الجوراح

ولو نظرنا الي قصص الانبياء التي تناولتها النصوص سوف نفهم أنهم جميعا كانوا مسيرين لكنهم اختاروا أن يكونوا مجبورين وهذا الجبر هو سلطان الحريه لأن الحريه الحقيقيه تعني الخروج من كل سلطان غير سلطان الله وهذه هي العبوديه الحقيقيه التي أمر بها العباد والتي أنزلت الكتب السماوية بشرت المومن المعترف بعبوديه الله قولا وفعلا بالجنه وإنذار المكذبين بالنار فالمنهج الرباني لا يستهدف الحفاظ علي قوي الفرد ونوع الإنسان فحسب

بل السمو بها وترقيتها أيضا ولهذا فإن سعادته الإنسان وكماله هو بهذا المنهج وبالتالي فإن المسلم يعرف أنه محتاج لهذا المنهج ويحذر من مخالفته لأن المخالفة تعني النقص والهبوط الي أسفل سافلين فالله يقول في موضع آخر (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها) وهنا يقول تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)

فالإيمان بالله ليس تفضلا من البشر على الله عز وجل وليس فيه مساومه أو أخذ وعطاء إنما هو منه الله على عباده فالله يقول في موضع آخر (قل لاتمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) فمن عطفه وإحسانه ومنن الله وأنعمه سبحانه وتعالى على عباده ارسال الرسل وانزل الكتب السماوية لاستنقاذ الاجهزة العقلية والفطرية والواعية النفسانية من الرواسب الضارة التي لوثت الفطره وعطلت العقل والحواس فهذا من عنايه الله ورحمته ورعايته لانه يبين لك الطريق لعباده الله فلم يعاقب الإنسان إلا بعد اقامه الحجة ولهذا فإن عليك أن تشكر الله فأنت بحاجة إلي شكر الله وعبادته بهذا المنهج وكفرك لن يضر الله وانما تضر نفسك

فالله عزيز لا يقهر ولا يغلب وهو يضع كل شي في موضعه فهو يقرر بحكمه ولهذا فعليكم أن تتركوا أن المنهج الرباني فيه العزه والكرامه للإنسان وفيه الكمال الإنساني وبالتالي فانتم محتاجون لهذا المنهج فليس لكم الرفض أو الاعتراض

الموضوع الثاني

كما أن قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

فيه لفت انتباه المومنين الي مساله في غايه الاهميه متعلقه بالواجب والعبء الذي علي عاتق المسلم من لحظه قوله لا اله الا الله محمد رسول الله

بأنه مسؤل عن تبليغ الرسالة للناس كاهه فمصائر البشريه كلها في الدنيا والآخرة علي عاتقك وبالتالي فإن عليك أن تدرك أن المهمه تحتاج الي بذل الجهد فأمر الناس مرهون بقيامك بالمهمه وسوف يسالك الله هل بلغت الامانه وهل قمت بها بحدود المسؤوليه الملقاه علي عاتقك ام انك قصرت بذلك وهذا ما يجعلك تترك الكسل والخمول وإلا فإنك سوف تعاقب عن هذا التقصير

فالرسول صلي الله عليه وسلم قام بحمل الامانه وبلغها وكشف الغمه وازال الشبهات والعوائق وأقام الحجة علي المكذبين

فالحق يقول لك عليك أن تشعر بضخامه المهمه فلا بد من البلاغ فلا عذر لك فأراد بهذا التنبيه من الاستهانه ب المهمه فأنت مكلف بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم بالقيام بحمل امانه الدعوه للناس كاهه حتي تكون شاهدا عليهم ولانجاه لك اذا لم تقوم بالمهمه فالله يقول في موضع (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

رابعا

تأتي النصوص بصيغه الاستدراك فقال تعالى

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفي بالله شهيدا)

وهذا الاستدراك يعود إلي إنكار أهل الكتاب لنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبهم المعجزات الماديه ولهذا فإن في الايه تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم علي مايلقاه من اليهود من التكذيب والرد عليهم من خلال الآتي

الأمر الأول

(لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه)

تتضمن شهادته من الله تتضمن بيانه للعباد ودلالته لهم وتعريفه بما شهد به ليعلموا أنه قد شهد بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وبصحته ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه فالقران هو المعجزه وعين المنهج الموحى لنبيه صلى الله عليه وسلم فشهادته من أعظم الشهادات وبالتالي فإن هذا فيه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم ورد علي فجور أهل الكتاب ف الله يقول لنبيه لاتحزن اذا لم يصدقك أهل الكتاب برسالتك وكذبوا بالقران فإن الله يشهد أن القران وحيا من عند الله وبعلمه

الأمر الثاني

تضمنت الشهاده أمرين (شهاده أن الله انزل القران منه)(وأنه منزل بعلمه)

وهذا فيه اشاره الي اثبات نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أنزله بعلمه بالايات والبراهين التي تدل علي أنه كلام الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فتضمن إثبات الوحي والمعجزه القرانيه وليس كما ذهب البعض أن المعني للقول إن المراد مجرد كونه أنزله أنه معلوم له لأن جميع الأشياء معلومه له تعالي وليس في ذلك مايدل علي انها حق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله هنا يقول أنزله بعلمه كما قال (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض)

ولم يقل تكلم به بعلمه لأن ذلك لايتضمن نزوله الي الارض

وايضا لأن معني هذا أنه فيه من الأسرار التي لايعلمها الا الله تعالي مايدل أن الله أنزله فذكره ذلك يستدل به تاره علي أنه حق منزل من الله ولكن تضمن من الاخبار وعن اسرار السموات والأرض وقصص الانبياء والاولين والا خرين وسر الغيب مالايعلمها الا الله فمن هنا نستدل بعلمنا بصدق أخباره أنه من الله

فالمراد بهذا بيانه لعباده ليعلموا أنه قد شهد فهو بينها بالسمع والبصر فالسمع لمن يسمع ايات الله المتلوه المنزله يجد فيها أنه معجزه في تناسق ألفاظه عجز الأولون والاخرون عن معارضته فقال تعالي (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) (فلياتوا بحديث مثله) فتحدهم فعجزوا عن ذلك

وأما البصر بمعانيه آياته ومفعولاته وفي ذلك بيانه ودلالته للعباد وتعريفهم ذلك حاصل بداياته فإن آياته هي دلالة ته وبراهينه التي بها يعرف العباد خبره وشهادته كما عرفهم بها امره ونهيه وهو عليم حكيم فخره يتضمن امره ونهيه وفعله يبين حكمته ولهذا فإن الطريق الثاني لشهادته العياني هو رؤيه عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم مايبين لهم أن الوحي الذي بلغه رسله عن الله هو الحق فقال تعالي (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علي كل شي شهيدا)

اي أو لم يكف بشهادته المخبره بما علمه وهو الوحي الذي أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله علي كل شي شهيد وعليم به فإذا أخبر به الله وشهد كان ذلك كافيا

فقوله (أنزله) استدلال علي أنه حق وأن الخبر الذي فيه عن الله حق ولهذا فإن الشهاده لإثبات أن القران هو المعجزه وعين المنهج

وأخباره أن الملائكة يشهدون علي مارسل به رسوله لكمال إيمانهم ولجلاله المشهود عليه فقد شهدت الملائكة بذلك لأن ظهور المعجزه علي النبي صلى الله عليه وسلم يدل عليها شهادته الله له بالنبوه فقدت شهدت الملائكة بذلك لأن الملائكة (لايسبقونه بالقول) فيقول الله لنبيه لاتبالي أن لم يصدقك هولاء ولاتلتفت إليهم وحسبك ب الله

شاهدا علي صدقك دون ماسواه من خلقه فإذا شهد الله لك بالصدق لم يضرك تكذيب من كذب فقال تعالى (وكفي
بالله شهيدا)

القسم الرابع

(أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا أن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك علي الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فإن لله مافي السموات والأرض وكان الله عليما حكيما)

أن أول مايشد الإنتباه أن الايات وردت بعد تناول سنه الله في ارسال الرسل وانزل الكتب السماوية لاقامه الحجج علي الناس واختتمت بذكر شهادة الله علي صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به وشهاده ملائكته وان شهاده الله كافيه ثم ذكرت بعدها (أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا أن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك علي الله يسيرا)

اخبار الحق سبحانه وتعالى عن حال الذين كفروا ووقفوا محاربين لدعوه الاسلام ومنع الناس من الإيمان بأنهم قد ابتعدوا عن طريق الهدايه والسداد ابتعادا لايرجي معه عوده ثم استئناف الاخبار عن الذين كفروا أيضا وظلموا...بأنه لا امل لهم في العفو والتجاوز عن ذنوبهم واستحاله هدايه هولاء الي طريق الهدايه والسداد والنجاه بل يسهل لهم طريق الهلاك والوصول الي العذاب في جهنم بلا انقطاع وهو أمر سهل علي الله تعالي

ثم جاء بعدها النداء العام لكل الناس يحثهم علي التصديق بالرسول وحذرهم من الكفر مبينا أن كفرهم لن يضر بالله تعالي فله ملك مافي السموات والأرض فقال تعالي (يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فإن لله مافي السموات والأرض وكان الله عليما حكيما)

فما هو وجه الارتباط بين الآيات وماقبلها ومن المقصود في الايتين التي خص فيهما عقوبات الكفار كونه قد تناولهم بالأخبار بصيغه الماضي بينما ذكر في النداء يا ايها الناس...فعل الكفر بالمضارع ولهذا سوف نتناول تأويل النصوص والمفاهيم التي تحملها من خلال الآتي

اولا

أن الاخبار عن حال الكفار في الايتين الكريمتين بصيغه الماضي يتناول كل من عرف الحق ومن سبق له الانتماء الي الأديان سواء اليهود أو النصراني أو من انتمى للإسلام وذاق حلاوه الايمان ثم جحد وتراجع وانصرف الي صف الكفار محاربا للإيمان وأهله باعتبار أن الايتين الكريمتين (أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل...الخ

وردت بعد الرد علي شبهات أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين حملوا المشروع الرباني لفتريه زمني كبيره وهو حكم عام يتناول كل من عرف طريق الهدايه ثم انحرف نتيجة الوقوع في ازمه ناتجه عن التقلب والتطور فرفض التحول في قراءه مراد الله وفقا لهذه المتغيرات التي طرأت في الحياه فالايه أوضحت أن الحضاره الماديه وتعاقب الأجيال كانت تعترض طريق النور بظلماتها فكلما تقدمت الحضاره الماديه يحصل انحطاط بالقيم الروحانيه ولهذا كان الحق يبعث الرسل والأنبياء ليخرجوا الناس من تلك الظلمات الي انوار الحق فأخبر الله تعالي أن موكب الرسل والأنبياء سواء الذين قص لنا اخبارهم في القران أو لم يقص لنا اخبارهم هدفهم واحد وهو التوحيد وإصلاح الخلل في حياه المجتمعات لتكون حركتها وفق منهج الله فأرسل الله كل رسول بلسان قومه يترجم عن مطالبهم وآمالهم ويشرع لهم ما يوافق احتياجاتهم ويديهم علي الطريق الموصل الي الله واليوم الآخر الذي يخطه الوحي مستقيما لا عوج فيه ولهذا شاهدنا التباين للأوامر الالهيه التي ابلغها المرسلون لاقوامهم نتيجة اختلاف ظروفهم المتباينه...حتي بلغت البشريه مرحله النضوج والرشد فأرسل الله لها نبي واحد هو النبي صلى الله عليه وسلم بمنهج واحد للعالم أجمع وبالتالي فإن لغه القران تخاطب العالم كله العربي والهندي والياباني و الروسي والأمريكي ؟

فكانت معجزته صالحه لكل زمان ومكان لانه لانبى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (لئلا يكون للناس علي الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكه يشهدون وكفي بالله شهيدا)

حيث أشار الحق سبحانه وتعالى إلي كمال العزه وكمال الحكمه فقال تعالي (وكان الله عزيزا حكيما)بأن مصدر القران الذي اوحاه الله لرسوله صلي الله عليه وسلم وسببه وغايته صادرا عن كمال قدرته وكمال علمه فالعزه تعني كمال قدرته والحكمه كمال علمه وبهاتين الصفتين يقضي الله بين عباده ويكون جزئه وبهما انشاء الخلق وبهما أنزلت أوامره ونواهييه ولهذا جاء الاستدراك بعدها (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكه يشهدون وكفي بالله شهيدا)

فشهاده الله كافيه بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وايضا فإن شهادته في مفعولاته التي لايتخلف عليها الناس إثبات أفعاله النظرية فالآيات الكونيه التي يتم اكتشافها وتتطابق مع ما جاء به القران هي اللغه المعبره عن صدق القران في كل زمان ومكان فالعجاز القرآني هو اللغه القادره علي مخاطبه العالم كله فالعالم يكتشف كل يوم علوما ذكرها القران قبل الف وأربعمائة وخمسه وأربعون عاما فهذه هي

شهاده الله ولذلك نجد أن النصوص تناقش الآتي

الأمر الأول

تعطينا حكم متعلق باليهود الذين انتسبوا الي سلسله مدرسه الخير والايمان ليكون لنا علامه علي الفارق بين الايمان والكفر فنحذر الاختلاف فالمراد بهذا التحذير من التعصب الأعمى للفكره التي ترفض القبول بالحق والتمسك بالحضارة المنتهيه الصلاحيه والجمود والحسد قد دفعهم الي رفض التحول في قراءه مراد الله الي الاسلام وسماهم الكفار لأنهم رفضوا أمر الله ورفضوا القبول بشهاده الله في كتبهم التوراه والإنجيل التي شهدت بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ولايعترفون بشهاده الله وآياته المسموعه والمرئيه فهؤلاء تجروا علي الله بالتكذيب ورفضوا التجديد وإصلاح الخلل الذي طرأ على أحوالهم بالافراط والتفريط وبرفضهم القبول بالحق في استرداد فاعليه جماعه العمل الايماني وترميم الخلل الفكري في بناءها لاستعادته دورهم في حمل المشروع الرباني فهم اخفاوا الحقائق التي جاءت بها التوراه وغبه منهم في استمرار قيادتهم لحرکه العمل الايماني وقاموا بمحاربه المسلمين وصد الناس عن الالتحاق بصفوف المسلمين حسدا من عند أنفسهم ولهذا فإن هؤلاء أضعوا البوصله التي تدلهم علي طريق الهدايه الوحي الذي في التوراه فكذلك حال الطوائف الاسلاميه التي تتمسك بما عندها وتكفر الآخرين وترفض التجديد وإصلاح الخلل الذي طرأ على أوضاع المجتمعات لانه لاني بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا

فقد تعاقبت الأجيال علي حمل امانات الإسلام من بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلي يومنا هذا فقد عاش هذا الدين لأنه كلما اعترضت طريق النور ظلمات قبض الله للامه من يجدها أمر دينها ويخرجها من الظلمات الي النور فهذه الحركات تحطيم السدود أمام دين الله يكون دليلا جديدا علي حيويه هذا الدين

وهنا تكمن المشكله حيث أن البعض يرفض هذا التجديد ويقف محاربا لأعمال الصيانة لاعاده الاسلام إلي ماكان عليه ايام البعثه النبويه وماكان عليه السلف الصالح مع تحديث الوسائل التي لها تاصيل شرعي لموكبه التقلب والتطور وليظل الاسلام صافيا مطهرا مستمدا من منابعه الاصيله

فيقف البعض موقف الجمود والمحارب لهذا التجديد ولايكتفي بذلك بل يقوم بصناعه السدود أمام دين الله

فهذا يكرس ثقافه الاختلاف والتمزق متمسك بما لديه وليس لديه استعداد للفهم خوفا علي مايراه أنه سلب لما امتاز به من لقب القياده الرائده للدين فهذا يفقد بوصله العقل النجاه والسلامه والسعاده لانها مرهونه باستدعاء الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه فاسترداد الفاعليه مرهون بذلك ومن فقد هذه بوصله الهدايه مثل اليهود الذين ارشدتهم التوراه الي نعوت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأخذوا بها ووقفوا محاربين لدعوه الاسلام ومنعوا الناس من الإيمان فقد وقعوا في التيه فهؤلاء بعدوا عن مناهج الدين الصحيح وادي بهم الفساد الي الحكم بالهوي والتورط في البدع ومن كان هذا حاله فقد ضل ضلالا بعيدا

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يخبرنا أن علينا أن نقطع الطمع في ايمان اليهود فهم قد انحرفوا عن الحق وابتعدوا البعد الذي لايرجي معه عوده

فلا فائده من علمهم ولهذا فلا تتقوا بما ينقلونه ولهذا فإن عليكم السير في الأرض واكتشاف آيات الله الكونيه لأن هؤلاء سوف يسعون الي تشويه المعلومه لانهم محاربون لدين الله فعليكم استشعار التحدي لأن مثل هؤلاء يقفون محاربين لمنهج الله واخفاء آيات الله في كتبهم فكيف تتق بهم في نقل آيات الله التي تكتشف في الحياه فهم محاربين لدعوه الاسلام بالاعلام وكافه وسائل الفجور والاقتصاد وسياسيه التجويع لتطويع المنهج لرغباتهم فهم يخفون الحقائق ويجحدون الآيات والنعم ويمنعون الناس من اتباع الحق والفرق بيننا وبينهم في النظر إلي تطور العلم الذي يعيطننا تفسيرا لبعض آيات القرآن أن الآيات ونصوصها لا تتغير وكل ما يحدث اننا نكتشف تفسيرات أكثر لهذه النصوص أما الايمان بها وأنها من عند الله فهو ايمان ثابت ورأسه وعميق سوء عرفنا تفسيرها أو تشابه علينا أما هؤلاء فإنهم يلجأون الي اثاره الشبهات حول الآيات المتشابهة للتشكيك في ديننا ولهذا فإن اللازم علي المسلم أن يتسلح بالفهم السليم للوحي واستصحابه كدليل في البحث والتنقيب عن آيات الله القرانيه المسموعه والمرئيه فقد زدك الله بالعقل السليم فإذا لم تستعمله في معرفه الله واكتشاف آياته وانعامه فإن عليك ازر فاسترداد الفاعليه مرهون بالفهم السوي للوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه حتي لاتقع في التيه وحتى لا يكون منك المروق من الدين

ولهذا جاء التحذير من طريق اليهود فقال تعالي (فقد ضل ضلالا بعيدا) فالتعبير بالبعيد لهذا التيه فقد صار بينه وبين دليل ارشاده مسافه زمنيه بعيده طويله فهو يسير في طريق الضلال فيصل الي طريق اخري تدخله في متاهه كالذي يسير في صحراء لايجد طعاما ولا شربا ولايعرف الي أن يتجه فعليكم الإلتباه من ذلك السلوك

تستمر النصوص في عرض عاقبه الأعراض عن منهج الله تعالى فقال تعالي (أن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك علي الله يسيرا)

الكفر هنا هو بما ذكر من الحجود بآيات الله فالكفر التغطية واليهود اخفوا نعتوا النبي في كتبهم عن الناس وستروها فارتكبوا بهذا الظلم فالواو هنا هي واو المعيه اي الكفر والظلم فظلموا أنفسهم بالكفر وظلموا غيرهم بمنعهم من اتباع الحق فالظلم زياده علي كفرهم اشارة الي ما صدر عنهم من أعمال الكفر والاستغراق فيها فأخبرنا الله (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا)

فالحق يقول إنه لم يكن ليغفر لهم ذنوبهم ولا ليرشدهم طريق الهدايه والخير فهم مهما اختلفت طرقهم فإنها تصل الي طريق واحد يصل الي جهنم والمكوث فيها علي وجه التأييد بلا انقطاع وان ذلك أمر سهل علي الله فيقول لنبيه لاتبالي بهم وكفرهم فهؤلاء يعملون ضد أنفسهم (وكان ذلك علي الله يسيرا)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

يبين الحق أنه جعل سبحانه وتعالى لكل شي سببا وافه تبطله فقال تعالي (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا)

اي أنه لم يكن الله ليتجاوز عن اخطاءهم ولا ليساعدهم علي الوصول إلى طريق الهدايه والسداد والنجاه لاستحاله تعلق المغفره بالكفره ولا ليهديهم اي يرشدهم ويوفقهم لطريق الحق لعدم استعدادهم للهدايه فلا يتوفقون بأعمال الخير التي هي طريق الجنه

فهذه هي سنن الله فهو قد جعل لكل شي سببا فماعدن الله لاينال الا بالطاعه ولهذا يفهم أن المراد بالهدايه المفهومه من الاستثناء (الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا)

الاشاره انه سبحانه وتعالى جعل أسباب نعمه بالوصول الي الجنه ونعيمها أسباب جالبه لها وهي طاعته وأنه جعل مانعه من نعيمه هو المعاصي والذنوب فالاعمال السيئه موديه الي جهنم ولهذا نفهم أن من لم يراعي نعمه الله بالكفر والجحود فهذا يصرف الله قدرتهم عن اكتساب اعمال الخير طالما اختاروا اكتساب الاعمال السيئه لأن التدنن ومعرفه الأديان نعمه من نعم الله فاليهود انعم الله عليهم بعلم التوراه لكنهم لم يحفظوا هذه النعمه بالشكر والايامن برساله الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم وطاعه أمر الله لهم بالتحول في قراءه مراد الله الي القران

فما الذي كان منهم قابلوا النعمه بالكفر والجحود والعصيان ورفضوا شهاده الله وأمره فكان ذلك من أسباب زوال النعمه عنهم والخذلان

ولهذا فإن هؤلاء عوقبوا بالضلال والشقاء فقال تعالي (قد ضل ضلالا بعيدا)

فهو سلك طريق الضلال عقوبه علي كفرهم ولم يشعروا بذلك لانهم صاروا مثل السكران والمخدر والنائم الذي لايشعر بالألم

فهم لم ينتفعوا بالعلم والايامن فأصاب قلوبهم الران والطبع والختم والغشاواه ولهذا ازدودا مرضا لانه لم يستعمل الدواء لما في قلبه من داء الحسد والكبر فكان ذلك سببا لكراهيه الحق فحاربه ومنع الناس من الإيمان ووقف في طريقهم مانعا لهم من الإيمان فهذا يعيش في جحيم الضلال في الدنيا فالعصبيه تطغي علي كيانه فتودي الي حجب الانوار عنه حتي يصير حاله مثل الاعمي الذي خرج يمشي في ظلمات الليل في طريق فيها اشواك ومهالك لايدري أن يضع قدمه فيمشي في طريق مظلمه ولايدري اين تصل هذه الطريق فهذا لم يطلب النور الذي يرشده الي الطريق الصحيح وايضا لم يطلب الغذاء والدواء الروحاني الذي يزيل الران والطبع بتزكيه النفس وبالطاعه و التوبه وانما يدس نفسه في الاوساخ وبالتالي فإن هذا يضل الطريق لانه يصير اسير الشهوات ومسجون في سجن الانانيه والخرافات وا لأوهام وهو مقيد بهذه القيود وبالتالي فإنه يصعب عليه السير الي الله والدار الآخرة وهو مقيد بقيود الشهوات ولهذا فان هذا الماسور المسجون بسجن الشهوات تجعله منقطع عن كل اعمال الخير الي طريق الهلاك الذي يوصله الي الهاويه وهو المكوث في نار جهنم فجاء النص (خالدين فيها أبدا)

نصب علي الظرفيه رافع لاحتمال حمل الخلود علي المكث الطويل وانما هو خالدا فيها علي وجه التاييد فذكر الحق أن تسهل هذا الطريق لهذا الهالك وإيقاع العقاب أمر سهل علي الله فقال تعالي (وكان ذلك علي الله يسيرا) فلا يستحال علي الله شي فهو قادر علي كل شي

والمراد بهذا بيان أن من فقد النور في الدنيا فإنه يقع في ظلمه عظيمه لايمكنه الخروج من نار جهنم فقد ضل ضلالا بعيدا لأن من ضل في الدنيا فإن ذلك سببا لاضلاله الضلال البعيد في الدنيا وأنها تودي الي الضلال يوم القيامه ومثل هذا لايهتدي الي طريق الحق والقرآن

فيعاقب بالعذاب الفظيع في نار جهنم بالمكوث المولد ولا يخرج من النار فالمعاصي تقوده الي النار

الأمر الثاني

يقول الحق أن المعصية من أسباب زوال النعمة والإنسان يعرف ذلك خاصة الذين لديهم علم بالاديان فقد سمعوا عما خل بالمكذبين ولهذا ذكر الله الانبياء من نوح ومن بعده لتهديد المكذبين بما حل بالمكذبين

ولهذا فإن علم الانسان بسنة الله بعقوبه المكذبين والتي منها زوال النعمة وسلبها منه أن ارتكب المعاصي والذنوب ومع ذلك يرتكب المعاصي فإنه يظلم نفسه فما الذي حمله علي هذا الظلم لنفسه ؟

أن هذا يعود إلي وقوعه في الجهل والغفله فهو يري نفسه أنه مستثنى من سنة الله وقاعده سلب النعمة من العاصي أو أنه ينظر أنه مخصوص من عموم الناس فينظر أن سنة الله الجارية علي الأمم السابقة لن تجري بشأنه ماجرات بشأنهم يري أنه لن تصل إليه العقوبه التي حلت بغيره فهذا جاهل وغافل فهو أيضا يطمع برجاء رحمة الله أكثر مما ينبغي وتجاوز الحد في الرجاء كما هو حال الكثيرون من المسلمون اليوم فإن هذا يكون عقوبته انها تباعد بينك وبين الله وتبعدك عن وليك النافع ومافيه سعادتك بقربك منه

فهذا ظلم للنفس لانه خلع اللباس الذي يحميه من الفيروسات والأمراض المعدية فيكون صيدا سهلا لعدواه الشيطان الذي يزين له المعاصي وتباعده عن الملك الموكل به بقدر قربته من المعاصي والتي كلما ارتكب معصيه باعدت بينه وبين الملك الموكل برعايته وقربته من الشيطان

ولهذا فإن الجنة ونعيمها والنار وجحيمها هما أثرا من اثار ا أعمالنا في الدنيا وليست شي جديدا عنا فالإنسان كلما اطاع الله فإن هذا يزوده بالغذاء الروحاني الذي يمدده بالقوه فيعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة قال تعالي (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياءكم في الحياه الدنيا وفي الآخرة)

فالملك له لمة وللشيطان لمة علي القلب فلمه الملك ابعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمه الشيطان ابعاد بالشر وتكذيب بالحق فإذا خضع الإنسان للمه الشيطان فيكون لسانه اداه ينطق بها الشيطان وجوراحه ادوات لبطش الشيطان وعندها يري الباطل حقا والحق باطلا فيكون بعيدا عن رعايه الله واعانتة وكلما اوغل في المعاصي ابتعد أكثر فهذا يعيش في جحيم العذاب فأكبر الالم هو البعد عن الله تعالي لانه يعيش في قلق وضيق وحزن لتعلقه بغير الله فهو منقطع الصله بالله فهو يعيش عذاب مشقه الحصول علي مايري أنه في سعاده قبل أن يحصل عليه كالذي يجعل هدف حياته الحصول علي المال حيث إنه حتي لو حصل عليه فإنه لا يرتاح لانه يبدأ رحله جديده من المعاناه والعذاب وهو الخوف أن يسلب عليه ويفقده يخاف فوته وهذا عذاب ينقص عليه ماكان يري أنه فيه سعاده ثم عندما يزوال يعاني عذاب الحسره والهم والحزن وعندما يموت يتمني لو يعود وينفقه فقال تعالي في موضع آخر (قال ربي ارجعون لعل اعمل صالحا فيما تركت) وهكذا يظل بعذاب الي أن يصل الي جهنم

ولهذا فإن عليك أن تنظف قلبك من الاوساخ وإذا أردت الحفاظ علي نعمه العلم والايمان أن تبادر الي العمل الصالح فذلك هو ثمره العلم و الايمان وهذا لا يكون إلا بالاخلاص وكمال الاخلاص المتابعه وعدم التوقف وكمال ذلك طلب العون من الله

ثالثا

بعد كشف المصير المشؤم لاولئك الكفار الذي وقفوا محاربيين لدعوه الاسلام ووقفوا في طريق الهدايه لمنع الناس من الإيمان والتصديق بالرسول تأتي السياق بصيغه النداء لعموم الناس فقال تعالي (ياايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فإن لله مافي السموات والأرض وكان الله عليما حكيما)

فجاء النداء لليهود والنصارى والمشركين والمومنين وكل الناس متضمن عالميه رساله الاسلام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو رسول لجميع الناس فيها بيان أن القرآن ناسخ لما قبله من الكتب السماوية وان القران إنزاله الله علي رسوله للناس كلهم رحمه للعالمين

واستخدام لفظ الربوبيه لبيان ان فيه العنايه والرعايه للناس فهو من الرب المالك للناس جميعا فقال تعالي (فآمنوا خيرا لكم)

الفاء علي إيجاب ما قبلها لما بعدها أن في الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الخير الكثير من الكفر فهو رحمه من الله رب العالمين للناس فالناس بحاجة الي الاهتداء بهدايته ولهذا بين أن الله غني عن طاعه المطيع فلن يزيد في ملكه شي وكذلك فإن كفر الكافر لن ينقص من ملكه شي فقال تعالي (وان تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما)

فمن يكفر يلحق الخساره بنفسه ولن يضر الله فالله المالك والخالق والمتصرف للكون ومافيه والانسان لايساوي شئيا فيه ويلفت انتباه المخاطبين الي حاجتهم للمنهج فالكون يتحرك وفق نظام منضبط فأنت لست وحدك في الكون وانت بحاجة الي المنهج الذي يحقق الا

انسجام في حركتك مع حركة الكون فالكون والإنسان والحياه تخضع لسنن ونواميس وقوانين والله قد جعل سبيل الهدايه الوحي ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ف الله عليم بحال عباده وما يصلح لهم فهو يضع كل شي في موضعه فلا سبيل للا هتداء الا بالقرآن فقال تعالي (وكان الله عليما حكيمًا)

(يا اهل الكتاب لاتغلوا في كتاب في دينكم ولا تقولوا علي الله الا الحق إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكيفا)

اولا

ابتدأت الايه الكريمه بالنداء (يا اهل الكتاب) فيه النداء المقرون بالمد (يآء)والذي عرفه الكفوي بقوله (هو ا ولم يحدد هنا المنادي هل اليهود ام النصارى وتضمن الأمر بالنهي عن المغالاه في الدين فقال تعالي (لاتغلوا في دينكم) ولم يذكر ماهو الغلو الذي نهوا عنه وعطف علي ذلك النهي عن القول غير الحق (ولاتقولوا علي الله الا الحق)

الأمر الاول

بعد ياء النداء جاء الامر المتضمن التوجيه لأهل الكتاب بعدم المغالاه في دينهم والغلو يعني تجاوز الحد بالخروج عن حد الاعتدال في الشئ صورتان إفراط وتفريط والافراط التشدد في الشئ والتطرف ويقابله في الطرف الآخر التفريط وهو التساهل والتهاون في الشئ إلي مستوي التميع والافراط يكون ناتجا عن الحماس والحب الزائد والمبالغة والاسراف في الأمر بما هو زياده عن حقه بينما التفريط يكون ناتجا عن سوء الفهم وإساءة التقدير للأشياء وكلاهما يودي الي الانحطاط وتترسخ أحكاما وامورا في العقول ليست من الدين وهم يتصورون أنهم علي حق فتختلط الأمور فتصير صور الانحطاط مذهبا واصلا في الدين ولهذا فقد أخبرنا الله أنهم وقعوا في الضلال و الانحراف والتهيه فصار بينهم وبين الحق مسافه بعيده ولهذا ابتدأ بالنداء (يا أهل الكتاب) بعد كشف اليهود واقامه الحجه عليهم وبيان ماكان منهم من احتقار عيسي والانتقاص منه لدرجه أنهم تبجحوا بقتل وصلب عيسي عليه السلام فقالوا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم...الخ

فبين الله كذب هذا القول وسر النفي لهذا القول بتأكيد أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه وذكر اختلافهم بتفسير هذه المساله رغم اتفاق اليهود والنصارى بأنه قتل وصلب...وهذا أمر غير حقيقي كما أخبرنا الله (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا)

يعود إلي أن بني إسرائيل كانوا يعتقدون أن النبي لا يصلب لأن المصلوب ملعون ولهذا عندما تبجح اليهود بقتل عيسي وصلبه سخرؤا منه أن يكون

رسول الله فاتخذوا من ذلك القول الذي وافقهم فيه النصارى ماده اعلاميه لتكذيب نبوه عيسي وانكروا أن ينزل كتابا من بعد موسى

وفي المقابل لجاء النصارى الي تبرير مقوله اليهود الكاذبه التي لم ينكرها النصارى أن عيسي عليه السلام قد ضحي بنفسه لأجل أن يظهر الانسانيه من الذنب فهو قد ضحي بنفسه لأجل خلاص الآتام والكراهيمه من البشريه وقالوا إن الإيمان بدم يسوع المسيح وصلبه هو الذي يودي الي النجاه الحقيقه

وتطورت هذه الفلسفة بالسعي من النصارى المحبين لعيسي الذين كانوا يشعرون بالعار لأن نبي الله قتل وصلب حسب مزاعمهم الباطله فأرادوا ابطال قدح اليهود بعيسي التي كانت تجد استجابة في بينه بني إسرائيل باعتبار أن المصلوب ملعون فلجأ النصارى الي الادعاء أن عيسي ابن الله فقالوا إن عيسي خلق بلا أب فهو ابن الله وقالوا إن الرب قد ضحي بابنه لأجل خلاص البشريه من الخطئه فصلب عيسي ليس أنه ملعون كما تزوج اليهود بل لأن قطرات دمه هي التي فيها الخلاص للبشريه من الالم الآتام والخطئه

ويبدو أن الفريق الآخر من هولاء النصارى شعر بالاحراج فراي أن مساله ادعاء أن عيسي ابن الله غير مقنعه فقال هولاء أن عيسي هو الله تجسد بصوره بشر وأن قدم نفسه للتضحية بالقتل والصلب كفاره فهي الوصفه الوحيده لطهاره الإنسان من الخطئيه وهذا ما اوقع ك

لاهما في مآزق لانهم اتخذوا إنسانا ضعيفا لها دون مبرر ولأنهم وضعوا مساله مزاعم موته وصلبه علامه علي تحقيق هدف تطهير البشريه من الذنوب والخطيئه فقال المعارضون أن موته لم يحقق الهدف فما زالت الآتام منتشرة في واقع البشريه وبشكل افطع ثم كيف يكون علامه تطهير الذنوب ان يتولد من بطن امراه اله يطلب لنفسه الموت والفناء وكل متبوع له الذل والاهانه فلم يتحقق هذا الهدف الذي من أجله كان اختراع هذا الاعتقاد

ولهذا اخترع آخرون عقيدة الثالوث الاب والابن والروح القدس لازاله الاحراج عنهم من مزاعم قتل وصلب عيسي..برغم أن هنالك من كان ينكر قتله وصلبه وهم المومنون حقيقه..المهم هنا أن أصل اختراع فكره الثالوث مقتبسه من الوثنيون الذين انتصروا علي المسيحيون حيث اعتمد مخترعها الفكره علي التلاعب بالالفاظ الموجوده في الكتب اليهوديه باللي بالسنتهم لتتناسب فكرتهم المخترعه مع مافي الكتب اليهوديه من فكره أن المصلوب ملعون وبذلك هدموا فكره التوحيد

حيث ذكر علماء الآثار والنحوت الأوروبيون كما ذكر الشيخ المراغي في تفسيره في نقله لما ذكره اولئك الباحثون في كتبهم عن علاقته الوثنيه بفكره الثالوث الذي كان سائدا عند أكثر الامم البائده وتعاليم اديان الوثنيه

حيث قال مستر فاير في كتابه (اصل الوثنيه)

كنا نجد عند الهنود ثالوثا مولفا من برهما وفشنوا وشيفا وللبوذيين ثالوثا أيضا (بوذا أنه ثلاثة اقانيم كما يقول الهنود

وقال مستر دوان في كتابه (خرافات التوراه)

أن فيسنوا هيكل ميقيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس في تعاليمهم المبتدين يقولون الاول خلق الثاني و الثاني خلق الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس عندهم

وذكر أن توليسوا ملك مصر سال الكاهن تيشيوكي

هل كان قبله أحد أعظم منه وهل يكون بعده أحد أعظم منه فأجاب الكاهن نعم يوجد من هو أعظم منه وهو الله قبل كل شي ثم الكلمه ومنها روح القدس ولهذه الثلاثه طبيعه واحده وهم واحد بالذات وعندهم صدرت القوه الابدائيه ويستطرد الباحث المذكور عن أصل ديانه الثالوث لاريب أن شخصيه الافنوم الثاني من الثالوث المقدس كلمه هو من اصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات المسيحية ابولو المدفون في دهلي يدعي الكلمه ومن علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه (بلاتوا) قبل المسيح بسنين عدده والكلمه هي الإله الثاني ويدعي أيضا ابن الله البكر

ويقول صاحب كتاب ترقى الأفكار الدينيه

أن اليونانيين كانوا يقولون الإله تلك الاقانيم الثلاثه وكان قساوستهم اذا شرعوا في تقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء ثلاث مرات اشاره الي الثالوث ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات اشاره للثالوث وياخذون البخور من المبخره بثلاث اصابع ويعتقدون انه يجب أن تكون جميع الأشياء المقدسه مثلته حتي اعتادوا هذا الأمر في جميع شعائرهم وقد اقتبست المسيحية تلك الشعائر بعد دخول قسطنطين النصرانية وبهذا نسخت شريعته المسيح عيسي التي جاء بها من ربه

ولهذا يقول الحق لكلا الفريقين (يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم لاتقولوا علي الله الا الحق إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله لاتقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكيفا) اي أن المخاطبين هما اليهود والنصارى وبالأخص علماءهم

الأمر الثاني

أنه بالنظر الي النداء والي المد في (يآء_النداء) والذي يعرفه الكفوي بقوله (هو إحضار الغائب وتبنيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول وتهيج الفارغ) ومن خلال النظر إلي أحوال أهل الكتاب نجد أنهم عند البعته كانوا منشغلين بأفكار وثنيه تسربت الي كتبهم وفسدت تصوراتهم وعقائدهم ولهذا فإن المد في النداء يهدف إلي شد الإنتباه الي نظر فساد ماهم فيه من الإفراط والتفريط و أن النجاة والخلاص من هذا هو الوسيطيه والاعتدال فالغلو هو تجاوز الحد لأن لكل شي طرفين أحدهما الإفراط والثاني التفريط ولهذا فإن الاعتدال أن تقف في

الوسط تماما فإذا تجاوز نقطه الوسط باتجاه الإفراط فإنك تبتعد عن الحق وإذا تجاوزت نقطه الوسط باتجاه التفريط فأنت أيضا تبتعد عن الحق ولهذا استعمل اداه النداء يا اهل الكتاب والخطاب موجها لليهود والنصارى ودل هذا أنهم في حاله تراخي عن الاجابه فاليهود معرضون عن الحق رغم أن الايات قد كشفت ماضيهم وأحوالهم ومفاسدهم والنصارى نائمون في غفله الاساطير ولهذا جاء النداء من الله مباشرة وفيه صيغه المد (يا اهل الكتاب)

لأن المعلوم عند العرب أنهم يمدوا أصواتهم لمناداه المتراخي عنهم أو الإنسان المعرض أو النائب أو المستنقل فاطاله الصوت تناسب مع مافيهم من غفلة وأعراض وتراخي عن الاستجابه

والنص جاء بدون واسطه بين المنادي ومن توجيه إليهم النداء ليشعروا بخطوره الموقف فالايه امتداد لما قبلها فوجد أنه بعد كشف ما كان من الفريقين بشأن عيسي من احتقار اليهود لعيسي والافتراء عليه وما كان من النصارى من سوء الفهم لحقيقه حمايه الله لعيسي من القتل والصلب وما دي حماسهم وحبهم لعيسي من الإفراط كما أوضحنا بالفقره السابقه تفصيلا

فقد اشتد الحوار معهم خاصه بعد أن ذكر الله في الايه قبلها تدبير ملكه في السموات والأرض علي سنن وقوانين تتنظمه وأنه تعالي له كمال العلم وكمال الحكمه فكتابه فيه وضع كل في موضعه بلا إفراط ولا تفريط فاختم الايه قبلها في حواره مع اهل الكتاب بقوله (فإن تكفروا فإن لله مافي السموات والأرض وكان الله عليما حكيما)

ولهذا فإن الجو العام للنقاش قد اشتد فيه الحور ولهذا جاء بالنداء واتبعه بالهمزه اشاره الي تسارع الحوار وان المساله وصلت إلي مرحله يجب حسمها فيقول الحق لهم أن الأوان لاقتلاع هذا الخطاء الذي صدر منكم نتيجة الحماس الزائد والمبالغة في التشدق بالدين وانتم بعيدون عنه أن الاوان للخروج من حاله الانحطاط في الفكر الذي جاء به موسي وعيسي وحصل منكم الإفراط والتفريط في منهج الله وصار ما اقتبستموه من أهل الوثنيه ينسب أنه منزل من الله لقد تم خلط الحق بالباطل في احكام دينكم وتم ترسيخ هذا الانحطاط في الأذهان أنه فيه الخلاص والحقيقه ولهذا فإن اللازم اقتلاع هذا الانحطاط من الأذهان وإظهار محاسن الأديان فقد صارت عقيدته المسيحية واليهودية سببا في تفاقم شر الوثنيه التي بعث الرسل بالرسالات لإخراج الناس من هذا المازق فانتم أصبحتم جزء من الشر الذي يحرم الناس من نور الايمان بالقران لقد صنعتهم اصناما تعبد من دون بهذا الا ختراع الذي زعمتم أنه من عند الله

الأمر الثالث

أن الايه الكريمه تحثنا علي التمسك بمبدأ الوسيطيه والاعتدال ويحذرنا من الإفراط والتفريط. فقال تعالي (يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا علي الله الا الحق)

فالله يقول لك أن أمر الله لا يحتاج الي المغالاه في منهج الله فأمر الدين هو الوسط في كل شي

وبالوقوف علي الايه وربطها بما قبلها وما بعدها نجد أنها وردت بعد تناول الاختلاف بين اليهود والنصارى بشأن عيسي في تأويل اكاذيب قتل وصلب عيسي الذي اتفق الطرفان في أصلها واختلفوا في تأويل ما لم يدركوا حقيقته وانهم صاروا الي منهج غير منهج الله بالافراط في المغالاه بحب عيسي ورفعوه فوق منزلته فقال تعالي مخبرا عن النصارى (وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) وقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثه)

ويدخل في الغلو القول البهتان علي مريم من قبل اليهود أنها زانيه وقولهم أنهم قتلوا وصلبوا المسيح ويدخل أيضا اتخاذ الأحبار والرهبان اربابا من دون الله فالنصارى بالغوا في تعظيم عيسي وهو ليس بحق كما أن اليهود بالغوا

في القدر والظعن بعيسي وهو ليس بحق

وبالنظر الي البواعث النفسانية للغلو في الدين نجد أنها تعود إلي الشك والله يقول (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامه يكون عليهم شهيدا)

وكذلك فإن الباعث الثاني هو عدم رغبة اليهود في الدين نتيجه الحسد وكراهيه الحق

ولهذا نجد أن الايات ربطت الإفراط والتفريط منهم بأنه يعود إلي تغليب الطبع علي ثوابت الشرع ولهذا أخبرنا أن اسلئتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء تعود إلي طبع الخسه فيهم وتسييس القضايا

ولهذا يحذرنا الله من ذلك ويقول علينا انتبهوا من ركام الجاهليه وعصبيتها فانتبهوا من تداخل الأهواء في اتخاذ القرارات فلا يكون ايمانكم ناتج عن انفعال ومن ذلك ما حصل في تاريخ الاسلام من انقسام المسلمين بعد واقعه صفين الي روافض اسرفوا في التشيع للامام علي كرم الله وجهه والي نواصب بالغوا في كراهيه الامام علي عليه السلام لدرجه انهم كانوا لايتورعون من السب والشتم للامام علي رضي الله عنه من علي منابر المساجد كما فعل بني اميه وبين هؤلاء كان اهل السنه واقفين بالوسط لم ينجروا وراء العواطف التي بالغت في حب علي بن ابي ط الب الذين وصل بهم الحال إلي مستوي أن صار علي بن ابي طالب بنظرهم معصوم لدرجه انهم يقدسونه أكثر من الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضهم بالغ في ذلك فصار علي بنظرهم لايقبل منزله في رفعه مما قالت النصارى في عيسي وفي المقابل امتلأت كتب النواصب المتعصبين لبني امويه ما صار من اليهود بشأن عيسي

وبالنظر إلى الايه نجد إنها تحذر المسلمين من هذا السلوك وتضع لهم عنوانا للوسيطه والاعتدال بالوقوف بالوسط لا إفراط ولا تفريط وان تعتصم بالله وبحبل الله لأن هنالك قوه جذب تشدك تاره الي طرف الإفراط وناره تشدك الي التفريط وهذا ما يتطلب الحذر فالرسول صلي الله عليه وسلم قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه (انا فيك من عيسي مثلا بغضته اليهود حتي بهتوا امه واحبته النصارى حتي انزلوه المنزل الذي ليس له)

وقال سيدنا علي رضي الله عنه (إلا أنه يهلك في اثنان محب يفرط بما ليس في ومبغض يحمله شناني علي أن يبهتني الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكن اعمل بكتاب الله وسنه رسوله ما استطعت مما امرتكم من طاعه الله فحق عليكم طاعتي فيما احببتم أو كرهتم)

ولهذا نجد أن الحق يحدد لنا طريق الاعتدال حتي لانقع فيما وقعوا فيه بأن نضبط اللسان علي قول الحق لأن اعوجاج الإنسان والقلب هو من اعوجاج هذا العضو من الإنسان فإذا استقامت اللسان استقام القلب فلا يكون التملق بالحديث والقول في الشرع دون تأصيل القول وكذلك في الحب لاينبغي أن يدفعك الي المبالغه في المدح والثناء للناس بما يرفعهم لمنزله ليس يحق لهم فيها فكل حب له حد فإذا تجاوز حده صار الي الإفراط وكذلك فإن الذم الناتج عن الكراهيه إذا تجاوز حده صار الي تفريط وهذا يكون بسوء الفهم والحماس وتسييس القضايا ولهذا يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال (لاتطروني كما طرت النصارى عيسي ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله) وذكر عن أنس أن رجلا قال يامحمد ياسيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ايها الناس..لايستهوكم الشيطان إنما أنا محمد ابن عبدالله والله ورسوله والله ما احب أن ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل)

ولهذا فاللازم الحذر من مقدمات الغلوفنحن نسمع اليوم من يحاول استغلال مفهوم الوسيطه والاعتدال وسيله لتقوية الصراعات داخل المجتمع المسلم وتسييس القضايا فهو وسيله التفريط في دين الله فتجد وسائل الإء لام الغريبه ومن سار علي نهجها يتحدثون عن وجهه نظر الإسلام للوسيطيه والاعتدال بأنها أحد معاول الهدم و التحطيم لقيم الاسلام ولهدم النسيج الاجتماعي الاسلامي فصاروا يقسمون حركات العمل الايماني الاسلامي الي

متطرف وارهابي ومعتدل وهكذا وهو مايجب الحذر منه

الأمر الرابع

تحذر النصوص المسلمين من الغلو في الدين لأنه أساس دوامه الأديان السماوية والابتعاد عن منابع التوحيد فالغلو هو أساس الخبال والتخلف الذي ينمووا بسرعه في المجتمع المسلم اليوم والموسف أن نمو هذا التخلف والخبال تحت عناوين الايمان والتدين فأنت تري وجود المسلمين وابعاد كبيره لكن لا دور لهم في الحياه مع أن الله قد أنزل القرآن الكريم علي امه الاسلام لتقوم بقياده العالم والاضطلاع بمهمه الخلافه في عصر النضوج البشري وجعل معجزه القران الكريم الاعجاز العلمي وطلب منا أن السير في الأرض وقراءه التاريخ لهوض الحضارات وسقوطها وجعل إدراكها وحسن تسخيرها والأخذ بالسنة الجاريه في الحياه وربط ذلك بامتلاك القدره علي بناء الاثتلاف

والعمران وفق منهج الله الذي يعني شرع السنن

والاقدار والانضباط

لكن الفهم المغشوش للتدين لدي الكثيرون ادي الي الاعتقاد أن الله خلق المسلمين للعباده بمفهومها الضيق و الحسير جدا وافرزت هذه الأفكار ثقافه عطلت المواهب عن التفكير وبلوغ العلوم والتكنولوجيا والصناعات ومنح لآخرون امكانيه النظر في ذلك وإتقان تدبير الحياه فصار أهل الإيما ن ينظر إليهم أنهم هم الذين يلبسون ملابس معينيه ويتفرغون للصلاه والعكوف بالمساجد فانتشرت البطاله واصبحنا نستورد من الغرب والهنود كل مستلزمات الحياه وكأنهم اوكلوا أعداءهم ليقوموا نيابه عنهم في عماره الأرض ليتفرغوا هم لعباده الله فهذه الإشكاليه اليوم أوقعت المسلمين في هذا التخلف والجهل والأزمات تحيط بهم من كل جانب وفقدت الامه دورها القيادي ولا خروج من ذلك إلا بتصويب القراءه لمفهوم الخلافه في الإسلام والعمل علي امتلاك القدره لتوظيفها في استرداد فاعليه الامه

ثانيا

تأتي النصوص لتصحيح التصورات الفاسده التي نهى الله عنها من الغلو بتجاوز الحد الي الإفراط أو التفریط و القول الباطل علي الله فقال تعالي (إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه)

الأمر الأول

تبين النصوص حقيقه عيسي فأشار هنا الي ابطال

تلك المقولات الباطله التي صدرت من اليهود بالبهتان علي عيسي والظعن والقدح به وبنسبه وايضا ما صدر من النصاري من رفعه فوق منزلته فأشار الي ذلك بقوله (إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه) وايضا يقول في المقطع نفسه (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله)

ف الله يقول إن المسيح عيسي ابن مريم ليس كما قال البعض أنه ابن الله فقولهم هذا باطل وكذلك قولهم إنه الله باطل وكذلك من قال أنه ثالث ثلاثه لأن الله لم يتخذ ولد ولم يكن له شريك فهو تعالي الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

فلا تضعوه فوق منزلته فيما يستحيل وضعه ف الله سبحانه وتعالى منزله من الاتحاد والحلول في الأبدان ومنزه

من اتخاذ الزوجه والولد

الأمر الثاني

نسبه الي امه فقال تعالي (إنما المسيح عيسي ابن مريم)

بيان انه لانسب له غير امه ومريم تعني الطائعه العائده فاسمها مطابق لفعالها فأراد بهذا أن يحثهم علي ترك عقيده الشرك فالله ليس له لازوجه ولا ولد ولهذا ارشادهم الي حقيقه عيسي فنعته الله بنعته ووصفه بصفته فقال إنه رسول الله فقال تعالي (إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله)

اي أن عيسي رسول من رسل الله فجاءت الايه علي وجه التحديد أنه رسول الله ارسله الله بالحق شأنه شأن بقية الرسل فلا ترفعه فوق منزلته ولا تحطوه عن منزلته ولهذا لما منعهم من الغلو في دينهم ارشدهم الي طريق الحق في دينهم فقال (إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله)

وهذا فيه توجيه لنا من الله بأنه لايجوز المغالاه في ديننا ولا ما يتعلق برسولنا فمن أحب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من محبه الله عز. وجل فهو غال في حبه فحب الرسول إنما يكون تابعا لحب الله

فالحق يقول لك أن عيسي بشر مثل بقيه البشر المخلوقه وهو عبد لله وبالتالي فإن هذه العبوديه لله هي التي فيها رفعه عيسي وان الله فضله علي البشر بالوحي مثل بقيه الرسل لمدواه الناس بالمنهج الذي فيه الدواء لافات الناس فسماه الله المسيح هنا لبيان ان الخلاص من الالم والاثام ليس باعتقاد أن عيسي اله أو ابن الله ومازعموا أنه ضحي بنفسه لتخليص البشريه من الالم فإن خلاص العالم من الالم بالمنهج الذي يدلهم علي الطريق المستقيم وسماه المسيح علي وزن فعيل فيه ابطال البهتان الذي أطلقه اليهود علي عيسي وأمه لأن من ضمن معاني المسيح أنه مسموح من الادران والاثام وقيل لأنه مسح بدهن البركه وان نبي الله زكريا مسحه وهذا اللفظ أطلق علي المسيح الدجال الممسوح العين اليميني أو اليسري كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الفارق يعود لأن المسيح الدجال فعيل بمعنى فاعل وسمي بذلك لأنه يمسح الارض وهذا ما تنتظره اليهود بعدما حرفت التوراه

الأمر الثالث

الوصف الثالث لحقيقة عيسي (وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه)

المساله الاولي

لابد أن اول ما يخطر ببال السامع لهذه الايه الكريمه أن يتسال ماهي الكلمه التي ذكرها الله أنه ألقاها الي مريم في الايه وهذه المساله ورد بشأنها والمعني لها عدده اراء نذكر منها الآتي

الراي الاول

ذهب البعض للقول إن المراد بالكلمه هي الرساله التي أمر الله الملائكه ان تعلم مريم بها بشاره من الله كما ورد في سوره ال عمران بقوله تعالي (إذ قالت الملائكة يامريم أن الله يبشرك بكلمه منه اسمه المسيح عيسي ابن مريم وجيها في الدنيا والاخره ومن المقربين.... الخ

يعني برساله وبشاره من عنده سبحانه وتعالى وبهذا يكون معني الكلمه أنه اعلمها واخبرها كما يقال لقدالقيت اليك كلمه حسنه بمعنى أخبرتك بها وكلمتك عنها

و بناء علي هذا الرأي نفهم أن الحق سبحانه وتعالى يرد علي مغالاه أهل النصاري بشأن عيسي عندما قالوا إنه هو

الله...والرد علي ماكان من اليهود من الغلو في القدح والطعن بعيسي فكلهم وقعوا في الغلو والانحراف بالقول الزور والبهتان بالقول علي الله الأكاذيب بشأن عيسي ولهذا استعمل (وكلمته ألقاها الي مريم)

اشاره الي انه تعالي قبل ميلاد عيسي عليه السلام قد اعلم مريم أن الله اختارها واصطفها بأمر عظيم وهو ولاده رسول الله المسيح عيسي بدون اب ليكون ميلاده معجزه لاقامه حجه الله عباده واظهار إبداعه بولاده عيسي التي فيها حدث عظيم لانه بلا أب فهو معجزه تظهر قدره الله تعالي للناس اي أن الله جعل ميلاد عيسي رحمه للناس ومنه من الله علي الناس لانه جعلهم يشاهدون قدره الله في الخلق طالما قد تسألوا عن كيفية ايجاد ادم من العدم فكان ميلاد عيسي بدون اب نموذجاً لذلك فيه مشاهده عظمه قدره الله فمن آمن وصدق هدي الي سبيل الرشاد فهذه الخارقه الغير مالوفه توجب الايمان بالغيب ولهذا قال تعالي (فآمنوا بالله ورسله...الخ

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من شهد أنه لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وان عيسي عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه والجنه حق والنار حق ادخله الله الجنه علي ماكان من العمل)

فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التحذير من سلوك اليهود والنصاري في المسائل الغيبية فغلاظه الحس عند اليهود رغم أن الله جعلهم يشاهدون ميلاد عيسي بما هو خارق العاده والحس ومع ذلك لم يؤمنوا والنصاري بـ الغوا في ذلك بالافراط في شأن عيسي وانحرفوا عن منهج الحق

الراي الثاني

قالوا انه ليس الكلمه صارت عيسي وانما بالكلمه صار عيسي موجودا ولهذا فإن المراد بالكلمه هي (كن فيكون)

وهذا القول يويده ماورد في الآيات بعد بشاره الملائكه مريم بميلاد عيسي عليه السلام حيث

استغربت مريم من ذلك ولهذا قالت (رب اني يكون لي ولد ولم يمسنني بشر)

فمريم لم تستوعب بعلقها البشري ولاده عيسي بدون اب لأنها تنظر أن ولاده طفل يتطلب علاقه بين ذكر وانثي ولهذا جاء الجواب من الله (قال كذلك يخلق الله مايشاء اذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون)

وهذا فيه إطلاق سبب علي مسببه فعيسي ليس هو الكلمه لها لكنه خلق بالكلمه فأطلق السبب واريد بذلك المسبب لبيان قدره الله ولهذا قال تعالي (أن مثل عيسي عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

وهذا فيه الرد علي شبه من قال إن عيسي هو الله ومن قال ابن الله ومن قال ثلاثه ثلاثه وايضا رد علي قول اليهود الذين اتهموه في نسبه فقالوا إنه ابن زنا

فهم نظروا الي أن ولاده انسان إنما يكون بعلاقه بين ذكر وانثي فكان منهم الإفراط والتفريط بالمغلايه بشأنه ولهذا يخبرهم الله أنه مخلوق مثلما خلق آدم بدون اب ولا ام فلماذا تستغربون ولادته بدون اب

المساله الثانيه

وكذلك فإن قوله تعالي (وروح منه) تعددت الآراء بناء علي تعدد تأويل معني وكلمته ألقاها الي مريم..وجميع الآراء تتفق في المعني

فمن هولاء من قال أن أنه سمي بهذا (وروح منه) فإن ذلك يعني رحمه منه وبالتالي فإن كلمته اشاره الي رحمته فكان ميلاد عيسي رحمه من عند الله لمن اتبعه بالعقيدة الصحيحة وقيل إن (منه) هو قوله تعالي (وايدهم بروح

منه) اي برحمه منه فكان عيسي برهان وحجه علي قوته وكمال علمه وحكمته وقدرته فقد أظهر الله علي يده الا
شياء العجيبه باذن الله من اتصاف بذلك يقال له هذا روح من الله اي خلقه الله وعيسي كان يبرئ الاكمه باذن الله
والابراص والموتي باذن الله فاستحق هذا الاسم

وقيل أنه تعالي خلقه بالكلمه التي ارسل بها جبريل الي مريم فنفخ فيها من روحه باذن ربه فكان عيسي باذانه
سبحانه وتعالي فكانت تلك النفخه التي نفخ بها فنزلت في جيب درعها حتي ولجت الي فرجها ويؤيد هذا أنها
عندما جاءها جبريل قالت (اني اعوذ بالرحمن منك أن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا .)

(قالت اني يكون لي غلاما ولم يمسنني بشر ولم اك بغياالخ

والمراد بهذا اظهار قدره الله فعيسي مثل ادم في الخلق ولهذا فليس معني (وروح منه) أنه جزء منه كما ذهبت
النصاري لأن (من) هنا ليس للتبعيض لكنها تعني ابتداء لغايه تعني أن مبدأ هذا الروح الذي ولد به عيسي فصار
حيا من الله تعالي لانه هو الذي خلقه واوجده والحياه به فحرف (من) للابتداء به لغايه كما قال تعالي (وسخر لكم
مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه)فعيسي مخلوق من روح مخلوقه واضيف الروح الي الله علي وجه
التفضيل والتشريف وإلا فإن جميع الأرواح من خلقه سبحانه وتعالي مثلما قال تعالي (وطهر بيتي)

فهو مثل ادم خلقه بكلمه كن فيكون وادم عليه السلام احتاج الي النفخ فيه من الروح فقال تعالي (فإذا سويته
ونفخت فيه من روحي)

فلا تسأل كيف خلق ف الله يقول في موضع آخر (ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت
متخذ المصلين عضدا)

والله قد شرف ادم بالتسويه بيده وبالروح وبالعلم ولهذا أمر الملائكه بالسجود تكريما لادم وربط ذلك بعد نفخ
الروح فيه وهنا كان اضافه الروح إليه لتكريم عيسي وتشريفه ليكون معجزه تدل علي قدرته وصدق نبوته وفضله
في العلم وأيده بالمعجزات لإحياء بني إسرائيل والايه قبل هذه الايه قد اختتمت بقوله تعالي (وكان الله عليما
حكيمًا)

فهو تعالي اعلم حيث يجعل رسالته وهو حكيم فيما يشرع وحكيم فيما يزود انبيائه من معجزات فلا يحق الا
عتراض علي اختياره سبحانه وتعالي فكان في هذا ايضا رد علي افتراءات اليهود وقولهم الزور والبهتان علي
عيسي نتيجته الحسد لان الله فضله واصطفاه فكان منهم المغالاه في كراهيه وبغض عيسي فهم مثل ابليس الذي
رفض الاعتراف بفضل ادم قائلا (انا خيرا منه)

فشعار ابليس قائم علي طرح فكره التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه في خلقه
من خصوصيات فابليس هو من أسس فكره العقلانية المجرده التي رفضت الانصياع لمنهج الله وهؤلاء اليهود
سلكوا هذا الطريق وكذلك كان منهم ومن النصاري الانحراف بإنكار نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ورساله الا
سلام

ثالثا

مما سبق يتضح لنا العلاقه بين المغالاه في الدين بالافراط والتفريط وبين القول الباطل علي الله بأن الابتعاد عن
منهج الله سوء بالافراط أو التفريط ينتج عنه الجراه بالافتراء علي الله بالقول الباطل بإطلاق الأحكام الباطله ف
الله يقول يامعشر اليهود والنصاري لماذا حصل منكم التجاوز لمنهج الله بالتاويل الفاسد والتحريف اخترعتم عقائد
كاذبه ونسبتموها الي التوراه والإنجيل تحت مسمي الحفاظ علي قيم الدين كنتم سببا في تغلل الفساد داخل الأ
ديان وصنعتم اصناما تعبد من دون الله ووحوشا تفسد في الأرض باسم الله وادخلتم الأديان في دوامه ولم تعد

الحركة لأجل اصلاح الفساد بل صار الناس يعبدون بشرا مثلهم بترك الاعتدال

والخطاب موجه الي العلماء والاحبار والرهبان وهو تحذير لعلماء المسلمين من مسالك اليهود والنصاري وإيضاح خطوره افرازات التحولات المرحليه في حياه أهل الأديان فانظروا كيف أن بعته عيسي عليه السلام افرازات تحولات جذرية في واقع بني إسرائيل نتيجته الثقافه الفاسده التي كونت الشخسيه اليهوديه المتعصبه لسلاستها وايضا كيف أن فتنه محاوله اليهود قتل عيسي وصلبه وموامرتهم أوجدت عثرات في واقع اغلب النصاري وماتج عن ذلك من تسلل الوثنيه الي عقيدتهم فهذا الانحراف قام بتكريسه علماء اليهود والنصاري ولهذا فإن القران يحذر المسلمين من الفتاوي التي يصدرها العلماء المنتسبون الي الاسلام حيث تجد أن أصل التطرف الديني اليوم يعود إلي فتاوي بعض الغلاه من العلماء المسلمين وايضا نجد أن أصل التميع الحاصل في قيم الإسلام والانحطاط الذي يعيشه الناس يعود إلي فتاوي من يزعمون أنهم علماء وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم خطوره الإفراط و التفريط والابتعاد عن الاعتدال في حياه المسلم وان مصدر هذا الانحراف يعود إلي مساله قبض العلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتي إذا لم يبقي عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا)

والروساء هنا يراد به القائمين علي الفتاوي من قضاة وحكام وأمراء ومراكز العلم مثل الأزهر الشريف الذي صار مناره لتشريع تقاعس الحكام عن نصره المسلمين في غزه ومثله بعض علماء الحرمين الذين صار لهم دور سلبي وخطير جدا علي الاعتدال خاصه في الاوانه الاخيره حيث اصبحنا نسمع من يشهر ويسب المقاومه وهي تحارب اليهود بفتاوي يتسبون بها الي قيم الإسلام الحنيف وهناك من يصدر فتاوي فيها مغالاه وتطرف أنتجت وحوشا تقتل باسم الإسلام والجهاد دونما رحمه

فهذا هو القول الزور علي الله بالباطل الذي حذر منه علماء أهل الكتاب فكان النداء يا اهل الكتاب...متوجها إلي العلماء والاحبار والرهبان وهذا هو الارتباط بين الغلو والقول الباطل

ولهذا جاء تصحيح عقائد أهل الكتاب وإعادتهم الي الاعتدال بعد النهي عن المغالاه والقول الباطل فقال لهم الله لماذا تقولون القول الزور وتنسبوه الي الله في حين أن الله لم يقول ذلك في كتبه ولم يأمر به ثم يقول تعالي

(فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفي بالله وكيلًا)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

أن الآيات وردت بعد أن وصف لهم الحق سبحانه وتعالى فساد الغلو والقول الباطل وشر ذلك وضره وصف لهم طريق التحرز والامتناع منه لأن المريض إذا عرف داءه احب أن يعرف دواءه وكذلك فإن من عرف عيب نفسه احب أن يعرف ما يصلح له قال تعالي (فآمنوا بالله ورسله... الخ

فألحق سبحانه وتعالى يأمرهم بالتحول في قراءه مراد الله الي القران الكريم فهو الحجه العالمية في الأرض علي الأمم كلها وكافه الحضارات قديما وحديثا يقول إن عليهم اعاده النظر في ثوابت قراءتهم لتتنطوي ضمن التحديد الرباني في العالم بلغه القران فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وهنا يقول (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم)

ولهذا تولي القران الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التي وجدها ملئيه بالتحريفات ومشحونه بالاساطير و الخرافات وهذه هي مسؤولية المسلم التي يجب علي المسلم أن يشعر بها وأن لا يقصر في القيام بها

الأمر الثاني

أن الأمر بالإيمان بالله جاء مقرون بالإيمان بالرسول ... فالنصوص تبين لنا أن عله كفر هولاء تعود إلي المغالاه في التعصب للأديان لكل من يتخذ الدين والرسول الذي أرسل إلي قومه نسبا يتفاخر به ومن هنا نشأت فكره التفريق بين الرسل كما أخبرنا الله في المقطع السابق فقال (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا)

فيقول الحق لنا ابتعدوا عن العصبيه ومايصاحب ذلك من التعصب الأعمى للرأي في الفروع فلا تكونوا مثل اليهود والنصاري فإن هذا التعصب الأعمى للرأي أو المذهب يكون سببا وباعثا للمغالاه والقول علي الله غير الحق وعندها سوف ينتهي بكم الحال الي الفوضي التي صار إليها اليهود والنصاري فلا خلاص لام البشريه الا بالوسيطيه والا عدتال

الأمر الثالث

فيها بيان حقيقه ان الرسل وحدهم هم المصدر الموثوق بنقل أمور الغيب ومراد الله من عبادته لأن الوحي لاينزل ا لا علي الرسل فهم وحدهم من لهم الحق بالحديث عن أمور الغيب وان الرسل كلهم يحملون دعوه الناس الي التوحيد وعيسي عليه السلام من جمله هولاء الرسل فلم يدعي اي رسول أنه ابن الله ولا أنه الله ولم يقل اي رسول بعقيده الثالث

ومنهم عيسي عليه السلام فهو رسول الله شأنه شأن سائر الرسل والأنبياء فلم يدعو الناس الي عبادته أو عبادته امه ولهذا سوف يشهد يوم القيامة علي ذلك ويشهد علي أن المغالاه التي حدثت من أتباعه كانت اختراع منهم ولم يأمرهم بذلك كما ورد في سوره المائده بقوله تعالي (واذ قال الله يا عيسي ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم الخ

وهنا يقول لهم الحق سبحانه وتعالى عطفًا علي امره (فآمنوا بالله ورسله) قال تعالي بعدها

(ولاتقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم)

اي اقضوا علي الكلمات والاقاويل الكاذبه وعليكم إزالتها وازاله رواسب وركام الفكر الوثني الذي ادخلتموه في عقيدتكم

ففي العدول عن الباطل الخير الكثير لأن ذلك القول قبيح والنص فيه تهديد عن الافتراء ومخاطر الشرك التي منها عقيدته الثالث يقول لهم أن الخير أن تتوقفوا عن هذه المقوله فالاستمرار بقول ذلك فيه خطرا عليكم فعليكم إزالتها

الأمر الرابع

بعد تخطئه المقوله الصادره منهم يأتي التوجيه الي قول الحق والي طريق الحق بعد العدول عن قول الزور وطريق الباطل فقال تعالي (إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفي ب الله وكيلًا)

وهذا فيه الطريق لتصحيح العقيدته ف الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا ولد ولا صاحبه ولا معبود سؤاه

فجاء التنزيه من عقيدته الثالث وعقيدته أن عيسى هو الله وعقيدته أن عيسى ابن الله لأن ذلك شرك وهو نقص لا نه فيه تشبيه الله بالمخلوقات ولهذا جاء

١

تنزيه الله من هذا العيب ف الله لم يلد ولم يولد فنفي عنه الولد

٢

اثبات ملكيه الله لمافي السموات ومافي الأرض لبيان ان شمول وعموم ملكيه لكل مافيهما يجعل عيسى وأمه مخلوقات مملوكه لله تعالى فكل مافي السموات ومافي الأرض ملكا لله وعبيدا له فهو مالكهم وخالقهم وبالتالي كيف يتوهم أن عيسى ابنه وان له زوجه تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك القول علو كبيرا فعيسى وأمه عبيد لله من جمله عبيده في السموات والأرض

٣

بيان ان ارتباط المخلوقات به تعالى في السموات والأرض بما فيهم عيسى ومريم هو ارتباط المخلوقات بخالقهم وسيدهم ارتباط المعبود بعبيده فهو يتولي رعايتهم جميعا ولا حاجة لافتراض القرابه بينهم من اي جهه فالصله إنما تكون برعايه الخالق لمخلوقاته ولهذا قال تعالى (وكفي بالله وكيفا)

اي يكفي العباد والمخلوقات كلها (مافي السموات ومافي الأرض) بالله مدبرا ورزاقا فما الحاجه معه الي غيره سبحانه وتعالى فلا حاجه الي اله آخر وايضا فيه نفي الولد عن الله فهو غني عن الولد لأن الولد إنما يحتاج إليه من كان ضعيفا يحتاج الي من يعينه في حياته ويقوم مقامه بعد وفاته والله منزه عن كل ذلك فهو له مافي السموات ومافي الأرض وهو حي لا يموت ويراعي ويعتني بجميع مخلوقاته

٤

كما أن الايه فيها الحث علي الاعتماد علي الله وحده لاشريك له ووجوب الاستعانه به وحده فلا يجوز الاستعانه بغير الله ولا حتي الانبياء والرسل لأن ذلك شرك فقال تعالى (وكفي بالله وكيفا)

وهذا فيه اراحه الشعور بالاعتماد علي الله بالاطمئنان الي رعايته وقضاء الحوائج والعلاقه بين هذا وبين الغلو لأن الشيطان يدخل من باب الاستعانه بالصالحين كواسطه بينهم وبين الله وهذا مانشاهده في احوال الكثيرين الذين وصل بهم الإفراط الي عباده القبور فيقول الله عليكم الاعتماد علي الله فالله يقول في موضع آخر (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه.. الخ

فما عليك ايه المسلم إلا أن تكون صادقا في التوكل علي الله لتجد رعايه الله وعنايته

القسم الثاني

تنتقل النصوص الي مناقشه اعتراف عيسى بالواهييه الله تعالى وافتخاره بأنه عبدا لله وكذلك الملائكه المقربون الذين اتخذهم البعض الهه وواسطه يتوسطون بها عند الله

فأراد بهذا تصحيح الاعتقادات الفاسده فقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكه المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

اولا

فأول مايشد الإنتباه هو أن الايه وردت النهي عن الغلو واختتمت بقوله تعالى (وكفي بالله وكيفا)

ثم ذكر مساله أن عيسي عليه (لن يستنكف)

اي لن يترفع ولن يتعالي ولن يتكبر ولا يحس بالخلل والاحراج من وصفه أنه عبدا لله فهو بالعكس يري أن العز و الشرف في عبوديته لله وطاعته سبحانه وتعالى وقد روي أن وفد نجران قالوا يامحمد انك تعيب صاحبنا فتقول أنه عبدا لله فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس بعار علي عيسي أن يكون عبدا لله فنزلت الايه

وهذا الارتباط بين الآيات بما قبلها وعطف عدم ترفع الملائكة المقربون عن طاعه الله وعبادته تعود إلي الاتي

الأمر الأول

يقول الحق إن الشرف الحقيقي الذي جعل عيسي يصل الي مرتبه المقربين كما قال تعالى في البشاره لمريم (إذ قالت الملائكة يامريم أن الله يبشرك بكلمه منه اسمه المسيح عيسي ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) هو اصابه شرف العبوديه لله باكتساب القلب المذله لله عز وجل

ولهذا عطف علي ذلك قوله تعالى (ولا الملائكة المقربون)

فالقرب من الله إنما يكون نتيجة اصابه شرف العبوديه لله تعالى ولهذا كان الربط بينه وبين الملائكة فقد وصف الله عيسي في موضع آخر أنه من المقربين ووصف الملائكة أنه من المقربين ...

والملائكة مخلوقات علي طهاره ونقي النفس فهم مطيعون لله تعالى ولهذا قالوا (ونحن نسبح لك ونقدس بحمدك)

والتسبيح والثناء والتعظيم هو من العبوديه التي ناولوا بها شرف القرب من الله تعالى وكذلك فإن وصف عيسي أنه من المقربين هو اصابه شرف العبوديه بانكسار قلبه وطاعته لأمر الله بالحب والاجلال والتعظيم

الأمر الثاني

أن مصدر شرف الإنسان إنما يكون باستخراج العز بالنفس من القلب بالياس من الناس لانه يردك الي الله ورجوعك الي الله والاستغناء بالله عن الناس ليكون سكون قلبك واطمئنانه بالله بما يودي الي زياده طاعته والوصول الي خاصيه عبادته سبحانه وتعالى إنما يكون بالنزول الي درجه العبيد لله وفي النزول عند درجه العبيد اصابه شرف العبوديه وفي اصابه شرف العبوديه يكون اكتساب القلب المذله لله تعالى وبذلك يكون افتقاد العز المذموم من قلبك فتكون اعزذليل تذلت لله تعالى فاعزك بطاعته وخضعت له فشرفك بعبادته بأن قريك منه تعالي بهذا الشرف ولهذا نجد أن الايه قبلها ذكرت (وكفي بالله وكيفا)ليبين ان الانسان لا يصل الي هذه المرتبه الا باستخراج العز المذموم من القلب بتقطعه من قلبك بالياس فلا تعتمد الا علي الله لأن حب العز له أصل في النفس التي خلق عليها الإنسان فمنه مخرج حب الرئاسة والجاه عند الناس ومنه الكبر والفخر ومنه الغضب والحسد والحقد و الحميه والعصبية فالنفس عاشقه لها ولهذا فإن اللازم اخراج هذه الادران من قلبك وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان نفسه وحاجته وافتقاره لربه وضعفه ومعرفه الله بغناه وجماله وجلاله وعظمته سبحانه وتعالى وعيسي يعلم عظمه الله تعالي وحاجته إليه سبحانه وتعالى ولهذا فهو شاكر لله عابدا له سبحانه وتعالى وهو يطلب الوسيله التي تقربه من الله تعالي فقال تعالي (اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيله ايهم اقرب)

يقصد بهذه الايه عيسي والملائكة الذين عبدتهم البعض فهم لا يابيون ولا يترفعون عن الخضوع والتسليم والخشوع

لأمر الله فالصله التي تقربهم من الله هي الإذعان والانقياد لأمر الله فليس بين الله وبين مخلوقاته لامصاهره ولا نسب ولاقربه تناسل كما يتصور المشركون الذين جعلوا الملائكة بنات الله من علاقه مصاهره مع الجن كما قال تعالي (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكه إناثا وهم شاهدوناالي قوله تعالي وجعلوا بينه وبين الجنه نسبا ولقد علمت الجنه أنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين)

فالايه تبين أن الجميع عبيد لله فالعبوديه لله هي الحقيقه التي ينطلق منها المسلم في كل شؤون حياته وهي المهمه التي حملها التي حملها الرسل الي العباد (أن اعبدوا الله)

فهذه هي الصله التي تقرب العبد من ربه وتربطه

بربه

فكان استئناف الايه الكريمه لحقيقه التوحيد حيث أن الايه قبلها أوضحت العقيدته الصحيحه التي ينبغي أن ينطلق منها المومن في حركته

بالحياه فذكر توحيد الألوهية التي توجب الالتزام بمنهج الله وعدم المغالاه لأن ذلك خروجا عن التوحيد إلي الشرك وان تخليص النفس من كافه الشوائب هي التي تدفعك للاعتزاز بالعبوديه فتكون حرا فلا تكون عبدا الاله ثم ذكر توحيد الربوبيه بالاستعانة والتوكل

علي الله فقال تعالي (ولله مافي السموات ومافي الأرض وكفي بالله وكيفا)

ليبان ان بالوحي تعرف كيف تعبد وبمعرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده يحصل الانسجام في حركتك مع حركه الكون فلا تستقيم العلاقات الا بأن تكون عبدا لله وحده لاشريك له فإذا استقرت هذه الحقيقه في النفس يحصل تغيير شكل الحياه فتنتطلق في هذا الكون عزيزا متحررا من كل سلطان فيحصل تغيير شكل الحياه

الأمر الثالث

يقول الحق سبحانه وتعالى أن الأنبياء والمرسلين ومنهم عيسي عليه السلام لايترفعون عن أن يكونوا عبيدا لله وهم يتشرفون بمقام العبوديه لله تعالي في كل شؤون حياتهم ولهذا قال تعالي عن النبي صلى الله عليه وسلم(سبحان الذي أسري بعبده) ولم يقل لنبيه

لأن مقام العبوديه لله هو مقام شرف وعز حقيقي والفرق بين الإنسان والملائكه في هذا

المقام أن الملائكه مخلوقات لعباده الله فلا أردته

لهم وانما هم مجبرون علي عباده الله تعالي بينما الإنسان مختار ولهذا فإن هنالك قوتان تجذبان الإنسان قوه جذب سماويه ترفع الإنسان وهنالك قوه جذب ارضيه تجذبه نحو السفول ولهذا فإن الانبياء اختاروا أن يكونوا مجبورين لارداه الله ليصلوا الي مقام العبوديه فاخرجوا من قلوبهم كل حب غير حب الله ولهذا فإن

قلوبهم طاهره نقيه من كل مشاعر الاعتزاز بالجاه أو السلطان أو الكبر أو الخيلاء والعصبيه

فهم قد هذبوا ونقوا من كل ذلك وخضعوا لله خضوع حب وإجلال فكان ذلك فيه التقرب من الله تعالي ولهذا فإن الإنسان يقطع ذلك من خلال منهج الله الذي يكون به تنقيه الاوعيه من الاخلاط الرديئه التي في نفس الإنسان التي العز المذموم له أصل في النفس فهي تحب المدح والثناء والجاه والسلطان والفخر والنكف عمليه حسيه فالإنسان مثلا عندما يكون منفردا قد يبكي لمعاناه فإذا دخل عليه ابنه أو زوجته فإنه

يخجل أن تراه زوجته بمثل ذلك الحال فيبادر

الي ازاله الدموع من عينيه بإصبعه وهذا فيه ازاله النكف ولهذا فإن العمل الصالح وطاعته وعبادته سبحانه وتعالى هو السلاح الذي يقوي به الإنسان سلطانه لازاله النكف الذي في النفس في إطار عالج نفي العز من نفسه ليسهل السير بقلبه وعمله الي الله تعالى وسبيل الاستقامه في ذلك الصدق في عمله حتي تطمئن نفسه الي التذلل والتواضع فلا يقدر العبد علي قبول الحق

وفيه العز المذموم ولا يقدر علي التوضع الذي هو شرف التقوي الا بازاله النكف من النفس ولا يقدر علي ترك الحميه من لم يزيل النكف من نفسه بالتذلل لله وطاعته فداء الاعزاز لا يسلم أحد منه إذا لم يقوم بتزكيه نفسه فمثلا تجد نفسك راغبا بالجلوس في صدراه المكان لانك تري أن ذلك فيه رفع لمنزلك وهذا ناتج من حب الرئاسة ولهذا فإن عليك إخراج هذا المرض من قلبك بأن تهب نفسك لله فهو سبحانه وتعالى أهلا لذلك فهو غني عن أهل السموات والأرض وانت ومن في السموات والأرض من تحتاج الي الله وهذا لا يتحقق الا بأن تصير كلك لله وحده خاضعا له متلذذا بعبادته سبحانه وتعالى تتلذذ بمناجاته وتبكي من خشيته فهذا هو العز الحقيقي أن تكون عبدا لله فالمسيح لا يجد عضاضه أن يكون عبدا لله ولا يستكبر بل هو يتشرف بأن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فأراد بهذا العطف بيان أن الطاهرون المقربون لله إنما ناولوا هذا الشرف بطاعته سبحانه وتعالى وعبادته فهذا هو الشرف الذي قريهم من الله ولأن الناس اعتادوا علي النظر للملائكة أنهم افضل المخلوقات علي الإطلاق كما قال تعالى حاكيا عن قول نساء مصر عن يوسف عليه السلام (قلن ما هذا بشر أن هذا إلا ملك كريم)

كان ذكر الملائكة بعد ذكر عدم ترفع عيسي

وايضا لأن الناس إنما كانت بدايه التفريط والافراط ناتجه عن الاستعانه بالصالحين وتقديسهم وشيئا فشيئا كان عبادتهم كما أخبرنا الله عن قوم نوح أنهم صنعوا اصناما لبعض الصالحين لأجل تمجيد ما قاموا به من الأعمال الصالحة وبعد ذلك كان عباده تلك التماثيل فهذا هو نهايه الغلوا في حب الصالحين فيقول لهم الله أن وسيله القرب من الله تكون بعبوديه الله وحده لا شريك له

ثانيا

تمضي سياق النصوص بايضاح إخطار داء الاعتزاز وفساده واضاراه فقال تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

وبالوقوف علي الآيات نجد فيها الآتي

الأمر الأول

أن الايه الكريمه ابتدأت بجملة شرطيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ومن اداه شرط

وفعل الشرط يستنكف ويستكبر

وجواب الشرط (فسيحشرهم إليه جميعا)

وقرن بالفاء لانه صدر بالجواب بالسين والمعلوم أن

الجواب إذا صدر بالسين وسوف فإنه يتعين أن يربط بالفاء فجاء الجواب أنه تعالى سوف يجمع المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع إليه يوم القيامه وخص بالذكر جمع المستنكف والمستكبر لبيان ان الجمع في قبضته وأنه سوف يجمع بين المترافعين عن عبادته مع المعتقدين بأن أنفسهم عظيمه ليحاسبهم بما عملوا

وحيث أن الاستنكاف شعور بالقلب فهذا وان خضع بالجوراج لا يخضع قلبه فيكون هنالك مسافه بين العمل والقلب وأما المستكبر فهو أن يدع العباده ويحتقر من يعبد الله ويحتقر الرسول وهذا فيه تهديد لمن يترفع عن عباده الله ويتكبر يقول لهم الحق انه سوف يحشرهم لسلطانه وقهره شأنهم شأن المقربين بالعبوديه المطعين المستسلمين لله

وفيه أيضا بيان أن المسيح عيسي عليه السلام لم يكن يترفع عن عبادته فهو يتشرف بالعباده لله وكذلك الملائكه ومن كان معتزا باصابه شرف العبوديه لله لا يصلح أن يكون ربا ومعبودا لانه هو نفسه عابدا لله تعالى

الأمر الثاني

أن الايه وردت بعد ذكر عدم ترفع عيسي عن عباده الله ولا الملائكه المقربون... ثم ذكر أن الذي يترفع ويتكبر عن عباده الله هو الذي يعاني من داء التعزز فيري نفسه عظيما فهو مغرور بنفسه ولا يعرف ربه وهذا داء خطير فيقول الحق أن تستطيع الإ فلات من قهر الله وسلطانه

والايه تبين أن أصل كفر أهل الكتاب يعود إلي هذا الداء ولهذا قال في سوره المائده (ولتجدن اقرب الناس موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)

فذكر أنهم لا يتكبرون عن الإيمان وهم غير متعصبين ثم ذكر أنهم لا يستنكفون من إظهار القبول بالحق فقلوبهم تدعن وتظهر علامات ذلك بنزول الدموع من أعينهم فقال تعالى بعدها (واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امننا فاكتبنا مع الشاهدين)

والنصوص تشير الي مساله في غايه الاهميه متعلقه بحث أهل الكتاب بالالتحاق بجماعه المومنين والتحول إلى القرآن الكريم في قراءه مراد الله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

فالحق يقول لهؤلاء ان عيسي لن يترفع عن اتباع الاسلام ويشهد بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما شهدت الملائكه حيث أن عيسي عندما ينزل الي الأرض ويقتل الدجال سوف يتبع شريعته الاسلام كما ذكرت الأحاديث وهنا يقول لهم الحق لا يمنعكم النكف من التحول في قراءه مراد الله الي الاسلام فالله عزيز لا يقهر ولا يغلب وينصر أوليائه ويهزم أعدائه ولهذا فإن مصدر هذا العز هو المنهج الرباني فهو مصدر الاستعلاء والله اعلم حيث يجعل رسالته وهو حكيم يضع كل شي في موضعه

فالذي يستنكف ويأبي الخضوع والتسليم والخشوع لأمر الله هو مثل الشيطان الذي تكبر ورفض الاعتراف لادم بما فضله الله به بينما الملائكه اذعنن لأمر ربها ومن هنالك تأسست مدرستان مدرسه الخير ومدرسه الشر ولهذا عندما سلم الله آدم مفتاح الأرض اشترط عليه أن يكون خلافته وفق منهج الله فقال تعالى (فأما ياتينكم مني هدي.... الخ

ومن هنا بدأت المعركه بين مدرسه الخير ومدرسه الشر حيث أن مدرسه الباطل يكون الكبر والاستنكاف أهم بواعث الا نحطاط التي تبعث علي

كراهيه الحق وعدم امتثال أمر الله والإنسان تتجاذبه قوتان قوه تشده الي ظلمات الأرض وقوه تجذبه الي نور السماء ولما كان تعاقب الأجيال يشكل ضباب تحجب الرؤية عن العين ولهذا فعندما يتم انتشار الظلام والفساد يحدث الانحطاط وتختلط الأمور فيكون لابد من نور يزيل الظلمه فالعين لا تستطيع الرؤية دون الشمس وهنا تحمل الملائكه النور الي الأرض لانبياء الذين تكون مهمتهم نشر الخير بواسطه هذا النور وازاله الظلمات

فهذه هي المعركه بين انوار الحق وظلمات الأرض والظلمات منشاءه عدم معرفه الله فمن حجب عنه هذه الانوار فلن يري الضوء

ولهذا فإن هذا المنهج هو الذي يعبد به المومن الله وبه تنقش الضباب وتزال الظلمات ولذلك لابد من فتح منافذ الهدايه لا ستقبال نور الوحي ولهذا أخذ الله علي النبيين ميثاق الكتاب أنهم إذا بعث الرسول الخاتم ليومنن به ولينصرنه كما ذكرنا في ال عمران

ولهذا عليكم أن تتخلصوا من الانانيه وحب الذات والكبر لأن هذا داء مانع من قبول الحق وهو داء ابليس

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي بيان انقسام الناس الي فريقين أهل الإيمان وهم ينتسبون الي أبواه المنهج الرباني الذي يحقق المطلب الرباني

والي فريق الشر وهم ينتسبون الي أبواه الانونيه (انا خير منه) وهم الذين يتكبرون ويترفعون عن عباده الله فهو لاء اتباع مدرسه الشر وموسسها ابليس فقال تعالى

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

فذكرت النصوص أنه بعد جمع المقر والمطيع والمستكبر والمستنكف يوم القيامه سوف يكون بعد ذلك التفريق بينهم في المصير لبيان الآتي

الأمر الأول

اظهار عدل الله فقال تعالى أن الذين آمنوا بالتصديق الكامل ب الله واسمائه وصفاته وبكل ما أخبر به وباصوال الايمان الستة إيمانا باليقين الجازم ثم اتبعوا الايمان بالعمل الصادق الخالص لله تعالى فهؤلاء سوف يعطيهم الله أجورهم

علي إيمانهم وعملهم الصالح بحسب سنته سبحانه وتعالى في ترتيب الجزء علي مقدر مايكون الايمان والعمل الصالح في النفس وطهارتها من ادران الشرور

فالحق يقول للمومنين اطمنوا فلن ينقص من ثواب اعمالكم شيئا

٢

اظهار فضله وعطاءه الامحدود علي المومنين فقال تعالى (ويزيدهم من فضله)

بأنه سبحانه وتعالى يجازي عباده بالعدل وأنه سبحانه وتعالى يزيد عباده من فضله لانه يضاعف الثواب أضعافا تصل الي سبعمائة ضعف وأكثر كما ذكر الله في سورة البقره

الأمر الثاني

ابتداء الحق بذكر الثواب الذي يلقاه المومنون ثم ذكر ما ينتظر الذين تكبروا وترفعوا عن عباده الله فقال تعالى (وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

مع أن الايه قبلها ورد فيها التهديد لمن يستنكف ويستكبر بأنه سوف يحشرهم لسلطانه وقهره شأنهم شأن المقربين بالعبوديه المطعين المستسلمين لله تعالى فالتهديد الذين خرجوا عن منهج الله تعقبه ذكر ثواب من امتثلوا لمنهج الله لبيان شرف الخضوع والتسليم والخشوع لأمر الله فكان الابتداء بحالهم افضل لان الأمور والأشياء إنما تظهر باضدادها فيقول الحق أنظروا كيف أن ولايه الله وحمايته ونصره لاولياءه هي نافعهم لهم ثم تبين النصوص كيف أن اولياء المتكبرين الذين كأنهم منهم الاستعلاء بالباطل فحصل منهم الترفع والاستكبار اغترارا بالقوه والجاه والسلطان في الدنيا لم ينفعوهم فلم يجدوا من يدفع عنهم عذاب الله الموجع ولا من ينصرهم وقد عاملهم الله بالعدل وبالتالي فعليك أن تعتز بالحق فهو مصدر الاستعلاء والقوه ف الله يحمي اولياءه ويرعاهم

القسم الثالث

(يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمه منه
وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)

اولا

بعد أن تناولت النصوص حال اهل الكتاب وماهم فيه من الانحراف حيث أن الوثنيه قد تغلبت في جميع الأديان وافسدتها
وحصل انحطاط بالقيم الروحانية بالافراط والتفريط فقد امتلأت الأرض بالفساد والظلمات فقد وصل الفساد الي الكتب
السماوية في خضم هذه المعركة بين الحق والباطل والاصطدام بين جاذبيه النور وجاذبيه الظلام فإن من ولايه الله ورعايته
وعنايته أن ينصر أوليائه ويهزم اعدائه ولهذا فإن الزمن الذي يتعرض الخير والقيم في الكتب السماوية الانحطاط من حيث
مبادئها المقدسه وعندما يتوقف تقدمها فانه يولد في هذا الزمن من يحمل انوار الحق وقيم الدين الذي يصفد فيه الشيطان
بسلسل ولهذا قال تعالي

(يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

بأن الله قد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لهدايه البشريه وأخرجها من ظلمات الشرك والكفر الي نور التوحيد والإيمان ف
الرسول صلي الله عليه وسلم برهان جلي علي حقيقه دين الله يبين لكم حقيقه الايمان وجميع ما تحتاجون إليه

٢

الخطاب للناس جميعا لبيان عالميه رساله الاسلام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو رسول الله للناس كلهم
وان في بعثته اقامه الحجج فمجي النبي صلى الله عليه وسلم الدليل القاطع للعدو والحجه المزيله للشبهه

٣

وفي قوله (قد جاءكم برهان من ربكم)

جواب بعد كشف الزيغ والضلال والغلو الذي كان سائدا في العالم ولهذا كان وصف طريق الخلاص من ذلك فأخبرهم الله أن
ذلك باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو برهان من عند الله مرسل من الله لأنه لايقرا ولايكتب فهو معجزه بحد ذاته
وأرسله الله لرعايتكم وهو برهان لما يحمل من الامارات الداله علي أنه رسوله من ربه للعالمين تحدثت عنه التوراه والإنجيل
مزودا بالمعجزات الباهره الشهاده بصدقه واقامه الحجج

ف

الأمر الثاني

(وانزلنا اليكم نورا)

يقصد به القرآن بأنه نورا وضياء لهدايه البشريه فهو النور المبين لمن يفهم لغته وآياته المسموعه والمرئيه في الكون والأمثال
والقصص لمن تدبر وتفكر ف الله يقول في موضع (كتابا انزلناه مباركا) وقال (ليتدبروا آياته) وقال تعالي (ولبيذكر أولو الأ
لباب)

فمن تدبر الآيات وسلم من الهوي فسوف يري الاداله فهو يزيل ظلمات الجهل والشك مثلما يزيل النور ظلمه الليل ف الله يقول
في موضع آخر (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا)وقال تعالي أيضا
(واتبعوا النور الذي أنزل معه)

فالعقل السليم بهتدي بهدايته

ثانيا

(فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمه منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)

ذكر ابن جرير في تفسير الايه معناها آمنوا بالله واعتصموا بالقران اي تمسكوا بما يمنع من الوقوع في مصيده الشيطان ف الفاء هنا (فأما الذين آمنوا) بيان للآثار المترتبة علي هذه الدعوة الكريمة من رب العالمين فمن استجاب فإن هولاء يعتصمون بهذا القرآن فيدخلهم الله في رحمه خاصه منه لا يدخله فيها سواهم وفضل خاص لا يفاضل علي غيرهم ولكن يختص بها من يشاء من عباده فالإيمان بالله والاعتصام بالتمسك بالقران او الاعتصام بالله لمن قال إن الهاء في قوله (واعتصموا به) تعود علي الله كلاهما تعطي معني أن الإيمان والاعتصام يصعد بهما السالك الي الطريق المستقيم فيكون الاعانه من الله تعالي وتثبيتهم وتوفيقهم علي دينهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالي (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

المقطع السادس عشر

(ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله أن امرؤا هلك وليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوه رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم إن تضلوا والله بكل شي عليم)

اولا

اختتمت السوره ببيان حكم الكلاله وهو الرجل الذي يموت وليس له أب ولا أبناء فيرثه اخوانه وأخواته ..فالسوره اختتمت بما بدأت به من أحكام العلاقات الاسريه

فكانت هذه الايه مكمله لما ذكر في مقدمه السوره التي قال فيها تعالي (وان كان رجل يورث كلاله أو امراه وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث)

فالمراد في الايه في مقدمه السوره حكم الكلاله لمن لم يكن وراث وله اخوه لام ولم تذكر تلك الايه حكم الكلاله مع عدم وجود الاخوه لا م ويكون معه اخوه أشقاء ذكورا وإناث أو اخوه لاب

ولهذا كانت هذه الايه استكمالا للايه الاولي وسميت الاولي ايه الشتاء وهذه ايه الصيف فقد كانت الاولي مجمله في ظاهرها وهذه فيها زياده البيان

الأمر الثاني

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (يستفتونك)

فدل أن هنالك اسئله كانت تطرح لغرض طلب البيان في هذه المساله وقد ورد عن جابر بن عبدالله أنه قال دخل علي رسول الله وانا مريض ولا اعقل فتوضا ثم صب عليا ففقت فقلت أنه لا يرثني الا كلاله فكيف الميراث فنزلت الآية

فالله يقول لنبيه (قل الله يفتيكم في الكلاله)

بأن التشريع سلطه الله والرسول صلى الله عليه وسلم ينقل ما يوحي اليه

وهنا يسمع المسلمون الحكم من ربهم

١

(أن امرء هلك وليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك)

أنه إذا مات الرجل من غير ذي ولد والحال أن له اخت شقيقه أو لأب ففي هذه الحاله يكون لها نصف التركة التي تركها أخيها

٢

وإذا كانت المنوفيه امراه ولها اخ شقيق أو لأب فإنه يرثها فقال تعالي (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) اي يأخذ كامل التركة

٣

أنه إذا كان له أختان فأكثر فيكون لهن الثلثان (وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك)

٤

أنهم إذا كانوا اخوه ذكورا وإناث اشقيا ء أو لاب فيكون قسمه التركة بينهما للذكر مثل حظ الانثيين (وان كانوا رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين)

بعكس الاخوه لام فإن الذكور يتساون مع الإناث في الثلث

الأمر الثالث

يختتم الله الابه (يبين الله لكم ان تزلوا والله بكل شي عليم)

ان الله يوضح لهم امور دينهم حتي لا يبحرفوا عن الطريق المستقيم والله يعلم ما يصلح لعباده فهو واسع العلم ولا يخفي عليه شي ولهذا فان اتباع منهج الله في كل شي فيه السلامه والفلاح والنجاح

انتهيت من تأويل هذه السوره بتاريخ الاربعاء ١٧ جماد اول سنه ١٤٤٥ هجريه بعون الله وتوفيقه واهم المراجع التي تم الاستعانه بها هي

١ في ظلال القران للسيد قطب الطبعه ١٥

٢ تفسير الطبري لابن جرير الطبري

٣ تفسير ابن كثير

٤ تفسير السعدي

٥ تفسير روح البيان

٦ التحرير والتنوير لابن عاشور

٧ الالوسي

٨ التفسير القرآني بالقران

٩ زهره التفاسير

١٠ أوضح التفاسير

١١ تفسير الشعرواي

١٢ تفسير ابن عثيمين

١٣ تفسير المراغي

١٤ الشنقيطي

١٥ تفسير المنار لرشيد رضا

١٦ الجالين

١٧ تفسير سعيد حوي

١٨ كتاب احياء لغه القران لأبي بكر بن مشهور

١٩ ابن تيمه

٢٠ تفسير ابن القيم

٢١ كتاب الازمه الدستورية للشنقيطي

٢٢ كتاب محاورات الانبياء لاقوامهم لنجيب علي عبدالله السوداني

٢٣ كتاب بدء من أناب الي الله ويليهِ اداب النفوس ابو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي

٢٤ إدارة الازمه مقاربه بين التراث والآخر أ.د عبدالله ابراهيم الكيلاني بحث أثناء اجازته التفرغ العلمي من
الجامعه الاردنيه ٢٠٠٨

٢٥ تفسير الشوكاني

٢٦ تفسير الخازن

٢٧ تفسير القطان

٢٨ تفسير لبيد

٢٩ تفسير بن باديس

٣٠ تفسير الرازي

٣١ كتاب تزكيه النفوس

٣٢ كتاب اعرف الله

٣٣ السمعيات

٣٤ صحيح البخاري

٣٥ صحيح مسلم

٣٦ كتاب شرح الباري في صحيح البخاري

٣٧ كتاب رساله المسرشددين لعبدالفتاح بن غده

٣٩ تفسير الميسير للقراني

٤٠ تفسير عبد الرزاق

٤١ كتاب الدفاع عن الاسلام

٤٢ تفسير ابو السعود

٤٣ تفسير الخازن

٤٤ تفسير البيضاوي

٤٥ الزجاج

٤٦ مقدمه ابن خلدون